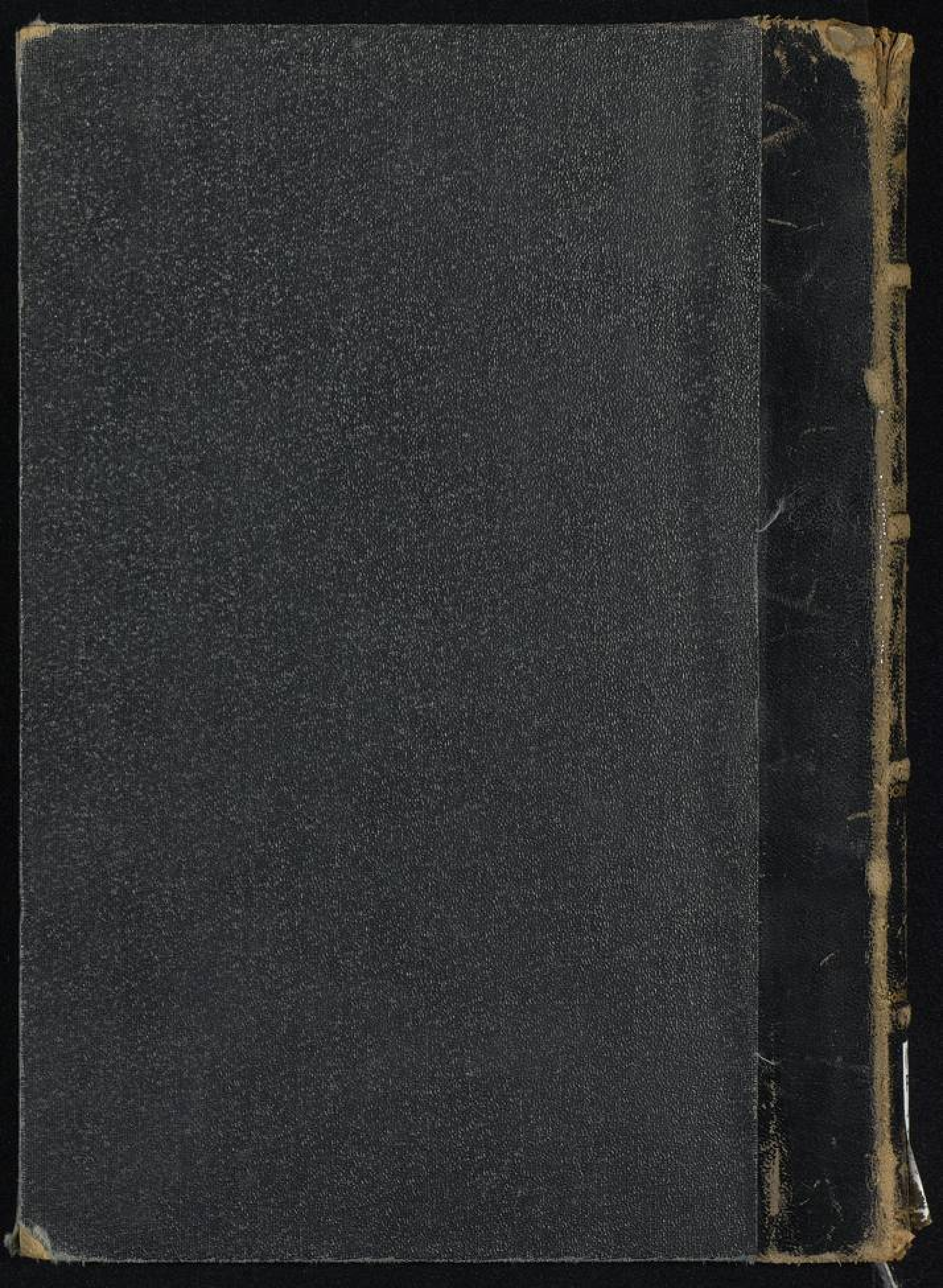
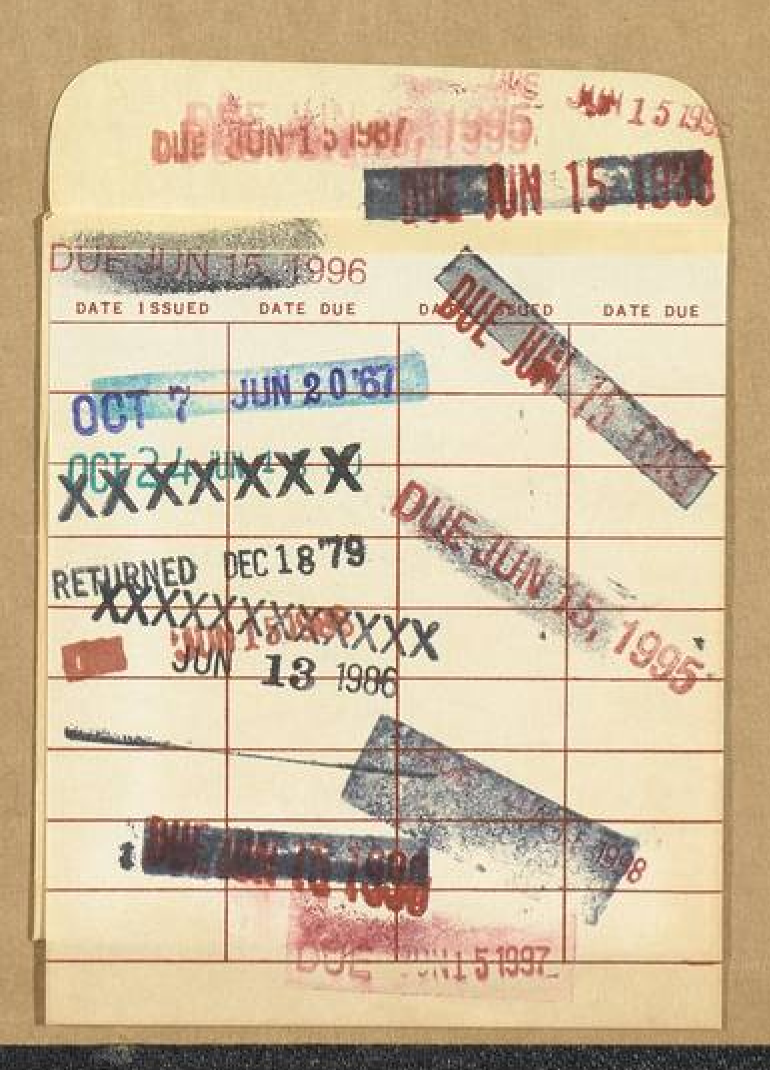
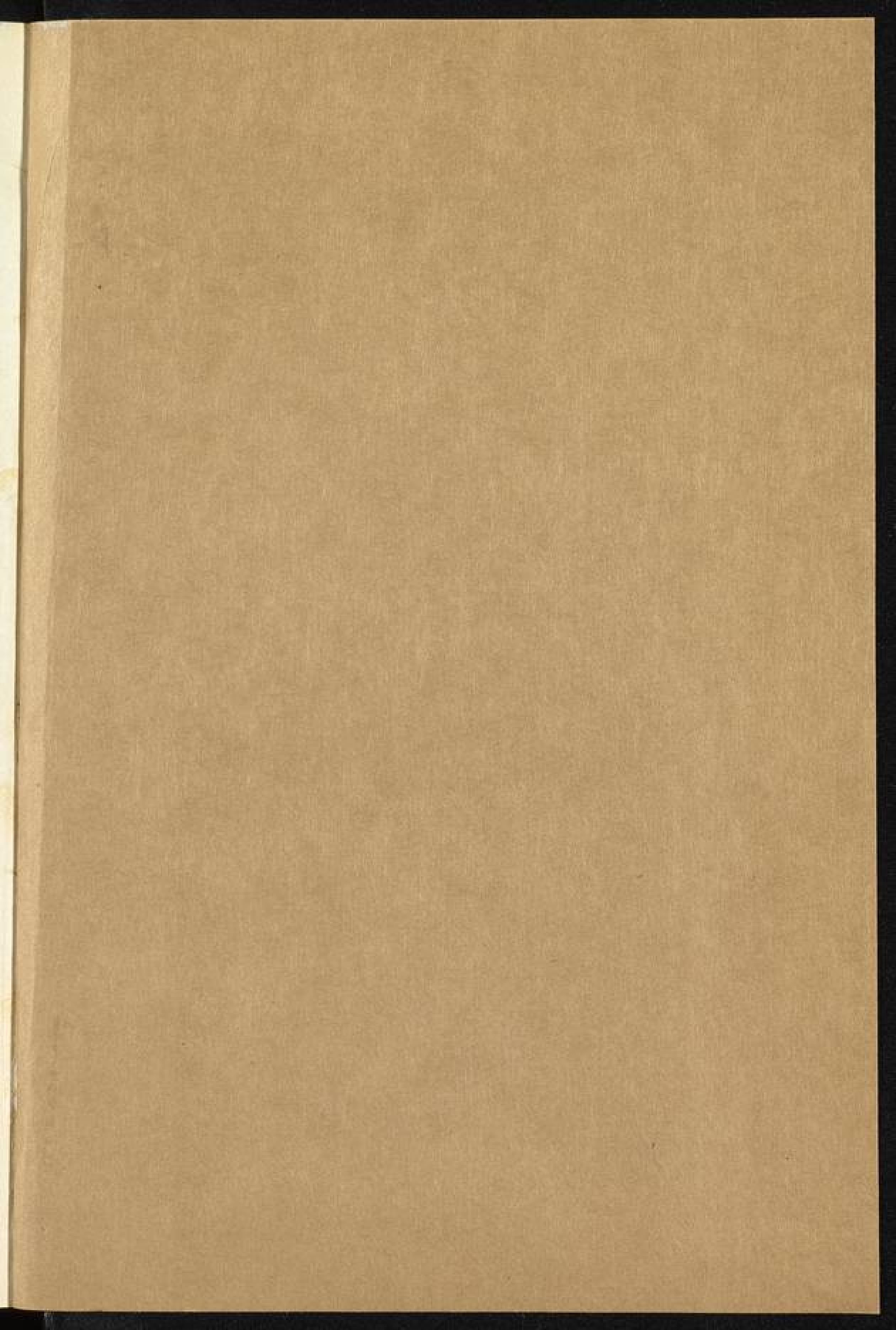
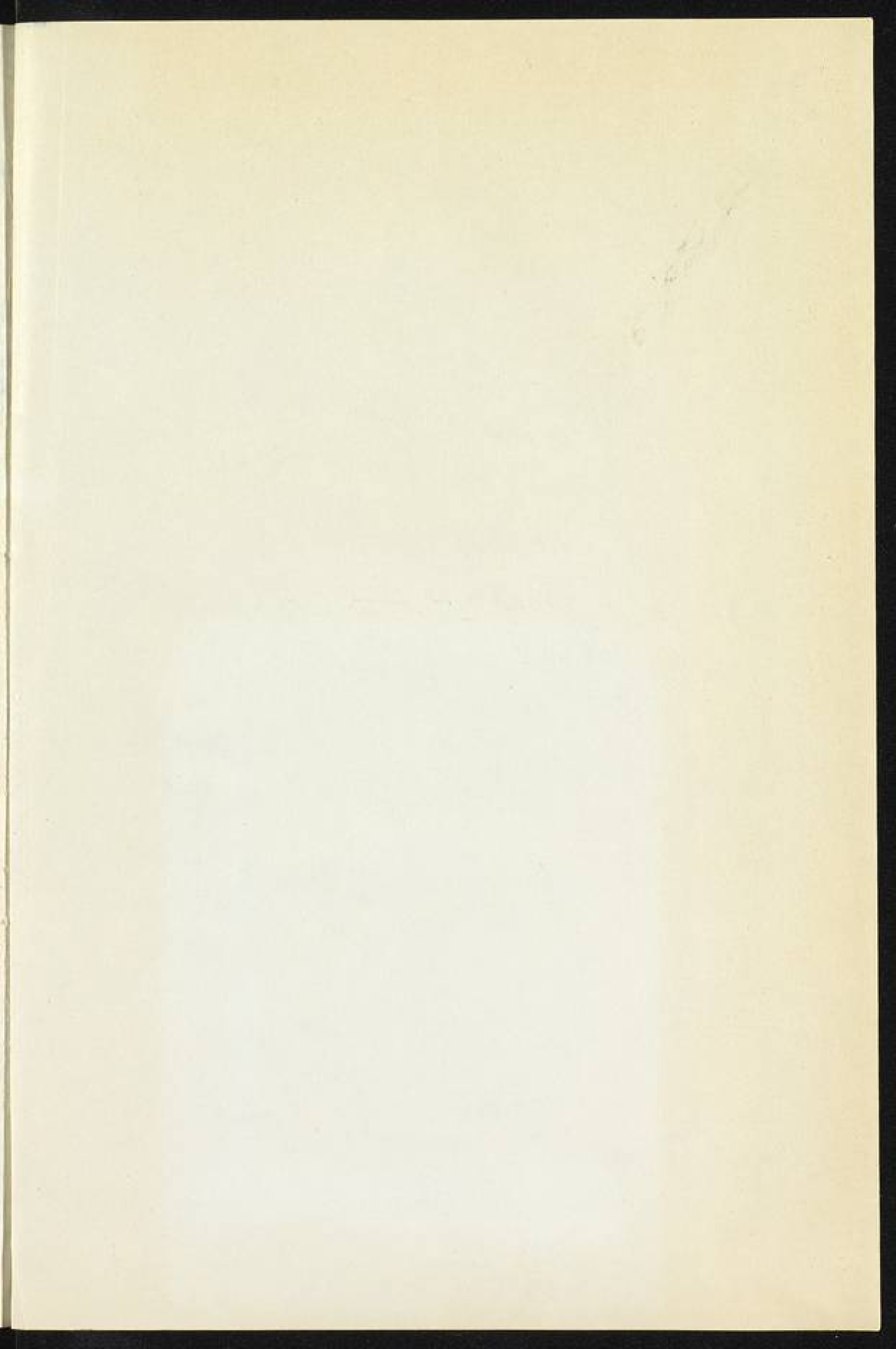



DUE JUN 15 1996
DATE ISSUED
DATE DUE
DATE ISSUED
DATE DUE
OCT 7
JUN 20 '67
RETURNED DEC 18 '79
JUN 13 1986
DUE JUN 15, 1995
DUE JUN 15 1997


PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY
32101 013005515



شرح المعلقات السبع للزوزني



al-Mu'allaqat

Sharh al-Mu'allaqat

شرح
المعلقات السبع

للإمام الأديب القاضي المحقق
أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني
المتوفى سنة ٤٨٦ هـ

ضبطه وكتب مقدمته وتراجمه وتعليقاته

محمد علي حمد الله

نشر وتوزيع
المكتبة الأموية
بدمشق

المطبعة التعاونية

١٣٨٣ - ١٩٦٣

بسم الله الرّحمن الرّحيم

كلمة النّاشر

لقد كرّم الله لغتنا العربية فأنزل الكتاب على رسوله الأمين ﷺ ﴿ قرآناً عربياً ﴾ ﴿ بلسان عربي مبين ﴾ ، فكان حقاً على هذه الأمة أن تعرف للغة مكانتها ، وترعى كرامتها ؛ ولقد عمل العاملون في هذا السبيل ، كلٌ في ميدانه وبما أوتيه ، وبذلت مساعٍ سخية ، ولكنّ الكمال يأبى الا أن يكون بعيداً . فعلى الرغم من أن السنوات الأخيرة شهدت — وما تزال تشهد — خطوات حثيثة في النشر والتأليف ، فإن صوت القارىء مازال يقرع أسماعنا ، عاتباً مرة ، ومثرّباً مرة اخرى ، لما يقع بين يديه من كتب لايرضيه نشرها بالشكل الذي هي عليه ، وخاصة ماينشر من تراثنا العربي القديم .

ولئن كنا اليوم نهدي الى القارىء الكريم جهدنا الذي بذلناه في اخراج هذا الكتاب فإننا لن ندلّ عليه ولن نمنّ ... ولن نزعم أنه كمل ، ولكننا سنقول له اننا عزمنا فيه أن نكون مخلصين : للكتاب ، وللتراث ، وللقارىء نفسه . فنحن نربأ بإرثنا الفكري أن يكون مركباً سهلاً لمن يتعجّل النشر ، كما نربأ بالقارىء العربي أن يأخذ بين راحتيه من الكتب مايقصّر عن سمو العلم وقدره ، وسبحان الذي ﴿ علم الأنسان مالم يعلم ﴾ .

الناشر

القسم الاول

بين يدي الكتاب

١

قال ابو عثمان الجاحظ في البيان والتبيين[١] : (ومن قدر الشعر وموقعه في النفع والضر أن ليلى[٢] بنت النَضْر بن الحارث بن كَلَدَة لما عرضت للنبي ﷺ وهو يطوف بالبيت ، واستوقفته وجذبت رداءه حتى انكشف منكبه ، وأنشدته شعرها بعد مقتل أبيها ، قـــال رسول الله ﷺ : لو كنتُ سمعتُ شعرها هذا ماقتلته) .

وذكر صاحب العقد الفريد[٣] أن الرسول سمع مرةً ابياتاً لسويد بن عامر يقول فيها :

لا تأمننَّ وان أمسيتَ في حرم ... ان المنايا بجنبيْ كل انسانِ

. . . .

والخير والشر مقرونان في قرنٍ ... بكل ذلك يأتيك الجديدانِ[٤]

(فقال النبي ﷺ لو أدرك هذا الإسلام لأسلم) .

وجاء في اللؤلؤ والمرجان[٥] (عن سعيد بن المسيّب قال : مر عمر في المسجد وحسّان ينشد ، فقال : كنتُ أنشد فيه ، وفيه من هو خير منك ؛ ثم التفت الى أبي هريرة فقال : أنشُدك بالله أسمعتَ رسول الله ﷺ يقول : أجب عني ، اللهم أيده بروح القدس ؟ قال : نعم) .

وأخرج أحمد[٦] (عن عائشة أن رسول الله ﷺ وضع لحسّان منبراً في المسجد ينافح عنه بالشعر) .

---

(١) ٤٣/٤ (٢) وقيل : اسمها قتيلة ، قتل أبوها بعد الرجوع من بدر وكان شديد العداوة للرسول (٣) ٢٧٦/٥ (٤) القرن الحبل والجديدان : الليل والنهار (٥) ٢١٥/٣ (رقم الحديث ١٦١٦) وأخرجه كذلك - غير البخاري ومسلم - أبو داود والترمذي وأحمد والطيالسي (٦) المسند ٧٢/٦ وانظر مثله في العمدة ٩/١ وفي الكامل ٣١٤/٢ .

وجاء في صحيح مسلم[١] (عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال : ردفتُ رسول الله ﷺ يوماً فقال : هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيئاً ؟ قلت : نعم . قال : هيه . فأنشدته بيتاً فقال : هيه ، ثم أنشدته بيتاً فقال : هيه ، حتى أنشدته مئة بيت) .

وأخرج أحمد في مسنده[٢] (أن كعب بن مالك حين أنزل الله ـ تبارك وتعالى ـ في الشعر ما أنزل ، أتى النبيَّ ﷺ فقال : ان الله ـ تبارك وتعالى ـ قد أنزل في الشعر ما قد علمتَ ، فكيف ترى فيه ؟ فقال النبي ﷺ : ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه) . وقال في غيره (والذي نفسي بيده لكأنما تنضحونهم بالنبل فيما تقولون لهم من الشعر) .

ولو شئنا أن نمضي مع الأثر الشريف لنرى ما أثِر عن الرسول ﷺ في الشعر وفي بيان فضله لرأينا الكثير .. من ذلك ـ مثلاً ـ أنه قال : (ان من الشعر لحكمة)[٣] ؛ وقال عبد الله بن عمر : (قدم رجلان من المشرق فخطبا ، فعجب الناس لبيانهما ، فقال رسول الله ﷺ : ان من البيان لسحراً)[٤]

وانه لغني عن البيان ما كان لحسان بن ثابت من شأنٍ عند الرسول ، ومن أنه ﷺ دعا له مرة وهو يسمع شعره فقال : (جزاؤكَ الجنة يا حسان) ، ودعا له أخرى فقال : (وقاك الله حر النار)[٥] . وكذلك ما كان من شأن كعب بن زهير حين أنشد الرسولَ قصيدتَه المشهورة « بانت سعاد » (فلم ينكر عليه النبي ﷺ قوله ، وما كان ليوعده على باطل ، بل تجاوز عنه ، ووهب له بردتَه ، فاشتراها منه معاوية .. وهي التي يتوارثها الخلفاء يلبسونها في الجمع والأعياد .. وذكر جماعة .. أنه أعطاه مع البردة مئة من الأبل)[٦] ثم كان أن اشتهرت هذه القصيدة باسم « البردة » ، وعارضها الشعراء ؛ ولعل

(١) ٤/١٧٦٧ . (الكتاب ٤١) وانظر ابن ماجة ٢/١٢٣٦ وأحمد ٤/٣٨٨ والطيالسي ٢/٦٧
(٢) ٣/٤٥٦ (٣) ابن ماجة ٢/١٢٣٥ (الكتاب ٣٣ الباب ٤١) وأخرجه كذلك الترمذي وأحمد والدارمي والطيالسي ، وهو في العقد الفريد ٥/٢٧٤ (٤) موطأ مالك ٢/٩٨٦ (الكتاب ٥٦ الباب ٣) وأخرجه كذلك البخاري وأبو داود والترمذي وأحمد والطيالسي وقصته في المجتنى لابن دريد ص ٢٢ تختلف عما ذكرناه هنا (٥) زهر الآداب ٤/١١١٧ (٦) العمدة ١/٧ وانظر الاصابة ٣/٢٧٩ .

قول الحصري في زهر الآداب [١] ان الرسول سمع (الشعر وأثاب عليه) انما يرمي الى حادثة كعب ومثيلاتها . وأما قوله ﷺ : (لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلىء شعراً) [٢] ، فذلك شأن من غلب الشعر عليه ، حتى أصبح هو كل ما عنده ؛ وذلك بدلالة قوله « يمتلىء » أولاً ؛ وبدلالة ما قدّمنا من أحاديث ترفع مكانة الشعر ، ثانياً . وقال ﷺ : (انما الشعر كلام ، فمن الكلام خبيث وطيب) [٣] ، وقال أيضاً (لا بأس بالشعر لمن اراد انتصافاً من ظلم واستغناء من فقر وشكراً على احسان) [٤]

ولم يكن الشعر عند صحابة رسول الله ﷺ أقل شأناً ولا أدنى رتبة ، فقد قال ابن عباس : (اذا سألتم عن شيء من غريب القرآن ، فالتمسوه في الشعر ، فان الشعر ديوان العرب) [٥] — أو قال : (الشعر علم العرب وديوانها فتعلموه) [٦] — وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه — وكان (لا يكاد يعرض له أمر الاّ أنشد فيه بيت شعر) [٧] — قال : من أراد أن يفهم كلام الله فعليه بديوان الجاهلية [٨] ؛ وقال في غيره : (محاسن الشعر تدل على مكارم الاخلاق وتنهى عن مساويها) [٩] وفي غيره أيضاً : (الشعر جزل من كلام العرب ، يُسكَّن به الغيظ ، وتُطفأ به الثائرة ، ويتبلَّغ به القوم في ناديهم ، ويُعطى به السائل) [١٠] ؛ وكتب مرة (الى أبي موسى الأشعري : مُرْ مَن قِبلك بتعلم الشعر ، فانه يدل على معالي الأخلاق وصواب الرأي ومعرفة الأنساب) [١١] .

كل ذلك أقوال أُثِرت عن عمر رضي الله عنه ، وكلها تدل على ما كان يعظمه من أمر الشعر . أما أن يقول : (أفضل صناعات الرجل الأبيات من الشعر) [١٢] ، فهذا هو الاكبار كله . ولعله من الطريف جداً أن نسمع كعب الأحبار يقول : (إنّا نجد قوماً في التوراة ، أناجيلهم في صدورهم ،

(١) ٣١/١ (٢) الترمذي ١٣٩/٢ (٣) العمدة ٩/١ (٤) محاضرات الراغب الاصبهاني ٣٦/١ (٥) المزهر ٣٠٢/٢ (٦) العقد الفريد ٢٨١/٥ (٧) البيان والتبيين ٢٤١/١
(٨) جمهرة اشعار العرب (٩) الجمهرة ٢٩ (١٠) العقد الفريد ٢٨١/٥ ومحاضرات الراغب ٣٦/١
(١١) العمدة ١٠/١ (١٢) العقد الفريد ٢٧٤/٥

تنطق ألسنتهم بالحكمة ، وأظنهم الشعراء) (١) ؛ بل لعل الأطرف منه - من نحو آخر - أن نسمع السيوطي (٢) ينقل عن عمدة ابن رشيق قوله : (كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر ، أتت القبائل فهنّأتها بذلك ، وصُنعت الأطعمة ، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الأعراس ، وتتباشر الرجال والولدان ، لأنه حماية لأعراضهم ، وذبّ عن أحسابهم ، وتخليد لمآثرهم ، واشادة لذكرهم) ؛ وأوضح من هذا القول - وان كان أقل طرافة - قول أبي عمرو بن العلاء (٣) من أن الشعر (يقيّد عليهم مآثرهم ، ويفخّم شأنهم ، ويهوّل على عدوهم ومن غزاهم ، ويهيّب من فرسانهم ، ويخوّف من كثرة عددهم ، ويهابهم شاعر غيرهم) . وجزى الله ابن رشيق (٤) خيراً إذ قال : (سمي الشاعر شاعراً لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره) .

* * *

بعد كل هذا الذي تقدم .. وبعد أن جلونا ما للشعر من أثر ، وما للشعراء من مكانة مرموقة ترتفع اليها الانظار .. فلا علينا اذن .. ان نحن فتحنا - اليوم - ديوان الجاهلية ، وتناولنا بالدرس والنشر سبعة من أعلامه ، بل قل : أشهر أعلامه .



الشعراء السبعة وأنسابهم

شعراؤنا في هذا الكتاب سبعة : واحد قحطاني - من أم عدنانية - وهو امرؤ القيس بن حُجر ، وستة عدنانيون : ثلاثة منهم ينتهون إلى مُضر ، وثلاثة الى أخيه ربيعة . أما المضريون فواحد من أدّ بن طابخة بن الياس « زهير ابن أبي سلمى المزني » ، واثنان من قيس عَيلان « عنترة بن شدّاد العبسي ولَبيد بن ربيعة العامري » . وأما الثلاثة الربعيون فواحد من تغلب « عمرو ابن كلثوم » ، واثنان من أخيه بكر « طَرَفة بن العبد والحارث بن حِلِّزة »

(١) العقد الفريد ٥/٢٧٤ . (٢) المزهر ٢/٤٧٠ ؛ (٣) البيان والتبيين ١/٢٤١
(٤) العمدة ١/٧٤ والمزهر ٢/٤٩١ .

ولن أطيل الكلام هنا على انساب الشعراء ، فلقد أفردت لذلك صفحة خاصة[١] وسميتها بـ « نسب شعراء المعلقات » تبدأ من عـــدنان ، وتنتهي بالشعراء الستة أو أبنائهم . وزيادة في الفائدة فقد ضمّنتُ شجرة الانساب هذه من كانت تربطه بأصحاب المعلقات صلة القرابة ، سواءٌ كانوا من الشعراء « كعـــامر بن الطفيل وملاعب الأسنّة ومعوّد الحكماء وعمرو بن قَميئة والمتلمّس والمرقّشين ومهلهل » أو كانوا من المعروفين المشهورين « كجساس وعمرو بن هند وكليب وائل » .

وان كان لي ما أقوله هنا قبل أن أترك الحديث عن نسب الشعراء ، فهو أن اختلاف الروايات في أنسابهم واقع لامحالة ، ولكنه اختلاف يسير ، استطعت بشيء من مقابلة الروايات أن أصل فيه إلى قرار . . اللهم الا امرأ القيس وعنترة .

فعلى الرغم من أن نَسابة[٢] امرىء القيس هو الأصمعي وابن الأعرابي ومحمد ابن حبيب فإنك تجد الخلاف في نسبه كبيراً جداً ، ولعل مردّ ذلك إلى أنه قحطاني أولاً ، وقديم ثانياً .

أما اختلافهم في نسب عنترة ، فقد بلغ حداً لم يصلوا اليه في الخلاف على نسب أي شاعر آخر ، وان أنت قابلتَ الروايات ببعضها — وما أكثرها من روايات[٣] — وجدت أن الخلاف واقع في آبائه الأدنين « من قُطيعة بن عبس فما دون ذلك » . والذي يمنع الظن بأن عبوديته الأولى سببُ اضطراب نسبه ، هو أن شداداً ليس بعبد . والرأي عندي أن عنترة لم يكن من أغربة العرب وكفى ، بل كان غراباً مقصوص الجناح ، إذ ليس في ذوي قرباه مَن كان له شأن يذكر أو يد طولى ، في شعر أو ملك أو فروسية . أجل . . ! لم يكن لعنترة مثل أعمام لبيد « مُلاعب الأسنة ومعود الحكماء والطُفيل » ، ولا مثل عقب زهير « بُجير وكعب وعُقبة المضرّب والعوّام وغيرهم . . . » ولا مثل عمومة طـرَفة وخاله « المرقّشان وعمرو بن قميئة والمتلمس » ، ولا مثل عقب عمرو بن

(١) تجدها بين صفحتي ٦٤ و ٦٥ (٢) انظر الأغاني ٧٦/٩ (٣) الاغاني ٢٣٥/٨ وخزانة الأدب ١٢٥/١ والشعر والشعراء ٢٠٤/١ وهدية العارفين ٨٠٤/١ والمؤتلف والمختلف ١٥١ وأسماء من قتل من الشعراء ٢١٠ والقاب الشعراء ٣١٠ ومعجم الشعراء وجمهرة انساب العرب ومقدمة ديوانه وشروح المعلقات وغير ذلك كثير .

كلثوم وآل امه « العتّابي ومهلهل وكليب » . وهذا كله بالاضافة الى ما كان من شأن لبيد حين اسلم ، وشأن ابن عمه عامر حين أنزل الله فيه آية ، وشأن كعب بن زهير في الاسلام ، وشأن طرفة وابن حِلزّة وابن كلثوم مع عمرو بن هند[١] الملك ، فلا غرو اذن ان كان نسب عنترة مغمورا بعض الشيء .



أشعر الناس

لقد اكثر أدباؤنا الأولون من الحديث عن طبقات الشعراء ، وأطالوا في ذلك أيما إطالة ، ولكنْ عبثاً تحاول أن تصل الى نتيجة ، من كل ما عجّت به كتبهم ورسائلهم ومجالسهم . . الأمر الذي فوّت عليّ فرصة كنت أحسبها ثمينة وهي أن أشير في هذا التقديم الى طبقة كلٍ من شعرائنا السبعة ، الذين قدّر لهم أن يبعثوا احياءً ، ويُدعوا للنشور ، كلما نشر عنهم بحث أو كتاب ، وهأنذا أسوق بين يديك طرفاً من الخلاف الطويل العريض ، حول تفضيل هذا الشاعر على ذاك ، وتقديم ذاك على ذيّاك . وأحب أن أقول هنا : ان كان تناقض الآراء والأحكام في مجال النقد الأدبي مقبولاً عند بعضهم فإنّ مناقضة المرء نفسَه بين قول وآخر ، لايمكن قبوله دون أن يبقى منه في النفس شيء .

قال الاصمعي في كتابه فحولة الشعراء[٢] : (لقي رجل كثيّر عزة ... فقال له : يا أبا صخر أي الناس أشعر ؟ قال : الذي قال :

آثرت إدلاجي على ليلِ حرّة هضيم الحشا حُسّانة المتجرّد

وهذا للحطيئة . قال : ثم تركه حيناً ، حتى اذا ظنه قد نسي ذلك لقيه فقال : يا أبا صخر ، أي الناس أشعر ؟ قال : الذي يقول : قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ، يعني امرأ القيس) .

---

(١) أفاد ابن قتيبة في أدب الكاتب ص ١١٦ أن همزة (ابن) تكتب عند التثنية « مازن وحسن ابنا علي » ، وعند النسبة إلى غير الأب . ولكني آثرت حذفها هنا وفي سائر الكتاب لأن رسمها في القرآن (عيسى ابن مريم) وفي الاملاء التاريخي غير ملزم في املائنا الحديث (٢) ص ٣٥ - ٣٦

وأنشد (مروان بن أبي حفصة لزهير فقال : زهير أشعر الناس ، ثم أنشد للأعشى فقال : بن هذا أشعر الناس ، ثم انشد لامرىء القيس ، فكأنما سمع به غناء على شراب ، فقال : امرؤ القيس ، والله ، أشعر الناس) [١] . وفي خبر آخر[٢] عن مروان بن أبي حفصة ايضاً أن أنشده (يوماً جماعة من الشعراء وهو يقول في واحد بعد واحد : هذا اشعر الناس . فلما كثر ذلك عليه قال: « كل » الناس أشعر الناس) . وروي[٣] عن الحطيئة انه قدّم أبا دؤاد الإيادي مرة ، وقدّم زهيرا على سائر الشعراء مرة اخرى .

هذا مما جاء في تناقض الذواق مع نفسه ، وأقول الذواق ولا اقول الناقد، لان اطلاق الصفة الاخيرة على امثال كثيّر ومروان والحطيئة يجعلني – ولا اكتمك – أحس شيئاً في نفسي ، قد تسميه أنت إيثاراً للسلامة ، او تسميه تهيباً واشفاقاً من بعض ادبائنا المعاصرين – وألح على كلمة بعض – الذين يغالون ، ويأبون الا أن يعالجوا الأدب بمقاييس – وأوشك أن أقول : باجهزة – علمية صرف[٤] ولو كان هؤلاء الادباء النقاد يقولون مثل ماقال أحد ملوك النقد القدامى ، وهو ابن رشيق ، لما باليتُ شيئاً[٥] ؛ قال ابن رشيق في عمدته[٦] – وهي في الواقع عمدتنا نحن – : (ليس للجودة في الشعر صفة ، انما هو شيء يقع في النفس عند المميّز) .

قد يذهب القاريء الى القول ، بعد هذا الذي قدّمتُ ، انني أعطف على كثيّر ومروان والحطيئة ، من خلال قولي « ذواق » على الاقل ، وهذا حق.. اذ حسب كثيّر وصاحبيه ، لكي يحسنوا النظر في الشعر ، أن يكونوا من خريجي مدرسة التنقيح التي بدأت بأوس بن حَجَر ، ثم كان من روادّها زهير وعقبه ، كما سيجيء في ترجمته قبل المعلقة .

قلت : هذا مما جاء في تناقض الذواق مع نفسه ، أما اختلافهم فيما بينهم فأنا أنقل اليك من جمهرة أشعار العرب نصاً بعينه لترى فيه رأيك : (... وقيل: إن الفرزدق قال : امرؤ القيس أشعر الناس ، وقال جرير : النابغة أشعر الناس، وقال الأخطل : الأعشى أشعر الناس ، وقال ابن أحمر : زهير أشعر الناس ،

---

(١) الشعر والشعراء ٢٧/١ (٢) العمدة ٥٦/١ (٣) العمدة ٦١/١ .
(٤) لا يؤنث لأنه في الاصل مصدر (٥) قولك : لا أباليه أفصح من : لا أبالي به (٦) ٧٧/١

وقال ذو الرُمّة : لبيد أشعر الناس ، وقال ابن مقبل : طرفة أشعر الناس ، وقال الكميت : عمرو بن كلثوم أشعر الناس)

أمام نص كهذا لايسعنا إلا أن نقف قليلاً نتأمّل ونتدبّر – على حد قول الأقدمين.

أول مايلاحظ في هذا المقطع أن الشعراء الجاهليين السبعة الذين وصفوا فيه بأنهم أشعر الناس هم أنفسهم أصحاب المعلقات السبع على ماجاء في الجمهرة ، وسيمر بك عند كلامنا على المعلقات ، أن أبا زيد القرشي صاحب جمهرة أشعار العرب ، يختلف عن الزوزني في أنه أسقط الحارث وعنترة من أصحاب معلقاته ، وجعل مكانهما النابغة والأعشى .

ويلاحظ بعد هذا أن القرشي لم يعجزه أن يجد لكل واحد من رجال معلقاته – بلا استثناء – من يعظّم شأنه ، ويقدمه على الشعراء جميعاً ويقول بأنه هو أشعر الناس طراً ، وقيل في المثل (لكل ساقطة لاقطة)[١] ، فكيف إن كانت من درر الشعر وليست ساقطة ؟

وملاحظة ثالثة نسوقها حول هذا النص ، هي أن المقصود ، « فيه » بكلمة « الناس » هو « أصحاب المعلقات » ليس غير .

وهكذا ، نعود الى ماقاله مروان بن أبي حفصة منذ برهة ، لا لنكرر وراءه « كل الناس أشعر الناس » ، ولكن لنقول هذه المرة ونتبسّم : « كلّ من شعراء المعلقات أشعر أصحابها » .

هذا مع الالماع الى أن جريراً الذي فضّل ههنا النابغة ، يفضّل طرفة بن العبد[٢] في خبر آخر ، وزهير بن أبي سلمى[٣] في خبر ثالث . وأن الأخطل الذي فضّل الأعشى قبل سطور ، قد فضّل في اخبار اخرى ، طرفة بن العبد[٢] مرة ، وتميم بن مقبل مرة .

بقي لنا ، قبل أن نغادر هذا النص ، سؤال : ما الذي حدا[٤] فلاناً على تفضيل فلان ؟ وهل معرفة أسباب هذا التفضيل ميسورة دائماً وعند كل أحد ؟

---

(١) اساس البلاغة مادة لقط (٢) رجال المعلقات العشر ص ١١٢ (٣) ابن سلام ص ٥٤
(٤) قولك : حداني على كذا أصح من : حدا بي الى كذا .

وهل السبب هو الإعجاب بالقطعة وليس شيئاً آخر وراءه ؟؟ أما أنا فأقول : ان السبب غالباً واحد ، وهو التعصّب ، ولكنه يتشعب في شجون ، فهناك التعصب لفن من الشعر ، والتعصب لهوى النفس ، والتعصب للمبادىء ان صحت التسمية ، والتعصب للنسب ، والتعصب للقديم ، ثم تعصب البيئة . ولكل شعبة بين أيدينا مثال .

أ – أما التعصب لفن معيّن من فنون الشعر فذاك شأن الأخطل الأموي ، حين قدّم الأعشى على غيره من أصحاب المعلقات ؛ وما ذلك – لعمري – الا لأنهما يلتقيان في الاجادة والشهرة عند فن واحد ، هو ذاك الذي يدعى بالخمريات .

ب – وأما التعصب لهوى النفس فذاك شأن الفرزدق حين قدّم امرأ القيس على « الناس » جميعاً .. والذي قرّب بين الشاعرين أن امرأ القيس (كان مفتوناً بالنساء)[1] ، مجاهر (بالزنى والدبيب الى حرم الناس)[2] ويتعهّر[3] في شعره فوق ما ينبغي ، حتى عيب عليه (فجوره وعَهره)[4] ، وحتى بلغ به هذا الفجور أن سئل ذات يوم عن (أطيب لذات الدنيا فقال : بيضاء رعبوبة ، بالحسن مكبوبة ، باللحم مكروبة ، بالمسك مشبوبة)[5] .. ومثلَ هذا – ان لم نقل اكثر – كان صاحبه الفرزدق ؛ وحسبك مِن عَهر الأخير أن ترجع إلى مقدمة محمد بن سلام[6] ، لتقرأ فيها قصة شعرية قصيرة لليلة « فرزدقية » ، ولن أصفها بغير ذلك أبداً .. لم يقل الفرزدق في هذه القصة إنه سما « اليها بعد ما نام أهلها سمو حباب الماء »[7] ، وانه تجاوز « أحراساً اليها ومعشراً »[8] كما قال صاحبه المرقسي ، ولكنه قال بأن وصيفتها دلّتاه قبيل الفجر من ارتفاع ثمانين قامة ، فلما بلغت قدماه الأرض انطلق من حيّها قبل أن يفتضح ..! وان شئتَ ألا تعود الى مظانّ هذه الأخبار جميعاً ، فارجع – على اقرب تقدير – الى ابن

---

(١) العقد الفريد ٢٢٠/٦ (٢) الشعر والشعراء ٨٥/١ و ٧٠/١ (٣) ابن سلام ٣٥
(٤) الموشح ٣٦ (٥) زهر الآداب ٥٢٥/٢ (٦) ص ٣٦ – ٣٨ (٧) شرح ديوان امرىء القيس ١٦١ (٨) البيت ٢٢ من المعلقة .

قتيبة [١] أو ابن عبد ربه [٢] ، لتوقن أنه ما (كان أروى لأحاديث امرىء القيس وأشعاره من الفرزدق) [٣] ؛ ولقد أمسك الدكتور طه حسين بخناق هذا الخبر ، وبنى عليه ان كثيراً من شعر امرىء القيس هو من منحول الفرزدق . ولن نتعجّل النظر في هذا القول ، فسوف يكون لنا حوله رأي عند التوطئة لأولى المعلقات .

ج – واما التعصب للمبادىء – ان صحت التسمية – فهو تعصب الأحنف ابن قيس ، ذلك الرجل الذي عُرف بالحكمة والحلم [٤] والوقار ورجاحة العقل ، عندما مال الى شاعر الحكمة والاتزان في الجاهلية – وهو زهير بن أبي سلمى – فقدمه على سائر شعراء عصره [٥] ، شأنه في ذلك شأن عمر بن الخطاب [٦] وابن عباس ؛ وما من شك أبداً ان المثُل التي في شعر زهير ، والخلُق الذي يدعو اليه ، هو الذي حباه هذه المكانة في نفوس أمثال عمر . وزهير هو الذي قال :

وإن أشعر بيت أنت قائله   بيت يقال إذا أنشدته : صدقا

د – وعلى الرغم من الظن الذي يخالج نفسي من أن ابن أحمر لم يفضّل زهيراً ، وذا الرُمة لم يفضّل لبيداً ، إلا لأنهم جميعاً من مضر – ان لم يكن هناك سبب آخر – فانني لا أراه مثالاً موفقاً على التعصب للنسب . ولهذا أراني مضطراً لأن أجذِب الأصمعي من ردائه وأضمه الينا . قال ابو حاتم السجستاني في كتاب فحولة الشعراء [٧] : (قلت للأصمعي : كيف شعر الفرزدق ؟ قال : تسعة أعشار شعره سرقة) – هذه واحدة – . وذكر أبو حاتم في موضع آخر من الكتاب [٨] قال : (قلت : فأعشى باهلة ، أمن الفحول هو ؟ قال : نعم ، وله مرثية ليس في الدنيا مثلها) – وهذه اخرى . فاذا علمتَ الآن أن الأصمعي من باهلة ، وأن الفرزدق هجا باهلة ، وقفتَ على ما كان يدفع الأصمعي لهذا القول في الأولى وفي الثانية .

(١) الشعر والشعراء ٧٠/١ (٢) ٣٩٧/٦ وانظر خزانة الادب ٤١٦/٣ (٣) يعلل ابن قتيبة وابن عبد ربه حرص الفرزدق على رواية أخبار امرىء القيس وشعره بأن الأخير قضى شطراً من حياته في بني دارم وهم رهط الفرزدق ، وعندي ان هذا سبب ثان في تفضيل الفرزدق لامرىء القيس ، وماهو بمبطل للسبب الذي عرضته (٤) له في الأمالي ١٩/٢ حكم تشبه حكم زهير ، وانظر في الميداني ٢٢٩/١ شرح المثل (أحلم من الأحنف) (٥) معاهد التنصيص ١١٠/١ والاغاني ٣٠٠/١٠ وتاريخ أدب اللغة لدراز ص ٩٨ (٦) جمهرة القرشي ص ٥٣ وابن سلام ٥٢ (٧) ص ٣٨ (٨) ص ٣٠ .

هـ – ولا يذهب بك الظن أننا قد انتهينا من أمر الأصمعي ، أو أن الأصمعي قد خلص منا ومن أمر هذا التجريح ، فان أول مثال يُضرب في العادة على التعصب للقديم : تعصب الأصمعي – وهو بصري – وتعصب ابن الأعرابي – وهو كوفي – وهاك الدليل :

جاء في الموازنة (١) للآمدي أن ابن الأعرابي أنشد يوماً أبياتاً لأبي تمام (وهو لا يعلم قائلها ، فاستحسنها وأمر بكَتبها ، فلما عرف أنه قائلها قال : خرّقوه) . وأنشد اسحاقُ الموصلي مرة الأصمعيَّ بعض الأبيات فسأله (لمن تنشدني ؟ فقال : لبعض الأعراب . فقال : والله هذا هو الديباج الخسرواني . قال : انها لليلتها . فقال : لا جرم والله ان أثر الصنعة والتكلف بيّن عليها) .

هذا ما كان من ابن الأعرابي والأصمعي وناهيك بهما ناقدين وراويتين .

و – أمّا ما أسميته بتعصب البيئة ، فما كنت لأقول هذا لولا أنني وجدت فيما قرأت (٢) : أن أهل البصرة يقدمون امرأ القيس ، وأهل الكوفة يقدمون الأعشى ، والحجاز يقدم زهيراً ، والعالية تقدم نابغة ذبيان . ولكم كنت أودّ أن أفصّل القول في هذا الاجماع البيئي في النقد ، لولا خشية التطويل ، ولولا كلمة خطها القرشي في جمهرته (٣) ، فآثرت بعدها أن أمسك عن الحديث . هذه الكلمة هي قوله : (فأما أهل الحجاز فإنهم الغالب عليهم الغزل) . اذ كيف لأهل الحجاز أن يكونوا غزلين ، وهم الذين اختاروا زهيراً على سائر شعراء الجاهلية ..! وليس غزل زهير بشيء اذا قيس بغزل غيره ..!

* * *

حتى هذه السطور لم نتمكن من تصنيف شعراء المعلقات في طبقة أو طبقات ، كما لم نستطع أن نحكم جازمين بأن هذا أشعر الناس ، أو أن تلك هي أجود المعلقات ، وذلك لأننا لم نتعرض بعد لذكر أي آراء نقدية تحمل في ذاتها بذور أسس سليمة في نظرة أدبائنا الأولين الى المعلقات وأصحابها ، وهذا ما سنأتي عليه

---

(١) ص ٢٢ – ٢٣ وانظر كذلك سر الفصاحة لابن سنان ص ٢٦٢

(٢) ابن سلام ٤٤ (٣) ص ٧٦ – ٧٧

في الصفحتين أو الثلاث الآتية .

قيل لخلف (من أشعر الناس ؟ فقال : ما ينتهي هذا إلى واحد يُجتمع عليه ، كما لا يُجتمع على أشجع الناس وأخطب الناس وأجمل الناس)[١] ، فانظر الى هذا الاعتراف الهادىء بالحقيقة والواقع ، ألا ترى فيه إيمان خلف بأن دوران المرء مع محيط الدائرة لا يقرّبه من مركزها قدر أنملة حتى لو فعل ذلك ألف كرة !! اذن .. لِمَ هذا الإلحاح في السؤال : من هو أشعر الناس ، وما هو أشعر بيت ؟ لكأني بخلف يهمس بهذا من بين السطور ، ويلحى سائليه أن يطلبوا منه ما ليس يمكن .

و (سئل يونس النحوي : من أشعر الناس ؟ فقال لا أومىء إلى رجل بعينه ، ولكني أقول : امرؤ القيس اذا ركب ، والنابغة اذا رهب ، وزهير اذا رغب ، والأعشى اذا طرب)[٢] وزاد بعضهم : وعنترة اذا غضب . فالذي لا شك فيه أبداً أن يونس النحوي – أو هو ابن أبيّ كما في رواية أخرى[٣] – قد طبّق المفصل في هذا القول ، فأصاب حقيقة ناصعة ، هي أن أحداً من الشعراء لا يستطيع أن يتربع على عرش سائر فنون الشعر ، وأنه ما كان لأحد من النقاد أن « يومىء الى رجل بعينه » ليقول انه « أشعر الناس » ، بل لا بد له أن ينظر في كلٍ من الأغراض الشعرية على حدة ، ليرى من أجاد فيه فسَبق ، أو قصّر فاستُبق .

وعند يونس : أن زهيراً ملك المديح ، ونابغة ذبيان ملك الاعتذار في الشعر ، والأعشى صناجة العرب وملك الخمرة والغناء ، والمرقسي ملك.. ضلّيل..! أخرجه أبوه عنه فضلّ ، وأسلس قياده للهوى فأضلّه ، وهوى عرشه الموروث من أبيه فضلّ[٤] .. وفي كل ذلك تراه ما يفتأ **راكباً** : على فرس « قيد الأوابد[٥] » تارة ، وعلى مطية تُعقر للعذارى[٦] تارة أخرى .

أما أم جندب ، زوج امرىء القيس ، والحكَم بينه وبين علقمة حين زعم

---

(١) ابن سلام ٥٤ (٢) معاهد التنصيص ١ / ٦٩ وياقوت ٢٠ / ٦٥ ومحاضرات الراغب ١ / ٣٧

(٣) في العمدة ١ / ٦٠ مثل هذا القول تقريباً ، حكاه الأصمعي عن ابن أبي .

(٤) انظر ترجمته قبل المعلقة (٥) البيت ٥٠ من معلقته (٦) البيت ٩ من معلقته

كل منهما أنه أشعر من صاحبه ، فلم تذهب بعيداً عن الحقيقة التي أصابها يونس من بَعد ، عند ما قالت لهما : (قولا شعراً تصفان فيه فرسيكما على قافية واحدة ورويّ واحد) [١] . فهذه القصة [٢] – ان صحت [٣] – تدل على أن أم جندب فطنت لوحدة الغرض والموضوع في الشعر ، وما لهذه الوحدة من أثر كبير في المفاضلة بين قصيدتين ، فألزمت صاحبيها بفن وقافية ورويّ .

اذن ، فقد صح ما قاله الجحظ (أن من الشعراء من لا يجيد فناً من الشعر وان أجاد فناً غيره ، كما يوجد ذلك في كل صناعة) [٤] ، وصح معه كذلك قول الباقلاني [٥] : (من الشعراء من يجود في المدح دون الهجو ، ومنهم من يبرز في الهجو دون المدح ، ومنهم من يسبق في التقريظ دون التأبين ، ومنهم ...) .

ولقد كان من آثار فطنة الأولين لذلك أن كلاً من ابن سـلام والقرشي صنّف أصحاب المراثي في طبقة خاصة ، كما أن سلسلة الحماسات التي ظهرت منذ أوائل القرن الثالث الهجري قد أخذت بوحدة الغرض الشعري دون أي اعتبار آخر .

مع هذه الحقيقة التي لا يمكن انكارها – وهي وحدة الغرض أو الفن عند المفاضلة بين شعرين – تبدو أمامنا حقيقة أخرى لا تقل عن سابقتها تأثيراً ولا خطراً . هذه الحقيقة هي التي نبّه جرير اليها ولده عكرمة اذ سأل أباه : من أشعر الناس ؟ فقال جرير : (أجاهلية أم إسلامية ؟) [٦] . وآية ذلك أن أشعر الناس مدحاً أو هجاءً في الجاهلية ليس بالضرورة أشعرهم في سائر العصور ، إذ لكل زمان شعراؤه وأسلوبه ، ولكل زمان معانيه المبتكرة وأغراضه المستحدثة .

ثم كان من جراء هذا التنبه الى أثر العامل الزمني في الشعر – شكلاً ومضموناً – أنْ فرّق ابن سلام الجمحي في طبقاته بين الجاهليين والإسلاميين ، ثم جاء القرشي من بعده فخصّ المخضرمين بطائفة من مختاراته سماها « المشوبات » أي « التي شابهن الكفر والاسلام » .

(١) الموشح ٢٨ (٢) انظر ترجمته قبل المعلقة (٣) جاء في الموشح ص ٣٠ أن ابن المعتز ينكر القصة والشعر معاً (٤) العمدة ٧١/١ (٥) اعجاز القرآن ١ ,٥٨ (٦) الشعر والشعراء ٨٧/١ وابن سلام ٥٤ وخزانة الأدب ٢٩٠/٢

أمّا وقد عرف العرب هاتين الحقيقتين فطبيعي جداً أن يضموا هذه الى تلك فيما يُلقون من أحكام نقدية ، وهاك المثال ـ مأخوذاً عن العمدة [١] ـ :

قالت طائفة (الشعراء ثلاثة : جاهلي واسلامي ومولد ، فالجاهلي امرؤ القيس ، والاسلامي ذو الرُّمة ، والمولد ابن المعتز . وهذا قول من يفضّل البديع ، بخاصة التشبيه ، على جميع فنون الشعر . وطائفة أخرى تقول : بل الثلاثة : الأعشى والأخطل وأبو نواس ، وهذا مذهب أصحاب الخمر وما ناسبها) .

وقريب من هذا ما ردّ به قتيبة بن مسلم على الحجّاج بن يوسف — وكان سأله عن أشعر شعراء الجاهلية وشعراء وقته — اذ قال : (... وأما شعراء الوقت : فالفرزدق أفخرهم ، وجرير أهجاهم ، والأخطل أوصفهم) [٢] .

وان كان لنا أن نضيف الى ما سبق حقيقة ثالثة ، فهي أثر البيئة في الشاعر وشعره. ولو أن الأدباء من أجدادنا فاتتهم هذه الحقيقة لما فصّل ابن سلام شعراء القرى عمن سواهم ، ولما فصّلهم ذلك التفصيل فقال : شعراء الطائف ـ شعراء مكة ـ شعراء المدينة ـ شعراء البحرين ... شعراء اليهود ، أفلم تكن لليهود بيئتهم الخاصة أيضاً ... بل لما خصّ القرشي الأوس والخزرج بسبع من مختاراته سماها المذهبات .

وهكذا . . نعود الى ما كنا ذكرناه من أن « تحديد طبقة » كل من شعراء المعلقات أمر هو « فوق الواقع » أصلاً ، وليس فوق الطاقة أو دونها ، وأظن ان القارىء غدا الآن يشاطرني هذا الرأي ، ولن يلحف في طلب الطبقات الشتى وترتيبها ، وحسبي منه أن يرضى بما رضيته ، وهو أن ضيوفنا السبعة في هذا الكتاب ليسوا من طبقات ُفصّل فيها القول تفصيلا ، ولكنهم من طبقة واحدة عريضة ، لا يهمنا تحديد أغراضها وأساليبها بقدر ما يهمنا أن نقول : انها ـ أي الطبقة ـ درة الأدب في الجاهلية وطليعة شعرنا العربي .

ولله در يونس اذ قال : (الشعر كالسّراء والشجاعة والجمال لا ُينتهى منه الى غاية) [٣] .

---

(١) ٦٣/١ والمزهر ٤٨٤/٢ (٢) المزهر ٤٨١/٢ (٣) ابن سلام ٥٥

٤

عصر المعلقات

يُظن لأول وهلة أنني تحت هذا العنوان الصغير أود التحدث عن الحياة العامة في العصر الذي أنتج المعلقات ، والواقع غير هذا ، ذلك لأن الكلام على حياة العرب في الجاهلية موضوع خِصب غنيّ ، خُطّت فيه الكتب بعد الكتب ولمّا يُستوفَ بعد ، وإن القارىء العربي ليجد له مصادر ومراجع كيفما التفت في خزائن الكتب ودور النشر ، وما كنت لأبخس هذا الموضوع حقه فأتناوله في سطور . اذن فما أردت بعصر المعلقات هنا الا أن أحدد الفترة الزمنية التي سمعت أذنُ الدهر فيها صوت أصحاب المعلقات وهم ينشدون .

ولو نحن عدنا – من اجل هذا الغرض – الى « نسب شعراء المعلقات »[1] ، لوجدنا أطولهم نسباً – ان صح التعبير – يقع في الجيل الثالث والعشرين ابتداء من « عدنان » ، بينما يقع ادناهم منه في الجيل العشرين ، وهذا يعني أنْ ليس يفصل بين أدناهم وأقصاهم من عدنان سوى جيلين فقط ، الأمر الذي يحضني أن أزعم مزعمين :

الزعم الأول هو أنهم في فترة ما كانوا – كلهم – احياءً متعاصرين .

والزعم الثاني هو أن هذا اللقاء الزماني بينهم حدث في النصف الأول من القرن السادس الميلاد .

ولسوف يبقى ما أقوله «زعماً» حتى ينكشف عنه الغطاء فيثبت ، أو بعض الغطاء فيرجح .

والمقصد الأجدى من هذا وذاك – فيما سيأتي – هو أن أحدد ترتيب وفياتهم واحداً بعد آخر .

أ – امرؤ القيس بن حجر : مما لاشك فيه أن امرأ القيس أقدم شعراء المعلقات جميعاً ، وذلك بدلالة أن كل من ذكر خبره من القدامى قدّمه على

(١) بين صفحتي ٦٤ – ٦٥ من هذا الكتاب .

الشعراء ، وخصته بالسبق وبأنهم اقتفوا أثره وذهبوا مذاهبه[١] ، حتى الرسول[٢] ﷺ وعمر وعلي[٣] أقروا له بهذا السبق كما أقر به واحد من أصحاب المعلقات، وهو لبيد[٤] .

ولقد أورد الذين ترجموا لامريء القيس أرقاماً كثيرة في تحديد سنة وفاته ، وهي تتراوح بين ٥٣٠ و ٥٦٦ الميلاد . ولكن .. اذا علمنا أنه عاصر كلاً من جوستنيان ، قيصر الروم الذي حكم بين سنتي ٥٢٧ و ٥٦٥ م ، والمنذر بن ماء السماء ملك الحيرة الذي دام حكمه من ٥٠٥ إلى ٥٥٤ م[٥] ، رجّحنا أن تكون وفاة الشاعر بين ٥٤٦ و ٥٤٨ للميلاد (٧٨ - ٧٦ ق ه) ، ولم أقل ماهو دون ذلك لأن ملك الحيرة آنذاك كان قد أمضى شطراً ليس بالقليل من سنوات حكمه ، بدليل أن ابنه - عمرو بن هند - كان قد كملت رجولته وشارك أباه الحكم والرأي[٦] . ولم أقل ماهو فوق ذلك لأن قيصر الروم عندما زاره الشاعر كانت له - على ماروى ابن قتيبة[٧] - ابنة صبية راقت لعيني صاحبنا . ولن أتحدث هنا عن صحة ارتحال الشاعر إلى جوستنيان أو عدم صحتها ، فذاك حديث سأعرض له عند التوطئة للمعلقة .

أما ما ذكره ابن رشيق اذ قال : (وبين امريءالقيس ومبعث رسول الله ١٥٤ سنة)[٨] ، فليس عندي بشيء لسبب جلي ، هو أن امرأ القيس استنجد بابن عمه - عمرو بن هند - أيام حكم أبيه المنذر بن ماء السماء[٦] ، ولقد تقدم القول بأن آخر حكم المنذر وأول حكم عمرو بن هند كان سنة ٥٥٤ م ، فكيف يستنجد امرؤ بآخر اذا كان بينهما ما يناهز المئة سنة ..؟؟ بل كيف يكون أحدهما ابن عمة[٩] الآخر أو ابن خاله وبينهما هذه الحقبة من الدهر..؟؟ وأنا اذ أقول «حقبة» فلأن ابن رشيق يريد أن يجعل وفاة المرقسي حوالي سنة ٤٥٥ م ، وشتان مابين هذا التاريخ وتاريخ اعتلاء ابن هند العرش

---

(١) فحولة الشعراء ١٣ و ٣٥ - ابن قتيبة ٧٦/١ - وانظر كذلك نالينو ٥٩
(٢) ابن قتيبة ٧١/١ - ٧٣ ومسند أحمد ٢٢٨/٢ (٣) المزهر ٤٧٨/٢ (٤) ابن سلام ٤٥
(٥) تاريخ العرب ١١٠/١ (٦) انظر الأغاني ٩٠/٩ (٧) الشعر والشعراء ٦٢/١ ، وكذلك في معاهد التنصيص ٦/١ (٨) العمدة ١٤٨/٢ (٩) ابن قتيبة ١٨٦/١ .

ومما تجدر الاشارة اليه هنا أن ابن قتيبة(١) هو الوحيد الذي حاول أن يحقق في وفاة امرىء القيس ، وذلك عندما استند على الخبر القائل بأن الحارث بن أبي شمر الغساني هو الذي ساعد الشاعر على الوصول الى قيصر ، فقال بأن الحارث هذا – وكذا ابن ماء السماء – عاشا في أيام كسرى أنوشروان الذي اعتلى عرش الفرس قبل مولد النبي بنحو أربعين سنة (٥٣١ م) .

أما الشنقيطي – في المعلقات العشر – فلا أدري كيف استقام له القول بأنه (مات سنة ٨٠ ق هـ و ٥٦٥ للميلاد) ، فالتاريخان غير متقابلين أبداً .

ب – طرفة بن العبد : وهو يأتي – في ترتيب وفيات الشعراء – بعد امرىء القيس مباشرة ، وذلك لأن كلاً من الشاعرين عاصر عمرو بن قميئة وعبيد بن الأبرص وعمرو بن هند .

ذكر الذين ترجموا للمرقسي أنه ادرك ابن قميئة ، ورحلا معاً الى أرض الروم .

وقال ابن سلام(٢) : (طرفة وعبيد وعمرو بن قميئة والمتلمس في عصر واحد) .

فإن علمنا هذا ، وأعدنا الى الاذهان قصة عبيد بن الابرص عندما وقع في أسر حجر أبي امرىء القيس ، استطعنا أن نؤكد ما ذهبنا اليه .

أما ابن هند فما كان أغنانا – لكي نثبت معاصرة طرفة إياه(٣) – عن القول بأنه هو الذي أمر عامله على البحرين بقتله بعد منادمة لم يتمتع بها طرفة الا قليلاً .

ثم ندع أرقام السنين تتحدث فنرى بين أيدينا طائفة من الأرقام كل واحد منها يقول بأنه شهد مقتل طرفة المسكين . وهذه الأرقام انما تتراوح ما بين ٥٥٠ و ٥٦٩ للميلاد ، الا أننا بالرجوع الى تاريخ الفترة التي حكم ابن هند خلالها الحيرة ، وهي (٥٥٤ - ٥٦٩ م) ، وبرجوعنا الى ما تقدم من أمر معاصرة طرفة لهذا أو ذاك من الناس – مع ملاحظة أنه عاش ٢٦ عاماً ، نرجح أن تكون وفاته فيما بين ٥٥٥ و ٥٥٨ م (٦٩ – ٦٦ ق هـ) .

ودفعاً لكل لبس ، لن يفوتني القول بأن ما ذكرته عن فترة حكم ابن هند

---

(١) ٧٣/١ و ٦٢/١ (٢) ص ٣٤ وانظر المزهر ٤٧٧/٢ (٣) ابن قتيبة ١٣٧/١ و ١٤١- الاغاني ٥٤٣,٢٣ – أسماء من قتل من الشعراء ٢١٢

(٥٥٤ - ٥٦٩ م) هو الصحيح[١] ، أما ما أورده صاحب الاغاني في المجلد الثالث والعشرين[٢] من أنه (ملك ثلاثاً وخمسين سنة) ، فأنا لا أستطيع ان اقبل ذلك منه إلا اذا استعنتُ على تفسيره بما جاء في المجلد التاسع[٣] ، حين ذكر الاصبهاني أن عمرو بن هند كان يشارك أباه في الحكم ؛ وعلى هذا فالسنوات الثلاث والخمسون ليست كلها في عهد عمرو - وحده - بل ان قسماً منها (٥١٦ - ٥٥٤ م) كان في عهد ابيه المنذر بن ماء السماء .

وكما أنصفتُ أبا الفرج الأصبهاني[٤] ، يطيب لي - هنا - أن أنصف « كارلو نالينو » أيضاً .

قال نالينو[٥] : (. . الذي يتبع امرأ القيس من أصحاب المعلقات على الترتيب التاريخي هو الحارث بن حلزة اليشكري البكري) . قد يذهب الظن بقارىء هذا المقطع الصغير أن نالينو يخالفني الرأي فيجعل الحارث ثاني أصحاب المعلقات - وفاةً - بعد امرىء القيس ، على حين أني جعلت طرفة بن العبد هو ثانيهم .

ولدفع هذا الظن أقول إن نالينو صنّف أشعار الجاهلية أصنافاً أربعة ، هي : ١ - أشعار اهل البادية ٢ - أشعار الوثنيين المجالسين الملوك ٣ - أشعار نصارى الحيرة وغسان ٤ - اشعار الوثنيين من أهل الحضر في الحجاز . فاذا علمتَ الآن بأن نالينو وضع طرفة بن العبد مع شعراء الصنف الثاني ، وعلمت كذلك أن هذا المقطع مأخوذ من حديثه عن شعراء الصنف الأول . . ظهر لك السبب في عدم ذكره طرفة ، وفي تجاوزه الى الحارث . . ذاك التجاوز الذي لا يُفسر بشكل من الأشكال بأن نالينو ينكر على طرفة كونه من أصحاب المعلقات . وكل ما في الأمر أن تقسيمه القائم على أساس البيئة والدين اقتضى منه ذلك .

ج ، د - الحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم : وهذان شاعران لا يذكر الناس واحداً منهما إلا قرنوا به الآخر ، وذلك لأن الحادثة التي أدّت الى اشتهارهما واحدة ، وهي احتكام بكر وتغلب - في شيء كان بينهما - الى الملك عمرو بن

---

(١) انظر نالينو ص ٦٠ وحنا فاخوري ١١٦ وكذلك مهد العرب ص ٤٣ (٢) ص ٥٤٣
(٣) ص ٩٠ (٤) اصبهان أصح من أصفهان . انظر تفسير ذلك في القاموس مادة أصص .
(٥) تاريخ الآداب العربية ٦٠ .

هند ، بعد خمود حرب البسوس بيسير . وسيمر بنا عند التمهيد لمعلقتيها أنها قيلتا ابان ذاك الاحتكام في مجلس الملك . ولقد شهد كل منها حرب البسوس التي استعرت نارها عقب مقتل كليب وائل أخي مهلهل بن ربيعة . ونحن نعلم أن مهلهلا هذا هو جد عمرو بن كلثوم لأمه ، وخال امرىء القيس بن حجر الشاعر ، ومعنى ذلك أن ابن حجر وابن كلثوم تعاصرا ولو لفترة قصيرة ، وخاصة أن ابن حجر وليلى ام عمرو يقعان في جيل واحد من الأجيال التي أنسلها ربيعة بن الحارث كما تجد في شجرة الأنساب .

فاستنادا الى كل هذا ، نستطيع القول بأن وفاة الحارث كانت حوالي سنة ٥٨٠ للميلاد (٤٣ ق ه) لعدة اعتبارات ـ زيادة على ماسبق ـ منها : أن الأرقام التي ذكرها المترجمون له في تحديد سنة وفاته تتراوح بين ٥٢٠ و ٥٨٠ م ، ومنها : أن الحارث معدود من المعمرين ، ومنها كذلك : اعتقادي الشخصي بأن حادثة احتكام بكر وتغلب الى عمرو بن هند وقعت قبل مقتل ابن هند بسنة الى ثلاث سنوات على أبعد تقدير ، ولو كانت الفترة الفاصلة بين إنشاد ابن كلثوم معلقته ، وبين إقدامه على قتل ابن هند (سنة ٥٦٩ م) اكثر من سنة الى ثلاث ، لما رجع ابن كلثوم الى هذه المعلقة ، ليضيف إليها هجاءه لعمرو بن هند بعد أن فخر فيها بين يديه ، ولكان أحرى به — وقد تراخى الزمن — أن ينشىء قصيدة مستقلة في هجاء الملك القتيل . فإذا جعلنا تاريخ التحكيم ما بين ٥٦٦ و ٥٦٨ م ، ثم أضفنا إلى هذا التاريخ بضعة عشر عاما عاشها الحارث بعد إنشاد المعلقة ، كانت وفاته — على هذا التقدير ـ حوالي سنة ٥٨٠ ميلادية (٤٣ ق ه) .

أما عمرو بن كلثوم — وهو الذي قتل ابن هند سنة ٥٦٩ ، ثم عُمر بعده زمنا — فالأرجح عندي ، من سائر أرقام السنين التي ذُكرت عن وفاته ، والتي تتراوح بين ٥٧٠ و ٦٢٢ م ، أنه مات بين سنتي ٦١٠ و ٦١٢ م (١٢—١٠ق ه) ويعزز هذا القول ما نراه في المعلقة من حماسة (١) متقدة لا نجد مثلها في العادة

---

(١) يكتب بعض الاساتذة — حتى المرموقون منهم - المصدر « الحماسة » بغير تاء ، وكأنهم لم يسمعوا بحماسة أبي تمام ، فواعجبا ..!

عند من أوغلوا في الهرم والشيخوخة . فليس بكثير اذن ان عاش ابن كلثوم بعدها أربعين عاماً أو تزيد ، ما دام معدوداً مع المعمرين . وعلى ذكر « المعمّرين » لن تفوتني الإشارة هنا أنني لم آخذ بما ذكروه عن امتداد عمر هذا الشاعر حتى بلغ المئة والخمسين ، وحجتي في ذلك بينة جلية : قالوا ان عمرو بن كلثوم عاش مئة وخمسين عاماً ، كلها قبل ان يظهر الإسلام ، أو قبل أن تصحر راياته في جزيرة العرب ، فإذا اعتبرنا عام الهجرة (٦٢٢ م) حداً أقصى لحياة عمرو بن كلثوم وفي هذا تسامح منا ، ثم أخذنا من هذا الرقم ١٥٠ سنة ، فإن مولده سيكون – وَفق هذا الاعتبار – سنة ٤٧٢ م ، وهذا يعني أنه عندما قتل عمرو بن هند سنة ٥٦٩ م ، كان له من العمر ٩٧ عاماً ، ونحن نعلم أن أمه (ليلى بنت مهلهل) كانت معه سنئذ ، وأنه ما قتل ابنَ هند الملك إلا لأن هنـــداً(١) أرادت – بوحي من ولدها – ان تذل أم الشاعر ، فطلبت ان تناولها الطبق ، فردت بنت مهلهل : لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها ، ولما أعادت عليها الطلب ، صاحت ليلى : واذلاه يا لتغلب ، فإذا برأس عمرو بن هند يطير ... فإن كانت سن الشاعر آنئذ سبعة وتسعين عاماً ، فكم كان عمر أمه ليلى اذن ؟ وهل يقفز ابن سبع وتسعين الى الرواق ، ويمتشق الحسام ، ويقتل ملكاً في عقر داره ، ثم ينهب الخيام ويرحل ..!

قلنا منذ قليل ان ابن كلثوم قال معلقته بين ٥٦٦ و ٥٦٨ م ، أي قبل مقتل ابن هند بسنة الى ثلاث ، فهل لمن بلغ من العمر ٩٤ أو ٩٦ عاماً أن يقول ما قاله ابن كلثوم في الابيات ١٣ – ١٤ ..... ١٨ من معلقته !

ه ، و – عنترة بن شداد وزهير بن أبي سلمى : وهذان أيضاً شاعران متعاصران ، جمعتهما حرب داحس والغبراء(٢) ، إذ كان الاول مؤرثاً لنارها ، والثاني داعياً الى الصلح فيها . يؤكد هذا اللقاء الزمني بينهما أن كلاً من الشاعرين عاصر الرسول ﷺ ولكن مع فارق بين الروايتين فبينا تقول احداهما بأن

(١) اختيار التنوين في مثل هذا العلم أفصح ، لأن الاعراب « أصل » والمنع من الصرف « عارض » . (٢) الاغاني ٢٣٨/٨ و ٣٠٣/١٠ و ٣٠٦ أما قصة حرب داحس ففي ١٢٣/١٧ .

الرسول تمنى رؤية عنترة ولم يره[١] ، نرى الرواية الاخرى تقول بأن رسول الله ﷺ رأى زهيراً في أخريات أيامه[٢] ، وهذا يعني أن الشاعر العبسي أسبق وفاة من صاحبه المزني .

ولكن .. ربما اعترض معترض فقال : ان عنترة شهد « داحساً والغبراء » وهو شاب فارس قادر على المشاركة في القتال ، وان زهيراً شهدها « شيخاً » بدليل قوله في المعلقة « ومن يعش ثمانين حولاً .. » وهذا اعتراض مردود — فيما أرى — من وجهين :

أولهما : أن شهوده الحرب شيء ، ونظمه المعلقة شيء آخر .

والثاني : أن عنترة لم يكن أيام « داحس » حدثاً أو فتى الى الحد الذي يخاله بعض الناس .

أما الاول فحجتي فيه أن زهيراً نظم معلقته بعد « صلح » عبس وذبيان على يد هرم بن سنان والحارث بن عوف ، على حين أن عنترة قال قصيدته أيام كانت الحرب دائرة ، ونحن نعلم أن حرب داحس التي نشبت بين عبس وذبيان من أحياء مضر ، هي من أطول حروب العرب في الجاهلية ، بل ان العرب — على وجه التأكيد — لم تعرف حرباً أخرى دامت دوامها الا حرب البسوس التي نشبت بين بكر وتغلب من أحياء ربيعة . وعلى ذلك لا يبعد أبداً أن يكون بين هذه المعلقة وتلك عشرون عاماً أو تزيد .

أما الوجه الثاني — وهو نفي حداثة عنترة أيام داحس — فلي فيه أقوال : منها : أني وجدت في حاشية العدوي[٣] على الجرجاوي ما يفيد أن عنترة (كان معاصراً لامرىء القيس واجتمع به) ، ولقد سبق أن قصرنا حياة الشاعر المرقسي على النصف الاول من القرن السادس للميلاد لا يتعداه ، فكيف يجتمعان اذن مع علمنا أن حرب داحس نشبت في الربع الأخير من القرن نفسه ؟؟ ان هذا لا يصح الا اذا افترضنا مولد عنترة في نهاية الربع الاول من القرن السادس،

---

(١) الاغاني ٨ ,٢٤٠ والشنقيطي ٢٨ وديوان عنترة ١١٩ (٢) الأغاني ١٠/٣٠١ وزهر الآداب ١/٥٨ ومعاهد التنصيص ١/١١٠ (٣) حاشية العدوي على شرح الجرجاوي لشواهد ابن عقيل ص ٩٧ .

وعليه : تكون سنه أيام داحس قد جاوزت الخمسين عاماً . زد على ذلك أن « كافة » الروايات « متفقة » على بلوغ عنترة من السن عتياً[١] — وقد سبق أنه أدرك أيام الرسول ولم يره ، بمعنى أنه مات بين ٦١٠ و ٦١٥ م — فكيف يموت في هذا التاريخ عن عمر يناهز التسعين كما يروى ، من كان « حدثاً » في الربع الاخير من القرن السادس ، أي أيام داحس ؟؟

ومنها أيضاً : أني رأيت عنترة يقول :

ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر   للحرب دائرة على ابنيْ ضمضم[٢]

فكيف نفسر خشيته من دنو الأجل وفوات الانتقام اذا نحن قبلنا افتراض حداثته في حرب داحس ؟

ومنها أخيراً : أني رأيت في ديوانه[٣] قطعة يتوعد فيها النعمان بن المنذر (صاحب النابغة) ، والتاريخ يقول ان حكم النعمان بدأ سنة ٥٨٠ م[٤] ، أفكان عنترة الفلحاء بن زبيبة الحبشية يجرؤ على « ملك » لو لم تكن له في قومه مكانة؟ أم ان هذه المكانة قد واتته يافعاً ؟ أفلم يكن في « ايفاعه » راعي ابل وغنم ينهره هذا وذاك ، ويقوم في الحي بأعمال النسوة من صرّ وحلاب[٥] ..؟

بعد كل هذا لا يسعني الا أن أثق هـذه المرة بنالينو[٦] فأقول معـه : انه (في السنين العشرين الأخيرة من القرن السادس المسيح قال عنترة بن شداد العبسي معلقته) . وان كان الذين ترجموا لعنترة قد نثروا بين يديّ — في تحديد سنة وفاته — أرقاماً عدة تتراوح بين ٦٠٠ و ٦١٥ م فأنا أرجح أن يكون مقتل فارسنا البطل بين ٦١٠ و ٦١٥ م (١٢ – ٧ ق هـ) .

أما زهير ، ذاك الذي أدرك أولاده الإسلام فأسلموا ، وأدرك أستاذَه زوج أمه أوسُ بن حجر[٧] عمرَو بن هند الملك ، والقائل في شعره :

بدا لي أني عشت تسعين حجة   تباعاً ، وعشراً عشتها وثمانيا

فأنا أرجح أن وفاته كانت بين ٦١٨ و ٦٢١ م (٤ – ١ ق هـ) . هذا مع العلم

---

(١) اسماء من قتل من الشعراء . ٢١ والأغاني ٨/٢٤٢ و ٢٤٣
(٢) البيت ٧٣ من المعلقة   (٣) ص ١٠   (٤) تاريخ العرب ١/١١٢
(٥) الأغاني ٨/٢٣٧   (٦) ص ٦١   (٧) بروكلمان ١/١١٢

أن الأرقام التي بين يديّ ، والتي يختلف أصحابها في تحديد سنة وفاته ، تتراوح بين ٦٠٨ و ٦٣١ م .

ز ـ لبيد بن ربيعة العامري : وهذا هو آخر الشعراء ، والوحيد الذي اعتنق الإسلام منهم . وأخبار اسلامه تقطع « قول كل خطيب (١) » لا يقول بأنه الأخير في ترتيب وفياتهم .

ولست أحب هنا أن أذكر شيئاً من أخباره بعد الإسلام ، ولا من أخبار أخيه أربد الذي نزلت فيه آية (٢) ، لأن ذلك استباق لما سيأتي في ترجمته قبل المعلقة ، وتكرار لا طائل تحته . وكل ما سأقوله عن تحديد سنة وفاته ان المترجمين له وضعوا جملة من الأرقام تتراوح بين سنتي ٦٦٠ و ٦٨٠ للميلاد ، ومرد هذا الفارق بين الرقمين أن فئةً تقول بوفاته اول حكم معاوية ، ومن هؤلاء ابن حجر العسقلاني (٣) وفئةً تقول بموته آخر أيام معاوية ، ومن هؤلاء صاحب هدية العارفين (٤) . ولم يخرج عما يحدده هذا الرقمان الا ابن عبد البر (٥) القرطبي الذي يرجح وفاة لبيد في خلافة عثمان . أما الرأي الذي أرجحه بدوري فهو أن لبيداً مات في السنة التي دخل معاوية فيها الكوفة ، وأخذت له البيعة ، وهي سنة ٤١ للهجرة (٦) ، (٦٦٢ م) ، ولقد عُمّر هذا العامري طويلا حتى قيل (٧) : (انه لم يمت حتى حرم عليه نكاح خمسمئة امرأة من نساء بني عامر) فتأمل .

ولو شئنا أن نمضي مع الشعبي وابن الكلبي والبخاري والأويسي وابن أنس (٨) و . . . ـ وأربعة عشر آخرين في الأغاني (٩) ـ لنرى ما ذكروه عن مديد عمره ، لطالت بنـا الرحلة ومـا أغنت . ولا أخفي القـارىء أنني ـ بيني وبين نفسي ـ أميل أحيـاناً الى الأخـذ بمـا ذكره السجستاني في كتابه

(١) من أمثالهم « قطعت جهيزة قول كل خطيب » .

(٢) الشعر والشعراء ٢٣٥/١ والسيرة لابن هشام ٢١٥/٤ والكشاف ٤٠٤/٢ . وانظر في التفاسير سورة ١٣ ـ الرعد ـ آية ١٤

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة ٣٠٧/٣

(٤) ٨٣٩/١

(٥) الاستيعاب ٣٠٧/٣

(٦) تاريخ الإسلام السياسي ٢١٣/١

(٧) جمهرة أشعار العرب ٦٦

(٨) انظر الاصابة ٣ / ٣٠٨ والشنقيطي ٣١ ورجـال المعلقات ص ١٦٠ و ١٦٩

(٩) ٢٩١/١٥

« المعمّرين » اذ حدد حياته بمئة وعشرين ، أو بما ذكره الأبشيهي[١] حين قال : (... وكانت العرب لاتعد من الأعمار الا مابلغ مئة وعشرين سنة فما فوقها ... وعاش لبيد بن ربيعة الشاعر مئة وعشرين سنة) ، لولا أشياء تمنعني من ذلك ، وتدفعني الى الأخذ برواية من قال إنه عاش مئة وخمساً وأربعين سنة . هذه الأشياء :

منها : أنني - بعد النظر في أجيال مضر - وجدت لبيداً يقع في جيل زهير بن أبي سلمى ، وشداد أبي عنترة العبسي ، وهذا أول دليل على قدمه .

ومنها : أنني وجدت ابن قتيبة[٢] يقول بأن الحارث بن أبي شمر الغساني ، وهو الأعرج ، وجّه الى المنذر بن ماء السماء مئة فارس « في يوم حليمة »[٣] وجعل لبيداً عليهم . ونحن نعلم أن الحارث هذا عاصر كسرى أنوشروان ، وعاصر امرأ القيس الشاعر وساعده على الوصول الى قيصر - كما سبق منذ صفحات - اذن .. فهذا دليل آخر على قدم صاحبنا لبيد .

ونحن حين نقول بأن يوم حليمة وقع في منتصف القرن السادس للميلاد[٤]، وأن لبيداً كان أمير حملة غسانية يومئذ ، فمعنى ذلك أنه ولد قبل أن ينقضي الربع الأول من القرن نفسه ؛ فإن قدرنا ولادته سنة ٥١٧ م مثلاً ، فلسوف يكون عمره في يوم حليمة حوالي ٣٣ عاماً ، ولسوف تكون سنه حين دخل معاوية الكوفة ١٤٥ عاماً ، وهي السن التي نحاول التحقيق في بلوغه إياها . ولو عاش لبيد مئة وعشرين عاماً فقط لوجب أن يكون مولده سنة ٥٤٢ م ، أي قبل يوم حليمة بسنوات قلائل . فكيف يكون - والحالة هذه - قائداً للحملة ؟ وهل يتأتى لمن كانت ولادته سنة ٥٤٢ م أن يعاصر ابن ماء السماء (٥٠٥-٥٥٤م) والحارث الأعرج (٥٢٩ - ٥٦٩ م)[٤] وصاحبه امرأ القيس الشاعر ، وكسرى أنوشروان (٥٣١ - ٥٦٩ م) .. وكلهم عاش معظم حياته وحكمه في النصف الأول من القرن السادس ؟؟

---

(١) المستطرف ٣٣/٢ (٢) ٢٣١/١ (٣) هي بنت الحارث بن ابي شمر الغساني ، سمي اليوم بها لأنها جاءت بطيب ، وطيبت به الفرسان تفاؤلاً - سبائك الذهب ١١٣ وانظر خزانة الأدب ٣٠٣/٣ - ٣٠٤ (٤) تاريخ العرب ١٠٣/١ - ١٠٤

وتلخيصاً لكل ماتقدم أورد فيما يلي جدولاً صغيراً يوضح الترتيب التاريخي لأصحاب المعلقات ، مثلما يوضح أعمارهم ومولد كل منهم ووفاته بشكل تقريبي .

الشاعر	مولده	وفاته	عمره	وفاته بالهجري [1]
امرؤ القيس بن حجر	٥٠٢ ٥٠٤	٥٤٦ ٥٤٨	٤٢ — ٤٦	٧٨ — ٧٦ ق ه
طرفة بن العبد	٥٢٩ ٥٣٢	٥٥٥ ٥٥٨	٢٦	٦٩ — ٦٦ ق ه
الحارث بن حلزة	٤٧٥ ٤٧٧	٥٧٨ ٥٨٠	١٠١ — ١٠٥	٤٥ — ٤٣ ق ه
عمرو بن كلثوم	٥١٢ ٥١٤	٦١٠ ٦١٢	٩٦ — ١٠٠	١٢ — ١٠ ق ه
عنترة بن شداد	٥٢٠ ٥٢٥	٦١٠ ٦١٥	٨٦ — ٩٤	١٢ — ٧ ق ه
زهير بن أبي سلمى	٥١٠ ٥١٣	٦١٨ ٦٢١	١٠٥ — ١١١	٤ — ١ ق ه
لبيد بن ربيعة	٥١٧ ٥٢٢	٦٦٢	١٤٠ — ١٤٥	٤١ ب ه

وهكذا : تبدو لي من وراء هذا الجدول صحة الزعمين اللذين كنت ذكرتهما في مطلع هذا الفصل ، من أن أصحاب المعلقات جميعاً كانوا في فترة ما متعاصرين ، وأن هذا اللقاء الزماني بينهم وقع في النصف الاول من القرن السادس الميلادي . وليس ببعيد أن تكون هذه الفترة ما بين العقدين الرابع والخامس من القرن نفسه (٥٣٢ — ٥٤٦ م) — (٩٣ — ٧٨ ق ه) — كما يشير الجدول . وعلى ذلك ، فلن نكون واهمين اذا أسمينا القرن الذي احتوى معظم حياتهم بقرن المعلقات أو «عصر المعلقات» .

وكلمة أخيرة أحب أن أسوقها هنا قبل ان اترك الكلام على « التلاقي في الزمان » — المعاصرة — هي أن معظم شعراء المعلقات عاشوا جل حياتهم في نجـد[2] ، أو أطراف نجد ، حتى امرؤ القيس[3] ذو الاصل اليماني . ولعل هذا التقارب الزماني

(١) مع مراعاة قصر السنة الهجرية عن الميلادية (٢) مهد العرب ص ٦٧ و ٦٩ و ٧٥
(٣) جمهرة أشعار العرب ٧٥ وتاريخ الادب للزيات ٤٥ .

فالمكاني بين أصحاب المعلقات هو الذي زاد اختلاف الناس حولهم ضراوة وضرامة. فنحن نعلم ان الادباء قديماً وحديثاً اختلفوا بين هذا وذاك من السبعة الجاهليين، وبين جرير والفرزدق، وبين أبي تمام والبحتري، وبين حافظ وشوقي؛ ولم يختلفوا بين لبيد وجرير مثلاً، ولا بين الفرزدق والبحتري، ولا بين أبي تمام وحافظ، بل إنهم لم يوازنوا بينهم أصلاً وهذا كله مصداق لما قلنا.

٥

قصة المعلقات

أجل .. للمعلقات قصة أية قصة ..!! وضع خطوطها الكبرى أبو جعفر النحاس أحد نحويي مطلع القرن الرابع الهجري، ثم اتسعت رقعتها، وكثرت «أبطالها»، واحتدم «الحوار» فيما بينهم، حتى أوشكت أن أسميها مشاجرة أو مصايحة. ذلك لأني وجدت أدباء المتلّد والمطرّف (١)، والمشرق والمغرب، يشتركون في هذا «الحوار». فمن النحاس وابن الكلبي والقرشي وابن عبد ربه وابن رشيق في المتقدمين، إلى ابن خلدون والبغدادي في المتأخرين، الى زيدان والرافعي والزيات... وكثيرين غيرهم في المشرق، الى بلاشير وبروكلمان ونولدكه وليال وكليمان هيار – وستة آخرين ذكرهم بلاشير (٢) – و... من المستشرقين. وأي كتاب أولى بالتحقيق في القصة من مثل هذا الكتاب.

القصة : هي أن فريقاً من القدماء قال عن هذه «القصائد الطوال» لأنها علقت بأستار الكعبة فسميت معلقات، وفريقاً آخر نفى ذلك وأنكره، وفريقاً ثالثاً سكت ولم ينبس ببنت شفة ففسر سكوته عند الفريق الثاني تأييداً لما يرى.

وأنا – قبل أن أجمع لك من هنا وهناك خلاصة ما ذهبوا إليه – أحب أن أورد مبادىء ثلاثة، هي :

أ – أن التعليق غير ممتنع عقلاً ولا عادةً.

(١) أي القديم والحديث (٢) تاريخ الأدب العربي لبلاشير ١٥٦/١ .

ب – وأن السكوت عن ذكر حَدث لا يعني – بالضرورة – عدم حدوثه .

ج – وأن الأحكام تؤخذ بالبينات ، فإن لم تكن بينة ، أُخذت بالقرائن.

أ – قلت : « التعليق غير ممتنع عقلًا ولا عادةً » لأنه ثبت عن العرب أنهم علقوا بعض العهود والمواثيق على الكعبة . من ذلك مثلًا أن رجال قريش ائتمروا (في أن يكتبوا بينهم كتاباً يتعاقدون فيه على ألا ينكحوا بني هاشم ولا يبيعوهم ولا يبتاعوا منهم شيئاً ، فكتبوا بذلك صحيفة بخط منصور بن عكرمة ثم علقوها في جوف الكعبة) [١] .

فان زعم زاعم بأن تعليق العهود شيء ، وتعليق الشعر شيء آخر لايليق بالكعبة والآلهة ، كان ذلك مردوداً عندنا من ثلاثة أوجه :

أولها : أن « الشاعر » قديماً كان فوق الجميع ، بل لعله كان فوق « الفارس » أيضاً ، وحسبك ان الشعر عندهم من صنعة « جن عبقر » . ولقد مضى في الفصل الأول من هذه المقدمة مافيه الغَناء حول اكبارهم للشعر والشاعر .

وثانيها : أن الشعراء كانوا يفدون الى مكة في موسم الحج ، وينشدون الشعر عند الكعبة . من ذلك مثلًا قدوم عمرو بن كلثوم اليها من العراق ، وانشاده المعلقة [٢] .

وثالثها : أن الآلهة نفسها لم تكن لها تلك الهيبة في نفوس عرب الجاهلية ، سواءٌ قبيل الاسلام بقليل عندما ظهرت بوادر التألّه تمهد للدين الجديد كما هي الحال عند لبيد[٣] وزهير [٤] وأمية بن أبي الصلت [٥] وسويد بن عامر [٦] ، أم قبل الاسلام بكثير . وان شئت أن يكون مثالنا ذا صلة بموضوع هـــذا الكتاب فانظر خبر امريء القيس حين استقسم بالقداح ثلاثاً عند صنم تعظمه العرب يقال له « ذو الخلصة » فلم يرضه ما أمرته به تلك القداح (فجمعها وكسرها

(١) تاريخ آداب العرب للرافعي ٣/١٩٢ وانظر كذلك مصادر الشعر الجاهلي ص ١٧٠ وتاريخ الادب للزيات ٣١
(٢) اسواق العرب لسعيد الافغاني ص ٣٤٠ .
(٣) موشح المرزباني ٧١
(٤) نالينو ٦٢ – رسالة الغفران ٦٧ – الشعر والشعراء ١/٨٨
(٥) صحيح مسلم ٤/١٧٦٧
(٦) العقد الفريد ٥/٢٧٦ .

وضرب بها وجه الصنم وقال : لو أبوك ُقتل ما ُعقتني) [١]

بَ – ثم قات : « السكوت عن ذكر حدث لايعني بالضرورة عدم حدوثه » لأن السكوت عن أمر من الامور قد يدل على نفيه فعلاً ، أو يدل على الجهل بحدوثه ، أو يدل على اشتهاره بين الناس حتى غدا ذكره لهم من قبيل تحصيل حاصل .

جَ – أما « البينة والقرينة » فمن طريف مايروى أن عالماً سأل أعرابياً من البادية عما يثبت وجود الخالق فقال : البعرة تدل على البعير والماء يدل على الغدير ، وأثر الاقدام يدل على المسير ؛ افلا تدل السموات والأرض على العلي القدير !.. اذن فلنبحث بدورنا عن القرائن الدالة على التعليق أو عدمه .

وبعد : فلنبدأ الآن القصة من أولها :

قال جرجي زيدان [٢] (اختلف اصحاب الأخبار في شأن هذه المعلقات... فقال بعضهم: ان العرب بلغ من تعظيمهم إياها أن علقوها بأستار الكعبة ، وأنكر بعضهم ذلك وأكبروه وأقدم المنكرين أبو جعفر النحاس النحوي ... فقد قال في شرحه المعلقات ... ما نصه « واختلفوا في جمع هذه القصائد السبع ، وقيل ان العرب كان أكثرهم يجتمع بعكاظ ويتناشدون الأشعار ... فإذا استحسن الملك قصيدة قال : علقوها واثبتوها في خزائني . فأما قول من قال انها علقت في الكعبة فلا يعرفه أحد من الرواة ، وأصلح ما قيل في هذا أن حماداً الراوية لما رأى زهد الناس في الشعر ، جمع هذه السبع وحضهم عليها ، وقال لهم هذه هي المشهورات ... فسميت القصائد المشهورة » ونقل ذلك عنه ابن الانباري [٣] فقال : « وهو – أي حماد – الذي جمع السبع الطوال ، هكذا ذكر أبو جعفر ... النحاس ولم يُثبت ما ذكره الناس من أنها كانت معلقة على الكعبة » فهو يستغرب مخالفة النحاس لما ذكره الناس . والاكثرون يذهبون الى أنها علقت في الكعبة . وهذا ابن

(١) الاغاني ٩ / ٩١ وانظر ترجمته قبل المعلقة (٢) ١ / ١٠٥ – ١٠٧ و ١٩٥ .
(٣) هو ابو البركات المتوفى سنة ٥٧٧ صاحب نزهة الألباء ذكر ذلك في ترجمة حماد ص ٢٣ ، ومثل هذا القول في ياقوت ١٠ / ٢٦٦ (ترجمة حماد) .

عبد ربه كان معاصراً للنحاس[1] المذكور وتوفي قبله – سنة ٣٢٨ هـ – قال :[2] «لقد بلغ من كلف العرب به – أي بالشعر – وتفضيلها له ان عمدت الى سبع قصائد ، تخيرتها من الشعر القديم ، فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة ، وعلقتها بين أستار الكعبة ، فمنه يقال مذهبة امرىء القيس ومذهبة زهير ؛ والمذهبات سبع ، وقد يقال لها المعلقات» وأيد ذلك كثيرون في عصور مختلفة منهم ابن رشيق صاحب كتاب العمدة وهو من أكبر نقدة الشعر قال :[3] «وكانت المعلقات تسمى المذهبات ، وذلك لأنها اختيرت من سائر الشعر ، فكتبت في القباطي بماء الذهب ، وعلقت على الكعبة ، فلذلك يقال مذهبة فلان اذا كانت أجود شعره . ذكر ذلك غير واحد من العلماء . وقيل بل كان الملك اذا استجيدت قصيدة الشاعر يقول علقوا لنا هذه لتكون في خزانته» فترى أن ابن رشيق أميل الى القول بتعليقها ، لأنه ينسب القول بذلك الى غير واحد من العلماء ويضعف الرأي الآخر بقوله وقيل . أما ابن خلدون فانه يقطع بتعليقها ولا يذكر سواه ، وهذا قوله :[4] «حتى انتهوا – أي العرب – الى المناغاة في تعليق أشعارهم بأركان البيت الحرام موضع حجهم وبيت ابراهيم ، كما فعل امرؤ القيس بن حجر والنابغة الذبياني وزهير بن أبي سلمى وعنترة بن شداد وطرفة بن العبد وعلقمة بن عبدة والأعشى ، وغيرهم[5] من أصحاب المعلقات السبع» وقد وافقهم أكثر العلماء والباحثين في هذا الموضوع . وانما استأنف انكار ذلك بعض المستشرقين من الافرنج ، ووافقهم بعض كتابنا رغبة في الجديد من كل شيء . وأي غرابة في تعليقها وتعظيمها بعدما علمناه من تأثير الشعر في نفوس العرب ، وتعظيمهم لأصحابه ؟ أما الحجة التي أراد النحاس أن يضعف بها القول بتعليقها ، فهي غير وجيهة لأنه قال : ان حماداً رأى زهد الناس بالشعر ... الخ والحقيقة ان الناس لم يكونوا راغبين في الشعر مثل رغبتهم في أيامه . ألم يكن الخلفاء يستقدمون حماداً هذا من العراق الى الشام ، ليسألوه عن بيت مَن قاله أو فيم قيل ؟) .

(١) مات غريقاً في النيل سنة ٣٣٨ هـ (٢) العقد الفريد ٥ / ٢٦٩ (٣) العمدة ١ / ٦١ والمزهر ٢/٤٨٠ (٤) مقدمة ابن خلدون ص ٥٨١ (٥) لاحظ أنه عد سبعة شعراء ثم قال : وغيرهم

أما الزيات فقد قال [١] : (يزعم جمهور المؤرخين ان العرب اختارتها ، فكتبتها بماء الذهب على القباطي ، ثم علقتها بالكعبة اعجاباً بها وإشادة بذكرها . **وقد بقي بعضها الى يوم الفتح** ، وذهب بالبعض الآخر حريق أصاب الكعبة قبل الاسلام ... ومن الناس من ينكر تعليقها بغير دليل قائم ولا حجة مقنعة ؛ فمن المتقدمين ابو جعفر النحاس المتوفى سنة ٣٣٨ ، ومن المتأخرين المستشرق الألماني نولدكه . على أن تعليق الصحائف الخطيرة على الكعبة كان سنة في الجاهلية بقي اثرها في الاسلام ؛ فمن ذلك تعليق قريش الصحيفة التي وكدوا فيها على أنفسهم مقاطعة بني هاشم والمطلب ، لحمايتهم رسول الله ﷺ حين أجمع على الدعوة ، وتعليق الرشيد لعهده بالخلافة من بعده الى ولديه الأمين فالمأمون . فلم لايكون الأمر كذلك في هذه القصائد ، مع ما علمتَ من تأثير الشعر فيهم ومكانة الشعراء منهم ؟ على أن لهذا الأمر نظائر في أدب الأغريق ، فإن القصيدة التي قالها بندار زعيم الشعر الغنائي يمدح بها دياجوراس ، قد كتبوها بالذهب على جدران معبد أثينا في لمنوس) .

هذا هو رأي زيدان فالزيات في الموضوع ، وهذه هي مناقشتها له . أما المرحوم مصطفى صادق الرافعي فهو يأبى الا أن يسلك النقيضة [٢] ، وأن تكون له مع أنصار زيدان والزيات نقائض كنقائض جرير والفرزدق . نأخذ الجزء الأول [٣] من كتابه « تاريخ آداب العرب » فاذا به يقول عن قصة المعلقات انها « خرافة وأكذوبة » . ثم ندخل في [٤] الجزء الثاني [٥] فنراه يسفّه من قال (ان القصائد السبع المسماة بالمعلقات هي عندهم معارضة للقرآن بفصاحتها) ، ويفنّد - في حاشية الصفحة - هذا الزعم ، وأن القصائد علقت في الكعبة ، وأن العرب أنزلتها لفصاحة القرآن ... ومن هنا .. من هذه النقطة بالذات يبدأ الرافعي بما عرف عنه من اخلاص وتحمس صادق ، فيشدد النكير على قصة « التعليق » ، ويصر على رفضها ، رغم أن تعليق الشعر على الكعبة في الجاهلية ، لا يمس الدين في شيء مطلقاً .. ثم .. من هم الذين يعدون المعلقات « معارضة للقرآن بفصاحتها » ؟

(١) تاريخ الأدب لحسن الزيات ص ٣١ — ٣٢ (٢) الطريق في الجبل
(٣) ص ٨٩ (٤) انظر مادة دخل في صحاح الجوهري (٥) ص ١٨٦ .

أهم الجاهليون ولمّا ينزل القرآن بعد ؟ أم المسلمون وقد آضت الكعبة كعبتهم ؟ أم أهل مكة قبل الفتح ؟؟ إن قلتَ في الاخيرة : نعم ، فهذا يؤيد قصة التعليق . قالوا « إن العرب انزلتها لفصاحة القرآن » ترى ..! أفصاحة القرآن فقط هي السبب في انزالها ؟ أم الدخول في الدين الجديد ؟ أم فتح مكة ؟ ؟

نعود كرة أخرى إلى الرافعي ، ونأخذ الجزء الثالث(١) من كتابه ، فإذا بثورته تشتد وتبلغ الذروة فيقول بأن هذه القصائد (لم تخرج عن سبيل ما يختار من الشعر)(٢) ، وأن (خبر الكتابة بالذهب أو بمائه والتعليق على الكعبة ... من الاخبار الموضوعة التي خفي أصلها حتى وثق بها المتأخرون)(٣) ، وأن (حماداً هو أول من اختار السبع الطوال وشهرها في الناس ، وان ابن الكلبي هو الذي ذكر خبر تعليقها على الكعبة)(٤) . ثم يقول الرافعي بعد هذا مانصه : (وليس ببعيد ان يكون ابن الكلبي ، وهو من متأخري الرواة ، قد رأى انصراف الناس عن شعر الجاهلية والتأدب به إلا فيما احتاجوا إليه من الشاهد والمثل...فاختلق هو أو غيره خبر التعليق)(٢) .

نلاحظ من هذا القول أن الرافعي اخذ بما قاله النحاس جملة وتفصيلاً ، ثم مالبث أن زاد عليه ؛ ذلك لأن كلاً منهما يتمسك – فيما يزعم – بحجة « انصراف الناس عن الشعر » ويعتد به : النحاس يجعله سبباً في جمع حماد للمعلقات ، والرافعي يجعله سبباً في اختلاق ابن الكلبي لخبر التعليق . وإن كان زيدان قد رد على النحاس بأن « الناس لم يكونوا راغبين في الشعر مثل رغبتهم في أيام حماد » فنحن نرد على الرافعي ولكن . . بسؤال : إن كان الناس في عصر ابن الكلبي قد زهدوا في شعر الجاهلية ، فعلام يجمع الأصمعي مختاراته ، ويضع ابن سلام طبقاته ، وهما من عصر ابن الكلبي ايضاً ؟ ؟ وهل يعد ابن الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ « من متأخري الرواة » وهو الذي قضى كل حياته في القرن الثاني للهجرة ؟ ؟ نقول هذا مع الاشارة إلى أن خلفاً الأحمر مات سنة ١٨٠ هـ ، ويونس مات سنة ١٨٢ هـ ، والشيباني سنة ٢٠٦ ، وأبا عبيدة سنة ٢١١ ، والاصمعي سنة ٢١٦ ، وابن

(١) من ص ١٨٧ إلى ١٩٢ و ٣٦٣ - ٣٦٤ (٢) ٣/١٩٢ (٣) ٣/١٨٧ (٤) ٣/١٩١ .

الأعرابي وابن سلام ماتا سنة ٢٣١ هـ ، فهل هؤلاء جميعاً من المتأخرين ؟؟ والنحاس المتوفى سنة ٣٣٨ من متقدمي الرواة ؟؟

ولم يكتف الرافعي بأن جرّح صاحبنا ابن الكلبي ، بل لقد اورد ماقاله هذا في قصة التعليق ، ثم عقّب عليه بما هو أشد تجريحاً .

قال ابن الكلبي « أول شعر علق في الجاهلية شعر امرىء القيس ، عُلق على ركن من أركان الكعبة أيام الموسم حتى نُظر اليه ، ثم أحدر فعلقت الشعراء ذلك بعده، وكان ذلك فخراً للعرب في الجاهلية . وعدوا من علق شعره سبعة نفر »

أورد الرافعي[1] هذا النص عن ابن الكلبي ، ثم راح يلتمس المعول ليهدمه فقال[1]: (نقل ابن خلكان عن أبي جعفر النحاس .. ان حماداً الراوية هو الذي جمع السبع الطوال . وحماد هذا توفي سنة ١٥٥ . وفي المزهر أنه أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها . وقال البغدادي في خزانة الادب[2] بعد ان ذكر أصحاب المعلقات : « وقد طرح عبد الملك بن مروان شعر أربعة منهم وأثبت مكانهم أربعة » . وعبد الملك توفي سنة ٨٦ فبين وفاته وبين وفاة حماد ٦٩ سنة . ثم قال البغدادي[2] : « وروي أن بعض امراء بني أمية امر من اختار له سبعة أشعار فسماها المعلقات » وفي رواية أخرى – في غير الخزانة – فسماها المعلقات الثواني) فعلى ذلك (يكون خبر طرح عبد الملك واثباته موضوعاً أيضاً ، خصوصاً وقد أغفله...صاحب الجمهرة)[3] ، هذا (وقد أغفل ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ رواية ابن الكلبي بجملتها .. ولم نرَ أحداً ممن يوثق بروايتهم وعلمهم أشار الى هذا التعليق ، ولا سمى تلك القصائد بهـذا الاسم ، كالجاحظ والمبرد وصاحب الجمهرة وصاحب الأغاني ، مع أن جميعهم أوردوا في كتبهم نتفاً وأبياتاً منها . وقد ذكر أبو الفرج...المتوفى سنة ٣٥٦ أن عمرو بن كلثوم قام بقصيدته « خطيباً بسوق عكاظ وقام بها في موسم مكة »[4] . فلو كان خبر التعليق صحيحاً لما ضرّه أن يقول : فكتبتها العرب وعلقتها على ركن من أركان الكعبة)[3] . ومثل هذا ما جاء في اعجاز القرآن للباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣ اذ قال (« ولما اختاروا قصيدته – أي امرىء القيس – في السبعيات اضافوا إليها

---

(١) الرافعي ١٨٧/٣ (٢) المصدر السابق والخزانة ١٢٤/١
(٣) الرافعي ١٨٨/٣ (٤) الاغاني ٤٨/١١

أمثالها وقرنوا بها نظائرها »(١) ... فلو صح عنده خبر التعليق ، وان العرب هي التي اختارتها ، وقدمتها على سائر الشعر لكان في ذلك دليل يشد عليه يده شد الحريص)(٢) . وهذا كله من كلام الرافعي .

حتى في تعليل التسميات التي أطلقت على القصائد السبع يذهب الرافعي الى حماد ليسأله عن معنى « السمط أو السموط » فيجيبه حماد : (كانت العرب تعرض أشعارها على قريش ، فما قبلوه منها كان مقبولاً ، وما ردوه منها كان مردوداً، فقدم عليهم علقمة بن عبدة فأنشدهم .... فقالوا : هذه سمط الدهر . ثم عاد اليهم العام المقبل فأنشدهم ... فقالوا : هاتان سمطا الدهر)(٣) . ثم نتولى نحن سؤال الرافعي عن معنى « السبع الطوال » فيرد قائلاً : هذه (تسمية حماد ، وقد نقلها من الحديث « أعطيتُ مكان التوراة السبع الطوال »(٤) وهي البقرة وآل عمران و ...)(٣) . ثم يترك الرافعي هذا الموضوع الى غيره من موضوعات كتابه ، حتى اذا ما شارف ختامه عاد فقال : (أول اختيار مدون عند العرب القصائد المعروفة بالمعلقات ، اختارها حماد الراوية ... ثم جمهرة أشعار العرب)(٥).

أما وقد فرغنا من بسط رأي الرافعي ، فلن ندخل مع القارىء في سرد رأي المستشرقين الا بعد أن نعلّق على ما سبق تعليقاً قصيراً نبحث فيه عن البينات والقرائن .

أ – أول ما نعقب به على أقوال الرافعي المنكر لتعليق الشعر بالكعبة ، أنه قبل بتعليق العهود والمواثيق بها فأورد خبر تعليق صحيفة قريش على النحو الذي قدمناه لك قبل صفحات (٦) .

ب – أراد الرافعي أن يثبت دعوى **النحاس** بشأن حماد فقال : (نقل ابن خلكان عن ... **النحاس**... أن حماداً ... الخ) . ثم أخذ عبارة السيوطي(٧) فحمّلها فوق ما تحمل ؛ والاّ فما يدرينا أن المقصود بـ « أشعار العرب » هو المعلقات حتماً ؟

---

(١) الباقلاني ٢/ ١٠ (٢) الرافعي ٣/١٩٠(٣) الرافعي ٣ / ١٨٩ والخبر في الأغاني ٢١/٢٢٥ وفي شرح المفضليات ٣٩٠ (٤) المصدر السابق والاتقان للسيوطي ١ / ٥٨ (٥) الرافعي ٣/٣٦٣ (٦) ص ٣٣ من هذا الكتاب (٧) ليست العبارة للسيوطي فعلا ولكنه نقلها من ابن سلام ص ٤٠

ج – جاء في خزانة الأدب للبغدادي[١] : (ومعنى المعلقة : أن العرب كانت في الجاهلية يقول الرجل منهم الشعر في أقصى الأرض ، فلا يعبأ به ولا ينشده أحداً ، حتى يأتي مكة في موسم الحج ، فيعرضه على أندية قريش ، فإن استحسنوه رُوي وكان فخراً لقائله ، وعلق على ركن من أركان الكعبة ، حتى ينظر اليه ، وان لم يستحسنوه طُرح ولم يعبأ به . وأول من علق شعره في الكعبة امرؤ القيس ، وبعده علقت الشعراء ، وعدد من علق شعره سبعة ، ثانيهم طرفة بن العبد ، ثالثهم زهير ... رابعهم لبيد ... خامسهم عنترة ، سادسهم الحارث ... سابعهم عمرو ... هذا هو المشهور) .

يفسر البغدادي – هنا – معنى المعلقة والتعليق بأمرين اثنين هما : رحلة الشعراء الى مكة وانشاد شعرهم فيها ، واستحسان قريش لهذا الشعر أو طرحها اياه . وأنت تعلم أن الرافعي قبِل بهذين الأمرين حين قبِل من حماد تعليله لتسمية « السموط » .. اذن ، أفلا يكون هذا هو السبب في احجامه عن نقل هذا المقطع من الخزانة مع ما نقل منها ، كيلا يجره قبول هذين الامرين الى القول بالتعليق ؟ وسواءٌ عدنا الى خبر حماد في قصة علقمة والسموط ، أم أخذنا بخبر البغدادي هنا .. أفلا يحمل كلا الخبرين دلائل أو قرائن على التعليق ؟ وإلا فما هي مراسم القبول والرد ، أو الاستحسان والطرح عند قريش ؟ أهي هزة رأس من عظيم أن : نعم ، وهزة رأس أن : كلا .. فقط ؟ وكيف لم تنس قريش – حولاً كاملاً – رأيها في شعر علقمة ؟ مع العلم أن الشعر عندهم أكثر من الدنانير التي سرقها[٢] حماد ، قبل أن يكون رواية يفسد الشعر (فلا يصلح أبداً)[٢] – على حد قول الضبي .

د – إذا لم يأخذ الرافعي بخبر عبد الملك المتوفى سنة ٨٦ هـ ، فكيف يعلل اختلاف الناس في تسمية شعراء المعلقات ، خصوصاً أن هذا الاختلاف قريبٌ من أيام حماد ، بعيدٌ من أيام عبد الملك ؟ أفكان الناس يختلفون لو أن مجموعة حماد بين أيديهم ؟ وإن كان الرافعي يشك في صدر هذا الخبر فلم لا يأخذ

(١) ١٢٣/١ . (٢) الأغاني ٨٣/٦ و ٨٥

بعجزه ، وفيه أن ما اختير لأحد بني أمية ، سُمي بالمعلقات الثواني تشبيهاً لها بالمعلقات على الكعبة ...؟

هـ - صحيح أن صاحب الجمهرة أغفل خبر عبد الملك ، ولكن .. لا ننس أنه أسمى هذه القصائد بالمعلقات ، وافتتح بها كتابه ، ثم حدد أسماء أصحابها فقال (هؤلاء أصحاب السبع الطوال التي تسميها العرب السموط ، فمن قال ان السبع لغيرهم فقد خالف ما أجمع عليه أهل العلم والمعرفة) (١) . ثم ان القرشي لم يذكر نسبة جمعها الى حماد ، فهل انتحل هذا الاختيار لنفسه انتحالاً ، فأدخله في كتابه ؟؟

وصحيح أيضاً أن ابن قتيبة أغفل خبر « التعليق » ولفظ « المعلقـــات » ، ولكنه قال عن قصيدة ابن كلثوم إنهـا (إحدى السبع) (٢) ، وعن قصيدة عنترة إنهم (كانوا يسمونهـــا المذهبة) (٣) ، كما قال عن طرفة انـه « أجودهم طويلة » (٤) . فما الذي قصد بـ « السبع » و « المذهبة » و « الطويلة » غير السبع الطوال المذهبات وهن المعلقات ؟ وما الذي قصد بالضمير في « أجودهم » غير رفاق طرفة الستة الآخرين ؟

وصحيح كذلك أن ابن قتيبة والجاحظ والمبرد والقرشي اغفلوا رواية ابن الكلبي ، ولكن ألم يغفلوا نسبة جمعها الى حماد .. أيضاً ؟ فعلام يأخذ الرافعي - رحمه الله - من الموضوع جانباً ويغمض عن جانب ؟

ثم قال الرافعي عن كل من أبي الفرج والباقلاني : « لو صح عنـده خبر التعليق لما ضرّه أن يقول : فكتبتها العرب وعلقتهـا ... الخ » . ونحن نجيب عن هذا بقولنا : لو صح عنده جمع حماد لها لما ضرّه أن يشير اليه .

و - وأخيراً قال الرافعي بأن الحديث الشريف هو الذي أعطى هذه القصائد اسم « السبع الطوال » ، وهذا مقبول منه ؛ إلا أن قبولنا ذاك لا يعني أن حماداً - بالذات - هو الذي فعل ذلك حتماً ، فقد يكون هو حقاً ، وربما (٥) لا يكون ؛ شأنه فيه شأن أي راوية آخر متقدم . أما قوله بأن اختيار حماد

---

(١) جمهرة أشعار العرب ٧٥ وانظر كذلك العمدة ٦١/١ والمزهر ٤٨٠/٢ مع اختلاف في الألفاظ
(٢) ١٨٨/١ وكذا في الخزانـة ١٦٢/٣ (٣) ٢٠٦/١ (٤) الرافعي ١٨٨/٣ .
(٥) قولهم قد يكون وقد لا يكون خطأ لأن (قد) لا تدخل على نفي .

هو (أول اختيار **مدون** ... ثم جمهرة أشعار العرب) فذاك أمر لن أقول فيه شيئاً ، ولكنني سأحيل القارىء الى مقدمة المفضليات للاستاذين شاكر وهارون ، والى الفهرست (١) لابن النديم اذ يقول : (ولم يرَ لحماد كتاب وانما روى عنه الناس ، وصنفت الكتب **بعده**)، أما : أين ذهب الناس الذين رووا عنه المعلقات وما أسماؤهم ، فالله أعلم ، لأنه سؤال يوجه للنحاس والرافعي ، ولا يوجه الينا . هذا مع الترجيح أن ابن النديم أدرك آخر أيام أبي جعفر النحاس أول منكري التعليق ، ولا أدري كيف يختلفان في هذا . أنصدق **وراقاً** تصير الكتب كلها اليه ، ويعيش في قلب **العراق** ، أم نصدق النحاس – **النحوي** – الذي ولد وعاش ومات في مصر ، ولم يأت العراق الا قليلاً ؟ وان كان اختيار حماد هو الأول وصاحب الجمهرة هو الثاني ، فأين يقع ترتيب المفضليات والاصمعيات والحماسة التمامية وكلها ظهرت قبل الجمهرة ؟

ثم يأتي دور المستشرقين ، فنذهب الى ريجيس بلاشير (٢) فإذا به يقول بأن (« المعلقات » اسم استعمل منذ القرن الثالث للهجرة . . والمذهبات اسم أطلقه ابن قتيبة على قصيدة عنترة) (٣) ، (وقد استند صاحب الجمهرة على تقليد لا جدال فيه ، عندما أطلق اسم المعلقات على القصائد السبع الأولى) (٤) ، (وبما أن هذه التسمية مدعاة للبس ، اخترعت ... اسطورة تفسر منشأها) (٤) ؛ (ويظهر أن علماء العراق في القرن الثالث ... كانوا يجهلون أصل التسمية (٥) والاسطورة التي رافقتها ، فلم يشر اليها ابن الكلبي (٦) ولا مؤرخو مكة ، ولا من ورد ذكره ... في كتاب الأغاني ؛ وقد نذهب الى أبعد من ذلك بأن النحوي المصري (٧) المتوفى سنة ٣٣٨ ... يرفض الاسطورة تماماً . حتى اذا جاء المستشرقون وقفوا الموقف ذاته مستندين على حجج تاريخية (٨) . بيد أنهم يترددون

(١) ص ١٣٤ (٢) تاريخ الادب العربي لبلاشير ١٥٢/١ - ١٥٧ (٣) ١٥٣/١ (٤) بلاشير ١٥٤/١
(٥) تدعيماً لهذا الرأي علق بلاشير في الحاشية قال : (اطلق ابن كيسان المتوفى سنة ٢٩٩ هـ على كتابه عنوان « شرح السبع الطوال الجاهلية ») عن حاشية ص ١٥٥ (٦) لاحظ الخلاف بينه وبين الرافعي .
(٧) يقصد ابا جعفر النحاس (٨) عند هذه الكلمة علق بلاشير في الحاشية قال (اذا لم يكن بوكوك من أنصار الرفض المطلق فان رايشك وهانستنبرغ وسلفستر دي ساسي يردون الاسطورة والتسمية معاً) حاشية ص ١٥٦

في قبول معنى المعلقات [١] ، وتعتبر فرضية نولدكه أقرب الى المعقول ، ويقول هذا العالم بأن مؤرخي العرب في القرون الوسطى يستعملون كلمة بمعنى العقد أي السمط عنواناً لكتبهم ، وهذا ما جرى للمعلقات التي سميت بالسموط [٢] . ويجب متابعة « ليال » عندما قال : ان المعلقات مشتقة من العلق وهو ما يضنّ به ... ومما يدعو الى قبول هذا الرأي أن ابن رسته أحد جغرافيي العرب في القرن الثالث ... أسمى كتابه « الأعلاق النفسية » فمعنى المعلقات اذن : عقود من أحجار كريمة تعلّق .)

هذه هي خلاصة رأي ريجيس بلاشير في المعلقات ، وأبرز ما يلاحظ فيه ثلاث نقاط :

الأولى هي اعتماده على رفض النحاس لقصة التعليق ، وكأنما أعجزه أن يجد للنحاس قريناً .

والثانية هي اعتقاده بأن التسمية بالمعلقات سبقت « قصة التعليق » .

والثالثة هي أنه أراد أن يعلل التسمية على غير أساس التعليق بالكعبة ، فتخبط وتخبط معه الكثيرون ؛ فمن قائل انها من العلق وهو النفيس ، وقائل انها من « علّق » بمعنى كتب ، وقائل بأنها من تعلق البيت بتاليه وغير ذلك . وفوق هذا فهم يرتابون بتعدد التسميات التي تطلق على هذه القصائد : من معلقات ومذهبات وسموط وسبع طوال .. ولست أدري ما المانع في أن تختلف التسمية أو تتعدد النعوت ما دام المسمى أو المنعوت واحداً ، أفلم تتعدد عندهم أسماء الاشخاص بله الأشياء ؟ ألم يكن مهلهل هو عدياً نفسه ، وامرأ القيس نفسه ؟ بل ألم يكن لمكة عندهم تسعة عشر اسماً [٣] ؟؟ .

---

(١) ويعلق بلاشير ايضاً عند هذه الكلمة في الحاشية فيقول (... ويعتقد فون كريمر ان الكلمة مشتقة من علق أي كتب ...) وهذا بعيد لأن (... فعل علق بمعنى دون استعمال متأخر ...) وكذلك(... لايسعنا الا رد مصدر التسمية التي اقترحها آهلوارد القائل بأن المعلقات معناها تعلق معنى البيت ببيت يليه) من حاشية ص ١٥٦ (٢) ثم يعلق بلاشير عند هذه الكلمة في الحاشية فيقول بأن (كلمة السمط أو السموط قد وردت في الكتب منذ أواخر القرن الثالث للهجرة) عن حاشية ص١٥٦

(٣) منها : صلاح وأم رحم والقرش والقادس والناسة والحاطمة والرأس وكوثاء . . الخ انظر ص ١١ من تاريخ الكعبة لحسين باسلامة

أما المستشرق الالماني كارل بروكلمان فهو يبسط رأيه بكل هدوء فيقول [١] (وأقدم ما بقي من مجموعات القصائد الكاملة ، هو الاختيارات التي جمعها حماد الراوية ، وسماها على غرار عناوين الكتب الاخرى : السموط ، أو الاسم الآخر المألوف وهو المعلقات . وأراد حماد من هاتين التسميتين الدلالة على نفاسة ما اختاره ، والافتخار بخالص اختياره . وزعم المتأخرون أنها سميت معلقات لأنها كانت معلقة على الكعبة لعلو قيمتها . ولكن هذا التعليل انما نشأ من التفسير الظاهر للتسمية ، وليس سبباً لها ، كما هو رأي نولدكه) .

ولكي نقف على رأي نولدكه ــ هذا ــ نعود الى الزيات [٢] فنراه يقول بأن نولدكه وضع (كتاباً في هذا الموضوع رجح فيه أن المعلقات معناها المنتخبات ، وإنما سماها حماد الراوية بهذا الاسم تشبيهاً لها بالقلائد .. واستدل على ذلك بأن من أسمائها : السموط .. وشايعه على هذا الرأي .. كليمان هيار الفرنسي) .

هذا أهم ما قيل في القديم والحديث حول قبول فكرة « التعليق » أو رفضها . وقد لاحظتَ ولا شك من خلال المناقشات والآراء السابقة ، أن هذه القصائد حملت مع الأيام أكثر من تسمية واحدة ، بل إني لأستطيع أن أحدد لك هذه التسميات جميعاً بسبع : اثنتين غير شائعتين أبداً ، وسأحدثك عنها ، وخمس شائعة هي : المذهبات ــ الطوال ــ المعلقات ــ السموط ــ القصائد . وعندي أن أقدم هذه الأسماء : « المذهبات » وقد استعملها ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ في ترجمة عنترة [٣] ؛ وآخرها : « القصائد » وقد استعملها النحاس [٤] ، فالزوزني [٥] ، فالتبريزي ، فصاحب المثل السائر [٦] . أما « الطوال » و « المعلقات » و « السموط » فتلك تسميات استعملت ما بين منتصف القرن الثالث وأوائل القرن الرابع ،

---

(١) ١ / ٦٧ . (٢) تاريخ الادب للزيات ص ٣٢ (٣) الشعر والشعراء ٢٠٦/١ ، وممن استعملها بعده : صاحب العقد الفريد ٢٦٩/٥ والعمدة ٦١/١ وخزانة الأدب ١٢٣/١ والمزهر ٢/ ٤٨ وغيرهم
(٤) سبقت هذه التسمية للنحاس في ص ٣٤ من هذا الكتاب (٥) انظر مقدمة الزوزني في هذا الكتاب
(٦) سميت في المثل السائر ص ٧٢ « القصائد السبع الطوال »

ثم انتشرت بعد ذلك[١] .

وأما الاسمان غير الشائعين فهما « السبعيات » و « الجاهليات » . وممن استعمل : « السبعيات » الباقلاني صاحب اعجاز القرآن[٢] ، والبغدادي صاحب خزانة الأدب[٣] .

أما تسمية « الجاهليات » فنجدها عند ثلاثة ممن ترجموا لابن الانباري ، أولهم ياقوت[٤] المتوفى سنة ٦٢٦ هـ ، وثانيهم القفطي[٥] المتوفى سنة ٦٤٦ هـ ، وثالثهم ابن خلكان[٦] المتوفى سنة ٦٨١ هـ . وننبه هنا أن معظم كتاب التراجم لا يعبؤون بتحري الاسماء الصحيحة للكتب[٧] .

وعلى ذكر التسميات ، نعود الى التسمية الاولى « المذهبات » لنقول فيها كلمة لا بد منها :

قد يقول قائل بأن الجمهرة تضمنت سبعاً باسم « معلقات » وسبعاً باسم « مذهبات » فكيف يقال ان المسمى بهما واحد ؟ — الواضح أن القرشي في اختياره كان كمن يختار من الثمرات قدر ما يتسع له اناؤه ، والذي حدد له هذه « السعة » بـ (٧) ، أن المعلقات في عرف الناس سبع ، فلما ألزم نفسه بهذا الرقم وجب عليه تبعاً لذلك — وهذا ما فعله — أن يضرب صفحاً عن كل مرثية رائعة بعد السبع ، حتى لو كانت تستحق الاختيار ، ووجب عليه بالمقابل ، عندما لا تقع له من المشوبات الرائعة — مثلاً — الا أربع أو خمس ، أن يزيد عليها حتى تبلغ « السبع » ، ثم ضيّق على نفسه أكثر فأكثر ، فجعل هذه

(١) ممن سماها « الطوال » : ابن كيسان (نزهة الألباء ١٦٢) وصاحب الجمهرة (ص ٧٥) والانباري وابنه (البغية ٣٨٠ والفهرست ١١٢ ونزهة الألباء ١٨١) والأزهري (ياقوت ١٦٤/١٧) والمثل السائر ٧٢ . وممن سماها « المعلقات » ـ عدا الشراح ـ صاحب الجمهرة ، والعقد الفريد (٢٦٩/٥) والعمدة (٦١/١) والعباسي (معاهد التنصيص ٤/١) وابن خلدون (المقدمة ٥٨١) وخزانة الادب (١٢٣/١ - ٣٧٩/٣ - ٢٧٣/٤) وحاجي خليفة . وممن سماها « السموط » : القرشي وابن رشيق والسيوطي (٢) ١٠/٢ (٣) ١٤٤/٣ . (٤) ٣١٢/١٨ (٥) انباه الرواة ٢٠١/٣ (٦) وفيات الأعيان ٤٦٣/٣ (٧) من ذلك مثلاً أن صاحب طبقات الادباء (ص ٢٠٢ و ٢٥٥) أطلق تسمية « السبع الطوال » على شرحي النحاس والتبريزي رغم انهما سمياها « القصائد » كما مر ، وسمى اليافعي في مرآة الجنان (٣٢٧/٢) شرح النحاس « المعلقات السبع » . وفي ايضاح المكنون سمي شرح ابن الانباري « السبع الطوال » مرة (٣/٢) ، و « المعلقات السبع » مرة اخرى (٥١٣/٢) ومثل هذا كثير .

« السبعات » سبعة ، وراح يبحث لها عن أسماء ، فأخذ اسم « المذهبات » و « المراثي »[١] من ألسنة الناس ، وزاد عليها : المشوبات والملحمات و ... حتى اكتملت كما أراد .. وهل للقرشي وقد أحس « أزمة أسماء » أن يدع تسمية موفقة كهذه ..!

أخيراً : بقي أمامي موضوع واحد صغير يتعلق بعدد المعلقات وتسمية أصحابها . والقول فيه : أن أحداً لم يقل بزيادة المعلقات على سبع . حتى الخطيب التبريزي صاحب « شرح القصائد العشر » لم يقل هذا ؛ بل كل ما في الأمر أنه وجد رواةً يعدون قصيدتي عنترة والحارث من المعلقات ، ورواةً قلة آخرين لا يعدونهما منها بل يستبدلون بهما قصيدتي النابغة والأعشى . فأراد أن يرضي اولئك وهؤلاء ، فألحق بالسبع المشهورة قصيدتي الأعشى والنابغة . وما دام باب الزيادة قد فتح ، فلا عليه اذن أن يلحق بهما قصيدة لعبيد ، ليس باعتبارها معلقة ، ولكن لإتمام التسع ، عشراً[٢] .. ولكي يتحرّز التبريزي من اللوم على ما فعل ، برّأ ذمته على رؤوس الأشهاد فقال في مقدمة شرحه (سألتني ادام الله توفيقك أن ألخص لك شرح القصائد السبع مع القصيدتين اللتين أضافهما اليها أبو جعفر[٣] أحمد بن محمد ... قصيدةِ النابغة الذبياني .... وقصيدةِ الأعشى ... ، وقصيدةُ عبيد بن الأبرص البائية تمامُ العشر) .

وهكذا نرى ان النحاس أول من أنكر « التعليق » ، وأول من عزف عن اسم « المعلقات » ، وأول من ألحق بالسبع اثنتين لاختلاف الرواة فيها . ولعل بعض الادباء اليوم[٤] أضلهم صنيع النحاس والتبريزي ، فتوهموا اختلاف القدماء حول عدد المعلقات ، وماهم مختلفون[٥] ؛ وهذا هو القفطي[٦] في القرن السابع الهجري ، يترجم للنحاس وينبه الى زيادة القصيدتين في شرحه .

---

(١) لدى ابن سلام طبقة سماها « أصحاب المراثي » . (٢) جاء في آخر المعلقة السابعة من شرح التبريزي : « هذه آخر القصائد السبع ، ومابعدها المزيد عليها » . (٣) اي النحاس ، انظر زيدان ١٠٥/١ (٤) كالغلاييني في الشرق ، وبروكلمان (٦٨/١) وبلاشير (١٠٦/١) في الغرب (٥) في العمدة (٦١/١و٦٦/١) لم يجعل ابن رشيق شعراء المعلقات تسعة ولكنه انكر على ابي عبيدة والمفضل استبدالهما الأعشى والنابغة بعنترة والحارث (٦) انباه الرواة ١٠١/١

أما زيدان[١] الذي اتهم القرشي بجعل المعلقات ثماني ، فلو قرأ مقدمة الجمهرة (ص ٧٥) ، أو العمدة (١/٦١) ، أو المزهر (٢/ ٤٨٠) لفطن الى أن القرشي لم يجعل جمهراته ستاً ومعلقاته ثماني – بزيادة قصيدة عنترة – ولكن النساخ هم الذين رفعوا فارسهم من أصحاب المجمهرات وضموه لأصحاب المعلقات .

وليس العجب في هذا وذاك ، ولا في استبدال شاعرين بآخرين نتيجة الخلاف ، ولا في اختلافهم حول معلقة الاعشى والنابغة – دون سائر المعلقات – «أي اللاميتين معلقة الأعشى ؟؟ أدالية النابغة معلقته أم الرائية ؟؟ » . . ولكن العجب كل العجب أن تبحث عن الحارث بن حلزة في سائر مختارات الجمهرة البالغة تسعاً وأربعين فلا تقع له على أثر . . ! والعجب كذلك ألا يكتفي ابن خلدون[٢] بجعل النابغة مكان الحارث ، والاعشى مكان ابن كلثوم – ضناً منه بعنترة – ، بل هو يطلع علينا بجديد ، فيعد علقمة بن عبدة من أصحاب المعلقات مكان لبيد . وأظن – مجرد ظن – أن حديث حماد حول سمطي علقمة[٣] قد آتى أُكُلَه عند هذا المؤرخ ، أو أن تفوّق علقمة على امرىء القيس في قصتهما مع أم جندب هو الذي أغرى ابن خلدون بذكره .

ومن يدري ! لعل سقوط الحارث بن حلزة من جمهرة القرشي هو الذي جعل بروكلمان يقول : (... وهؤلاء الشعراء .. هم أشهر شعراء الجاهلية ... ما عدا الحارث بن حلزة ، وقد وقف نولدكه على السبب الذي حمل حماداً على ضم الحارث الى مجموعته ، وذلك أن حماداً كان مولى لقبيلة بكر بن وائل ، وكانت هذه القبيلة في عَداء دائم مع قبيلة تغلب ... ، ولما كانت قصيدة عمرو بن كلثوم قد لقيت شهرة واسعة لتمجيدها قبيلة تغلب ... لم يسع حماداً أن يعدل عن اختيارها ، ولكنه اضطر الى ... وضع قصيدة أخرى الى جانبها تشيد بمجد سادته .. بكر بن وائل . وهكذا اختار قصيدة سليل هذه القبيلة ، وهو الحارث ابن حلزة القليل الشهرة ...)[٤] .

والذي أراه : أن بروكلمان – بصرف النظر عن رأيه في تعليق هـــذه

---

(١) ١/٨٠ و ١٠٥ (٢) المقدمة ٥٨١ (٣) الاغاني ٢١/٢٢٥ أو المفضليات ٣٩٠ وقد مر هذا الحديث في ص٣٩ من هذا الكتاب (٤) بروكلمان ١ / ٦٧ - ٦٨ .

القصائد بالكعبة أو عدم تعليقها — وورّط نفسه في أمر كان في غنى عنه ، ثم راح يلتمس لنفسه مخرجاً مما تورّط فيه ؛ ذاك أنه نفى عن الحارث بن حلزة اشتهاره ، ثم التفت إلى نولدكه يستعين به على تعليل اختيار حماد لقصيدته. والمعروف أن الحارث كان أحد الكبراء في بكر ولم يكن من دهمائها . والمعروف كذلك أن الحادثة والبلاط اللذين قيلت فيها معلقة ابن كلثوم هما الحادثة والبلاط اللذان قيلت فيها معلقة ابن حلزة ، وطبيعي ألا تذكر الأولى إلا ذكرت الثانية ، لأنها رد عليها ، أو قل **نقيضة** لها ، كنقائض جرير والفرزدق تماماً . زد على ذلك أن بكراً هي التي خرجت ظافرة في تلك المعركة الشعرية مع تغلب، وأن الحارث هو الذي رفعت دونه الستور آنئذ ، وهو الذي شارك ابن هند طعامه ، رغم ما كان فيه من برص ، وما كان في ابن هند من طيرة بمن بهم سوء[١] . وان كان الحارث « قليل الشهرة » — كما أورد بروكلمان ، وشايعه بلاشير[٢] — فعلام انطلقت ألسنة القوم بالمثل « أفخر من الحارث بن حلزة[٣] »؟ وعلام يصفه ابن دريد[٤] بـ (**صاحب القصيدة المشهورة** بين يدي الملك المنذر ..) ؟

وما دمت قد أدليت في الموضوع دلوي ، فنثرت هنا وهناك بعض ما أرتئيه ، فلا عليّ إذن أن أفرغ ما بقي في الجَعبة — من غير تكرار — فأورد للقارىء ما قد ذهب إليه ظني — أو يقيني — لعله واجدٌ فيه غير ما أجد :

أ — النحاس هو أول وآخر من أنكر التعليق ، فكيف لم يسبقه أحد — من شراح وأدباء — الى هذا الانكار ، مع العلم أنه لم يكن اقدم شراح المعلقات ؟؟ وكيف لم يؤيده في ذلك أحد بعده ؟

يحتج من يرفض « التعليق » أن الذين سكتوا عن ذكر خبره كثر ، وهذا صحيح ، ولكن .. من الذي قال بجمع حماد للمعلقات غير **واحد** فرد هو النحاس المتوفى سنة ٣٣٨ ؟ أليس القائلون بالتعليق **اكثر من واحد** على أي حال ؟

(١) انظر القصة في ترجمة الحارث قبل معلقته
(٢) بلاشير ١٥٦/١
(٣) مجمع الأمثال ٣٦/٢ ، وغيره من كتب الأمثال
(٤) الاشتقاق ٣٤٠

أليس فيهم من سبق النحاس بكثير أو عاصره ، كابن الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ وابن عبد ربه المتوفى سنة ٣٢٨ ؟

ب - منذ أيام الاحنف وابن عباس وابن أحمر وابن مقبل ... وأيام جرير والفرزدق وذي الرُّمة .. والنـــاس مختلفون في أشعر الشعراء[1] ؛ وليس في بلاطات الملوك وفي مجالس السمر أو العلم سوى الجدال حول هذا أو ذاك من الشعراء السبعة أو التسعة ؛ وليس في كتب الأدب شيء أكثر من الكلام على أبيات من المعلقات[2] وأخبار شعرائها ؛ بل ان كثيراً من هذه الاخبار يعود تاريخها الى ماقبل حماد ، لأن الذين جرت على ألسنتهم فتناقلوها وتذاكروها لم يدركهم حماد ، أفبعد كل هذا ، وبعد أن أتخم الناس من شعر أصحاب المعلقات وأخبارهم يجيء جاء - كحماد - فيكتب المعلقات في قرطاس ، ويقول هذه من صنعتي ؟؟ لو فعل فاعل هـذا لكان كمن دعا صينياً الى أكلة رز ثم منّ عليه بها مناً كثيراً . ولعل هذا هو السبب الذي منع الضبي ثم الاصمعي من ايراد المعلقات أو بعضها في اختياريها ، فمـا كان لهذين الراويتين الكبيرين أن يضعا **بين أيدي الناس ما هو في صدورهم، ومن محفوظهم.**

ج - اختار الضبي ، فعرف الناس له اختياره وسموه « مفضليات » ، واختار الاصمعي فعرفوا له اختياره أيضاً وسموه « أصمعيات » ، حتى صاروا اذا نعتوا قصيدة مختارة قالوا : « أصمعية مفضلية »[3] فكيف لم يُعرف لحمـاد اختياره هذا ، ولم يذكره أحد ، لا باسم « حمّاديات » ولا باسم آخر غيره ؟؟ وان صح اختياره لها فلم سماها « معلقات » ؟ ألا تؤمن معي أن كل ما قيل في تفسير معنى المعلقات متمحّل ... متكلّف .. متعمّل .. بعيد[4] . وماذا نصنع بالخبر المنقول عن معاوية بن أبي سفيان أنه قال : (قصيدة عمرو بن كلثوم وقصيدة الحارث بن حلزة من مفاخر العرب ، وكانتا معلقتين بالكعبة دهراً)[5] ؟ وهل نتجاهل عمداً فنزعم أننا لم نقرأ قول ابن خلدون (انما كان يتوصل الى تعليق الشعر بها من كان له قدرة على ذلك بقومه وعصبيته ومكانه في مضر)[6] ؟ ..

د - ان اختلاف الادباء في تسمية الشعراء السبعة ليدل دلالة قاطعة على صحة

---

(١) انظر ص١٢ من هذا الكتاب (٢) تعليقاتنا على ابيات المعلقات في هذا الكتاب دليل قوي على ذلك.
(٣) الاغاني ٣ / ٢٦٦ وانظر مقدمة الشعر والشعراء أيضاً (٤) راجع ص ٤٣ من هذا الكتاب
(٥) خزانة الادب ٣ / ١٦٢ ورجال المعلقـــات ١٩٨ (٦) مقدمة ابن خلدون ٥٨١

التعليق بالكعبة ، ولو أن حماداً أو غيره اختار المعلقات ، فجمعها بين دفتي كتاب لعُرفت بين الناس وشاعت على الشكل الذي وضعها فيه حماد ، ولما وقع الخلاف بين **فحول** النقـــاد في أسماء **فحولة**(١) الشعراء ، خاصة أن الخلاف قريب العهد من حماد .

هـ – بل .. لو كانت هناك مجموعة من صنع هذا الراوية – حماد – لما أقدم أبو زيد القرشي على ضم هذه المجموعة الى مختاراته ؛ فحقوق التأليف عند القدماء مرعية حتى لو لم يكن لديهم قانون يحميها كيومنا هذا . ألم يتعقب القدامى – كتعقب الجناة – كل من سرق معنى ، أو عارض قصيدة ، أو قلد كتاباً ؟ اذن **فهل كان للقرشي ان يسرق مجموعة حماد بأكملها؟** أنا لا أشك ابداً ان القرشي لو فعل هذا لما استطاع أن يفلت من « فريق القناصة » من النقدة ، اللهم إلا اذا تحرز منهم فأسند اختيار المعلقات إلى حماد ، جرياً على عادتهم في اسناد كل خبر الى صاحبه – وهذا ما لم يقله – أضف الى هذا وذاك :

: أن صاحب الجمهرة هو الوحيد – عدا الشراح – الذي نقل الينـــا المعلقات كاملة .

: وان ظهور الجمهرة رافق ظهور أول شرح المعلقات .

: وان القرشي حرص على افتتاح مجموعتـــه بالمعلقات مثل حرصه على تحديد أسماء شعرائها . ومن خالفه (فقد خالف ما أجمع عليه أهل العلم والمعرفة)(٢) .

و – (قال ابن اسحاق : وزعم ليث بن ابي سليم أنهم وجدوا حجراً في الكعبة قبل مبعث النبي ﷺ بأربعين سنة ، مكتوب فيه : من يزرع خيراً يحصد غبطة ، ومن يزرع شراً يحصد ندامة ، تعملون السيئات وتجزون الحسنات ، أجل كما لا يجتنى من الشوك العنب)(٣) .

هذا الخبر يضعنا أمام سؤال : ما داموا قد كتبوا الحكمة على حجر – ليضمنوا بقاءها – وجعلوه في الكعبة ، فما الذي يمنع أن يكتبوا الشعر على الأدم أو غيره ثم يعلقوه على الكعبة ؟؟ .

(١) في فحولة الشعراء للأصمعي ص ١٣ (قال أبو حاتم : قلت : فما معنى الفحل؟ قال يريد ان له مزية على غيره كمزية الفحل على الحقاق) والحقاق : النوق .

(٢) انظر ص ٤١ من هذا الكتاب. (٣) عن تاريخ الكعبة ص ٥٥ .

ز – روي عن الاصمعي أنه، تحرجاً من ذكر «قيس» وهو صنم للعرب في الجاهلية، لم يكن يقول «امرأ القيس. بل «امرأ الله»[١]. وروي عن أبي عمرو بن العلاء أنه لم يكن يقرأ الشعر في رمضان، وأنه احرق في أخريات أيامه كل ما جمع من أشعار. اذن.. أفلا يكون هناك احتمال - ولو ضعيفاً – بسكوت بعض الرواة عن خبر التعليق لاشتهاره، وسكوت بعضهم الآخر محافظة منهم على هيبة الكعبة في نفوس المسلمين، وحمايتها من عبث الكلام لدى غير المسلمين، لا سيما أن بعض ما عُلق بها لم يخل من التهتك والمجون، كالمعلقتين: المرقسية والكلثومية..؟

ح – قال الاصمعي عن كل من طرفة والحارث وابن كلثوم إنه من اصحاب **الواحدة**[٢]؛ وجاء في الجمهرة[٣] عن ابن كلثوم أيضاً (ان **واحدته** لأجود سبعهم)، وقال ابن سلام (فأما طرفة فأشعر الناس **واحدة**)[٤]، وقال أيضاً عن ابن كلثوم والحارث وعنترة: (لكل واحد منهم **واحدة**)[٥]، فمن أين أتى هذا المصطلح «**واحدة**»؟ ولو لم يكن «اصطلاحاً» بينهم، أكانوا يتداولونه ناقداً عن ناقد؟ ولماذا لم يطلقوه على شعر خداش – مثلاً – مادام أشعر من لبيد، أم ان هجاءه لقريش باعد بينه وبين الكعبة والتعليق بها؟[٦] وماذا تعني كلمة ابن سلام (... وله **قصيدة**، التي أولها...)[٥] ان لم نفسرها بـ «**معلقة**»؟

وآخر ما أنقل عن ابن سلام أنه ذكر عنترة العبسي فقال (**وله شعر كثير** الا أن هذه نادرة فألحقوها **مع أصحاب الواحدة**)[٧]، وعلى هذا فلن يقال بأن اصطلاح «الواحدة» يطلق على شعر المقلين كما يزعم البعض، لأن كلمة «كثير» هنا تمنع من هذا. زد على ذلك أن لفظ «أصحاب» يحتّم أن تكون هناك فئة أو طبقة يمتاز شعراؤها عن غيرهم بأمر ما. ألا وهو تعليق شعرهم بالكعبة. ولا ضير عندنا بعد هذا، أن يدعوها معلقات أو مذهبات أو طوالاً أو .. سموطاً، لأنهم ما ذهبوها وعلقوها بالكعبة إلا زينة لها، والسمط – مذ وجد – زينة، فلتكن إذن سموط الكعبة وقلائدها وزينتها.

* * *

(١) معاهد التنصيص ١/٥ (٢) فحولة الشعراء ص ٥٩ – ٦٠. (٣) ص ٦٧. (٤) ص ١١٥، (٥) ص ١٢٧. (٦) انظر ابن سلام ص ١١٩ – ١٢٠. (٧) ص ١٢٨.

من كل ما سبق أصل الى نتيجة ثابتة واحدة هي أن العرب علقت في الجاهلية بعض الشعر على الكعبة . وقد اجتزأت بقولي « بعض الشعر » ولم أقل سبع قصائد ، لأن حدساً رفيقاً يبقي في روعي أن ما علق من الشعر لم يبلغ السبع ، بل ربما كان أربع قصائد ، ثم أكملها الناس سبعاً . ولست أقول هذا جازماً ، ولكنها « فرضية » يعوزها تأكيد أوثق ، أطرحها بين يدي القارىء للدرس فقط ، عقداً أو نقضاً :

– قال الرافعي [1] في معرض الكلام على الحديث الشريف « أنزل القرآن على سبعة أحرف » : (وانما جعلها سبعة رمزاً الى ما ألفوه من معنى الكمال في هذا العدد ، وخاصة فيما يتعلق بالالهيات ، كالسموات السبع والأرضين السبع والسبعة الأيام التي برئت فيها الخليقة ، وأبواب الجنة والنعيم) . وقال أيضاً [2] : (ألف الاديب الصفدي كتاباً في عدد السبعة لكماله وشهرته سماه « عين النبع على طرد السبع » ... .. ثم ساق – أي الصفدي – أمثلة مختلفة من استعمال الناس لفظ السبعة في كل ما يريدون به الكمال أو المبالغة أو التيمّن ..) .

وقال بلاشير [3] : (ولا يحتوي المنتخب في بادىء الأمر سوى ست أو سبع قصائد حتى غلب العدد الأخير على ما عداه ، وهذا شيء طبيعي اذا عرفنا الدور السحري الذي لعبه عدد السبعة عند الساميين عامة والعرب خاصة) ، ثم علق على هذا فقال إن عدد السبعة أطلق على كثير من الأشياء المنتخبة في مختلف الميادين ، ففي الموسيقا مثلاً : قسمت أصوات كل من معبد وسريج سبعة ألحان [4] ، كما أن قراءات القرآن سبع أيضاً .

وقد مر بك قبل صفحات أن رسول الله ﷺ قال « أعطيت مكان التوراة السبع الطوال ، وأعطيت مكان الزبور ... الخ » [5] .

فاستناداً الى هذه الفكرة يجوز لنا القول بأن المعلقات لم تبلغ سبعاً ، ولكنهم زادوا على حقيقتها حتى بلغت هذا العدد ، كما زاد الخطيب التبريزي واحدة على قصائده التسع لتتم عشراً [6] .

أما رجوعي بالعدد « ٧ » الى « ٤ » – وأثبته ثانية أن هذا محض افتراض – فالسبب فيه أني رأيت كلاً من يونس بن حبيب ومحمد بن سلام يعتمد الرقم « ٤ » فلا يتعداه . يُسأل يونس عن أشعر الناس فيقول (امرؤ القيس اذا ركب ، والنابغة اذا رهب ، وزهير

(١) ٥٣/٢ (٢) ج ٢ حاشية ص٥٤ (٣) ١٥٢/١ (٤) الاغاني ١٣٣/٩ و ٢٢٩ (٥) الاتقان للسيوطي ٥٨/١ وانظر كذلك ص٣٩ من هذا الكتاب (٦) انظر ص٤٦ من هذا الكتاب .

اذا رغب ، والاعشى اذا طرب)[١] ، ويُصنف ابن سلام طبقات شعرائه فاذا هم أربعة بعـد أربعة بعد .... الخ . نُرى ..! هل من قبيل المصادفة أن يلتقي الرجلان عند الرقم «٤» ؟ ثم يلتقي معهما عبد الملك بن مروان اذ قيل بأنه أمر بطرح شعر أربعة واثبات اربعة مكانهم[٢] ؟؟ إخال أن يونس قد أتى في قوله هـــذا على شعراء المعلقات جميعاً ، لأن انقطاع كلامه على هذا الشكل يوحي بذلك ، ولو كان يريد كافـة شعراء الجاهلية _ لا أصحاب المعلقات فحسب _ لزاد على هذا القول شيئاً ؛ فالشعر في الجاهلية لم يقتصر على هؤلاء الاربعة فقط ، وفنون الشعر في الجاهلية لم تقتصر على فنون هؤلاء الاربعة « غزل – اعتذار – مدح – خمريات » . هذا مع العلم أن يونس كان (عالماً بالشعر ... **عارفاً بطبقات شعراء العرب** حافظاً لأشعارهم **يرجع اليه في ذلك كله**)[٣] ، وكانت وفاته سنة ١٨٢ هـ – **أي بعد حماد ، وقبل ابن سلام** .

أما ابن سلام فهاك ما قاله في مقدمة طبقاته[٤] : (... ثم انا اقتصرنا **بعد الفحص والنظر والرواية عمن مضى من اهل العلم الى رهط أربعة على أنهم اشعر العرب طبقة ثم اختلفوا فيهم بعد**) . ان ابن سلام لم يكتف ان انتقى من مصطلحات النقاد والرواة ادقها وأعمقها بل راح يدعم **الفحص بالنظر** ، والنظر **بالرواية** على نحو تلمس فيه اصراراً شديداً على انتزاع الشك من نفسك ليحل محله يقين قاطع ، وان كنت ممن لا يؤمنون بالفحص والنظر بدعوى أنهما لا يعصمان من الزلل مهما بلغا من الدقة والحصافة فان ابن سلام يؤكد الفحص بالرواية الموثوقة المسندة الى **أهل العلم** ، لا مَن تأخر منهم ، ولكن **من مضى** فكان اقرب للجاهلية . وبعد هذه السلسلة من النظر وجمع الروايات وفحصها للتأكد أنها عن **أهل علم قد مضوا** ... يحط صاحبنا رحاله عند رهط **اربعة** ، ليس على أنهم أشعر صقع أو عصر أو قبيلة ، ولكن على انهم أشعر **العرب** بالمعنى المطلق الرحيب لكلمة عرب ؛ ثم يقرن بهـا كلمة أخرى ذات مغزى فيقول « **طبقة** » . اقول « ذات مغزى » لأن ما أفهمه من كلام ابن سلام هو : « طبقة أشعر العرب أربعة » . ترى .. ماالذي ضمهم في « طبقة » بعد شتات ؟ وما الذي ميّزهم عن الآخرين فكانوا « أشعر العرب » ؟ ولم كانوا **بعد الفحص والنظر والرواية** ... « أربعة » ؟؟

---

(١) معاهد التنصيص ١/٦٩ وياقوت ٢٠/٦٥ (٢) خزانة الادب ١/١٢٤ (٣) ياقوت ٢٠/٦٥
(٤) ص ٤٢ .

من هنا يذهب بي الظن أن قولنا «طبقة أشعر العرب أربعة» معناه «طبقة شعراء المعلقات أربعة» ، ولهذا السبب – بالذات – التزم التقسيم الرباعي في معظم طبقات ابن سلام ، كما التزم التقسيم السباعي في جمهرة القرشي ، اعتماداً منه على العرف الشائع بين الناس أن المعلقات سبع . ولست أعني بهذا أنها زادت من أربع قصائد إلى سبع في غضون السنوات التي تصرّمت بين ابن سلام والقرشي ، ولكن الذي أقوله – بل قلته – ان ابن سلام رجع بها الى أربع بنتيجة الفحص والنظر والرواية ولم يعتبر الشيوع والعرف حجة ، ولو كان العرف في أيامه أنها أربع لما احتاج الى أن يفحص وينظر و.... ولست أدري ؟ أفعل الأصمعي – حين ألف كتابه «القصائد الست» – مثلما فعل ابن سلام ، ففحص ونظر... ثم ذهب الى أن المعلقات أربع ، ولكنه زاد عليها اثنتين من القصائد المختلف فيها ؟ أم الشائع في أيامه أنها ست ؟؟ ان صح أن كتاب « القصائد الست »[1] – وهو مفقود – شرح للمعلقات ، وصح معه سؤالنا الأول هنا فمعنى ذلك أن كلاً من الناقدين الكبيرين يرجح ما نذهب اليه . زد على هذا أن الاصمعي توفي قبل ابن سلام بخمس عشرة سنة ، وأن الكثرة الكاثرة ممن جعلوها سبعاً وُجدوا بعد يونس وبعد الاصمعي وابن سلام.

ولعل آخر ما يقال في ترجيح العدد « ٤ » أن الشعراء الذين عدهم يونس المتوفى سنة ١٨٢ هـ « فلان إذا ركب وفلان إذا رهب .. . الخ » هم أنفسهم شعراء الطبقة الاولى عند ابن سلام المتوفى بعد صاحبه بنصف قرن « ٢٣١ هـ » .

وقد لاحظت ولا شك أن ابن سلام – في قوله المذكور آنفاً – يعترف باختلاف الناس فيهم بعد ذلك ، بمعنى أنه شهد اختلافهم بنفسه ؛ وعندي أن هذا الخلاف هو الذي جرَّ الى الزيادة ، لأن قوله «الى رهط أربعة» ثم قوله «اختلفوا فيهم بعد» يدلان أتم دلالة على وقوع الخلاف في عددهم ، وليس في أسمائهم فقط .

وكما رجحت حتى الآن أن تكون المعلقات في أصلها أربع ، فأنا أرجح أن يكون أصحابها هم الذين ذكرهم يونس في حديثه ، والجمحي في أولى طبقاته . أما الاربعة الذين حاول عبد الملك أن يُحلهم محل أولئك فهم – في ظني – اثنان من مضر «لبيد وعنترة» ، واثنان من ربيعة «الحارث وعمرو» ، الاول من بكر والثاني من تغلب .

ولا بد لي هنا من التذكرة بأمرين :

الأول أن معاوية قال : (قصيدة عمرو بن كلثوم وقصيدة الحارث بن حلزة من مفاخر

(١) فهرست ابن النديم ٨٢ وانظر بلاشير ١/ ١٥٢

العرب وكانتا معلقتين بالكعبة دهراً)[١] .

والثاني أن العراق – وفي أطرافه بكر وتغلب – أذاق الأمويين في أول أمرهم رهقاً .

اذن .. فلا يبعد أبداً أن يكون مقصد معاوية – وعبد الملك من بعده – هو استرضاء بكر وتغلب معاً ، اذا هو أعلى شأن شاعريها .. وما دامت أمية من قريش ، وقريش من مضر فلا مناص له أن يرفع الى « السدة الذهبية » اثنين من **مضر** « لبيداً وعنترة » ، مقابل ذينك الشاعرين من **ربيعة** ، وقد نص ابن سلام على « **إلحاق**»[٢] قصيدة عنترة بأصحاب الواحدة .

أما طرفة بن العبد فلقد رأيت بنفسك أن يونس لم يعده في الأربعة الذين ذكر ، كما لم يعده ابن سلام في الطبقة الأولى . والظن أنه لم يكن كذلك من الأربعة الذين روّج لهم الأمويون ، لأن ابن خلدون قال (انما كان يتوصل الى تعليق الشعر بها – أي بالكعبة – من كان له قدرة على ذلك بقومه وعصبيته ومكانه في مضر) ، ونحن نعلم أن طرفة : ليس من مضر ، مقل في الشعر ، يافع لم يحنكه الزمان ، مُبعد عن قومه كما قال هو عن نفسه[٣] ، طائش يتخلج في مشيته بشهادة خاله المتلمس[٤] ... فأين كلام ابن خلدون من هذه الصفات ..! وعلى هذا فقد يكون صغر سنه مع جودة شعره أو وصفه المطول الدقيق للناقة ، أو الشفقة التي جمعت قلوب النـــاس حوله بـسبب القِتلة الشنعاء التي لقيها .. سبباً في ضمه الى شعراء المعلقات المذهبات ، والسدة الذهبية . ولا ننس أن أخته الخرنق حين رثته فبكت وأبكت ، أسهمت في اشتهاره بنصيب وافر ، فضلاً عما كان لقصة موته وصحيفته – مع خاله – من غرابة وشهرة . والا فلِمَ ضُرب المثل بـ «صحيفة المتلمس »[٥] ؟ ولم هذه الافاضة لدى كتب الأمثال في سرد قصة الصحيفة ؟ بل في غير كتب الامثال أيضاً ..!

وهكذا ترى أن الشعراء التسعة الذين أحدثك عنهم « ٤ ذكرهم يونس ثم ابن سلام في أولى طبقاته + ٤ أضافهم بنو أمية + طرفة = ٩ » هم أنفسهم الشعراء السبعـة لدى الزوزني وغيره من الشراح مع زيادة الشاعرين المختلف فيهما وهما النابغة والأعشى .

وأنبه للمرة الاخيرة أن ما ذكرته حول قصْر المعلقات على أربع هو مجرد «فرضية» آملُ أن تؤخذ بالدراسة .

---

(١) خزانة الأدب ١٦٢/٣ ورجال المعلقات ١٩٨ . (٢) ابن سلام ص ١٢٨ وانظر ص ٥١ من هذا الكتاب . (٣) البيت ٥٢ من معلقته . (٤) الأغاني ٥٤٢/٢٣ . (٥) مجمع الامثال ٤١٢/١ .

وقبل ختام هذا الفصل أعترف أني ما قرأت مرة قول ابن سلام «... أشعر العرب طبقة» إلا تعاورتني الظنون بأن المعلقات هي السبب في ظهور فكرة «الطبقة أو الطبقات» حتى غدونا مع الايام – نسمع بما يسمى طبقات الادباء والأطباء والنحاة والقراء والشافعية و.. و.. الخ .

٦

شروح المعلقات وطبعاتها

حظيت المعلقات بشهرة واسعة في القديم والحديث ، فشرحها زهاء الثلاثين ، وترجمت الى لغـات عدة ، وطبعت بعض شروحهـا ، كما طبعت مرات من غير شرح حتى بلغت طبعاتها قرابة الثمانين طبعة : بين مشروحة وغير مشروحة ، وبين كاملة أو متفرقة أي كل معلقة على حدة . وفيما يلي : سأذكر من وقع لي اسمه من الشراح ، ثم أعقب على ذلك بسرد الطبعات من غير حصر . ولكم كنت أود أن أصل الى معرفة اول شراح المعلقات – على وجه الدقة – ولكن ذلك لم يتأتَّ لي لأسباب :

منها : أني لا أستطيع الجزم بأن كتاب «القصائد الست[1]» للأصمعي هو شرح المعلقات ، ولو تأكد ذلك لكان الاصمعي المتوفى سنة ٢١٦ أول الشراح .

ومنها : ان وفاة ابن كيسان مختلف فيها[2] ، فمن قائل انها سنة ٢٩٩ ، وقائل انها سنة ٣٢٠ ، وهذا طبعاً يؤثر في ترتيبه التاريخي بين شراح المعلقات

ومنها كذلك : أن أبا زيد القرشي غير معروف الوفاة ، وان كانت – على الاغلب – في أواخر القرن الثالث .

ومنها أخيراً : أن بعض كتب التراجم جعلت شرح السبع الطوال للقاسم بن محمد الانباري[3] المتوفى سنة ٣٠٤ ، على حين أن كتباً أخرى جعلته لابنه محمد[4] المتوفى سنة ٣٢٨ ، و كتباً غيرها ذكرت لكل منها شرحاً[5] .

أما آخر الشراح فلعله محمد بدر الدين النعساني الحلبي[6] المتوفى في الربع الاول من هذا القرن ؛ ولم أذكر الشيخ أحمد الشنقيطي لأن صنيعه في المعلقات لا يسمى شرحاً .

---

(١) الفهرست ٨٢ – بلاشير ١٥٢/١ (٢) انظر المزهر ٤٦٥/٢ أو ياقوت ١٣٧/١٧ أو البغية ٨

(٣) بغية الوعاة ٣٨٠ – هدية العارفين ٨٢٦/١ ، وانظر أعلام الزركلي (٤) ابن النديم ١١٢ – ابن خلكان ٤٦٣/٣ – إنباه الرواة ٢٠١/٣ (٥) ياقوت ٣١٦/١٦ و ٣١٢/١٨ (٦) معجم سركيس ١٨٦١ .

وقبل أن نأتي على ذكر الشراح نقف عند صاحبنا الزوزني قليلاً لنقول فيه كلمة لا بد منها .

الزوزني

هو الحسين بن أحمد [١] بن الحسين أبو عبدالله الزوزني (القاضي الامام المحقق) [٢] ، (إمام عصره في النحو واللغة والعربية) [٣] . وزوزن (بلدة كبيرة حسنة بين هراة ونيسابور) [٤] ، (وكانت تعرف بالبصرة الصغرى لكثرة من أخرجت من الفضـــلاء والادباء وأهل العلم) [٥] ،(وقيل إن إمارتها تعدل إمارة مدينة كبيرة بخراسان ، وكذلك القضاء بها) [٤] . وللزوزني من الآثار : كتاب المصادر « مرتب على الابجدية كالمعجم » ، وترجمان القرآن « بالعربية والفارسية » ، وشرح بائية ذي الرمة ، وشرح المعلقات السبع [٦] قال بروكلمان (وتوجد مخطوطاتها في كل مكان ،وكثيراً ما أعدت إعداداً مناسباً للدراسة) [٧] ، ولقد جاء بعض الشراح بعده كعثمان بن عبد الله التنوخي ، وعبد الرحيم بن عبد الكريم فاعتمدوا على شرحه [٧] ، واتكؤوا عليه رغم أنه شرح مختصر ، على حد قوله في المقدمة .

توفي الزوزني – باتفاق جميع المترجمين له – سنة ٤٨٦ هـ « ١٠٩٣ م » .

شراح المعلقات

١ – الاصمعي عبد الملك بن قريب ابوسعيد المتوفى سنة ٢١٦ هـ ، له كتاب القصائد الست ، وقد يكون شرحاً للمعلقات ، والكتاب مفقود [٨] .

٢ – أبو زيد القرشي محمد بن أبي الخطاب صاحب جمهرة أشعار العرب ، المتوفى في أواخر القرن الثالث ، شرح المعلقات في جمهرته بإيجاز شديد .

٣ – ابو الحسن بن كيسان محمد بن أحمد المتوفى سنـــة ٢٩٩ أو « ٣٢٠ » [٩] ، ذكره بروكلمان « ١/٧٠ » وقال انه شرح (معلقات امرىء القيس وطرفة ولبيد وعمرو والحارث) فقط ،بينما ذكر بلاشير « ١/١٥٥ » ان ابن كيسان سمى كتابه : شرح السبع الطوال الجاهلية .

٤ – أبو محمد الانباري [١٠] القاسم بن محمد المتوفى سنة ٣٠٤ « أو ٣٠٥ » هـ .

---

(١) سماه زيدان (٣/٤٦) وصاحب هدية الاحباب (ص ١٤٧) وبروكلمان (١/٢٢٣) الحسين ابن علي بن أحمد ، بينما سماه بروكلمان نفسه في ١/٧٠ الحسين بن أحمد (٢) عن كشف الظنون (٣) البغية ٢٣٢ (٤) أنساب السمعاني ٢٨١ « أ » (٥) عن معجم البلدان لياقوت (٦) هدية العارفين ١/٣١٠ واعلام الزركلي (٧) ١/٧٠ – ٧١ (٨) الفهرست ٨٢ وايضاح المكنون ٢/٢٢٧ وانظر بلاشير ١/١٥٢ (٩) ياقوت ١٧/١٣٧ والمزهر ٢/٤٦٥ ونزهة الالباء ١٦٢ (١٠) لم يذكره بروكلمان مع الشراح ، وجدته في البغية ٣٨٠ وياقوت ١٦/٣١٦ وهدية العارفين ١/٨٢٦ .

٥ – أبوبكر بن الانباري[1] محمد بن القاسم بن محمد المتوفى سنة ٣٢٨ هأو٣٢٧ه
٦ – أبو جعفر النحاس[2] « أو الصفار كما في نزهة الألباء ص ٢٠٢ » أحمد بن محمد المتوفى سنة ٣٣٨ « أو ٣٢٧ » ه وقد ألحق بالقصائد السبع قصيدتي النابغة والاعشى دون أن يعدهما من المعلقات .
٧ – أبو علي القالي[3] اسماعيل بن القاسم المتوفى بقرطبة سنة ٣٥٦ ه .
٨ – أبومنصور الأزهري[4] محمد بن أحمد المتوفى سنة ٣٧٠ ه .
٩ – أبو أسامة جنادة بن محمد بن الحسين الازدي الهروي[5] المقتول سنة٣٩٩ه ، له : نظم التفسير، وهو شرح لمعلقة امرىء القيس .
١٠ – الزوزني[6] الحسين بن احمد ابوعبد الله المتوفى سنة ٤٨٦ ه .
١١ – الوزير أبوبكر البطليوسي[7] عاصم بن أيوب المتوفى سنة ٤٩٤ ه .
١٢ – أبوزكريا بن الخطيب التبريزي[8] يحيى بن علي المتوفى سنة ٥٠٢ ، وقد ألحق بالقصائد السبع قصائد الاعشى والنابغة وعبيد دون أن يعدها من المعلقات ، فأسمى كتابه : شرح القصائد العشر .
١٣ – أبوالبركات الانباري كمال الدين[9] ، عبد الرحمن بن محمد المتوفى سنة٥٧٧ه .

---

(١) بروكلمان ٦٩/١ و ٢١٥/٢ والفهرست ١١٢ وايضاح المكنون ٣/٢ باسم السبع الطوال و ٥١٣/٢ باسم المعلقات السبع وابن خلكان ٤٦٣/٣ وياقوت ٣١٢/١٨ وسركيس ٤١ ونزهة الألباء ١٨١ وانباه الرواة ٢٠١/٣ « ذكرها مرة باسم الجاهليات وأخرى باسم السبع الطوال » .
(٢) بروكلمان ٧٠/١ و ٢٧٦/٢ – كشف الظنون – بغية الوعاة ١٥٧ – انباه الرواة ١٠١/١ – هدية الأحباب ٢٥٤ – هدية العارفين ٦١/١ – زيدان ٢١٢/٢ – ياقوت ٢٢٤/٤ باسم السبع الطوال مرآة الجنان ٣٢٧/٢ باسم المعلقات السبع .
(٣) لم يذكره بروكلمان مع الشراح – وجدته في البغية ١٩٨ – كشف الظنون – ابن خلكان ياقوت ٢٥/٧ – هدية الاحباب ٢١٦ – هدية العارفين ٢٠٨/١ انباه الرواة ٢٠٤/١ .
(٤) لم يذكره بروكلمان مع الشراح . وجدته عند ياقوت ١٦٤/١٧ .
(٥) بروكلمان ٧٢/١ . (٦) بروكلمان ٧٠/١ – كشف الظنون – هدية العارفين ٣١٠/١ هدية الاحباب ١٤٧ – زيدان ٤٧/٣ – أعلام الزركلي .
(٧) لم يذكره بروكلمان مع الشراح – وجدته في هدية العارفين ٤٣٥/١ – سركيس ٥٦٩ – كشف الظنون – بغية الوعاة ٢٧٤ « سنة وفاته في البغية غلط » .
(٨) بروكلمان ٧١/١ – سركيس ٦٢٧ – نزهة الالباء ٢٥٥ – هدية الاحباب ١٣٣ – كشف الظنون زيدان ٣٩/٣ وفي ياقوت ٢٧/٢٠ و ٢٨ أن له شرح القصائد العشر وشرح السبع الطوال .
(٩) لم يذكره بروكلمان مع الشراح – وجدته في البغية ٣٠٢ – وفي مقدمة نزهة الألباء .

١٤ – كمال الدين الدميري[١] محمد بن موسى بن عيسى أبو البقاء المتوفى سنة ٨٠٨هـ

١٥ – أحمد بن الفقيه محمد بن أبي بكر[٢] ، ألف شرحه المعلقات سنة ٨٢٨ هـ

١٦ – محمد بن بدر الدين العوفي[٢] المتوفى حوالي سنة ٨٣٣ هـ له تحفة اللبيب وهو شرح لمعلقات امرىء القيس وزهير وطرفة

١٧ – عبد الله بن أحمد الفاكهي[٢] المتوفى سنة ٩٧٢ هـ

١٨ – محمد بن علي بن فضل الحسيني الطبري[٢] . ألف شرحه للمعلقات بين ١١٥٥ و ١١٥٧ هـ

١٩ – أحمد بن محمد بن عبد الكريم الموسوي[٢] ، أرّخ شرحه للمعلقات بـ ١٢٧٣ هـ

٢٠ – أحمد بن محمد بن اسماعيل المعافى النحوي[٢] ، أتم تأليف شرحه سنة ١٢٨٧هـ

٢١ – علي بن علي الصافيوري [٢] طبع شرحه للمعلقات سنة ١٢٩١ هـ بالهند

٢٢ – الفيض السهارنبوري القرشي الحنفي[٣] المتوفى حوالي سنة ١٢٩٩ هـ ويسمى شرحه المعلقات : رياض الفيض

٢٣ – الحسيب[٤] عبد الله بن محمود بن سليمان العمري الفاروقي الموصلي ، له شرح معلقة امرىء القيس بالتركية ، طبع باستانبول سنة ١٣١٦ هـ

٢٤ – محمد بدر الدين النعساني الحلبي[٥] أبو فراس ، «كان موجوداً سنة ١٣٢٦ هـ» ، له : نهاية الارب من شرح معلقات العرب .

٢٥ – عبد الرحيم بن عبد الكريم[٢] (؟) **وشرحه المعلقات بسط لشرح الزوزني**.

٢٦ – عثمان بن عبد الله بن أبي علي التنوخي المعري[٦] (؟) **وقد اعتمد في شرحه للمعلقات على شرحي النحاس والزوزني** .

٢٧ – موهوب بن أحمد الحصري[٧] (؟) .

---

(١) لم يذكره بروكلمان مع الشراح ـ وجدته في كشف الظنون (٢) بروكلمان ١ / ٧١(٣) المصدر السابق وزيدان ١ / ١٨٨ . (٤) سماه بروكلمان ١ / ٧٢ الحسيب فقط ، وقد عثرت على اسمه الكامل في ايضاح المكنون ج ٢ ص ٢٢٩ وقال عنه انه كان رئيس مجلس التفتيش والمعاينة في دائرة المعارف العثمانية . (٥) بروكلمان ١ / ٧٢ ـــ معجم سركيس ١٨٦١ (٦) بروكلمان ١ / ٧١ وسماه صاحب ايضاح المكنون ٢ / ٥١٣ عثمان بن عبد الرحمن (٧) بروكلمان ١ / ٧١ ، وعلق الدكتور النجار «معرب بروكلمان» في الحاشية قال : (كذا بالأصل ، ولعله : الجواليقي ، فهو موهوب بن أحمد بن الحسن الخضر أبو منصور الجواليقي ، وربما اشتبه على المؤلف الخضر بالحصري) .

٢٨ – محمد بن محمود بن محمد المسكان[1] (؟)

٢٩ – أبو سعيد الضرير الجرجاني[2] (؟)

٣٠ – محمد اسماعيل الانصاري الطهطاوي[3] (؟)

وعلى الرغم من كثرة هؤلاء الشراح لا أستطيع الجزم بأن أحداً غيرهم لم يشرح المعلقات ، لأنني لم أتخذ لنفسي صفة «المستقصي» في بحثي عن أسمائهم ، وأنت ترى أني وقفت على عشرة شراح زيادة عما ذكر بروكلمان في عمله الاقرب إلى الاستقصاء .. زد على ذلك أني لم أعد الشنقيطي والغلاييني والبستاني وغيرهم مع الشراح، كما لم أعد معهم من علّق عليها وفسّر غريبها من المستشرقين لأن كل ذلك ما هو من معنى **«الشرح»** بشيء ، وكل ما أردته من سرد أسماء الشراح هو أن تحل هذه المعلقات من نفوس أهل الادب المحل اللائق بها ، لاسيما أنها من أهم المصادر التي نعتمد عليها في **فهم «الانسان العربي الاول» في الجاهلية وعالمه النفسي والفكري ، وكذلك فهم « اللسان العربي » الذي زاحم – وما زال يزاحم – بمنكبيه القويين لسن الامم والاقوام في شتى بقاع الارض** ، وتأكيداً لهذه الغاية اذكر هنا على سبيل الاختصار أن هذه المعلقات – أو بعضها – نقلت إلى أبرز لغات العالم كاللاتينية والفرنسية والانكليزية « ونظمت شعراً انكليزياً أيضاً» والالمانية والروسية والتركية والفارسية والهندستانية ، ولولا خشية الإطالة لجملت ذلك في ثبت خاص مفصل .

وأخيراً هاك ماوقفت عليه من مطبوع المعلقات وشروحها،ومن غير استقصاء أيضاً.

طبعات المعلقات

آ – بشرح الزوزني :

١ – شرح معلقة طرفة للزوزني :طبع رايسكه قسماً منه مع شروح باللاتينية – ومعه لامية العجم – في ليدن (هولنده) سنة ١٧٤٢ م (١١٥٥ هـ) .

٢ – شرح معلقة امرىء القيس للزوزني:طبعه كوسين دوبرسفال في باريس سنة ١٨٢٠م(١٢٣٥هـ).

---

(١) لم يذكره بروكلمان مع الشراح – وجدته في كشف الظنون فقط . (٢) بروكلمان ٧١/١ .

(٣) انظر الرقم المتسلسل ٣٥ من طبعات المعلقات .

٣ – شرح معلقة امرىء القيس للزوزني : طبع في بون سنة ١٨٢٣ م (١٢٣٨ ﻫ) .
٤ – شرح المعلقات السبع للزوزني : طبعه لمسدن في كلكتا (الهند) سنة ١٨٢٣ م (١٢٣٨ﻫ).
٥ – شرح معلقة امرىء القيس للزوزني: طبعه تدغوتو رمع ترجمة لاتينيةسنة ١٨٢٤م(١٢٣٩ﻫ).
٦ – شرح معلقة لبيد للزوزني : طبع في برسلاو (بولونيا) سنة ١٨٢٨ م (١٢٤٣ ﻫ) .
٧ – شرح معلقة طرفة للزوزني : طبعه رايسكه وفولرس في بون سنة ١٨٢٩م (١٢٤٤ ﻫ).
٨ – شرح المعلقات السبع للزوزني : طبع في لبنان(١) سنة ١٨٥٢ م (١٢٦٨ ﻫ) .
٩ – شرح المعلقات السبع للزوزني : طبعه يوحنا أسعد الصعبي في لبنان(١) سنة ١٨٥٣ م(١٢٦٩ﻫ).
١٠ – شرح المعلقات السبع للزوزني: طبع في القاهرة بتصحيح نصر الهوريني سنة ١٢٧٧ﻫ(١٨٦٠)م.
١١ – شرح المعلقات السبع للزوزني : طبع في الاسكندرية سنة ١٢٨٨ ﻫ (١٨٧١ م) .
١٢ – شرح المعلقات السبع للزوزني: نشرته المكتبة الوطنية في الاسكندرية سنة ١٢٩٢ﻫ(١٨٧٥م).
١٣ - شرح المعلقات السبع للزوزني : طبع في القاهرة سنة ١٢٩٣ ﻫ (١٨٧٦ م) .
١٤ – شرح المعلقات السبع للزوزني : طبع في القاهرة سنة ١٣٠٤ ﻫ (١٨٨٧ م) .
١٥ – شرح المعلقات السبع للزوزني: نشرته المكتبة الازهرية في القاهرة سنة ١٣١١ﻫ (١٨٩٤م).
١٦ – شرح المعلقات السبع للزوزني: طبع مع تعليقات باللغة الهندستانية في دهلي سنة ١٨٩٥م(١٣١٢ﻫ).
١٧ – شرح المعلقات السبع للزوزني : طبع في المطبعة الحميدية بالقاهرة سنة ١٣١٥ﻫ(١٨٩٧م) .
١٨ – شرح المعلقات السبع للزوزني : طبع في القاهرة سنة ١٣١٩ ﻫ (١٩٠١ م) .
١٩ – شرح المعلقات السبع للزوزني : طبع في المطبعة الميمنية في القاهرة سنة ١٣٢٧ﻫ(١٩٠٩م).
٢٠ – شرح المعلقات السبع للزوزني : طبع في القاهرة مع قصيدة للأعشى وثلاث قصائد للنابغة سنة ١٣٢٨ﻫ (١٩١٠ م) .
٢١ – شرح المعلقات السبع للزوزني : طبع في مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٤٠ﻫ(١٩٢٢م).
٢٢ – شرح المعلقات السبع للزوزني : نشرته المكتبة الازهرية في القاهرة سنة ١٩٢٥م/١٣٤٤ﻫ
٢٣ – شرح المعلقات السبع للزوزني : نشرته المكتبة التجارية في القاهرة سنة ١٩٣٨م(١٣٥٧ﻫ).
٢٤ – شرح المعلقات السبع للزوزني : ألحق بها البابي الحلبي معلقات الاعشى والنابغة وعبيد بشرح التبريزي ونشرها في القاهرة سنة ١٩٥٠ م/١٣٦٩ ﻫ .
٢٥ – شرح المعلقات السبع للزوزني : طبع في مطبعة حجازي بالقاهرة سنة ١٩٥٢م(١٣٧١ﻫ).
٢٦ – شرح المعلقات السبع للزوزني : نشرتها دار بيروت ودار صادر بلبنان سنة ١٩٥٨م/١٣٧٧ﻫ.
٢٧ – شرح المعلقات السبع للزوزني : نشرتها المكتبة التجارية في القاهرة سنة ١٩٥٨م/١٣٧٨ﻫ
٢٨ – شرح المعلقات السبع للزوزني : نشرها البابي الحلبي مع شرح معلقات الاعشى والنابغة وعبيد للتبريزي ، في القاهرة سنة ١٣٧٩ ﻫ / ١٩٥٩ م .

(١) قد تكون هاتان الطبعتان طبعة واحـــدة ، ولكن خطأ في التاريخ اصاب احداهما. انظر معجم سركيس ، وبروكلمان ١/٧٠ وانظر الملحق الثاني للجزء الثالث من فهرس الكتب الواردة لدار الكتب المصرية لغاية ١٩٣٤، صفحة ١٧٢ .

ب - بشرح آخرين غير الزوزني :

٢٩ - شرح معلقة طرفة للنحاس : طبعه رايسكه في ليدن (هولنده) سنة ١٧٤٢ م (١١٥٥ هـ).
٣٠ - شرح المعلقات السبع للصافيبوري : طبع في الهندسنة ١٢٩١ هـ (١٨٧٤ م) .
٣١ - شرح معلقة امرىء القيس للنحاس : طبع في هال (ألمانيا) سنة ١٨٧٦ م (١٢٩٣ هـ) .
٣٢ - رياض الفيض - للفيض السهارنبوري - وهو شرح للمعلقات بالعربية والفارسية والهندية : طبع في لاهور (١) (باكستان) سنة ١٢٩٩ هـ (١٨٨١ م) .
٣٣ - رياض الفيض - للفيض السهارنبوري - وهو شرح للمعلقات بالعربية والفارسية والهندية : طبع في لاهور (١) (باكستان) سنة ١٨٨٨ م (١٣٠٥ هـ) .
٣٤ - شرح القصائد العشر للتبريزي (اي باضافة لامية الأعشى ودالية النابغة وبائية عبيد) طبع في كلكتا (٢) (الهند) سنة ١٨٩١ م (١٣٠٨ هـ) .
٣٥ - حسن السبك في شرح قفانبك لمحمد اسماعيل الانصاري الطهطاوي : طبع في المطبعة العثمانية بمصر سنة ١٣١٠ هـ (١٨٩٢ م) .
٣٦ - شرح القصائد العشر للتبريزي مع مقدمة بالانكليزية لشارل جيمس ليل : طبع في كلكتا (٢) سنة ١٨٩٤ م (١٣١١ هـ) .
٣٧ - (امرؤ القيس قصيده معلقسنن شرحي) للحسيب الموصلي : طبع في استانبول سنة ١٣١٦ هـ (١٨٩٨ م) .
٣٨ - شرح معلقة زهير للنحاس : طبعه هوسهير مع مقدمة بالألمانية، في برلين سنة ١٩٠٥ م (١٣٢٣ هـ)
٣٩ - شرح القصائد العشر للتبريزي : طبع في القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) .
٤٠ - نهاية الارب من شرح معلقات العرب للنعساني الحلبي : طبع في مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦ م .
٤١ - نهاية الارب من شرح معلقات العرب للنعساني الحلبي: طبع في القاهرة سنة ١٣٢٩ هـ/١٩١١ م
٤٢ - شرح معلقة طرفة لابي بكر بن الانباري: نشره اوتو ريشر في استانبول سنة ١٣٢٩ هـ/١٩١١ م.
٤٣ - شرح معلقة زهير لابي بكر بن الانباري: نشر في مجلة العالم الشرقي الفرنسية سنة ١٩١٣ م (١٣٣١ هـ).
٤٤ - شرح معلقة زهير لابي بكر بن الانباري : نشره ريشر (لم يذكر مكان الطبع وتاريخه) .
٤٥ - شرح معلقة عنترة لابي بكر بن الانباري : نشره ريشر أيضاً .
٤٦ - شرح معلقة عمرو بن كلثوم لابن كيسان : نشره شاو سنجر (٣) .
٤٧ - شرح القصائد العشر : نشرته ادارة الطباعة المنيرية بالقاهرة سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م).
٤٨ - شرح القصائد العشر : نشرته ادارة الطباعة المنيرية بالقاهرة سنة ١٣٥٢ هـ (١٩٣٣ م).
٤٩ - شرح القصائد العشر : نشرته ادارة الطباعة المنيرية بالقاهرة سنة ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م).

(١) قد تكون هاتان الطبعتان مستقلتين ، وقد تكونان طبعة واحدة اذا افترضنا وقوع خطأ في التاريخ عند زيدان ١٨٨/١ أو بروكلمان ٧١/١ (٢) قد تكون هاتان الطبعتان ايضاً متمازتين وقد تكونان طبعة واحدة مع افتراض وقوع خطأ في التاريخ عند سركيس ، أو زيدان ٣٩/٣ و ١٨٧/١ وانظر الملحق الثاني للجزء الثالث من فهرس الكتب الواردة للدار لغاية ١٩٣٤ صفحة ١٧٣ (٣) بروكلمان ٧٠/١ .

ج - المعلقات بغير شرح :

٥٠ - المعلقات السبع مع ترجمة انكليزية لها: نشرها وليام جونس في لندن(١) سنة ١٧٨٢م (١١٩٦هـ)

٥١ - معلقة زهير : طبعت في ليبزيغ (ألمانيا) سنة ١٨١٦ م (١٢٣١ هـ) .

٥٢ - معلقة الحارث بن حلزة : نشرها كناتشبول سنة ١٨٢٠ م (١٢٣٥ هـ) .

٥٣ - معلقة الحارث بن حلزة : مع ترجمة لاتينية لها: نشرها فولرس في بون سنة ١٨٢٧ م (١٢٤٢هـ).

٥٤ - المعلقات السبع مع ذكر رواياتها وانساب قائليها - ومعها لامية الشنفرى - نشرها آرنولد(٢) في ليبزيغ (ألمانيا) سنة ١٨٥٠ م (١٢٦٦ هـ) .

٥٥ - معلقة امرىء القيس مع تعليقات وشروح بالألمانية : نشرها اغسطس ميلر في هال (ألمانيا) ١٨٦٣ م (١٢٧٩ هـ) .

٥٦ - معلقة امرىء القيس مع ترجمة روسية نشرها موركوس (مرقس ؟) في بطرسبرغ سنة ١٨٨٥ م (١٣٠٢ هـ) .

٥٧ - معلقة امرىء القيس مع ترجمة روسية نشرها جرجس مرقس في بطرسبرغ سنة ١٨٨٩ م (١٣٠٦هـ)

٥٨ - المعلقات السبع مع مقدمة وتعليقات وترجمة ألمانية: نشرها دوج ايبل في برلين سنة ١٨٩١ م (١٣٠٨هـ)

٥٩ - المعلقات السبع مترجمة للانكليزية : نشرها جونسون في لندن سنة ١٨٩٤ م (١٣١١ هـ)

٦٠ - معلقة طرفة مترجمة الى اللاتينية : نشرها فاندنهوف في برلين سنة ١٨٩٥ م (١٣١٢ هـ) .

٦١ - خمس معلقات مترجمة الى الألمانية : نشرها نولدكه سنة ١٨٩٩ م (١٣١٧ هـ) .

٦٢ - خمس معلقات مترجمة الى الألمانية : نشرها نولدكه سنة ١٩٠٠ م (١٣١٨ هـ) .

٦٣ - المعلقات السبع : نشرها احمد الحمصاني في القاهرة سنة ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) .

٦٤ - المعلقات السبع مع ذكر رواياتها وانساب قائليها مصححة على نسخة محمد محمود بن التلاميد التركزي الشنقيطي : طبعت في مطبعة الموسوعات بمصر سنة ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) .

٦٥ - المعلقات السبع : ترجمتها للانكليزية ليدي بلنت، ونظمها شعراً انكليزياً مستر بلنت: نشرت في لندن سنة ١٩٠٣ م (١٣٢١ هـ) .

٦٦ - المعلقات السبع مع ترجمتين فارسية وهندستانية : طبعت في دهلي سنة ١٩٠٥ م (١٣٢٣هـ).

٦٧ - معلقة طرفة مترجمة الى الألمانية : نشرها جايجر سنة ١٩٠٥ م (١٣٢٣ هـ) .

٦٨ - معلقتا طرفة وابن كلثوم مترجمتين الى الالمانية : نشرهما ركرت .

٦٩ - معلقة عنترة : نشرها مينيل .

---

(١) حدد زيدان (١٣٣/١) سنة طبعها ١٧٨٣ م (٢) عد بروكلمان (٧٠/١) هذه الطبعة مع طبعات شرح الزوزني على أنه عدها في ٦٨/١ مع الطبعات غير المشروحة وهو الصواب .

٧٠ ـ معلقة امرىء القيس مترجمة للفرنسية نشرها (رو) في باريس سنة ١٩٠٧ م (١٣٢٥ ﻫ)

٧١ ـ المعلقات السبع مع بيان انساب قائليها : طبعت في مطبعة الأمة بمصر سنة ١٣٢٩ﻫ/١٩١١م

٧٢ ـ القصائد العشر مع تراجم قائليها واخبارهم وانسابهم ومع رواياتها وغريبها لأحمد بن الأمين الشنقيطي طبعت في المطبعة الجمالية بمصر سنة ١٣٢٩ ﻫ , ١٩١١ م .

٧٣ ـ المعلقات العشر واخبار قائليها لأحمد بن الأمين الشنقيطي : طبعت في المطبعة الجمالية سنة ١٩١٣ م (١٣٣١ ﻫ) .

٧٤ ـ معلقة امرىء القيس مترجمة الى الألمانية : نشرها غاندز سنة ١٩١٣ م (١٣٣١ ﻫ) .

٧٥ ـ المعلقات العشر واخبار قائليها لأحمد بن الأمين الشنقيطي : نشرتها مكتبة محمود توفيق بمصر سنة ١٣٣٨ ﻫ (١٩١٩ م) .

٧٦ ـ المعلقات العشر واخبار شعرائها لأحمد بن الأمين الشنقيطي: طبعت في القاهرة سنة ١٣٤٥ ﻫ (١٩٢٦م)

٧٧ ـ المعلقات العشر واخبار شعرائها لأحمد بن الأمين الشنقيطي : طبعت في مطبعة الاستقامة بالقاهرة سنة ١٣٥٣ ﻫ (١٩٣٤ م) .

● أما جمهرة أشعار العرب للقرشي ـ وأنت تعلم أن المعلقات تؤلف المجموعة الاولى منها ـ فأشهر طبعاتها :

٧٨ ـ تزيين نهاية الارب في قصائد العرب : طبع في بيروت سنة ١٨٦٢ م (١٢٧٨ ﻫ) .

٧٩ ـ جمهرة اشعار العرب : طبعت في مطبعة بولاق بالقاهرة سنة ١٣٠٨ ﻫ (١٨٩١ م) .

٨٠ ـ جمهرة اشعار العرب : طبعت في مطبعة بولاق بالقاهرة سنة ١٣٠١ ﻫ (١٨٩٤ م).

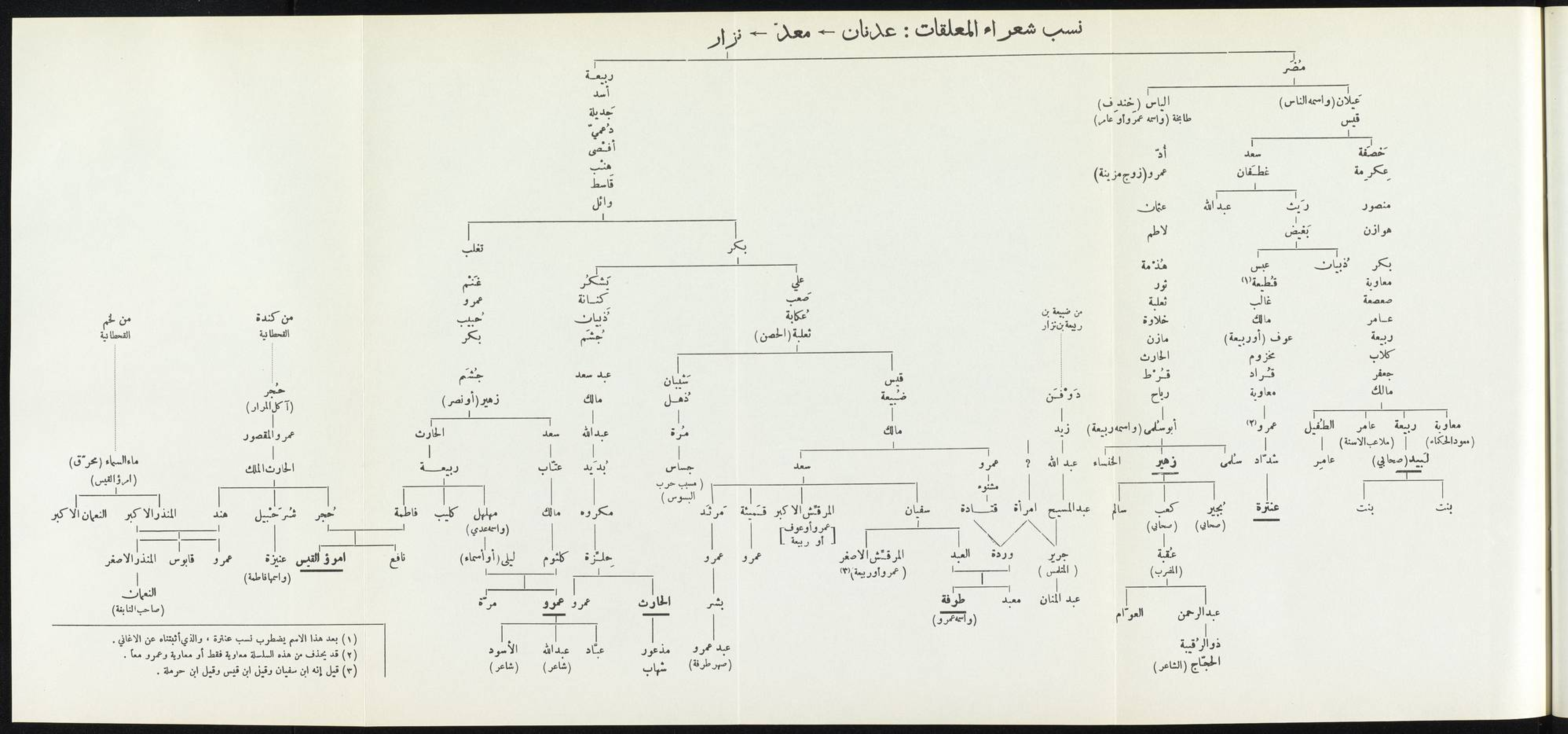
٨١ ـ نيل الارب في قصائد العرب ـ وهو خال من اسم القرشي ومقدمته وشرحه الموجز ـ طبع في بيروت سنة ١٨٩٥ م (١٣١٢ ﻫ) .

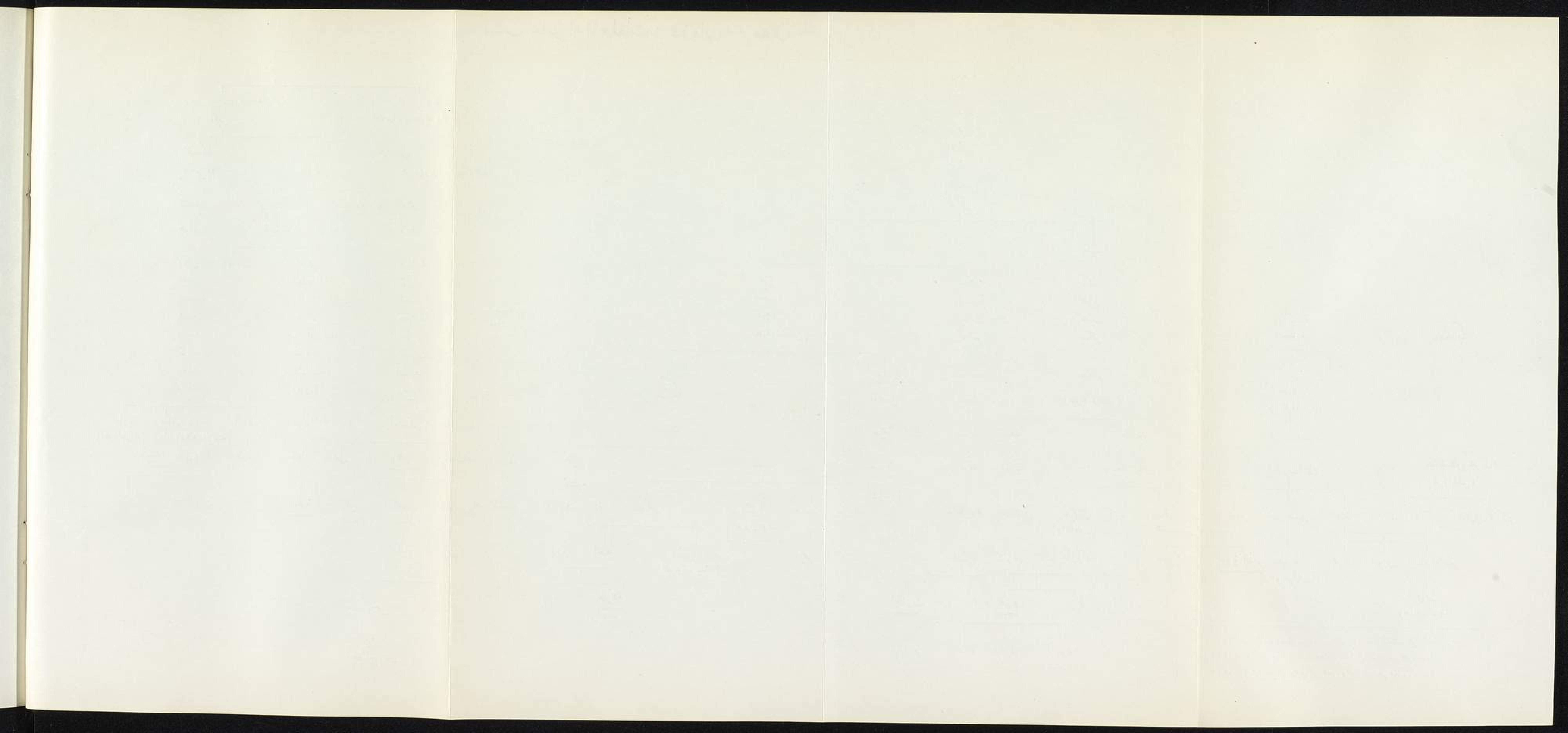
٨٢ ـ جمهرة أشعار العرب : طبعت في المطبعة الخيرية بالقاهرة سنة ١٣٣٠ ﻫ (١٩١٢ م) .

٨٣ ـ جمهرة أشعار العرب طبعت في القاهرة سنة ١٣٤٥ ﻫ (١٩٢٦ م) .

هذ ما وقع لي ـ دون استقصاء ـ من طبعات المعلقات : مشروحة وبغير شرح ، مجتمعة وفرادى ، ولقد رتبتها ـ كما رأيتَ ـ وفق تاريخ طباعتها ، وأشرت بين قوسين الى ما يقابل ذاك التاريخ من هجري او ميلادي ، وأظن أن ثبتاً كهذا خير دليل على ما للمعلقات من كبير شأن وعظيم خطر .

* * *


نسب شعراء المعلقات : عدنان ← معدّ ← نزار
مُضَر
عَيلان (واسمه الناس)
قيس
الياس (خندف)
طابخة (واسمه عمرو أو عامر)
خَصَفة
عِكرمة
منصور
هوازن
بكر
معاوية
صعصعة
عامر
ربيعة
كلاب
جعفر
مالك
معاوية (معود الحكماء)
ربيعة
عامر (ملاعب الاسنة)
الطُفَيل
لَبيد (صحابي)
عامر
بنت
بنت
سعد
غطفان
رَيث
عبد الله
بَغيض
ذُبيان
عبس
قُطيعة(١)
غالب
مالك
عوف (أو ربيعة)
مخزوم
قُراد
معاوية
عمرو(٢)
شدّاد
عنترة
أُدّ
عمرو (زوج مزينة)
عثمان
لاطم
هُذْمة
ثور
ثعلبة
خلاوة
مازن
الحارث
قُرْط
رياح
أبو سُلمى (واسمه ربيعة)
سُلمى
زهير
الخنساء
بُجير (صحابي)
كعب (صحابي)
سالم
عُقبة (المضرب)
عبد الرحمن
العوّام
ذو الرُقيبة
الحجّاج (الشاعر)
من ضبيعة بن ربيعة بن نزار
دَوْفَن
زيد
عبد الله
عبد المسيح
؟
امرأة
جرير (المتلمس)
عبد المنان
ربيعة
أسد
جَديلة
دُعميّ
أفصى
هنب
قاسط
وائل
بكر
تغلب
علي
صَعب
عُكابة
ثعلبة (الحصن)
قيس
ضُبيعة
مالك
عمرو
مثنوه
قتادة
وردة
سعد
سفيان
العبد
معبد
طرفة (واسمه عمرو)
المرقّش الاصغر (عمرو أو ربيعة)(٣)
المرقّش الاكبر
عمرو أو عوف أو ربيعة
قَميئة
عمرو
مَرثَد
عمرو
بشر
عبد عمرو (صهر طرفة)
شَيبان
ذُهل
مُرّة
جساس (مسبب حرب البسوس)
يَشكُر
كنانة
ذُبيان
جُشَم
عبد سعد
مالك
عبد الله
بُدَيد
مكروه
حِلِّزة
الحارث
عمرو
مذعور
شهاب
غَنم
عمرو
حُبيب
بكر
جُشَم
زهير (أو نصر)
الحارث
سعد
ربيعة
عتّاب
مالك
كلثوم
مهلهل (واسمه عدي)
كليب
فاطمة
ليلى (أو أسماء)
مرّة
عمرو
عبّاد
عبد الله (شاعر)
الأسود (شاعر)
من كندة
القحطانية
حُجر (آكل المرار)
عمرو المقصور
الحارث الملك
حُجر
شُرَحبيل
هند
امرؤ القيس
نافع
عنيزة (واسمها فاطمة)
عمرو
من لخم
القحطانية
ماء السماء (محرّق)
(امرؤ القيس)
المنذر الاكبر
النعمان الاكبر
قابوس
المنذر الاصغر
النعمان (صاحب النابغة)
(١) بعد هذا الاسم يضطرب نسب عنترة ، والذي أثبتناه عن الاغاني .
(٢) قد يحذف من هذه السلسلة معاوية فقط أو معاوية وعمرو معاً .
(٣) قيل إنه ابن سفيان وقيل ابن قيس وقيل ابن حرملة .



٧

صنيعي في الكتاب

الحق انني لم أكد أعقد العزم على اخراج هذا الكتاب ، حتى تملكتني رغبة ملحاح في أن أعرض لما اشتجرت فيه أقلام الكتاب ، وهو تعليق هذه القصائد على الكعبة ، أو عدم تعليقها . ولما كان هواي مع القائلين بقصة التعليق ، فقد وجدت أن أبدأ البحث **ببيان فضل الشعر** وأثره في الجاهلية ، وهـذا ما فعلته عندمـا سقت بين يديك – أو بين يدي الكتاب – طائفة من الأخبـار تنهد بالشعر فيسوغ العقل ما روي من أمر تعليقه بالكعبة . وبعد ذاك التفتّ الى شعرائنا السبعة فحققت في **أسمائهم وأنسابهم** . ثم أوليت الرواة أذناً صاغية لأعلم أي السبعة « **أشعر الناس** » . وقد رأيتَ ولا شك أن الحديث حول هـذه الفكرة الأخيرة قد جرّني الى شعاب وشعاب ، قد تظنها أنت استطراداً ، والحق أنها ليست كذلك ، فلقـد تعمدت أن أنقل اليك نمـاذج من أجواء النقاد ومجالسهم ، لتعلم أين يقع أصحاب المعلقات من هذه الأجواء ؟ وما الذي خلّفوه في تلك المجالس ؟ وبتعبير آخر : انما أردت أن أضع أمامك كل ما قاله النقاد في هذا **الشاعر** أو ذاك من أصحاب المعلقات ؛ أما ما قالوه في هـذه **الأبيات** أو تلك من معلقاتهم ، فذاك صنيعي في التعليقات كما سيأتي .

ثم وجدت لزاماً عليّ بعد تحقيق أنسابهم والقول في طبقاتهم ، ألاّ أدخل في « قصة التعليق على الكعبة » إلا بعد أن أحقق في تحديد **الفترة** التي عاشها كل من شعراء المعلقات ، على نحو جديد ، عسى أن يبلغ غيري أفضل مما بلغت .

ثم تأتي « **قصة المعلقات** » – وهي بيت القصيـد – فتراني أسوق أقوال القدماء والمحدثين في خبر التعليق بالكعبة ، وأعطي المستشرقين أكثر من فرصة للكلام ، وآخذ لنفسي مثلها ؛ حتى اذا ما خلصت الى « فرضية » لي افترضتهـا بكثير من التحفظ والاشفاق ، عدت الى التنويه بمكان المعلقات :

في نفوس القدماء : إذ بلغت عدة من شرحها منهم « دون استقصاء » ثلاثين شارحـــاً .

وفي نفوس المحدثين : إذ بلغ ما وصل إلى علمي من طبعاتها – دون ما حصر – ثلاثاً وثمانين طبعة .

ولم أشأ أن أطيل على القارىء فأسرد عليه حياة الشعراء مفصلة ، فقد قيل « يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق » وما أشك أن لكل منا قلادته الأدبية ، ولكل منا إلمامته من حياة هؤلاء النفر بخبر ، فآثرت أن أعوج على ذكر أشياء شتى – تتصل بالشاعر أو بشعره – هي أجدى عندي من سرديات ضحضاح بوسعك أن تراها في أقرب الكتب اليـــك ؛ وعلى ذلك فليست التراجم التي تجدها قبل كل معلقة « تراجم » بالمعنى الواسع لهـذه الكلمة ، بل هي « توطئة » مبسطة ، الغرض منها أن تلقي ضوءاً على المناسبة التي قيلت فيها المعلقة مع ذكر ما لم يرد ذكره ، في هذه المقدمة ، من أهم أخبار الشاعر ، وعلى هذا : فالترجمة لا تغني عن المقدمة ، وليست المقدمة بمغنية عن الترجمات شيئاً ، وإن كانت هذه قد خففت عن اولئك إصر الإطالة .

ولكي يتحقق للقارىء النفع الذي رجوت من هـذا الكتاب ، فقد سلكت في تعليق حواشيه مسلكاً وسطاً لا شطط فيه ولا إقتار ، وجعلت كل همي أن أعود الى أمهات كتب النقد والأدب القديمة أستخرج منها أهم ما قيل في أبيات المعلقات ، ثم أثبته في الحاشية مع ذكر مصدره ؛ وكم كان بودي أن يضم هذا الصنيع الشروح الأخرى للمعلقـــات ، لو لا أني خشيت الإطـالة من جهة ، وعزّت عليّ بعض الشروح من جهة أخرى .. وحسب القارىء أني تنخلت له ما يجد في ثبت المراجع ، فنقلت إليه منها آراء النقـــاد والادباء العرب الاولين في البيت الواحد أو الأبيات ، لا أغضي الا عن المزيل منها فقط : كأن يفسّر البيت تفسيراً يعتمد على تمحّل لغوي أو تكلف نحوي ، أو أن يكون الرأي عامـاً جداً ، أو بلاغياً محضاً .. وبذلك يكون كتابنا هذا مشتملاً على جل ما قيل في أصحاب المعلقات وأبياتهـــا ، مغنياً عن الرجوع الى طائفـــة كبيرة

من أمهات المصادر ... وان أبى القارىء الا أن يرجع الى هذه الأقوال في مظانّها ، فإنّ له من ذكر المراجع في الحاشية ، ومن ثبت طبعاتها التي اعتمدت عليها ، ومن الأمانة التي التزمتها في النقل عنها ، لخير معين له الى مايريد ؛ ومما التزمته في هذه المقدمة وفي التراجم والتعليقات أنني : إذا نقلت لك نصاً ، أحطت المنقول بقوسين مفردتين هكذا ( ) ، واذا تركت من النص المنقول عنه شيئاً ، جعلت مكان المتروك عدة نقاط .... هذا بالإضافة الى أني كنت أفسر كل لفظ لم يفسره الزوزني ، سواء كان في المعلقات أو في شرح الزوزني نفسه ؛ وكنت أحرص على ضبط هذا الشرح واستشهاداته مثل حرصي على شكل كثير من الكلمات فيه . وكل ذلك أمور **انفردت بها طبعتنا هذه ولم نسبق إليها** .

وسبحان الذي ﴿ خلق الانسان ، علّمه البيان ﴾ .

دمشق ٢٧ رمضان ١٣٨٢ — **علي حمد الله**

٢١ شباط ١٩٦٣

* * *

القسم الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

قال القاضي الإمام أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني :

هذا شرح القصائد السبع ، أمليته على حد الإيجاز والاختصار ، على حسب ما اقتُرح عليَّ ، مستعيناً بالله على إتمامه .

امرؤ القيس بن حجر

★ هو امرؤ القيس بن حجر – بضم فسكون – بن الحارث .... من قبيلة كِندة القحطانية ، وذكروا أيضاً أن « امرأ القيس » لقب له وأن اسمـــه هو حندج أو جندح أو عديّ أو مُليكة ، وسماه صاحب القاموس في مادة (قيس) : سليمان بن حجر . وقد كان يكنى أبا الحارث ، وأبا وهب ، وأبا زيد ، وأبا هند ؛ وفي كنيته الأخيرة أقوال متضاربـة : فبينما نجد المعري[1] يدعوه : أبا هند ، نجد ابن قتيبة[2] يقول بأن هنداً امرأته ، وآخر[3] يقول انها ابنة أبيه ، وغيره[4] يقول انها أخته .

وكان يلقب بالملك الضِلّيل ؛ وبذي القروح لقوله :

وبُدّلتُ قرحاً دامياً بعد صحة ... فيالك من نعمى تحوّلن أبؤسا

كما لُقّب أيضاً بالذائد[5] لقوله :

أذود القوافي عني ذيــادا ... ذيادَ غـلامٍ جريء جوادا

(ومعنى امرىء القيس رجل الشدة ، والقيس في اللغة الشدة ، وقيل القيس اسم صنم ، ولهذا كان الأصمعي يكره أن يروي قوله « يا امرأ القيس فانزل » ويرويه « يا امرأ الله فانزل »)[5] . وقيل : لُقّب بامرىء القيس (لجماله وذلك لأن الناس قيسوا إليه في زمانه فكان أفضلهم)[6] . وكان صاحبنا رجلاً (مئناثاً لا ذكر له ، وغيوراً شديد الغيرة ، فإذا ولدت له بنت وأدها ، فلما رأى ذلك نساؤه غيّبن أولادهن في أحياء العرب ، وبلغه ذلك فتتبعهن حتى قتلهن)[7] .

أما مكانه في قومه فإن نظرة عجلى تلقيها على شجرة[8] « نسب شعراء المعلقات » توضح لك أن صاحبنا المرقسي قد جمع مجد تغلب العدنانية الى مجد كندة القحطانية ، ثم مدّ يداً ليست بالطولى الى مجد لخم ملوك الحيرة ، ذلك لأن أباه ملك من سلالة ملوك ، وابن عمته « عمرو بن هند » ملك الحيرة ومن نسل الملوك ،

---

* هذه التوطئة بقلم المعلق وليست للزوزني (١) رسالة الغفران ٢٢٥ وانظر الاغاني ٩/٩١و٩٣ (٢) الشعر والشعراء ١/٧٠ (٣) في الادب الجاهلي ٢٤٦ (٤) شرح الاصمعيات ١٤٤ وانظر الاغاني ٩/٨٣ و ٨٧ (٥) معاهد التنصيص ١/٥ (٦) خزانة الأدب ١/٢٩٩ (٧) الشعر والشعراء ١/٦٩ (٨) بين صفحتي ٦٤ – ٦٥ من هذا الكتاب وانظر كذلك الشعر والشعراء ١/١٨٦ و ٢٥٦

وأمه فاطمة أختُ مهلهل وكليب من سادة تغلب ، وليلى « أم عمرو بن كلثوم » هي ابنة خاله مهلهل .

ما كاد الشاعر يشب ويصلب عوده حتى انطلق لسانه بالشعر متأثراً بخاله مهلهل وبعمرو بن قميئة « وهو شـاعر فحل[1] كان من ندماء[2] أبيه حجر » ... ويشاء الصبا أن يكون التشبيب ألصق الشعر بقلب صاحبنا ، فشبب وأمعن حتى قيـل انه شبب[3] بزوجة أبيه (هر وهي أم الحويرث)[4] .. فما كان من أبيه ، وهو ملك ، إلا أن نهاه عن النسيب — وقيل عن الشعر عامة — ثم طرده من كنفه ، فلحق الشاعر بعمه شُرَحْبيل ملك بكر بن وائل ، واذا بابنة عمه فاطمة ، المعروفة بعنيزة ، تمدّ شاعريته وتخصبها حتى تكون المعلقـة احدى ثمار هذا المد كما سيأتي .. ولكن الذي يبدو أن امرأ القيس خبر النساء جيداً ، فكان يمنحهن قلباً مثل قلوبهن لا تعرف الجـد ولا تمحض الود ... اذا تغزل ، تغزل بهن جمـاعات « أم الحويرث — أم الرباب — عنيزة — حبلى ومرضع — فاطمة — بيضة خدر .. »[5] ، واذا سئل عن (أطيب لذات الدنيا قال : بيضاء رعبوبة بالحسن مكبوبة باللحم مكروبة بالمسك مشبوبة)[6] .. وهكذا شذّ الشاعر عما يليق بأبناء الملوك فعاشر الشذاذ والأفـاقين[7] الخلعاء . الامر الذي حدا ابن قتيبة[8] على القول بأنه (كان يعد من عشاق العرب والزناة ، وكان يشبب بنساء منهن فاطمـة بنت العبيد بن ثعلبة بن عامر العذرية ، وهي التي يقول فيهـا : أفاطم مهلاً .. ومنهن أم الحارث الكلبية وهي التي يقول فيها : كدأبك من أم الحويرث ... ومنهن عنيزة) وفيها يقول : ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة ..

كان حجر — والد الشاعر — ملكاً على بني أسد وغطفان ، وكانت له عليهم

---

(١) فحولة الشعراء ص ٢٠ (٢) ابن قتيبة ١/٦٢ — ٦٩ .

(٣) كان جده الحارث على دين المزدكية التي تبيح الحرم (الاغاني ٩/٧٨) ، وقيل بأن الشاعر كان مزدكياً أيضاً ؛ إلا أن لويس شيخو عده — كما عد طرفة — من شعراء النصرانية، فرد عليه كل من نالينو (ص ٧٢ و ٧٣) وبروكلمان (١/١٢٧) رداً لاهوادة فيه ، وأكدا أن الشاعرين وثنيان.

(٤) معاهد التنصيص ١/٥ (٥) انظر الأبيات ٥ و ١١ و ١٤ و ١٧ و ٢١ من المعلقة .

(٦) زهر الآداب ٢/٥٢٥ والعقد الفريد ٦/٢٢٠ (٧) الجوالين في الآفاق (٨) ١/٧٠

إتاوة يؤدونها إليه كل عام ، ولكنْ حدث ذات سنة أن أبطؤوا عليه بهـا ، فضيّق عليهم وشدد الوطأة وضربهم بالعصا – فسُموا بعدها عبيد العصا[١] – وأسر منهم جماعة فيهم عبيد بن الأبرص الشاعر ، فكان أن نقموا عليه فغدروا بـه وقتلوه ، فدعـا حجر – وهو في الرمق الأخير – أحد ندمائه وأوصاه أن يطوف على أبنـــائه واحداً واحداً ، من نافع « أكبرهم » إلى امرىء القيس « أصغرهم » ، فيبلغهم الخبر ، ثم يسلم وصيته وسلاحه وخيله لمن لا يجزع منهم . ففعل الرجل ، وأبناء حجر يجزعون للخبر ، حتى بلغ (امرأ القيس فوجده مع نديم له يشرب الخمر ويلاعبه بالنرد ، فقـــال له : قُتل حجر ، فلم يلتفت إلى قوله ... حتى إذا فرغ ... سأل الرسول عن أمر أبيه كله فأخبره)[٢] ، فقال كلمته المشهورة (ضيّعني صغيراً وحمّلني دمه كبيراً ، لا صحو اليوم ولا سكر غداً ، اليوم خمر وغداً أمر . فذهبت مثلاً)[٢] ثم آلى (لا يأكل لحماً ولا يشرب خمراً ... ولا يصيب امرأة ... حتى يدرك بثأره)[٢] ، ولمـا خافت بنو أسد شره ندبت له وفداً يفاوضه ، فأمر بإكرامهم واحتجب عنهم ثلاثاً ؛ فسألوا عنه فقيل لهم (هو في شغل بإخراج ما في خزائن حجر من السلاح والعدة)[٣] ، ثم برز لهم ورفض ما عرضوا عليه وأبى إلا الحرب ، فأعانته بكر وتغلب على ما أراد حتى قتل من بني أسد الكثير دون أن يروى له غليل ، فتركته بكر وتغلب ، ومضى لشأنه يستنصر الأحياء والقبائل حتى انتهت به قدماه إلى قيصر الروم ومعه عمرو بن قميئة الشاعر . وما كان امرؤ القيس يفعل ذلك إلا بعد أن استنجد بحمير ويربوع وإياد وجديلة ونبهان وثعل وفزارة وبهراء وتنوخ وطيء والسموءل ملك تيماء « شمالي يثرب » ، فكان منهم من وجد عنده بعض الخير ، ومنهم من خذله ، ومنهم من حـامت عينه حول هند – بنت امرىء القيس أو أخته – .

ومن طريف ما يروى أنه في غمرة تطوافه بين القبـائل مر بصنم (للعرب تعظمه يقال له ذو الخلصة فاستقسم عنده بقداحه ، وهي ثلاثة : الآمر والناهي

---

(١) ابن قتيبة ٥٢/١ (٢) الاغاني ٨٥/٩ – ٨٦ وانظر خزانة الادب ٣٠١/١ « وفي رواية أخرى أن الشاعر حضر مقتل أبيه – الاغاني ٨٤/٩ » . (٣) الاغاني ١٠٠/٩

والمتربص ، فأجالها فخرج الناهي ثم أجالهـا فخرج الناهي ثم أجالها فخرج الناهي ، فجمعها و كسرها وضرب بها وجه الصنم وقال . . لو أبوك ُقتل مـا ُعقتني . ثم خرج فظفر ببني أسد . ويقـال إنه مااستُقسم عنـد ذي الخلصة بعد ذلك بقدح حتى جاء أمر الله بالاسلام)[١] .

قلنا ان امرأ القيس قد ألقى بنفسه أخيراً الى قيصر الروم « جوستنيان » فقد كتب هذا الى نجاشي الحبشة بتسيير جيش يعيـد الى امرىء القيس ملكه الضائع ، ولما لم يجبه النجاشي ، قلده قيصر إمرة فلسطين ، وأرسل معه ثلة من جنوده ، إلا أنه أصيب في الطريق بقروح تشبه الجدري فمات قريباً من أنقرة .

وقيل ان قيصر صنع له تمثالاً رآه المأمون حين دخل أرض الروم غازياً غزو الصائفة ، وذكره البحتري فقال :

وأزرتَ الخيولَ قبرَ امرىء القيـ س سراعاً فعدنَ منـــه بطاءَ

كما رأى أحـد أصدقاء سركيس « صاحب معجم المطبوعات »[٢] هامة ذلك التمثال قرب دار السراي في أنقرة سنة ١٨٩٥ م .

أما ابن قميئة فقد مات في الطريق الى بـــلاد الروم (وسمته العرب عمراً الضائع لموته في غربة وفي غير أرب ولا مطلب)[٣] .

ومما قيل في قصة هذه الرحلة الى جوستنيان أن ابنته وقعت في حب الشاعر العربي[٤] – وقال بعضهم (إن أباها زوّجه إياها)[٥] – فوشى بهما الى قيصر رجـلٌ من عبس يدعى الطماح ، كان الشاعر قد قتل أخاه ، فغضب قيصر وأرسل إليه ، بعد رحيله عنه ، حلة مسمومة ، لبسها الشاعر فتقرّح جلده ، ومات متأثراً بها قرب أنقرة . بقي أن نقول إن فئة من الادباء اليوم ينكرون هـــذه القصة – قصة الرحيل – بعضاً أو كلاًّ : منهم – بطبيعة الحال – طه حسين[٦] الذي يعجب كيف لانجد في شعر امرىء القيس ذكراً لأي شيء يمكن أن يكون

---

(١) الاغاني ٩١/٩ ، والاستقسام هو أن يلجأ إلى القداح ليعلم ما قسم له وما قدر . والقداح الثلاثة عيدان : إن دس يده فأخرج الأول منهـا فمعناه الاقدام على ما عزم ، وان اخرج الثاني فمعناه النهي عما عزم عليه ، وان اخرج الثـالث فمعناه التربص والتريث الى حين . ويكون التفريق فيما بينها : بشكلها أولونها ، أو ما كتب عليها وهو الأكثر (٢) ص ٤٧٢ (٣) الاغاني ٧٦/١٨ وانظر ألقاب الشعراء ص ٣٢١ وخزانة الادب ٣١٣/٤ (٤) انظر الشعر والشعراء ٦٢/١ – ٦٨
(٥) معاهد التنصيص ٦/١ (٦) في الأدب الجاهلي ص ٢٤٥ – ٢٦٦

« رومياً » ؟ ومنهم كذلك بروكلمان الذي قال عن رحيل الشاعر الى قيصر بأنه (من الأساطير)[١] ، وبأنه (منحول عليه ، ولكنه حدث حقيقة لابن عمه قيس بن سلمة)[٢] ، على حين أن هناك أشياء تمنعنا أن نميل – كل الميل – مع طه حسين وبروكلمان وأضرابهما ، منها : أن مؤرخي الروم ذكروا هذه الرحلة وسموا الشـــاعر « قيساً »[٣] .

ومنها كذلك : أن كل من ترجم لامرىء القيس أو تحدث عنه من القدماء ذكر هذه الرحلة وأقرها .

ومنها أخيراً : أن سياق الحوادث يسوغ لنا قبول هذه القصة .

قيل[٤] : ان امرأ القيس لجأ – فيمن لجأ إليه – إلى ابن عمته عمرو بن هند ، فأجاره ورحّب به ، ولكن المنذر بن ماء السماء « والد عمرو بن هند » أبى ذلك على ولده لأسباب لا تهمنا هنا ، واستعدى عليه كسرى انو شروان ولجّ في مطاردته ، الامر الذي اضطر الشاعر الى الفرار[٥] واللجوء الى أعداء المناذرة والفرس معاً ، ألا وهم الغساسنة والروم من ورائهم ، فما كان من الحارث بن أبي شمر الغساني إلاّ أن سيّره الى قيصر . وحقيق بالروم ألاّ يضيّعوا فرصة كهذه ، يلتجيء فيها إليهم سيد من كندة ليكون عوناً لآل غسان على المناذرة وأسيادهم الفرس ؛ أولم يكن الروم يدفعون للغساسنة وظائف سنوية لهــذه الغايـة[٦] . !

أما الجانب الادبي من أخبار هذا الشاعر فقد قيل انه احتكم مع علقمة بن عبدة التميمي الى زوجــه أم جندب « زوج امرىء القيس » لترى أيهما أشعر ، فقال كل منهما في وصف فرسه أبياتاً على بحر واحد وقافية واحدة ، فجاء في قصيدة المرقسي قوله :

فللسـوط ألهوب وللسـاق درة ... وللزجر منه وقع أهوج منعب

---

(١) ١١٧/١ (٢) بروكلمان ٩٨/١ (٣) مقدمـــة الديوان للسندوبي ص ٢٦ وتاريخ الادب للفاخوري ص ٨٥ (٤) الاغاني ٩٠/٩ (٥) ابن قتيبة ٦٢/١ – ٦٩

(٦) انظر مهد العرب ص ٤٩ .

وجاء في قصيدة علقمة قوله :

فأدركهن ثانياً من عنانه يمر كغيث رائح متحلب

فحكمت لعلقمة ، لأن زوجها ألهب الفرس بسوطه ، وركزه بساقه ، وزجره بشدة ، ولم يحتج فرس علقمة الى ذلك لكي يجري سريعاً . فغضب امرؤ القيس وطلقها ، فتزوجها علقمة ، ولقب بالفحل من أجل هذا (١) .

هذه القصة على شهرتها ، يقول طه حسين(٢) انها موضوعة ، ويقول بروكلمان(٣) انها (من قبيل القصص) ، وسواء صح قولهما أم لم يصح ، وسواء تفوق شاعرنا أم علقمة ، فإن ما لا شك فيه هو أنه (أولهم كلهم في الجودة . . له الحظوة والسبق ، وكلهم أخذوا من قوله واتبعوا مذاهبه) ، هكذا قال الأصمعي في فحولة الشعراء(٤) ، وقال في موضع آخر(٥) (...فإنما تعلموا من رأس الشعراء امرىء القيس) . و (عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء الى النار)(٦) ، وقال الإمام علي (ض) (رأيته أحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة وأنه لم يقل لرغبة ولا لرهبة)(٧) ، وقال عمر (ض):(امرؤالقيس سابقهم ، خسف لهم عين الشعر ..)(٨) ، وسئل لبيد عن أشعر الناس فقال : الملك الضليل . قيل : ثم من ؟ قال : الغلام القتيل – أي طرفة – قيل : ثم من ؟ قال : أبو عقيل ، يعني نفسه(٩) وعلى هذا يكون امرؤ القيس (كبيرهم الذي يقرون بتقدمه ، وشيخهم الذي يعترفون بفضله ، وقائدهم الذي يأتمون به ، وامامهم الذي يرجعون اليه)(١٠) . وهو بعد هذا من شعراء الأصمعيات .ولم يبلغ امرؤ القيس هذه المرتبة عن غير جدارة ، ولكنه – كما قال ابن سلام – (سبق العرب الى أشياء ابتدعها ، استحسنتها العرب،واتبعته فيها الشعراء،منها : استيقاف صحبه ، والبكاء في الديار ، ورقة

---

(١) انظر شرح ديوان امرىء القيس للسندوبي ص ٤٧ و ٥٥ (٢) في الأدب الجاهلي ٢٦٢
(٣) ٩٧/١ (٤) ص ١٣ (٥) ص ٣٥ (٦) مسند أحمد ٢٢٨/٢ وانظر كذلك منتخب كنز العمال ، على هامش المسند ٣٠٠/٥ و ٣٠١ تجد أكثر من حديث وفي صيغ مختلفة . وانظر محاضرات الراغب ٣٧/١ (٧) المزهر ٤٧٨/٢ ، وتاريخ أدب اللغة للدراز (٨) رجال المعلقات ٨١و٨٢
(٩) ابن سلام ٤٥ و٤٦ (١٠) عن اعجاز القرآن للباقلاني ٩٧/٢

النسيب ، وقرب المأخذ . وشبه النساء بالظباء والبَيض ، وشبه الخيل بالعقبان والعصيّ ، وقيّد الأوابد ، وأجاد في التشبيه ، وفصّل بين النسيب وبين المعنى . وكان أحسن طبقته تشبيهاً)[١] . كذلك كان (أول من شبّه الثغر في لونه بشوك السيّال ... وشبه الطلل بوحي الزبور في العسيب)[٢] . وقال بديع الزمان : هو (أول من وقف بالديار وعرصاتها ، واغتدى والطير في وكناتها ، ووصف الخيل بصفاتها ، ولم يقل الشعر كاسباً ، ولم يُجد القول راغباً) ، والحديث في هذا يطول .

أما شعره الذي وصل الينا فقد بلغ زهاء ألف بيت منجمة في مئة قطعة بين طويلة وقصيرة ، نجدها في ديوانه الذي شرحه غير واحد ، وطبع مرات عديدة ، ولكن ابن رشيق يقول (لا يصح له الا نيف وعشرون شعراً بين طويل وقطعة)[٣] ، والاصمعي يقول (ان كثيراً من شعر امرىء القيس لصعاليك كانوا معه)[٤] ، ومثل ذلك يقول الرياشي[٥] .. فإذا علمنا هذا ، وعلمنا معه أن هناك ثمانية وعشرين شاعراً باسم « امرىء القيس »[٦] ، قبلنا - بطبيعة الحال - أن تكون أشعار بعضهم قد دخلت في شعره لشهرته من دونهم ، فضلاً عما قيل في الشعر المنحول عليه . وليس معنى هذا أنني أقبل (كل) ما قاله الدكتور طه حسين في موضوع النحل ، بل أنا أقبل منه شيئاً وأعرض عن شيء . ففي الصفحات العشرين (٢٤٥ - ٢٦٦) من كتاب « في الادب الجاهلي » يميل الدكتور الى انكار وجود امرىء القيس ولكنه يتحفظ ويُمسك ، ثم يعرض للغة الشاعر فإذا هي قرشية على حين أنه يمني الأصل ، فيعجب من ذلك رغم أن الشاعر نشأ وعاش في نجد ، ثم يميل الى انكار (جملة) أشعاره ولكنه يتحفظ ثانية ازاء المعلقة و « الا انعم صباحاً أيها الطلل البالي » فيقول ص ٢٥٥ : (فأما ما عدا هاتين القصيدتين فالضعف فيه ظاهر والاضطراب فيه بيّن ، و التكلف والاسفاف

---

(١) ابن سلام ٤٥ و ٤٦ (٢) ابن قتيبة ٨٢/١-٨٣ وانظر كذلك ٧٦/١ ففيها بعض اسبقياته .
(٣) العمدة ٦٧/١ (٤) فحولة الشعراء ١٦ أو موشح المرزباني ٣٤ (٥) بروكلمان ٩٩/١
(٦) عدهم السندوبي في شرح الديوان ، وفي المزهر منهم خمسة عشر (٤٥٦/٢) ، وفي المؤتلف والمختلف عشرة .

يكادان يلمسان باليد) ، ثم لا تمضي على هذا القول صفحتـــان حتى تراه يقول (ولننظر في **المعلقة** نفسها ، فلسنـا نعرف قصيدة يظهر فيهـا **التكلف** والتعمل اكثر بما يظهران في هذه القصيدة) . واعلم أنني ما كنت لأورد هذه السطور عن الدكتور طه حسين الا لأقفك على ما كان للمعلقة – وهي مدار حديثنا أولاً وآخراً – من مكان في الدراسات الأدبية المعاصرة ، وما دمتُ قد فعلتُ هذا ، فإن للدكتور طـــه رأياً آخر يحسن أن يُقرن بالأول . يقول (ص ٢٥٩) ما معناه : أن الأبيات التي وصف بهـا الشاعر لهوه مع العذارى بكل ما فيها من فحش ، إنما هي من منحول الفرزدق على امرىء القيس ، لأن ذلك أشبه بشعر الفرزدق وحياته الماجنة . ولكن .. هل قُصر الفحش والمجون على عصر دون آخر ، أو شخص دون آخر ، وهـل الفرزدق في **صدر الاسلام** أحرى بذلك من **جاهلي ابن ملك إباحي مزدكي** ؟ أما المعـاني فغير مخصوصة ،وأمـــا الاسلوب فحتى الآن لم يتوصل النقد الادبي إلى إيجاد « كاشف » – بالمعنى الكيميائي – يُعالَج به هذا الاسلوب أو ذاك فيستبين منه أمر صاحبه استبانة **محققة مسلماً بها** . ألم يعجز الأصمعي – رأس البصريين – عن التفريق بين أسلوب الموصلي وبعض الأعراب[1] ؟ ألم يعجز ابن الاعرابي – رأس الكوفيين – عن التفريق بين أسلوب أبي تمام والاقدمين[1] ؟

أما المناسبة التي قيلت فيها المعلقـة فهي أن امرأ القيس (وكان . . وسيماً جميلًا)[2] أحب عنيزة بنت عمه شُرَحبيل ، وطلبها (زماناً فلم يصل اليها ، حتى كان ... يوم دارة جلجل ، وذلك أن الحي تحملوا فتقدم الرجال وتخلف النساء .. فلما رأى ذلك .. تخلف .. حتى مر به النساء .. فلما وردن الغدير .. تجردن فوقعن فيه فأتاهن .. فأخذ ثيابهن .. وقال : والله لا أعطي جارية . ثوبهـا .. حتى تخرج .. فأبين ذلك عليه حتى تعالى النهـار وخشين أن يقصّرن .. فخرجن جميعاً .. فقلن له : انك عذبتنا .. وأجعتنا . قـــال : فإن نحرت .. ناقتي أتأكلن منها ؟ قلن : نعم . فجرد سيفه ... ونحرها .. وجمع الخـــدم حطباً ..

(١) راجع ص ١٧ من هذا الكتاب . (٢) ابن قتيبة ٦٩/١

فأججن ناراً .. فجعل يقطع .. ويلقي على الجمر ويأكلن .. فلما أرادوا الرحيل .. تقسمن متاعه وزاده وبقيت عنيزة لم تحمل له شيئاً ... فحملته على غارب بعيرها ، فكان .. يدخل رأسه في خدرها فيقبلها فإذا امتنعت مال حدجها فتقول : عقرت بعيري فانزل ! ففي ذلك[(١)] قال معلقته . وقد بلغت هذه المعلقة مبلغاً واسعاً من الشهرة ، فأغار عليها الشعراء ، وسرقوا الرائق من صورها ، ولو كان التقصي في مَسْرَق الشعر ممكناً ، مجدياً ، لتتبعتُ من أغار على معاني هذه المعلقة بالذات ؛ ولكنْ أنّى لي ذلك والاخطل يقول (نحن – معاشر الشعراء – أسرق من الصاغة)[(٢)] ؟

أما التضمين – المكشوف – فلعل من أجمل ما جاء وفيه شطور من المعلقة المرقسية[(٣)] :

قول أبي الحسن حازم في مدح الرسول ﷺ :

لعينيكَ قل ان زرتَ أفضل مُرسَلِ	« قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزلِ »

وقول أبي منصور العبدوني :

اذا ما شكا الإفلاسَ والضرَّ بعضُكم	« تقولون : لا تهلك أسىً وتجمّلِ »

وقول ابن مكانس :

وقـالوا اختبى في شَعره فكأنـه	« كبيرُ أناسٍ في بجادٍ مزمّلِ »

وكتب الصلاح الصفدي الى ابن نباتة :

أفي كل يومٍ منك عتبٌ يسوءني	« كجلمودِ صخرٍ حطه السيلُ من علِ »

فأجابه ابن نباتة – من أبيات – :

ولا تنسَ مني صحبةً تصدع الدجى	« بصبح وما الإصباح منك بأمثلِ »[(٤)]

هذا ، وقد مر فيما قدمناه بين يدي هذا الكتاب كثير مما يتصل بالشاعر أو بفنه ، فليُرجع اليه[(٥)] .

---

(١) اختصرنا هـذا النص من العقد الفريد ٦ / ٣٩٥ – ٣٩٦ وانظر خزانـة الادب ٤١٧/٣ – ٤١٨ (٢) موشح المرزباني ١٤١ (٣) النسبة إلى امرىء القيس : مرئي ، الا امرأ القيس بن حجر فالنسبة إليه مرقسي . المزهر ٥٢/٢ ٤ والقاموس مادة قاس .

(٤) معاهد التنصيص ١٧٢/٢ (٥) راجع الصفحات ١٠ ← ١٣و١٥ ← ١٨ و٢٠ ← ٢٥ و ٢٧ و ٣٠ و ٣١ و ٣٣ و ٣٥ و ٣٨ و ٤٠ و ٤٧ و ٥١ و ٥٢ و ٥٧ ← ٥٩

معلقة امرئ القيس

قال امرؤ القيس بن حُجر الكِندي :

١ — قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ بسِقطِ اللِّوى بين الدَّخولِ فحَومَلِ

قيل : خاطب صاحبيه ، وقيل بل خاطب واحداً وأخرج الكلام مخرج الخطاب مع الاثنين ، لأن العرب من عادتهم إجراء خطاب الاثنين على الواحد والجمع ، فمن ذلك قول الشاعر :

فإن تزجراني يا ابن عفان أنزجر وإن ترعياني أحمِ عرضاً ممنّعا

خاطب الواحد خطاب الاثنين ، وإنما فعلت العرب ذلك لأن الرجل يكون أدنى أعوانه اثنين : راعي إبله وراعي غنمه ، وكذلك الرفقة أدنى ما تكون ثلاثة ، فجرى خطاب الاثنين على الواحد لمرون ألسنتهم عليه ، ويجوز أن يكون المراد به : قف قف ، فإلحاق الالف أمارة دالة على أن المراد تكرير اللفظ كما قال أبو عثمان المازني في قوله تعالى « قال رب ارجعونِ » المراد منه : أرجعني أرجعني أرجعني ، جعلت الواو علَماً مشعراً بأن المعنى تكرير اللفظ مراراً ، وقيل : أراد : قفنْ ، على جهة التأكيد ، فقلب النون ألفاً في حال الوصل ، لأن هذه النون تقلب ألفاً في حال الوقف ، فحمل الوصل على الوقف ، ألا ترى أنك لو وقفت على قوله تعالى « لنسفعن » قلت : لنسفعا ، ومنه قول الاعشى :

وصلِّ على حين العشيات والضحا ولا تحمد المثرين والله فاحمَدا

---

(١) في العمدة ١٤٦/١ (... وهو عندهم أفضل ابتداء صنعه شاعر لأنه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في مصراع واحد) . وفي اعجاز القرآن للباقلاني ١٣/٢ (في البيت ما لا يفيد من ذكر هذه المواضع ... وقد كان يكفيه أن يذكر في التعريف بعض هذا) ثم قال في ١٠٥/٢ (.. سقط اللوى بين الدخول فحومل فتوضح فالمقراة ، لم يقنع بذكر حد حتى حده بأربعة حدود كأنه يريد بيع المنزل فيخشى إن أخل بحد أن يكون بيعه فاسداً)

أراد فاحمدن ، فقلب نون التأكيد ألفاً . يقال : بكي يبكي بكاء وبكى ممدوداً ومقصوراً ، أنشد ابن الانباري لحسان بن ثابت شاهداً له :

بكت عيني وحق لها بكاها   وما يغني البكاء ولا العويلُ

فجمع بين اللغتين . السقط : منقطع الرمل حيث يستدق من طرفه ، والسقط أيضاً ما يتطاير من النار ، والسقط أيضاً المولود لغير تمام ، وفيه ثلاث لغات : سِقط وسَقط وسُقط في هذه المعاني الثلاثة . اللوى : رمل يعوج ويلتوي . الدخول وحومل : موضعان .

يقول : قفا وأسعداني وأعيناني ، أو قف وأسعدني على البكاء عند تذكري حبيباً فارقته ومنزلاً خرجت منه ، وذلك المنزل أوذاك الحبيب أو ذلك البكاء بمنقطع الرمل المعوج بين هذين الموضعين .

٢ — فتُوضِحَ فالمِقْراةِ لم يَعفُ رسمُها   لما نسجتْها من جَنوبٍ وشَمْألِ

توضح والمقراة : موضعان ، وسقط اللوى بين هذه المواضع الاربعة . قوله : لم يعف رسمها أي لم ينمح أثرها . الرسم : ما لصق بالارض من آثار الدار مثل البعر والرماد وغيرهما والجمع أرسم ورسوم . قوله : وشمأل : فيها ست لغات : شمال وشمأل وشأمل وشمول وشَمْل وشَمَل . نسج الريحين : اختلافهما عليها وستر احداهما اياها بالتراب وكشف الاخرى التراب عنها .

يقول : لم ينمح ولم يذهب أثرها لانه إذا غطتها احدى الريحين بالتراب كشفت الاخرى التراب عنها ، وقيل بل معناه لم يقتصر سبب محوها على نسج الريحين بل كان له أسباب منها هذا السبب ، ومر السنين وترادف الامطار وغيرها ، وقيل بل معناه لم يعف رسم حبها من قلبي وان نسجتها الريحان . والمعنيان الاولان أظهر من الثالث ، وقد ذكرها كلها أبو بكر بن الانباري .

(٢) في اعجاز القرآن ١٥/٢ (قوله « لما نسجتها » كان ينبغي أن يقول « لما نسجها » ولكنه تعسف فجعل « ما » في تأويل المؤنث لأنها في المعنى الريح ...وضرورة الشعر قد دلته على هذا التعسف . وقوله « لم يعف رسمها » كان الأولى أن يقول « لم يعف رسمه » لأنه ذكر المنزل) أي لأن توضح والمقراة ليس لها رسم يعفو أو لا يعفو . وقد اتهمه الباقلاني أيضاً بالتناقض ١٤/٢ لأنه قال (لم يعف رسم منازل حبيبه) ثم قال (فهل عند رسم دارس من معول ، فذكر أبو عبيدة أنه رجع فأكذب نفسه) . هذا وقدسها الزوزني عن شرح البيتين التاليين لهذا البيت فأسقطناهما .

٣ — وُقوفاً بها صحبي عليَّ مَطيَّهم   يقولون : لا تَهلِكْ أسىً وتجمَّلِ

نصب وقوفاً على الحال ، يريد : قفا نبك في حال وقف أصحابي مطيهم عليّ ، والوقوف جمع واقف بمنزلة الشهود والركوع في جمع شاهد وراكع . الصحب : جمع صاحب ، ويجمع الصاحب على الأصحاب والصَحْب والصِحاب والصَحابة والصُحبة والصُحبان ، ثم يجمع الأصحاب على الأصاحيب أيضاً ، ثم يخفف فيقال الأصاحب . المطيّ : المراكب ، واحدتها مطية ، وتجمع المطية على المطايا والمطيّ والمطيات ، وسميت مطية لأنه يركب مطاها أي ظهرها ، وقيل بل هي مشتقة من المطو وهو المد في السير ، يقال : مطاه يمطوه فسميت به لأنها تمد في السير . نصب أسىً لأنه مفعول له .

يقول : قد وقفوا عليّ أي لأجلي أو على رأسي وأنا قاعد عند رواحلهم ومراكبهم . يقولون لي : لا تهلك من فرط الحزن وشدة الجزع وتجمل بالصبر . وتلخيص المعنى : أنهم وقفوا عليه رواحلهم يأمرونه بالصبر وينهونه عن الجزع .

٤ — وإنَّ شفائي عَبرةٌ مُهراقةٌ   فهل عند رسمٍ دارسٍ من مُعوَّلِ

المهراق والمراق : المصبوب ، وقد أرقت الماء وهرقته وأهرقته أي صببته . المعوّل : المبكى ، وقد أعول الرجل وعوّل اذا بكى رافعاً صوته به ، والمعوّل المعتمد والمتكَل عليه أيضاً . العبرة : الدمع وجمعها عبرات ، وحكى ثعلب في جمعها : العبر ، مثل : بَدرة وبِدَر .

يقول : وان برئي من دائي ومما أصابني وتخلصي مما دهمني يكون بدمع أصبه ،

---

(٣) عند ابن سلام ٩ ؛ وابن قتيبة ٧٨/١ أن طرفة أخذ الشطر الثاني فقال « يقولون لا تهلك أسى وتجلد » ـ البيت الثاني من معلقة طرفة ـ .

(٤) في الموشح ٣٥ (.. وعيب عليه قوله : فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها ، ثم قال : وهل عند رسم دارس من معول) وفي الباقلاني ١٦/٢ (.. جعل الدمع في اعتقاده شافياً كافياً ، فما حاجته بعد ذلك الى طلب حيلة اخرى وتجمل ومعول عند الرسوم ؟ ولو أراد أن يحسن الكلام لوجب ان يدخل على ان الدمع لا يشفيه لشدة ما به من الحزن ، ثم يسائل هل عند الربع من حيلة اخرى ؟)

ثم قال : وهل من معتمد ومفزع عند رسم قد درس ، أوهل موضع بكاء عند رسم دارس . وهذا استفهام يتضمن معنى الانكار . والمعنى عند التحقيق : ولا طائل في البكاء في هذا الموضع ، لأنه لا يرد حبيباً ولا يجدي على صاحبه بخير ، أو لا أحد يعوَّل عليه ويُفزَع اليه في مثل هذا الموضع . وتلخيص المعنى : وإن مخلصي مما بي بكائي ، ثم قال : ولا ينفع البكاء عند رسم دارس .

٥ — كدأبكَ من أمِّ الحُويرثِ قبلَها وجارتِها أمِّ الرَّبابِ بمأسَلِ

الدأب والدأَب : العادة ، وأصلها متابعة العمل والجد في السعي ، يقال : دأب يدأب دأباً ودئاباً ودُؤوباً ، وأدأبت السير : تابعته . مأسل ، بفتح السين : جبل بعينه ، ومأسل ، بكسر السين : ماء بعينه ، والرواية فتح السين .

يقول : عادتك في حب هذه كعادتك من تينك ، أي قلة حظك من وصال هذه ومعاناتك الوجد بها كقلة حظك من وصالها ومعاناتك الوجد بها . قوله : قبلها ، أي قبل هذه التي شُغفت بها الآن .

٦ — إذا قامتا تضوَّعَ المسكُ منهما نسيمَ الصَّبا جاءت بريّا القرَنفُلِ

ضاع الطيب وتضوّع إذا انتشرت رائحته . الريا : الرائحة الطيبة .

يقول : إذا قامت أم الحويرث وأم الرباب فاحت ريح المسك منها كنسيم

(٥) في ابن قتيبة ٧٠/١ انها ام الحارث الكلبية ، وفي الخزانة ٢٠٣/٣ : (هي هر ام الحارث ابن حصين بن ضمضم الكلبي وام الرباب من كلب ايضاً ... وقال ... البكري : ... ام الحويرث ... هي اخت الحارث بن ضمضم من كلب وهي امرأة حجر ابي امرىء القيس فلذلك كان ابوه طرده ونفاه .. وهذا هو الصواب) .

(٦) في الباقلاني ١٧/٢ (لو اراد ان يجود افاد ان بها طيباً على كل حال ، فأما في حال القيام فقط فذلك تقصير . ثم فيه خلل آخر لأنه بعد ان شبه عرقها بالمسك شبه ذلك بنسيم القرنفل) . وفي الخزانة ١٤٣/٣ (هذا البيت اتسع النقاد في تأويله فمن قائل تضوع المسك منها بنسيم الصبا ، ومن قائل : تضوع نسيم الصبا منها ، ومن قائل : تضوع المسك منها تضوع نسيم الصبا ـ وهذا هو الوجه ـ ومن قائل : تضوع المسك منها ـ بفتح الميم ، يعني الجلد ـ بنسيم الصبا) ، وفي الخزانة ايضاً ٤١١/٣ (قال الدينوري في كتاب النبات : القرنفل اجود ما يؤتى به من بلاد الصين ... وقالوا : قد اخطأ امرؤ القيس فانه لا يقال تضوع المسك حتى كأنه ريا القرنفل ، انما كان ينبغي ان يقول : تضوع القرنفل حتى كأنه ريا المسك) .

الصبا إذا جاءت بعرف القرنفل ونشره . شبه طيب رياها بطيب نسيم هب على قرنفل وأتى برياه ، ثم لما وصفها بالجمال وطيب النشر وصف حاله بَعد بُعدهما فقـــال :

٧ — ففاضت دموعُ العينِ مني صبابةً   على النحرِ حتى بلَّ دمعي مَحملي

الصبابة : رقـة الشوق ، وقد صب الرجل يصب صبابة فهو صب والأصل صبب ، فسكنت العين وأدغمت في اللام . المحمل : حِمالة السيف والجمع المحامل ، والحمائل جمع الحمالة .

يقول : فسالت دموع عيني من فرط وجدي بهما وشدة حنيني اليهما حتى بل دمعي حمالة سيفي ، ونصب صبابة على أنه مفعول له ، كقولك : زرتك طمعاً في برّك . قـــال الله تعالى « من الصواعق حذرَ الموت » أي لحذر الموت ، وكذلك : زرتك للطمع في برك ، وفاضت دموع العين مني للصبابة .

٨ — ألا ربَّ يومٍ لكَ منهنَّ صالحٍ   ولا سيّما يوم بدارةِ جُلجُلِ

في « ربّ » لغات وهي : رُبّ ورَبّ ورُبْ ورُبَ ، ثم تلحق التـــاء فتقول : رُبّةَ ورُبّتَ ، وربّ : موضوع في كلام العرب للتقليل ، وكم : موضوع للتكثير . ثم ربما حملت « رب » على « كم » في المعنى فيراد بها التكثير ، وربما حملت « كم » على « رب » في المعنى فيراد بها التقليل . ويروى : ألا رب يوم كان منهن

(٧) في الباقلاني ١٨/٢ (استعانته بقوله « مني » استعانة ضعيفة .. وهو حشو غـير مليح ولا بديع ، وقوله « على النحر » حشو آخر لأن قوله « بل دمعي محملي » يغني عنه ويدل عليه وليس بحشو حسن ثم ... إعادة ذكره الدمع حشو آخر وكان يكفيه ان يقول : حتى بلت محملي) .

(٨) في رسالة الغفران ٢٢٩ — ٢٣٠ (انشـــده : « لك منهن صالح » فتزاحف الكف ، ام تنشده على الرواية الاخرى .. الا رب يوم صالح لك منها .. فيقول امرؤ القيس : اما انا فما قلت في الجاهلية الا بزحاف : لك منهن صالح ، واما المعلمون في الاسلام فغيروه على حسب ما يريدون ، ولا بأس بالوجه الذي اختاروه) ، زحاف الكف : هو اسقاط الحرف السابع من التفعيلة إذا كان ساكناً .

ثم لاحظ ان المعري جعل التركيب « على حسب » ، بينا جعله الجرجاني في الوساطة ص ١٨٦ « بحسب » ، وجعله الآمدي في الموازنة ص ٢٣٩ « حسبا » ، وهؤلاء جميعاً من المتأخرين ، فأي التراكيب اصح ؟

صالح . السيّ : المِثل ، يقال : هما سيّان أي مثلان ، ويجوز في « يوم » الرفع والجر ، فمن رفع جعل « ما » موصولة بمعنى الذي ، والتقدير : ولا سيّ اليومِ الذي هو بدارة جلجل ، ومن خفض جعل « ما » زائدة ، وخفضه بإضافة « سيّ » اليه ، فكأنه قال : ولا سيّ يومٍ أي ولا مثل يوم . دارة جلجل : غدير بعينه .

يقول : رب يوم فزت فيه بوصال النساء وظفرت بعيش صالح ناعم منهن ، ولا يوم من تلك الأيام مثل يوم دارة جلجل ، يريد أن ذلك اليوم كان أحسن الايام وأتمها ، فأفادت « لاسيما » التفضيل والتخصيص .

٩ ــ ويومَ عقرتُ للعذارى مَطيّتي فيا عجبا من كُورِها المتحمَّلِ

العذراء من النساء : البكر التي لم تفتضّ والجمع العذارى . الكور : الرحل بأداته والجمع الأكوار والكيران ، ويروى : من رحلها المتحمّل . المتحمل : الحمل . فتح « يوم » مع كونه معطوفاً على مجرور أو مرفوع ، وهو « يومٍ » أو « يومٌ بدارة جلجل » لأنه بناه على الفتح لما أضافه إلى مبني وهو الفعل الماضي ، وذلك قوله « عقرت » ، وقد يبنى المعرب اذا أضيف الى مبني ، ومنه قوله تعالى « انه لحقٌ مثلَ ما أنكم تنطقون » فبنى « مثل » على الفتح مع كونه نعتاً لمرفوع لما أضافه الى « ما » وكانت مبنية ، ومنه قراءة من قرأ « ومِن خِزْيِ يومئذٍ » بنى « يوم » على الفتح لما أضافه الى « اذ » وهي مبنية وان كان مضافاً اليه ومثله قول النابغة الذبياني :

على حينَ عاتبتُ المشيبَ على الصبا فقلتُ : ألمّا تصحُ والشيبُ وازعُ

بنى « حين » على الفتح لما أضافه إلى الفعل الماضي .

فضّل يوم دارة جلجل ويوم عقر مطيته للأبكار على سائر الايام الصالحة التي فاز بها من حبائبه ، ثم تعجب من حملهن رحل مطيته وأداته بعد عقرها ، واقتسامهن متاعه بعد ذلك . قوله : فياعجبا : الألف فيه بدل من ياء الإضافة ، وكان الاصل : فياعجبي ، وياء الإضافة يجوز قلبها ألفاً في النداء نحو : يا غلاما ، في : يا غلامي . فان قيل كيف نادى العجب وليس مما يعقل ؟ قيل في جوابه : ان المنادى محذوف والتقدير : يا هؤلاء أو يا قوم اشهدوا عجبي من كورهـــا

المتحمّل فتعجبوا منه فانه قد جاوز المدى والغاية القصوى ، وقيل بل نادى العجب اتساعاً ومجازاً ، فكأنه قال : يا عجبي تعال واحضر فان هذا أوان اتيانك وحضورك .

١٠ — فظلّ العذارى يرتمين بلحمها وشحمٍ كهُدّابِ الدِّمَقْسِ المُفَتَّلِ

يقال : ظل زيد قائماً ، إذا أتى عليه النهار وهو قائم ، وبات زيد نائماً ، اذا أتى عليه الليل وهو نائم ، وطفق زيد يقرأ القرآن ، إذا أخذ فيه ليلاً ونهاراً . الهدّاب والهُدْب : اسمان لما استرسل من الشيء نحو ما استرسل من الاشفار من الشعر ومن أطراف الاثواب ، الواحدة هدّابة وهُدبة ، ويجمع الهدب على الأهداب . الدِمَقْس والمِدَقْس : الإبْرَيْسَم ، وقيل : هو الابيض منه خاصة .

يقول : فجعلن يلقي بعضهن الى بعض شواء المطية استطابة أو توسعاً فيه طول نهارهن ، وشبه شحمها بالإبريسم الذي أجيد فتله وبولغ فيه ، وقيل : هو القزّ . الشحم : السِّمَن .

١١ — ويومَ دخلتُ الخِدرَ، خِدرَ عُنيزةٍ فقالت: لكَ الويلاتُ، إنكَ مُرجِلي

الخدر : الهودج ، والجمع : الخدور ، ويستعار للستر والحَجَلة وغيرهما ، ومنه قولهم : خَدَرت الجارية ، وجارية مخدّرة ، أي مقصورة في خِدرها لا تبرز منه ، ومنه قولهم : خَدَرَ الاسدُ يخدُرُ خَدْراً ، واخدر اخداراً إذا لزم عرينه ، ومنه قول ليلى الأخيلية :

فتى كان أحيا من فتاةٍ حَيِيّةٍ وأشجعَ من ليثٍ بخَفّانَ خادرِ

وقول الشاعر : كالأسدِ الوَرْدِ غدا من مَخدَرِه

والمراد بالخدر في البيت : الهودج . عنيزة : اسم عشيقته وهي ابنة عمه ،

(١٠) عده ابن سلام ٧٤ من التشبيهات المستحسنة .

(١١) الحجلة : قبة العروس . القوادح: السواد الذي يظهر في الاسنان . والبيت : ياتيم ...لجرير

وقيل : هو لقب لها واسمها فاطمة ، وقيل بل اسمها عنيزة وفاطمة غيرها .
قوله : فقالت لك الويلات : اكثر الناس على أن هذا دعاء منها عليه ، والويلات : جمع ويلة ، والويلة والويل : شدة العذاب ، وزعم بعضهم أنه دعاء منها له في معرض الدعاء عليه ، والعرب تفعل ذلك صرفاً لعين الكمال عن المدعو عليه ، ومنه قولهم : قاتله الله ما أفصحه ! ومنه قول جميل :

رمى اللهُ في عينيْ بثينةَ بالقذى ... وفي الغرّ من أنيابها بالقوادحِ

ويقال : رجِل الرجُل يرجَل رَجَلاً فهو راجل ، وارجلته أنا : صيّرته رجلاً .
خدر عنيزة بدل من الخدر الاول والمعنى : ويوم دخلت خدر عنيزة ، وهذا مثل قوله تعالى « لعلي أبلغ الاسباب أسباب السموات » ، ومنه قول الشاعر :

ياتيمَ تيمَ عديٍّ لا أبا لكمو ... لا يلفينكمو في سوءةٍ عُمرُ

وصرف عنيزة لضرورة الشعر وهي لا تنصرف في غير الشعر للتأنيث والتعريف .

يقول : ويوم دخلت هودج عنيزة فدعت عليّ — أودعت لي في معرض الدعاء عليّ — وقالت : انك تصيّرني راجلة لعقرك ظهر بعيري ، يريد أن هذا اليوم كان محاسن الايام الصالحة التي نلتها منهن أيضاً .

١٢ — تقولُ وقد مالَ الغَبيطُ بنا معاً : عقرتَ بعيري يا امرأالقيس فانزِلِ

الغبيط : ضرب من الرحال ، وقيل بل ضرب من الهوادج . الباء في قوله « بنا » للتعدية ، أي وقد أمالنا الغبيط جميعاً . عقرت بعيري أي أدبرت ظهره، من قولهم : سرج مُعْقِر وعُقَر وعُقَرَة يعقِر الظهرَ ، ومنه قولهم : كلب عقور ، ولا يقال في ذي الروح الا عقور .

يقول : كانت هذه المرأة تقول لي في حال إمالة الهودج — أو الرحل — إيانا : قد أدبرتَ ظهر بعيري فانزل عن البعير .

---

(١٢) في الباقلاني ٢٢/٢ (ذكر أبو عبيدة انه قال « عقرت بعيري » ولم يقل ناقتي لأنهم يحملون النساء على ذكور الابل لأنها أقوى) وفي ابن قتيبة ٦٠/١ أن هذا البيت (مما يتغنى به من شعره) .

١٣ – فقلتُ لها: سيري وأرخي زمامَه ولا تُبعديني من جَناكَ المعلَّلِ

جعل العشيقة بمنزلة الشجرة ، وجعل ما نال من عناقها وتقبيلها وشمها بمنزلة الثمرة ليتناسب الكلام. المعلل: المكرر، من قولهم: علّه يَعِلّه ويَعُلّه إذا كرّر سقيه ، وعلّله: للتكثير والتكرير ، والمُعلّل : المُلهي ، من قولك : عللت الصبيّ بفاكهة أي ألهيته بها . وقد روي في البيت بكسر اللام وفتحها .

المعنى – على ما ذكرنا – يقول : فقلت للعشيقة بعد أمرها إياي بالنزول : سيري وأرخي زمام البعير ولا تبعديني مما أنال من عناقك وشمك وتقبيلك الذي يلهيني – أو الذي أكرره – ويقال لمن على الدابة : سار يسير ، كما يقال للماشي كذلك، قال : سيري ، وهي راكبة . الجنى : اسم لما يجتنى من الشجر ، والجني المصدر ، يقال : جنيت الثمرة واجتنيتها .

١٤ – فمثلكِ حبلى قد طرقتُ ومُرضعٍ فألهيتُها عن ذي تمائمَ مُحْوِلِ

خفض « فمثلك » بإضمار « رب » ، أراد : فرب امرأة حبلى . الطروق : الإتيان ليلًا ، والفعل طرَق يطرُق . المرضع : التي لها ولد رضيع ، إذا بنيتَ على الفعل أنثت ، فقيل : أرضعت فهي مرضعة ، وإذا حملوها على أنها بمعنى ذات إرضاع أو ذات رضيع ، لم تلحقها تاء التأنيث ، ومثلها حائض وطالق

---

(١٤) في امالي المرتضى ١٤٨/٢ عن الأصمعي : (كان – اي امرؤ القيس – مفركًا ، فيقول : ألهيت هؤلاء على كراهتهن للرجال ، فكيف أنا عند المحبات لهم) وفي ابن سلام ٣٥ (.. ومنهم من كان يتعهر ولا يبقي على نفسه ولا يتستر ، منهم امرؤ القيس ، قال: ومثلك حبلى.... وقال : دخلت وقد ألقت لنوم ثيابها ....) وفي الموشح ٣٦ (وعيب أيضاً على امرىء القيس فجوره وعهره في شعره كقوله : فمثلك حبلى ... إذا ما بكى ...)

أما ابن قتيبة ٨٥/١ فهو يعلق على هذا البيت والذي يليه بقوله (إنما يعاب عليه تصريحه بالزنى والدبيب إلى حرم الناس ، والشعراء تتوقى ذلك في الشعر وإن فعلته) .

الانفطار : الانشقاق . الفارض : المسنة ، والبكر : الصغيرة التي لم تحمل والعوان وسط بينهما . الشائل : الرافع ذنبه . رابعتني : رفعت معي العدل بالعصا على ظهر البعير . الغرز : الركاب . النسيف : اثر ركض الرجل بجنبي البعير . الافحوص : مجثم القطاة . المطرق : التي حان خروج بيضها . البيت : وغررتني .... للحطيئة . والبيت : وقد تخذت ... للممزق العبدي . والرجز : ورابعتني .... لحميد الأرقط .

وحامل ، لافصل بين هذه الأسماء فيما ذكرنا ؛ إذا حملت على أنها من المنسوبات لم تلحقها علامة التأنيث ، وإذا حملت على الفعل لحقتها علامة التأنيث ، ومعنى المنسوب في هذا الباب أن يكون الاسم بمعنى : ذي كذا أو ذات كـذا ، والاسم اذا كان من هذا القبيل عرّته العرب من علامة التأنيث ، كما قالوا : امرأة لابن وتامر أي ذات لبن وذات تمر ، ورجل لابن وتامر أي ذو لبن وذو تمر ، ومنه قوله تعالى « السماء منفطرٌ به » نص الخليل على أن المعنى : السماء ذات انفطار به ، لذلك تجرد « منفطر » عن علامة التأنيث ، وقوله تعالى « لا فارضٌ ولا بِكرٌ عوانٌ » أي لا ذات فرْض ، وتقول العرب : جمل ضامر وناقة ضامر وجمل شائل وناقة شائل ، ومنه قول الأعشى :

عهدي بها في الحيّ قد سربلت بيضاء مثـل المهرة الضامرِ

أي ذات الضمور ، وقول الآخر :

وغررتني وزعمتِ أنـ ..... ـكِ لابنٌ في الصيف تامرْ

أي ذات لبن وذات تمر ، وقول الآخر :

ورابعتني تحت ليلٍ ضاربٍ بساعدٍ فعمٍ وكفٍ خاضبِ

أي ذات خضاب ، وقال أيضاً :

يا ليت أم العمر كانت صاحبي مكانَ من أمسى على الركائبِ

أي ذات صحبتي ، وأنشد النحويون :

وقد تخذتْ رجلي لدى جنب غرزها نسيفاً كأفحوص القطاة المطرّقِ

أي ذات التطريق . والمعول في هذا الباب على السماع اذ هو غير منقاد للقياس . لـهيت عن الشيء ألهى عنه لُهِيًّا ، اذا شغلت عنه وسلوت ، وألهيته الماء اذا شغلته . التميمة : العوذة والجمع التمائم . يقال : أحول الصبي اذا تم له حوْل فهو محوِل ، ويروى : عن ذي تمائم مُغيَل ، يقال : غالت المرأة ولدها تَغيل غيْلًا وأغالت تُغيل إغيالاً اذا أرضعته وهي حبلى ، ويروى : ومرضعٍ ، بالعطف على حبلى ويروى : ومرضعاً ، على تقدير « طرقتها » ومرضعاً : تكون معطوفة على ضمير المفعول .

يقول: فرب امرأة حبلى قد أتيتها ليلاً، ورب امرأة ذات رضيع أتيتها ليلاً، فشغلتها عن ولدها الذي علقت عليه العوذة، وقد أتى عليه حول كامل، أو قد حبلت أمه بغيره، فهي ترضعه على حبلها، وانما خص الحبلى والمرضع لأنهما أزهد النساء في الرجال وأقلهن شغفاً بهم وحرصاً عليهم، فقال: خدعتُ مثلهما مع اشتغالهما بأنفسهما فكيف تتخلصين مني؟ قوله: فمثلك: يريد به: فرب امرأة مثل عنيزة في ميله اليها وحبه لها، لأن عنيزة في هذا الوقت كانت عذراء غير حبلى ولا مرضع.

١٥ ـــ إذا ما بكى من خلفها انصرفتْ له بشقٍ، وتحتي شِقُّها لم يُحوَّلِ

شق الشيء: نصفه

يقول: اذا ما بكى الصبي من خلف المرضع انصرفت اليه بنصفها الأعلى فأرضعته وأرضته، وتحتي نصفها الأسفل لم تحوله عني، وصف غاية ميلها اليه وكلفها به حيث لم يشغلها عن مرامه ما يشغل الأمهات عن كل شيء.

١٦ ـــ ويوماً على ظهرِ الكثيبِ تعذَّرتْ عليَّ وآلتْ حلفةً لم تَحَلَّلِ

الكثيب: رمل كثير والجمع أكثبة وكُثُب وكُثبان. التعذر: التشدد والالتواء. الإيلاء والائتلاء والتألي: الحَلْف. يقال: آلى وائتلى وتألَّى اذا حلف، واسم اليمين الأليّة والأَلوة والأُلوة معاً، والحَلْف: المصدر، والحَلِف بكسر اللام الاسم، والحَلْفة: المرة. التحلل في اليمين: الاستثناء، نصب «حلفة» لأنها حلت محل الإيلاء كأنه قال: وآلت إيلاء، والفعل يعمل فيما وافق مصدره في المعنى كعمله في مصدره نحو قولهم: اني لأشنؤه بغضاً، واني لأُبغضه كراهية.

يقول: وقد تشددت العشيقة والتوت وساءت عشرتها يوماً على ظهر الكثيب المعروف، حلفت حلفاً لم تستثن فيه، أنها تصارمني وتهاجرني، هذا يحتمل ان يكون صفة حال اتفقت له مع عنيزة، ويحتمل أنها اتفقت مع المرضع التي وصفها.

(١٥) انظر في تعليقنا على البيت السابق: ما ذكره المرزباني ـ صاحب الموشح ـ وابن قتيبة حول هذا البيت وسابقه.

١٧ — أفاطمَ مهلاً بعضَ هذا التدللِ   وان كنتِ قد أزمعتِ صرمي فأجملي

مهلاً أي رفقاً ، الإدلال والتدلل : أن يثق الإنسان بحب غيره إياه فيؤذيه على حسب ثقته به ، والاسم : الدالّة والدَّلّ والدلال . أزمعتُ الامر وأزمعت عليه : وطنت نفسي عليه .

يقول : يا فاطمة دعي بعض دلالك وان كنتِ وطّنت نفسكِ على فراقي فأجملي في الهجران . نصب « بعض » لأنّ « مهلاً » ينوب مناب « دع » . الصرم : المصدر ، يقال : صرَمت الرجل أصرِمه صَرماً اذا قطعت كلامه ، والصُّرم : الاسم . فاطمة : اسم المرضع أو اسم عنيزة ، وعنيزة لقب لها فيما قيل .

١٨ — أغرَّكِ مني أن حبَّكِ قاتلي   وأنكِ مهما تأمري القلبَ يفعلِ ؟

يقول : قد غرك مني كون حبك قاتلي وكون قلبي منقادا لك بحيث مهما أمرته بشيء فعله . وألف الاستفهام دخلت على هذا القول للتقرير لا للاستفهام والاستخبار ، ومنه قول جرير :

ألستم خير من ركب المطايا   وأندى العالمين بطونَ راحِ

يريد أنهم خير هؤلاء ، وقيل بل معناه : قد غرك مني أنك علمت أن

---

(١٧) في الباقلاني ٢/٢٦ (.. كيف ينكر عليها تدللها والمتغزل يطرب على دلال الحبيب !) وفي نقد الشعر لقدامة ص ٤٣ (.. وربما صرعوا أبياتاً اخر من القصيدة بعد البيت الاول ، وذلك يكون من اقتدار الشاعر وسعة بحره واكثر من كان يستعمل ذلك امرؤ القيس لمحله من الشعر) ثم ذكر قدامة هــذا البيت والبيت ٤٤ من المعلقة . وقريب من هذا ما قاله ابو طــاهر البغدادي صاحب قانون البلاغة ص ٤٥٦ ، ثم قال عن امرىء القيس (وهو اوسعهم مذهباً في هذا الباب) ، وعد بروكلمان ٩٩/١ التصريع (من الخصائص العروضية في شعر) امرىء القيس . ولكن ابن سنان الخفاجي يقول في سر الفصاحة ص١٨٠ : (اما إذا تكرر التصريع في القصيدة فلست اراه مختاراً ، وهو عندي يجري مجرى تكرر الترصيع والتجنيس والطباق وغير ذلك ... وان هذه الاشياء انمــا يحسن منها ما قل وجرى منها مجرى اللمعة واللمحة فاما إذا تواتر وتكرر فليس عندي ذلك مرضياً) وفي الشعر والشعراء ٧٠/١ ان فاطمة هذه هي بنت العبيد بن ثعلبة بن عامر العذرية .

(١٨) في البصائر والذخائر ٢٦عن اسحاق الطاهري (أراد انك تملكين قلبك فــان اردت صرمي قدرت عليه وان اردت صلتي قدرت عليها ، واما انا فلا املك من قلبي إلا صلتك ، ومعنى اغرك اي جراك علي) وفي الموشح ٣٤ (قال عبد الله بن المعتز : عيب على امرىء القيس قوله : اغرك مني .... قال : وقالوا : إذا لم يغرها هذا فأي شيء يغرها ؟ قال : وانما هذا كأسير قال لمن اسره : اغرك ←

حبك مذلي . والقتل : التذليل ، وأنك تملكين فؤادك فمهما أمرتِ قلبك بشيء أسرع الى مرادك ، فتحسبين أني أملك عنان قلبي كما ملكتِ عنان قلبك حتى يسهل عليَّ فراقك كما سهل عليك فراقي ، ومن الناس من حمله على مقتضى الظاهر وقال : معنى البيت : أتوهمتِ وحسبتِ أن حبك يقتلني أو أنك مهما أمرت قلبي بشيء فعله ؟ قال : يريد أن الامر ليس على ماخيّل إليك ، فاني مالك زمام قلبي ، والوجه الامثل هو الوجه الأول ، وهذا القول أرذل الأقوال لأن مثل هذا الكلام لا يستحسن في النسيب بالحبيب

١٩ - وإن تكُ قدساءتكِ مني خليقةٌ   فسُلّي ثيابي من ثيابكِ تنسُلِ

من الناس من جعل الثياب في هذا البيت بمعنى القلب ، كما حُملت الثياب على القلب في قول عنترة :

فشككتُ بالرمح الاصمّ ثيابَه   ليس الكريم على القنا بمحرمِ

وقد حُملت الثياب في قوله تعالى « وثيابَك فطهّر » على أن المراد به القلب .

فالمعنى على هذا القول : ان ساءك خلق من أخلاقي ، أو كرهتِ خَصلة من خصالي ، فردي علي قلبي أفارقْك ، والمعنى على هذا القول : استخرجي قلبي من قلبك يفارقه . النسول : سقوط الريش والوبر والصوف والشعر ، يقال : نَسل ريش الطائر ينسُل نسولاً ، ، واسم ماسقط النَسيل والنُسال ، ومنهم من رواه

مني اني في يديك) وفي الصناعتين ص ٧٣ (اذا لم يغررها هذه الحال منه فما الذي يغرها ؟ وليس للمحتج عنه ان يقول : انما عنى بالقتل ههنا التبريح ، فان الذي يلزمه من الهجنة مع ذكر القتل يلزمه أيضاً مع ذكر التبريح) هذا وقد علق ابو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي نقلاً عن تعليقات امين الخانجي على كلمة « المحتج » بأنه «البطليوسي» احد شراح الديوان ، على حين ان العسكري عاش في القرن الرابع ، والبطليوسي عاش في القرن الخامس كما في الصلة لابن بشكوال ؛ ولعل الذي اوقع هذا المعلق او ذاك في الغلط ، خطأ مطبعي وقع في بغية الوعاة ثم نقله الزركلي فأرخ وفاة البطليوسي سنة ١٦٤ ه (خطأ) ، اما سركيس فقد نقل عن البغيــة ولكنه فطن للغلط فيها . وعندي ان « المحتج » هو ابن قتيبة اذ قال ٨٤/١ (.. قالوا : اذا كان هذا لا يغر فما الذي يغر ..؟ ولا ارى هذا عيباً ... لأنه لم يرد بقوله « حبك قاتلي » : القتل بعينه ، وانما اراد به انه قد برح بي فكأنه قد قتلني ... اي فلا تغتري بهذا فاني املك نفسي واصبرها عنك واصرف هواي) وفي سر الفصاحة ص ٢٤٨ (وعيب عليه ايضاً قوله : اغرك مني ... وقيل : ان كان هذا لايغر فماذا الذي يغر ؟)

« تنسلي » وجعل الانسلاء بمعنى التسلي ، والرواية الاولى أولاهما بالصواب ، ومن الناس من حمل الثياب في البيت على الثياب الملبوسة وقال : كنّى بتباين الثياب وتباعدها عن تباعدهما ، وقال : ان ساءك شيء من أخلاقي فاستخرجي ثيابي من ثيابك أي ففارقيني وصارميني كما تحبين ، فإني لا أوثر إلا ما آثرتِ ، ولا أختار الا ما اخترتِ لانقيادي لك وميلي اليك ، فاذا آثرتِ فراقي آثرتُه ، وان كان سبب هلاكي وجالب موتي .

٢٠ــ وما ذَرَفتْ عيناكِ إلاّ لتضربي بسهميكِ في أعشارِ قلبٍ مُقتَّلِ

ذرف الدمعُ يذرِف ذريفاً وذَرَفاناً وتَذرافاً اذا سال ، ثم يقال : ذرَفت عينه كما يقال : دمعت عينه ، وللأئمة في البيت قولان : قال الأكثرون : استعار للحظ عينيها ودمعها اسم السهم لتأثيرهما في القلوب وجرحها اياها ، كما أن السهام تجرح الاجسام وتؤثر فيها ، الاعشار : من قولهم : برمة أعشار اذا كانت قطعاً ولا واحد لها من لفظها . المقتّل : المذلل غاية التذليل ، والقتل في الكلام : التذليل ، ومنه قولهم : قتلت الشراب اذا قللت غرب سورته بالمزاج ، ومنه قول الأخطل : فقلت : اقتلوها عنكم بمزاجها وحَبٌ بها مقتولةً حين تقتلُ
وقال حسان : إنَّ التي ناولتَني فرددتُها قُتِلَتْ ـ قُتِلْتَ ـ فهاتها لم تُقتَلِ

ومنه : قتلت أرضٌ جاهلَها ، وقتّل أرضاً عالمها ، ومنه قوله تعالى « وما قتلوه يقيناً » عند أكثر الأئمة أي ما ذللوا قولهم بالعلم اليقين .

---

(٢٠) في ديوان المعاني للعسكري ٢٢٢/١ (قالوا : ارق بيت قالتــه العرب قول امرىء القيس : وما ذرفت ... يريد ان قلبه عليل وانت تزيدينه علة بسهميك ، يعني عينيها ، والمقتل : المذلل) وذكر ابن قتيبة ١/ ٦١ أن اناساً اجتمعوا في حضرة عبد الملك فأجمعوا انه (ارق بيت قالته العرب) . وجاء في العمدة ٩٧/٢ (كان الاصمعي يقول : اغزل بيت قالته العرب قول امرىء القيس : ومــا ذرفت ...) وفي العمدة ايضاً ١٨٧/١ : من التمثيل (قول امرىء القيس ــ وهو اول من ابتكره ولم يأت املح منه ــ : وما ذرفت .... فمثل عينيها بسهمي الميسر ، يعني : المعلى وله سبعــة انصباء ، والرقيب وله ثلاثة انصباء، فصار جميع أعشار قلبه للسهمين اللذين مثل بهما عينيها ،ومثل قلبه بأعشار الجزور)، الغرب والسورة : الحدة

وتلخيص المعنى على هـذا القول : وما دمعت عيناك أي وما بكيتِ إلا لتصيدي قلبي بسهمي دمع عينيك وتجرحي قطع قلبي الذي ذللته بعشقك غاية التذليل ، أي نكايتُها في قلبي نكايةُ السهم في المرمى ، وقال آخرون : أراد بالسهمين المعلّى والرقيب من سهام الميسر ، والجزور تقسم على عشرة أجزاء : فللمعلى سبعة أجزاء وللرقيب ثلاثة أجزاء ، فمن فاز بهذين القدحين فقد فاز بجميع الأجزاء وظفر بالجزور . وتلخيص المعنى على هذا القول : وما بكيت إلا لتملكي قلبي كله وتفوزي بجميع أعشاره وتذهبي بكله ، والأعشار على هذا القول : جمع عُشر لأن أجزاء الجزور عشرة والله أعلم .

٢١ — وبيضةِ خدْرٍ لا يُرامُ خِباؤها   تمتّعتُ من لهوٍ بها غيرَ مُعجَلِ

أي ورب بيضة خِدْر ، يعني ورب امرأة لزمت خدرها ، ثم شبهها بالبيض ، والنساء يشبهن بالبيض من ثلاثة أوجه : أحدها : بالصحة والسلامة عن الطمث ، ومنه قول الفرزدق :

خرجن اليّ لم يطمثن قبلي   وهنّ أصحُّ من بيضِ النعامِ

ويروى : دفعن اليّ ، ويروى . برزن اليّ . والثاني : في الصيانة والستر لأن الطائر يصون بيضه ويحضُنه . والثالث : في صفاء اللون ونقائه لأن البيض يكون صافي اللون نقيّه إذا كان تحت الطائر ؛ وربما شبهت النساء ببيض النعام وأريدَ أنهن بِيضٌ تشوب ألوانهن صفرة يسيرة وكذلك لون بَيض النعام ، ومنه قول ذي الرُّمة : كأنها فضةٌ قد مسّها الذهبُ .

الرَّوم : الطلب ، والفعل منه : يروم . الخباء : البيت إذا كان من قطن أو وبر أو صوف أو شعر والجمع الأخبية . التمتّع : الانتفاع ، و « غير » يروى بالنصب والجر ، فالجر على صفة لهوٍ ، والنصب على الحال من التاء في « تمتعت » .

يقول : ورب امرأة كالبيض في سلامتها من الافتضاض ، أو في الصون والستر ، أو في صفاء اللون ونقائه ، أو في بياضها المشوب بصفرة يسيرة ، ملازمة خدرها غير خرّاجة ولاّجة ، انتفعت باللهو بها على تمكّث وتلبّث ، لم أعجل عنها ، ولم أشغل عنها بغيرها .

٢٢ ـ تجاوزتُ أحراساً اليها ومعشراً   عليَّ حِراصاً لو يُسِرّون مقتلي

الأحراس : يجوز أن يكون جمع حارس بمنزلة صاحب وأصحاب وناصر وأنصار وشاهد وأشهاد ، ويجوز أن يكون جمع حرَس بمنزلة جبل وأجبال وحجر وأحجار، ثم يكون الحرس جمع حارس بمنزلة خادم وخدم وغائب وغيب وطالب وطلب وعابد وعبد . المعشر : القوم والجمع المعاشر ، والحراص جمع حريص مثل ظراف وكرام ولئام في جمع ظريف وكريم ولئيم . الإسرار : الإظهار والاضمار جميعاً، وهو من الاضداد . ويروى : « لو يُشِرّون مقتلي » بالشين المعجمة وهو الإظهار لا غير .

يقول : تجاوزت في ذهابي اليها وزيارتي اياها أهوالاً كثيرة وقوماً يحرسونها، وقوماً حراصاً على قتلي ، لو قدروا عليه في خفية لأنهم لا يجترئون على قتلي جهاراً، أو حراصاً على قتلي لو أمكنهم قتلي ظاهراً لينزجر ويرتدع غيري عن مثل صنيعي . وحمله على الاول أولى لأنه كان ملكاً ، والملوك لا يُقدر على قتلهم علانية .

٢٣ ـ اذا ما الثريّا في السماءِ تعرّضت   تعرُّضَ أثناءِ الوشاحِ المفصَّلِ

التعرض : الاستقبال ، والتعرض : إبداء العُرض وهو الناحية ، والتعرّض: الأخذ في الذهاب عَرَضاً . الأثناء : النواحي ، والأثناء : الاوساط واحدها ثِنَى

(٢٣) في الكامل للمبرد ٣٦/٢ (وقد اكثر الناس في الثريا فلم يأتوا بما يقارب هذا المعنى ولا بما يقارب سهولة هذه الالفاظ) وعده ابن سلام ص ٧٣ من التشبيهات المستحسنة ثم قال (.. انكر قوم قوله : إذا ما الثريا ... وقالوا : الثريا لا تتعرض . قال بعض العلماء : عنى الجوزاء) . وفي الوساطة ص ١٣ (.. الثريا لا تتعرض وانما تتعرض الجوزاء) . وفي الموشح ص ٣٦ (عيب على امرىء القيس قوله : اذا ما الثريا .. فقالوا : ليست تتعرض في السماء ، وقال بعضهم ممن يعذره : اراد الجوزاء لأنها تتلوها) . وفي ديوان المعاني للعسكري ٣٣٤/١ (وقد استحسن الناس هذا البيت في صفة الثريا على قديم الدهر وقدموه ، ثم قال بعضهم : وهو معيب لأن التعرض إنما هو ان يبدي لك عرضه اي جانبه). وقال الباقلاني ٣١/٢-٣٢ (انكر عليه قوم قوله : إذا ما الثريا ... وقالوا : الثريا لا تتعرض ، حتى قال بعضهم : سمى الثريا وانما اراد الجوزاء ... والأشبه عندنا ان البيت غير معيب ... وانه من محاسن هذه القصيدة) ثم قال في صفحة ٣٥ (فقوله « تعرضت » ... يستغنى عنه لأنه يشبه اثناء الوشاح سواء كان في وسط السماء او عند الطلوع والمغيب ، ... وفيه ان الثريا كقطعة من الوشاح المفصل) ، وممن عابه عليه أيضاً ابن قتيبة في ٥٨/١ النحي : زق السمن .

مثل عَصى ، وثِنى مثل مِعى ، وِثْني بوزن فِعْل مثل نِحْي ، وكذلك : الآناء بمعنى الأوقات والآلاء بمعنى النعم في واحدها ، هذه اللغات الثلاث ذكرها كلها ابن الأنباري . المفصّل : الذي فصل بين خرزه بالذهب أو غيره .

يقول : تجاوزت اليها في وقت إبداء الثريا عرضَها في السماء كإبداء الوشاح الذي فصل بين جواهره وخرزه بالذهب أو غيره ، عرضَه . يقول : أتيتها عند رؤية نواحي كواكب الثريا في الأفق الشرقي ، ثم شبه نواحيها بنواحي جواهر الوشاح . هذا أحسن الأقوال في تفسير البيت . ومنهم من قال : شبه كواكب الثريا بجواهر الوشاح لأن الثريا تأخذ وسط السماء كما أن الوشاح يأخذ وسط المرأة المتوشحة . ومنهم من زعم أنه أراد الجوزاء فغلط وقال الثريا ، لأن التعرض للجوزاء دون الثريا ، وهذا قول محمد بن سلام الجمحي . وقال بعضهم : تعرّض الثريا أنها اذا بلغت كبد السماء أخذت في العرض ذاهبة ساعة ، كما أن الوشاح يقع مائلا الى أحد شقي المتوشحة به .

٢٤ ــ فجئتُ وقد نضَتْ لنومٍ ثيابَها لدى السِّترِ إلا لِبسةَ المتفضِّلِ

نضا الثياب ينضوها نَضْواً اذا خلعها ، ونضّاها ينضّيها اذا أراد المبالغة . اللِّبسة : حالة اللابس وهيئة لبسه الثياب بمنزلة الجِلسة والقِعدة والرِكبة والرِدية والإزرة . المتفضّل : اللابس ثوباً واحداً اذا أراد الخِفة في العمل ، والفضلة والفُضُل اسمان لذلك .

يقول : أتيتها وقد خلعت ثيابها عند النوم غير ثوب واحد تنام فيه ، وقد وقفت عند الستر مترقبة ومنتظرة لي ، وانما خلعت الثياب لتري أهلها أنها تريد النوم .

---

(٢٤) اورد المعري في رسالة الغفران (٢٢٦ — ٢٢٧) هذا البيت بترك التشديد في « نضت » ، وقرن به البيت ٧٦ من هذه المعلقة بترك التشديد ايضاً في « الغثاء » وقال (اراد ان يصحح الزنة فأفسد اللفظ) ثم قال على لسان امرىء القيس (انما حملهم على التشديد كراهة الزحاف وليس عندنا بمكروه) . وقال الباقلاني ٣٦/٢ (قوله : لدى الستر ، حشو وليس بحسن) . وانظر في تعليقنا على البيت رقم ١٤ : ما ذكره ابن سلام حول هذا البيت .

الردية والازرة : هيئة الارتداء والائتزار.

٢٥ — فقالت : يمينَ الله مالكَ حيلةٌ   وما إنْ أرى عنكَ الغَوايةَ تنجلي

اليمين : الحَلِف . الغَواية والغَيّ : الضلالة ، والفعل غوى يغوي غَواية . ويروى : العَماية وهي العمى . الانجلاء : الانكشاف ، وجلوته : كشفته فانجلى . الحِيلة أصلها : حِولة فأبدلت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها . و « ان » في قوله « وما ان » : زائدة ، وهي تزاد مع « ما » النافية ، ومنه قول الشاعر :

وما ان طِبُّنا جُبنٌ ولكنْ   منايانا ودولةُ آخرينـــا

يقول : فقالت الحبيبة : أحلف بالله مالك حيلة أي مالي لدفعك عني حيلة ، وقيل بل معناه : مالك حجة في أن تفضحني بطروقك اياي وزيارتك ليلاً ، يقال ماله حيلة أي ماله عذر وحجة ، وما أرى ضلال العشق وعماه منكشفاً عنك . وتحرير المعنى أنها قالت : مالي سبيل الى دفعك أو مالك عذر في زيارتي ، وما أراك نازعاً عن هواك وغيّك . ونصب « يمين الله » كقولهم : اللهَ لأقومن ، على إضمار الفعل ، وقال الرواة : هذا أغنج بيت في الشعر .

٢٦ — خرجتُ بها أمشي تجرُّ وراءنا   على أثَرَيْنا ذيلَ مِرْطٍ مُرَحَّلِ

خرجت بها : أفادت الباء تعدي الفعل ، والمعنى أخرجتها من خدرها . الإثر والأثَر واحد ، وأما الأثر بفتح الهمزة وسكون الثاء فهو فِرِنْد السيف ، ويروى « على إثرنا أذيال » ، والذيل يجمع على الأذيال والذيول . المرط عند العرب : كساء من خزّ أو مِرْعِزّى أو من صوف ، وقد تسمى المُلاءة مرطاً أيضاً ، والجمع المروط . المرحّل : المنقّش بنقوش تشبه رحال الإبل . يقال: ثوب مرحّل وفي هذا الثوب ترحيل .

يقول : فأخرجتها من خدرها وهي تمشي وتجر مرطها على أثرنا لتعفّي به آثار أقدامنا ، والمرط كان موشّىً بأمثال الرحال ، ويروى « نير مرط » والنير : عَلَم الثوب .

---

(٢٥) الطب : العادة . ومعنى البيت الوارد في الشرح : ليس الجبن من عادتنا ولكن الهزيمة التي اصابتنا هي منيتنا وهي بدء دولة الآخرين إذ الزمان دول والبيت لفروة بن مسيك المرادي .

(٢٦) قال الباقلاني ٣٧/٢ (لو قال « على إثرنا » كان كافياً ، والذيل إنما يجر وراء الماشي فلا فائدة لذكره « وراءنا ») فرند السيف : وشيه . علم الثوب : رسمه ورقمه .

٢٧ـ فلما أجزنا ساحة الحيّ وانتحى بنا بطنُ خَبْتٍ ذي حِقافٍ عَقَنْقَلِ

يقال : أجزت المكان وجزته إذا قطعته إجازة وجوازاً . الساحة تجمع على الساحات والساح والسوح مثل قارة وقارات وقار وقور ، والقارة : الجبل الصغير . الحي : القبيلة والجمع الأحياء ، وقد تسمى الحِلّة حياً . الانتحاء والتنحي والنحو : الاعتماد على شيء ، ذكره ابن الاعرابي . البطن : مكان مطمئن حوله أماكن مرتفعة والجمع أبطن وبطون وبُطنان . الخبت : أرض مطمئنة . الحِقف : رمل مشرف معوجّ والجمع أحقاف وحقاف ، ويروى « ذي قفاف » وهي جمع قُفّ وهو ما غلظ وارتفع من الأرض ولم يبلغ أن يكون جبلاً . العقنقل : الرمل المنعقد المتلبد ، وأصله من العقل وهو الشد ، وزعم أبو عبيدة وأكثر الكوفيين أن الواو في « وانتحى » مقحمة زائدة ، وهو عندهم جواب « لما » ، وكذلك قولهم في الواو في قوله تعالى « وناديناه أن يا ابراهيم » والواو لا تقحم زائدة في جواب « لما » عند البصريين ، والجواب يكون محذوفاً في مثل هذا الموضع . تقديره في البيت : فلما كان كذا وكذا تنعمت وتمتعت بها ، أو الجواب : قوله « هصرت » ، وفي الآية : فازا وظفرا بما أحبا ، وحذف جواب « لما » كثير في التنزيل وكلام العرب .

يقول : فلما جاوزنا ساحة الحلة وخرجنا من بين البيوت وصرنا الى أرض مطمئنة بين حقاف ، يريد : مكاناً مطمئناً أحاطت به حقاف أو قفاف منعقدة ، والعقنقل من صفة الخبت لذلك لم يؤنثه ، ومنهم من جعله من صفة الحقاف وأحله محل الأسماء وعطّله من علامة التأنيث لذلك . وقوله « وانتحى بنا بطن خبت » أسند الفعل إلى « بطن خبت » والفعل عند التحقيق لهما ، ولكنه ضرب من الاتساع في الكلام ، والمعنى صرنا الى مثل هذا المكان . وتلخيص المعنى : فلما خرجنا من مجمع بيوت القبيلة وصرنا الى مثل هذا الموضع طاب حالنا وراق عيشنا .

(٢٧) الحلة : مجمع بيوت الناس . قوله « والفعل عند التحقيق لهما » اي للشاعر وعشيقته .

٢٨— هصرتُ بفَوْدَيْ رأسِها فتمايلتْ عليَّ هضيمَ الكشحِ ريّا المُخلخَلِ

الهصر : الجذب والفعل هصَر يهصِر . الفودان : جانبا الرأس . تمايلت أي مالت ، ويروى « بغصني دَوْمة » والدَوْم : شجر المُقْل واحدتها دومة ، شبهها بشجرة ، وشبه ذؤابتيها بغصنين ، وجعل ما نال منها كالثمر الذي يجتنى من الشجر ، ويروى « اذا قلت هاتي ناوليني تمايلت » والنول والإنالة والتنويل : الاعطاء ، ومنه قيل للعطية : نوال . هضيم الكشح : ضامر الكشح ، والكشح : منقطع الأضلاع والجمع كشوح ، وأصل الهضم : الكسر والفعل هضَم يهضِم ، وانما قيل لضامر البطن : هضيم الكشح لأنه يدق ذلك الموضع من جسده فكأنه هضم عن قرار الردف والجنبين والوركين . ريّا : تأنيث الريان . المخلخل : موضع الخَلخال من الساق ، والمُسوَّر : موضع السِوار من الذراع ، والمُقلَّد : موضع القلادة من العنق ، والمُقرَّط : موضع القُرط من الأذن . عبّر عن كثرة لحم الساقين وامتلائها بالريّ . « هصرت » : جواب « لما » من البيت الأول عند البصريين وأما الرواية الثالثة وهي « إذا قلت » فإن الجواب مضمر محذوف على تلك الرواية على ما مر ذكره في البيت الذي قبله .

يقول : لما خرجنا من الحلة وأمنّا الرقباء جذبت ذؤابتيها اليّ فطاوعتني فيما رمت منها ومالت عليّ مسعفة بطلبتي في حال ضمر كشحيها وامتلاء ساقيها باللحم. والتفسير على الرواية الثالثة : اذا طلبت منها ما أحببت وقلت أعطيني سؤلي كان ماذكرناه ، ونصب « هضيم الكشح » على الحال ، ولم يقل « هضيمة الكشح » لأن « فعيلًا » إذا كان بمعنى « مفعول » لم تلحقه علامة التأنيث للفصل بين « فعيل » إذا كان بمعنى « الفاعل » ، وبينه إذا كان بمعنى « المفعول » ، ومنه قوله تعالى « ان رحمة الله قريب من المحسنين » .

٢٩— مهفهفةٌ بيضاءُ غيرُ مُفاضةٍ ترائبُها مصقولةٌ كالسَجَنْجَلِ

(٢٩) عده ابن سلام ص٧٢ من التشبيهات المستحسنة .

المهفهفة : اللطيفة الحصر الضامرة البطن . المفاضة : المرأة العظيمـــة البطن المسترخية اللحم . الترائب جمع التريبـة وهي موضع القلادة من الصدر . السقْل والصقْل بالسين والصاد : إزالة الصدإ والدنس وغيرهما ، والفعل منه سقَل يسقُل وصقَل يصقُل . السجنجل : المرآة ، لغة رومية عربتها العرب ، وقيل بل هو قِطع الذهب والفضة .

يقول : هي امرأة دقيقة الحصر ضامرة البطن ، غير عظيمة البطن ولا مسترخيته ، وصدرها براق اللون متلألىء الصفاء كتلألؤ المرآة .

٣٠ – كبِكرِ المُقاناةِ البياضِ بصفرةٍ غذاها نميرُ الماءِ غيرُ المُحلَّلِ

البِكر من كل صنف : ما لم يسبقه مثله . المقاناة : الخلط ، يقال : قانيت بين الشيئين إذا خلطت أحدهما بالآخر ، والمقاناة في البيت مصوغة للمفعول دون المصدر . النمير : الماء النامي في الجسد . المحلل : ذُكر أنه من الحلول وذكر أنه من الحِل ، ثم ان الأئمة في تفسير البيت ثلاثة أقوال :

أحدها : أن المعنى : كبكر البَيض التي قوني بياضها بصفرة ، يعني بيض النعام ، وهي بِيض تخالط بياضها صفرة يسيرة ، شبه لون العشيقة بلون بيض النعام في أن في كل منهما بياضاً خالطته صفرة ، ثم رجع الى صفتها فقال : غذاها ماء نمير عذب لم يكثر حلول الناس عليه فيكدره ذلك ، يريد أنه عذب صاف ، وانما شرط هذا لأن الماء من أكثر الأشياء تأثيراً في الغذاء لفرط الحاجة اليه ، فإذا عذب وصفا حسن موقعه في غذاء شاربه . وتلخيص المعنى على هذا القول أنها بيضاء يشوب بياضها صفرة ، وقد غذاها ماء نمير عذب صاف ، والبياض الذي شابته صفرة أحسن ألوان النساء عند العرب .

والثاني أن المعنى كبكر الصدفة التي خولط بياضها بصفرة ، وأراد ببكرها درتها التي لم يُر مثلها ، ثم قال : قد غذا هذه الدرة ماء نمير ، وهي غير محللة

---

(٣٠) ذكر المعري في رسـالة الغفران ص٢٢٦ أن « البياض » : يجوز فيها الجر والنصب والرفع ولكنه يختار الجر .

البردي : نبات . قوله « والنصب على التشبيه » أي على شبه المفعولية .

لمن رامها لأنها في قعر البحر لا تصل اليها الأيدي . وتلخيص المعنى على هذا القول أنه شبهها في صفاء اللون ونقائه بدرة فريدة تضمنتها صدفة بيضاء شابت بياضها صفرة ، وكذلك لون الصدفة ، ثم ذكر أن الدرة التي أشبهتها حصلت في ماء غير لا تصل اليها أيدي طلابها ، وانما شرط النمير ، والدر لا يكون الا في الماء الملح ، لأن الملح له بمنزلة العذب لنا اذ صار سبب غذائه كما صار العذب سبب غذائنا .

والثالث أنه أراد : كبكر البَرْدِيّ التي شاب بياضها صفرة ، وقد غذا البردي ماء غير لم يكثر حلول الناس عليه ، وشرط ذلك ليسلم الماء عن الكدر ، واذا كان كذلك لم يغيّر لون البردي ، والتشبيه من حيث أن بياض العشيقة خالطته صفرة كما خالطت بياض البردي . ويروى البيت بنصب « البياض » وخفضه وهما جيدان بمنزلة قولهم : زيدٌ الحسنُ الوجهِ ، والحسنُ الوجهَ ، بالخفض : على الاضافة ، والنصب : على التشبيه كقولهم : زيد الضارب الرجل .

٣١ – تَصُدُّ وتُبدي عن أسيلٍ وتتقي بناظرةٍ من وحشِ وَجْرَةَ مُطفِلِ

الصد والصدود : الإعراض ، والصد أيضاً : الصرف والدفع ، والفعل منه صدّ يَصُدّ ، والإصداد : الصرف أيضاً . الإبداء : الإظهار . الأسالة : امتداد وطول في الخد ، وقد أسُل أسالة فهو أسيل . الاتقاء : الحجز بين الشيئين ، يقال : اتقيته بترس أي جعلت الترس حاجزاً بيني وبينه . وجرة : موضع . المطفل : التي لها طفل . الوحش جمع وحشيّ مثل زنج وزنجيّ وروم وروميّ .

(٣١) في الوساطة ص ٣١ يقول الجرجاني إن قوله (وحش وجرة) هو (من حشو الكلام) أتى به لإتمام النظم (وإقامة الوزن ... وسألت من لا أحصي من الأعراب عن وحش وجرة فلم يروا لها فضلاً على وحش ..) . ولكن هذا القول يضعنا أمام سؤال : كيف نفسر تعاقب الشعراء على ذكر وحش وجرة إذن ؟ مع العلم أنها وردت في شعر لبيد – البيت ١٤ من معلقته – وشعر النابغة الذبياني – البيت العاشر من داليته بشرح التبريزي – وشعر الأحوص بن محمد – التنبيه على أمالي القالي ٥٨ – وشعر البحتري – لاميته التي مطلعها : أهلاً بذلكم الخيال .. – وغيرهم كثير ، ولكني ذكرت هؤلاء سيراً مع العصور الأدبية . وقال الباقلاني ٢/٤٠ (كان من سبيله أن يضيف إلى عيون الظباء أو المها دون إطلاق « الوحش ») وقال في ٢/٤١ (إنها إذا كانت مطفلاً لحظت أطفالها بعين رقة ؛ ففي نظر هذه : رقة نظر المودة) .

يقول: تعرض العشيقة عني وتظهر خداً أسيلا، أو تجعل بيني وبينها عيناً ناظرة من نواظر وحش هذا الموضع التي لها أطفال، شبهها في حسن عينها بظبية مطفل أو بمهاة مطفل، وتلخيص المعنى أنها تعرض عنا فتظهر في اعراضها خداً أسيلا، وتستقبلنا بعين مثل عيون ظباء وجرة أومهاها اللواتي لها أطفال، وخصهن لنظرهن إلى أولادهن بالعطف والشفقة، وهي أحسن عيوناً في تلك الحال منهن في سائر الأحوال. قوله: عن أسيل أي عن خد أسيل، فحذف الموصوف لدلالة الصفة عليه كقولك: مررت بعاقل أي بإنسان عاقل، وقوله: من وحش وجرة أي من نواظر وحش وجرة، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه كقوله تعالى «واسأل القرية» أي أهل القرية.

٣٢ — وجيدٍ كجيدِ الرِّئمِ ليس بفاحشٍ إذا هي نصَّتْه ولا بمعطَّلِ

الرئم: الظبي الأبيض الخالص البياض والجمع آرام. النصّ: الرفع، ومنه سمي ما تُجلى عليه العروس: منصّة، ومنه النص في السير وهو حمل البعير على سير شديد، ونصصت الحديث أنصُّه نصاً: رفعته. الفاحش: ما جاوز القدر المحمود من كل شيء.

يقول: وتبدي عن عنق كعنق الظبي غير متجاوز قدره المحمود اذا مارفعت عنقها، وهو غير معطّل عن الحلي، فشبه عنقها بعنق الظبية في حال رفعها عنقها، ثم ذكر أنه لا يشبه عنق الظبي في التعطل عن الحلي.

٣٣ — وفرعٍ يزينُ المتنَ أسودَ فاحمٍ أثيثٍ كقِنْوِ النخلةِ المُتعثكِلِ

الفرع: الشَعر التام. والجمع فروع، ورجل أفرع وامرأة فرعاء. الفاحم: الشديد السواد، مشتق من الفحم، يقال: هو فاحم بيّن الفحومة. الأثيث: الكثير، والأثاثة: الكثرة، يقال: أثّ الشَعرُ والنبتُ. القِنو يجمع على الأقناء والقِنوان. العُثكول والعِثكال: قد يكونان بمعنى القِنو، وقد يكونان بمعنى قطعة من القنو، والنخلة المتعثكلة: التي خرجت عثاكيلها أي قِنوانها.

(٣٣) القنو من التمر كالعنقود من العنب.

يقول : وتبدي عن شعر طويل تام يزين ظهرها إذا أرسلته عليه ، ثم شبه ذوائبها بقنو نخلة أخرجت قنوانها ، والذوائب تشبه بالعناقيد ، والقنوان : يريد به تجعدها وأثاثتها .

٣٤ — غدائرُهُ مستشزراتٌ الى العلا تَضِلُّ العِقاصُ في مُثنّى ومُرسَلِ

الغدائر جمع الغديرة وهي الخُصلة من الشعر . الاستشزار : الارتفاع والرفع جميعاً ، فيكون الفعل منه مرة لازماً ومرة متعدياً ، فمن روى « مستشزرات » بكسر الزاي جعله من اللازم ، ومن روى بفتح الزاي جعله من المتعدي . العقيصة : الخُصلة المجموعة من الشعر ، والجمع عِقَص وعقائص . والفعل من الضلال والضلالة : ضلّ يضِلّ ويضَلّ جميعاً .

يقول : ذوائبها وغدائرها مرفوعات أو مرتفعات الى فوق ، يراد به شدها على الرأس بخيوط ، ثم قال : تغيب تعاقيصها في شعرٍ بعضه مثنى وبعضه مرسل ، أراد به :وفور شعرها ، والتعقيص : التجعيد .

٣٥ — وكشحٍ لطيفٍ كالجديلِ مُخصَّرٍ وساقٍ كأنبوبِ السَّقيِّ المُذَلَّلِ

الجديل : خِطام يتخذ من الأدَم والجمع جدُل . المخصَّر : الدقيق الوسط ، ومنه : نعل مخصَّرة . الأنبوب : ما بين العقدتين من القصب وغيره والجمع الأنابيب . السقيّ ههنا بمعنى المسقيّ كالجريح بمعنى المجروح والجَنيّ بمعنى المجنيّ .

يقول : وتبدي عن كشح ضامر يحكي في دقته خِطاماً متخذاً من الأدم ، وعن ساق يحكي في صفاء لونه أنابيب بَرْديّ بين نخل قد ذللت بكثرة الحمل فأظلت أغصانها هذا البَرديّ ، شبه ضمور بطنها بمثل هذا الخِطام ، وشبه صفاء لون ساقها ببَرديّ بين نخيل تظله أغصانها ، وإنما شرط ذلك ليكون أصفى لوناً وأنقى رونقاً ، وتقدير قوله « كأنبوب السقي » : كأنبوب النخل المسقي ،

---

(٣٤) في المثل السائر ص ٧٢–٧٣ (فلفظة « مستشزرات » مما يقبح استعماله لأنها تثقل على اللسان ويشق النطق بها ... وسببه ان الشين : قبلها تاء ، وبعدها زاي ، فثقل النطق بها) .. وفي معاهد التنصيص ١/٥ (.. والشاهد في البيت : التنافر ، وهو لفظة « مستشزرات » لثقلها على اللسان وعسر النطق بها) .

(٣٥) الخطام : ما يجعل على أنف البعير ليقتاد به . البردي : نبات

ومنهم من جعل « السقي » نعتاً للبَرديّ أيضاً ، والمعنى على هذا القول : كأنبوب البردي المسقي المذلل بالإرواء .

٣٦— وتُضحي فَتيتُ المسك فوق فراشِها نؤوم الضحا لم تَنتطِقْ عن تفضُّلِ

الاضحاء : مصادفة الضحا ، وقد يكون بمعنى الصيرورة أيضاً ، يقال : أضحى زيد غنياً أي صار ، ولا يراد به أنه صادف الضحا على صفة الغنى ، ومنه قول عدي بن زيد :

ثم أضحوا كأنهم ورقٌ جفّ فألوت به الصَّبا والدَّبورُ

أي صاروا . الفتيت والفُتات : اسم لدُقاق الشيء الحاصل بالفتّ . قوله : « نؤوم الضحا » عطّل « نؤوماً » عن علامة التأنيث لأن « فعولاً » اذا كان بمعنى الفاعل يستوي لفظ صفة المذكر والمؤنث فيه ، يقال : رجل ظلوم وامرأة ظلوم ، ومنه قوله تعالى « توبة نصوحاً » . قوله « لم تنتطق عن تفضل » أي : بعد تفضل ، كما يقال : استغنى فلان عن فقره أي بعد فقره . التفضّل : لبس الفَضلة وهي ثوب واحد يلبس للخفة في العمل .

يقول : تصادف العشيقة الضحا ودُقاق المسك فوق فراشها الذي باتت عليه ، وهي كثيرة النوم في وقت الضحا ، ولا تشد وسطها بنطاق بعد لبسها ثوب المهنة ، يريد أنها مخدومة منعمة تُخدَم ولا تَخدُم . وتلخيص المعنى أن فتات المسك تكثر على فراشها ، وأنها تُكفى أمورَها فلا تباشر عملاً بنفسها ، وصفها بالدّعة والنعمة وخفض العيش ، وأن لها من يخدُمها ويكفيها أمورها .

---

(٣٦) جاء في العمدة ١/٢١٥ ما معناه : أن قوله « تضحي فتيت المسك » ثم قوله « نؤوم الضحا » ثم قوله « لم تنتطق عن تفضل » .. كل ذلك يدل على الترفه والنعمة . وجاء في نقد الشعر ص ١٥٥ : قد (يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له) ثم استشهد بهذا البيت وبالبيت رقم ٥٠ من هذه المعلقة . وفي سر الفصاحة لابن سنان ص ٢١٩ (لما أراد أن يصف ترفه هذه المرأة ... اتى بألفاظ تدل على ذلك ابلغ مما يدل عليه قوله : انها غنية مرفهة) .

٣٧ — وتعطو برَخْصٍ غيرِ شَثْنٍ كأنه أساريعُ ظَبْيٍ أومساويكُ إسحِلِ

العَطْو : التناول والفعل عطا يعطو عَطْواً ، والإعطاء : المناولة ، والتعاطي : التناول ، والمعاطاة : الخدمة ، والتعطية : مثلها . الرَخْص : اللين الناعم . الشثن : الغليظ الكزّ ، وقد شَثِن شُثونة . الأُسروع واليُسروع : دود يكون في البقل والاماكن الندية ، تشبّه أنامل النساء به ، والجمع الاساريع واليساريع . ظبي : موضع بعينه . المساويك : جمع المسواك . الإسحِل : شجرة تدق أغصانها في استواء ، تشبه الأصابع بها في الدقة والاستواء .

يقول : وتتناول الأشياء ببنان رخص لين ناعم غير غليظ ولا كزّ ، كأن تلك الأنامل تشبه هـــذا الصنف من الدود أو هذا الضرب من المساويك وهو المتخذ من أغصان هذا الشجر المخصوص المعين .

٣٨ — تضيءُ الظلامَ بالعِشاءِ كأنها مَنارةُ مُمسى راهبٍ مُتبتّلِ

الإضاءة : قد يكون الفعل المشتق منها لازماً وقد يكون متعدياً ، تقول : أضاء الله الصبح فأضاء ، والضَوء والضُوء واحد ، والفعل ضاء يضوء ضوءاً وهو لازم . المنارة : المَسرجة والجمع المناور والمنائر . الممسى : بمعنى الإمساء والوقت جميعاً ، ومنه قول أمية :

الحمد لله مُمسانا ومُصبحنا بالخير صبّحنا ربي ومسّانا

الراهب : يجمع على الرُهبان مثل راكب وركبان وراع ورعيان ، وقد يكون الرهبان واحداً ، ويجمع حينئذ على الرهابنة والرهابين ، كما يجمع السلطان على السلاطنة والسلاطين ، أنشد الفراء :

لو أبصرتْ رهبان دير في جبلْ لانحدر الرهبانُ يسعى ويصلْ

---

(٣٧) جاء في العمدة ٢٠٤/١ (.. وقد اتت القدماء بتشبيهات رغب المولدون — إلا القليل — عن مثلها استبشاعاً لها وإن كانت بديعة في ذاتها ، مثل قول امرىء القيس : وتعطو برخص ... فالبنانة لا محالة شبيهة بالاسروعة وهي دودة تكون في الرمل ... إلا أن نفس الحضري المولد إذا سمعت قول ابي نواس في صفة الكأس ... أو قول ... او قول ... كان ذلك احب إليها من تشبيه البنان بالدود ... ولكني بينت ان طريق العرب القدماء في كثير من الشعر قد خولفت إلى ما هو أليق بالوقت وأشكل بأهله) . وفي نقد الشعر ص ١١٣ اختار قدامة هذا البيت لحسن تشبيه شيء بأشياء .

جعل الرهبان واحداً ، لذلك قال « يسعى » ولم يقل « يسعون » . المتبتل : المنقطع الى الله تعالى بنيته وعمله ، والبتل : القطع ، ومنه قيل : مريم البتول ، لانقطاعها عن الرجال واختصاصها بطاعة الله تعالى ، فالتبتل اذن : الانقطاع عن الخلق والاختصاص بطاعة الله تعالى ومنه قوله تعالى « وتبتّلْ اليه تبتيلا » .

يقول : تضيء العشيقة بنور وجهها ظلام الليل فكأنها مصباح راهب منقطع عن الناس ، وخص مصباح الراهب لأنه يوقده ليهتدي به الضُلال ، فهو يضيئه أشد الإضاءة ، يريد أن نور وجهها يغلب ظلام الليل كما أن نور مصباح الراهب يغلبه .

٣٩ — إلى مثلها يرنو الحليمُ صبابةً إذا ما اسبكرّتْ بين دِرعٍ ومِجْوَلِ

الاسبكرار : الطول والامتداد . الدرع : قميص المرأة وهو مذكر ، ودرع الحديد مؤنثة والجمع أدرع ودروع . المجول : ثوب تلبسه الجارية الصغيرة .

يقول : الى مثلها ينبغي أن ينظر العاقل كلفاً بها وحنيناً اليها اذا طال قدها وامتدت قامتها بين من تلبس الدرع ، وبين من تلبس المجول ، أي بين اللواتي أدركن الحُلُم ، وبين اللواتي لم يدركن الحلم ، يريد أنها طويلة القد مديدة القامة وهي بعد لم تدرك الحلم ، وقد ارتفعت عن سن الجواري الصغار . قوله : « بين درع ومجول » تقديره « بين لابسة درع ولابسة مجول » فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه .

٤٠ — تسلّتْ عَمايات الرجالِ عن الصِّبا وليس فؤادي عن هواكِ بمُنسَلِ

سلا فلان عن حبيبه يسلو سُلُوّاً ، وسَلِيَ يسلى سُلِيّاً ، وتسلّى تسلّياً ، وانسلى انسلاء : أي زال حبه من قلبه أو زال حزنه . العَماية والعمى واحد ، والفعل : عمي يعمى .

زعم أكثر الأئمة أن في البيت قلباً تقديره : تسلت الرجال عن عمايات الصبا ، أي خرجوا من ظلماته ، وليس فؤادي بخارج من هواها . وزعم بعضهم أن « عن » في البيت بمعنى « بعد » ، تقديره : انكشفت وبطلت ضلالات الرجال

بعد مضي صباهم ، وفؤادي بعدُ في ضلالة هواها . وتلخيص المعنى : أنه زعم أن عشق العشاق قد بطل وزال ، وعشقه إياها باق ثابت لا يزول ولا يبطل .

٤١ ـ ألا ربّ خصمٍ فيكِ ألوى رددتُه نصيحٍ على تعذالِه غيرِ مُؤْتَلِ

الخصم لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث في لغة شطر من العرب ، ومنه قوله تعالى « وهل أتاك نبأُ الخصم اذ تسوَّروا المحراب » ، ويثنى ويجمع في لغة الشطر الآخر من العرب ، ويجمع على الخصام والخصوم . الألوى : الشديد الخصومة ، كأنه يلوي خصمه عن دعواه . النصيح : الناصح . التعذال والعَذْل والعَذَل : اللوم ، والفعل : عذَل يعذُل . الأَلْو والائتلاء : التقصير ، والفعل : ألا يألو وائتلى يأتلي .

يقول : ألا رب خصم شديد الخصومة كان ينصحني على فرط لومه إياي على هواكِ غير مقصر في النصيحة واللوم ، رددته ولم أنزجر عن هواك بعذله ونصحه وتحرير المعنى : انه يخبرها ببلوغ حبه إياها الغاية القصوى حتى إنه لا يرتدع عنه بردع ناصح ، ولا ينجع فيه لوم لائم ، وتقدير لفظ البيت : ألا رب خصم ألوى نصيح على تعذاله غير مؤتل ، رددته .

٤٢ ـ وليلٍ كموجِ البحرِ أرخى سُدولَه عليّ بأنواعِ الهمومِ ليبتلي .

شبه ظلام الليل في هوله وصعوبته ونكارة أمره بأمواج البحر . السدول : الستور ، الواحد منها : سِدْل . الإرخاء : إرسال الستر وغيره . الابتلاء : الاختبار . الهموم جمع الهم بمعنى الحزن وبمعنى الهمة ، والباء في قوله « بأنواع

(٤٢) جاء في العمدة ١٨٦/١ (زعم ابن وكيع : اول استعارة وقعت قول امرىء القيس يصف الليل : وليل كموج .... فقلت له لما تمطى .... فاستعار لليل سدولاً يرخيها ، وهي الستور ، وصلباً يتمطى به ، وأعجازاً يردفها ، وكلكلاً ينوء به) . وجاء في ديوان المعاني للعسكري ٣٤٥/١ (فأما اجود ما قيل في طول الليل من الشعر القديم فقول امرىء القيس : وليل كموج .... فقلت له لما تمطى ... الا أيها الليل .... وهذا من أفصح الكلام وأبرعه إلا أن فيه تضميناً يلحق به بعض العيب ، وهو من ادل شيء على شدة الحب والهم ، لأنه جعل الليل والنهار سواء عليه فيما يكابده من الوجد والحزن ، وجعل النهار لا ينقصه شيء من ذلك ، وهذا خلاف العادة ، إلا أنه دخل في باب الغلو) وعد ابن سلام ص ٧١ هذا البيت من التشبيهات المستحسنة .

الهموم » بمعنى « مع » .

يقول : ورب ليل يحاكي أمواج البحر في توحشه ونكارة أمره ، وقد أرخى عليّ ستور ظلامه ، مع أنواع الأحزان أو مع فنون الهم ليختبرني : أأصبر على ضروب الشدائد وفنون النوائب أم أجزع منها ؟ لما أمعن في النسيب من أول القصيدة إلى هنا انتقل منه إلى التمدح بالصبر والجلد .

٤٣ — فقلتُ له لما تمطّى بصُلبه   وأردفَ أعجازاً وناءَ بكَلْكَلِ :

تمطى أي تمدد ، ويجوز أن يكون التمطي مأخوذاً من « المطا » وهو الظهر ، فيكون التمطي : مد الظهر ، ويجوز أن يكون منقولاً من التمطط فقبلت إحدى الطاءين ياء كما قالوا : تظنّى تظنّياً ، والأصل تظنّن تظنّناً ، وقالوا : تقضّى البازي تقضّياً أي تقضّض تقضّضاً ، والتمطط : التفعّل من « المط » وهو المد ؛ وفي الصلب ثلاث لغات مشهورة وهي : الصلب بضم الصاد وسكون اللام ، والصلب بضمها ، والصلب بفتحها ، ومنه قول العجّاج يصف جارية :

ريّا العظامِ فخمة المخدّمِ   في صلَبٍ مثل العِنانِ المؤْدَمِ

ولغة غريبة وهي الصالَب . قال العباس عم النبي ﷺ يمدح النبي عليه الصلاة والسلام :

تُنْقَلُ من صالَبٍ الى رحمٍ   اذا مضى عالَمٌ بدا طَبَقُ

الإرداف : الإتباع والاتّباع وهو بمعنى الأول ههنا . الأعجاز : المآخير ،

---

(٤٣) هذا البيت من الأبيات التي قتلها عبدالقاهر الجرجاني شرحاً وتقليباً في كتابيه: الدلائل والأسرار، ومما جاء في دلائل الإعجاز ص٦٢ و٦٣ (لما جعل لليل صلباً قد تمطى به ، ثنى ذلك فجعل له أعجازاً قد أردف بها الصلب ، وثلث فجعل له كلكلاً قد ناء به ، فاستوفى له جملة أركان الشخص ، وراعى ما يراه الناظر من سواده إذا نظر قدامه ، وإذا نظر إلى خلفه ، وإذا رفع البصر ومده في عرض الجو) . وجاء في الموشح ص٣٦ (وعيب على امريء القيس قوله : فقلت له لما تمطى .... ألا أيها الليل ... قال فاتسلخ البيت الأول بوصف الليل من غير أن يذكر ما قال ، وجعله متعلقاً بما بعده ، وذلك معيب عندهم) . أما [illegible]دي في موازنته ص ٢١٤ فقد أطرى هذا البيت إطراء شديداً ، فتصدى ابن سنان الخفاجي له ورد ع[illegible] ، [illegible] ابن الأثير في المثل السائر ص ١٤٩—١٥٠ يأخذ قول الآمدي ويناقشه ويرد على ابن سنان ويفصل في ذلك ، فراجعه هناك . أخيراً : عد إلى تعليقنا على البيت السابق ، فان لهذا البيت فيه نصيباً .
تقضى البازي أو تقضض : هوى ليقع . المخدم : موضع الخدمة وهي الخلخال . المؤدم : من الأدمة وهي الجلد . قول العباس « إذا مضى عالم بدا طبق » أي إذا مضى قرن ظهر قرن آخر . شاءني وشآني: شاقني

الواحد عَجُز وعَجِز وعَجْز . ناء : مقلوب نأى بمعنى بعد ، كما قالوا : راء بمعنى رأى ، وشاء بمعنى شأى . الكلكل : الصدر والجمع كلاكل ، والباء في قوله « ناء بكلكل » للتعدية ، وكذلك هي في قوله « تمطى بصلبه » . استعار لليل صلباً، واستعار لطوله لفظ التمطي ، ليلائم الصلب ، واستعار لأوائله لفظ الكلكل ، ولمآخيره لفظ الأعجاز .

يقول « فقلت لليل لما مد صلبه » يعني لما أفرط طوله ، « وأردف أعجازاً » ، يعني ازدادت مآخيره امتداداً وتطاولاً ، « وناء بكلكل » يعني أبعد صدره أي بعد العهد بأوله . وتلخيص المعنى : قلت لليل لما أفرط طوله ، وناءت أوائله ، وازدادت أواخره تطاولاً ، وطول الليل ينبيء عن مقاساة الأحزان والشدائد والسهر المتولد منها ، لأن المغموم يستطيل ليله ، والمسرور يستقصر ليله .

٤٤ – ألا أيها الليلُ الطويل ألا انجلِ بصبحٍ وما الإصباح منكَ بأمثلِ

الانجلاء : الانكشاف ، يقال : جلوته فانجلى أي كشفته فانكشف . الأمثل: الافضل ، والمثلى : الفضلى ، والأماثل : الأفاضل .

يقول : قلت له ألا أيها الليل الطويل انكشف وتنحّ بصبح ، أي ليزل ظلامك بضياء من الصبح ، ثم قال : وليس الصبح بأفضل منك عندي ، لأني أقاسي الهموم نهاراً كما أعانيها ليلا ، أو لأن نهاري أظلم في عينيّ لازدحام الهموم علي حتى حكى الليل . وهذا إذا رويتَ « وما الإصباح منك بأمثل » ، وان رويت « فيك بأفضل » كان المعنى : وما الاصباح في جنبك أو في الاضافة إليك أفضل منك ، لما ذكرنا من المعنى . لما ضجر بتطاول ليله خاطبه وسأله الانكشاف، وخطابه ما لا يعقل يدل على فرط الوله وشدة التحير ، وانما يستحسن هذا الضرب

(٤٤) في معاهد التنصيص ٩٠/١ أن الطرماح أخذ هذا البيت فقال :

ألا أيها الليل الطويل ألا اصبح ببوم وما الإصباح منك بأروح

وفي المثل السائر ص٩٨ (أن المصراع الأول معلق على قوله « بصبح » وهذا معيب جداً) . وانظر تعليقنا على البيت رقم ١٧ تجد فيه ما قاله قدامة وغيره عن التصريع في هذا البيت . وكذلك انظر تعليقنا على البيت رقم ٤٢ تجد فيه ماقاله العسكري عن هذا البيت أيضاً . أخيراً : انظر تعليقنا على البيت السابق (رقم ٤٣) تجد للمرزباني – صاحب الموشح – رأياً فيه .

في النسيب والمراثي وما يوجب حزناً وكآبة ووجداً وصبابة .

٤٥ — فيالكَ من ليلٍ كأنَّ نجومَه   بأمراسِ كتّانٍ الى صُمّ جَنْدَلِ

الامراس جمع مَرَس وهو الحبل ، وقد يكون المرس جمع مَرَسَة وهو الحبل أيضاً ، فتكون الأمراس حينئذ جمع الجمع ، وقوله « بأمراس كتان » من اضافة البعض الى الكل أي بأمراس من كتان ، كقولهم : باب حديد وخاتم فضة وجبة خز . الأصم : الصلب ، وتأنيثه : الصماء ، والجمع : الصُّمّ . الجندل : الصخرة والجمع جنادل .

يقول مخاطباً الليل : فيا عجبا لك من ليل كأن نجومه شدت بحبال من الكتان الى صخور صلاب ، وذلك أنه استطال الليل ، فيقول ان نجومه لا تزول من أماكنها ولا تغرب ، فكأنها مشدودة بحبال الى صخور صلبة ، وانما استطال الليل لمعاناته الهموم ومقاساته الاحزان فيه ، وقوله « بأمراس كتان » يعني رُبطت ، فحذف الفعل لدلالة الكلام على حذفه ، ومنه قول الشاعر :

مسسنا من الآباء شيئاً فكلنا   الى حسب في قومه غير واضع

يعني : فكلنا يعتزي أو ينتمي أو ينتسب الى حسب ، فحذف الفعل لدلالة باقي الكلام عليه . ويروى « كأن نجومه بكل مُغارِ الفتلِ شُدتْ بيَذْبُلِ » وهذا أعرف الروايتين وأسيرهما . الإغارة : إحكام الفتل . يذبل : جبل بعينه . يقول : كأن نجومه قد شدت الى يذبل بكل حبل محكم الفتل .

(٤٥) جاء في العمدة ٦٣/٢ (ومن تكرير المعاني قول امرىء القيس ، وما رأيت أحداً نبه عليه :

فيالك من ليل كأن نجومه   بكل مغار الفتل شدت بيذبل
كأن الثريا علقت في مصامها   بأمراس كتان إلى صم جندل

فالبيت الأول يغني عن الثاني ، والثاني يغني عن الاول ، ومعناهما واحد ، لان النجوم تشتمل على الثريا ، كما ان يذبل يشتمل على صم الجندل ، وقوله : شدت بكل مغار الفتل ، مثل قوله : علقت بأمراس كتان) وانت ترى ان الزوزني لم يرو البيتين ولكنه اخذ صدر الاول وعجز الثاني فصنع منها بيتاً ، وعلى ذلك فلا تكرير للمعاني عنده ، وانوه هنا ان رواية الكامل٦٧/٢ كرواية العمدة وليست كرواية الزوزني . اخيراً : عد ابن سلام ص ٧١ هذا البيت من التشبيهات المستحسنة .

٤٦ — وقِربةِ أقوامٍ جعلتُ عِصامَها على كاهلٍ مني ذَلولٍ مُرَحَّلِ

لم يرو جمهور الائمة هذه الابيات الاربعة في هـذه القصيدة ، وزعموا أنها لتأبّط شراً ، أعني « وقِرْبة أقوام » الى قوله « وقد أغتدي » ، ورواها بعضهم في هذه القصيدة هنا . العِصام : وِكاء القربة والجمع العُصْم . الكاهل : أعلى الظهر عند مركب العنق فيه والجمع الكواهل . الترحيل : مبالغة الرحل ، يقال : رحّلته إذا كررت رحله .

يقول : ورب قربة أقوام جعلت وكاءها على كاهل ذلول قد رحّل مرة بعد مرة أخرى مني ،وفي معنى البيت قولان : أحدهما أنه تمدح بتحمل أثقال الحقوق ونوائب الأقوام من قِرى الأضياف ، وإعطاء العفاة ، والعقل عن القاتلين وغير ذلك ، وزعم أنه قد تعود التحمل للحقوق والنوائب واستعار حمل القربة لتحمل الحقوق ، ثم ذكر الكاهل لأنه موضع القربة من حاملها ، وعبر بكون الكاهل ذلولاً مرحّلاً عن اعتياده تحمل الحقوق . والقول الآخر : أنه تمـدح بخدمته الرفقاء في السفر ، وحمله سِقاء الماء على كاهل قد مرَن عليه .

٤٧ — ووادٍ كجوفِ العَيْرِ قفرٍ قطعتُه به الذئبُ يَعوي كالخليعِ المُعَيَّلِ

الوادي يجمع على الأودية والاوداية . الجوف : باطن الشيء والجمع اجواف . العير : الحمار والجمع الأعيار . القفر : المكان الخالي والجمع القفار ، ويقال : أقفر المكان اقفارا إذا خلا ، ومنه خبزٌ قَفارٌ لا ادام معه . الذئب يجمع على الذئاب والذياب والذؤبان ، ومنه قيل : ذؤبان العرب ، للخبثاء المتلصصين ، وأرض مذأبة : كثيرة الذئاب ، وقـد تذأبت الريح وتذاءبت إذا هبت من كل ناحية كالذئب إذا حُذر من ناحية أتى من غيرها . الخليع : الذي قد خلعه أهله لجنبه ، وكان

(٤٦) الوكاء والعصام رباط رأس القربة . رحلت البعير : وضعت عليه رحله .

(٤٧) في الخزانة ١/١٣١ (وجوف العير فيه قولان ، احدهما انه مثل لما لا ينتفع منه بشيء ... يذهب به الى انه ليس في جوف الحمار شيء يؤكل وينتفع به إذا صيد ... والثاني ان العير رجل من العمالقة وقيل من عاد) كفر بربه فأحرق الله واديه الخصيب فكان قفراً (وقد ضربت العرب المثـل به في الخراب والخلاء فقالوا اخرب من جوف حمار واخلى من جوف حمار)

الرجل منهم يأتي بابنه الى الموسم ويقول : ألا اني قد خلعت ابني ، فإن جرّ لم أضمن ، وإن جُرّ عليه لم أطلب ، فلا يؤخذ بجرائره ، وزعم الأئمة أن الخليع في هذا البيت : المقامر . المعيّل : الكثير العيال وقد عيّل تعييلاً فهو معيّل اذا كثر عياله . العواء : صوت الذئب وما أشبهه من السباع ، والفعل : عوى يعوي عُواء ، زعم صنف من الأئمة أنه شبه الوادي في خلائه عن الانس ببطن العير ، وهو الحمار الوحشي ، اذا خلا من العلف ، وقيل بل شبهه في قلة الانتفاع به بجوف العير لأنه لايركب ولايكون له درّ ، وزعم صنف منهم أنه أراد كجوف الحمار فغيّر اللفظ الى ما وافقه في المعنى لإقامة الوزن وزعموا أن « حماراً » كان رجلاً من بقية عاد ، وكان متمسكاً بالتوحيد ، فسافر بنوه فأصابتهم صاعقة فأهلكتهم ، فأشرك بالله وكفر بعد التوحيد ، فأحرق الله أمواله وواديه الذي كان يسكن فيه ، فلم ينبت بعده شيئاً ، فشبّه امرؤ القيس هذا الوادي بواديه في الخلاء من النبات والإنس .

يقول : ورب واد يشبه وادي حمار في الخلاء من النبات والإنس ، أو يشبه بطن الحمار فيما ذكرناه ، طويته سيراً وقطعته ، وكان الذئب يعوي فيه من فرط الجوع كالمقامر الذي كثر عياله ، ويطالبه عياله بالنفقة ، وهو يصيح بهم ويخاصمهم اذ لايجد ما يرضيهم به .

٤٨ — فقلتُ له لما عوى : إنّ شأننا قليلُ الغِنى إنْ كنتَ لَمّا تَمَوَّلِ

قوله : ان شأننا قليل الغنى ، يريد أن شأننا أننا قليل الغنى ، ومن روى : طويل الغنى فمعناه طويل طلب الغنى . وقد تموّل الرجل اذا صار ذا مال . « لمّا » بمعنى « لم » في البيت ، كما كانت في قوله تعالى : « ولمّا يعلمِ اللهُ الذين جاهدوا منكم » كذلك .

يقول : قلت للذئب لما صاح ان شأننا وأمرنا أننا يقلّ غنانا ان كنتَ غير متموّل كما كنتُ غير متموّل ، واذا روي طويل الغنى : فالمعنى : قلت له : ان

(٤٨) في الخزانة ١/ ١٣١ (اي أنا لا اغني عنك ولا انت تغني عني شيئاً ، اي انا اطلب وانت تطلب فكلانا لاغنى له)

شأننا أننا نطلب الغنى طويلاً ، ثم لانظفر به ان كنتَ قليـل المال كما كنتُ قليل المال .

٤٩ ــ كلانا إذا مانال شيئاً أفاتَهُ ومَن يحترثْ حَرْثي وحرثَكَ يَهْزِلِ

أصل الحرث اصلاح الأرض وإلقاء البَذر فيها ، ثم يستعار للسعي والكسب كقوله تعالى « من كان يريد حرث الآخرة » الآية ، وهو في البيت مستعار ، والاحتراث والحرث واحد .

يقول : كل واحد منا اذا ظفر بشيء فوّته على نفسه ، أي إذا ملك شيئاً أنفقه وبذّره ، ثم قال ومن سعى سعيي وسعيك افتقر وعاش مهزول العيش .

٥٠ ــ وقد أغتدي والطيرُ في وُكُناتِها بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأوابدِ هَيْكَلِ

غدا يغدو غدوّاً واغتدى اغتداء واحد . الطير : جمع طائر ، مثل الشرب في جمع شارب ، والتجر في جمع تاجر ، والركب في جمع راكب ، ثم يجمع على الطيور مثل بيت وبيوت وشيخ وشيوخ . الوكنات : مواقع الطير واحدتها وكنة ، وتقلب الواو همزة فيقال : أكنة ، ثم تجمع الوكنـة على الوكنات

---

(٤٩) في الخزانة ١٣٠/١ ان هذا البيت مع الابيات الثلاثة السابقة له ، تروى لتأبط شراً ، وزاد البغدادي فقال : (وهذا الشعر اشبه بكلام اللص والصعلوك لابكلام الملوك)

(٥٠) في سر الفصاحة ص ٢١٩ (اراد أن يصف الفرس بالسرعة فلم يقل انه سريع ، وقال : قيد الاوابد ، وهي الوحوش اي انه اذا طلبها على هذا الفرس لحقها لسرعته فكأنه قيدها له ، وفي هذا من المبالغة ما ليس في وصف الفرس بأنه سريع ، لان الفرس قد يكون سريعاً ولا يلحق الوحش) . وفي اعجاز القرآن للباقلاني ١٠٨/١ (عنى بذلك انه اذا ارسل هذا الفرس على الصيد صار قيـداً لها وكانت بحالة المقيد من جهة سـرعة احضاره ، واقتدى به الناس واتبعه الشعراء فقيل : قيد النواظر ، وقيد الالحاظ ، وقيد الكلام ، وقيد الحديث ، وقيد الرهان) . وفي خزانة الادب ١٤١/٣ ان المصراع الاول من هذا البيت (استعمله امرؤ القيس في قصيدته اللامية قال :

وقـد اغتدي والطير في وكناتها لغيث مـن الوسمي رائده خال

وقال في الضادية ايضاً ، وتمامه : بمنجرد عبل اليدين قبيض

وفي البائية ايضاً ، وتمامـه : وماء الندى يجري على كل مذنب) . اخيراً : انظر تعليقنا على البيت رقم ٣٦ من هذه المعلقة تجد ما قاله قدامة بن جعفر عن هذا البيت .

بضم الفاء والعين ، وعلى الوكنات بضم الفاء وفتح العين ، وعلى الوكنات بضم الفاء وسكون العين ، وتكسّر على الوُكَن ، وهكذا حكم فُعلة نحو ظُلمة وظُلُمات وظُلَمات وظُلْمات وظُلَم . المنجرد : الماضي في السير ، وقيل بل هو قليل الشعر . الأوابد : الوحوش . وقد أبَد الوحش يأبِد أبوداً ، ومنه تأبّد الموضع إذا توحّش وخلا من القطان ، ومنه قيل للفذ آبدة لتوحشه عن الطباع . الهيكل : قال ابن دريد هو الفرس العظيم الجِرم والجمع هياكل .

يقول : وقد أغتدي ، والطير بعدُ مستقرة على مواقعها التي باتت عليها ، على فرس ماض في السير ، قليل الشعر ، يقيّد الوحوش بسرعة لحاقه إياها ، عظيم الألواح والجرم ؛ وتحرير المعنى أنه تمدح بمعاناة دجى الليل وأهواله ، ثم تمدح بتحمل حقوق العفاة والأضياف والزوار ، ثم تمدح بطي الفيافي والأودية ، ثم أنشأ الآن يتمدح بالفروسية . يقول : وربما بكرت للصيد قبل نهوض الطير من أوكارها على فرس هذه صفته ، وقوله « قيد الأوابد » جعله لسرعة إدراكه الصيد كالقيد لها ، لأنها لا يمكنها الفوت منه ، كما أن المقيّد غير متمكن من الفوت والهرب .

٥١ـ مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقبلٍ مُدبرٍ معاً كجُلمودِ صخرٍ حطّه السيلُ مِن عَلِ

الكر : العطف ، يقال : كرّ فرسه على عدوه أي عطفه عليه ، والكر

(٥١) في خزانة الادب ١٤٣/٣ نقلاً عن تحرير التحبير لابن أبي الاصبع (.. فالحجر يسرع انحطاطه إلى السفل من العلو من غير واسطة ، فكيف إذا أعانته قوة دفاع السيل من عل ؟ فهو حال تدحرجه يرى وجهه في الآن الذي يرى فيه ظهره بسرعة تقلبه وبالعكس ، ولهذا قال : مقبل مدبر معاً ، يعني يكون إدباره وإقباله مجتمعين في المية لا يعقل الفرق بينهما ... هذا ، ولم تخطر هذه المعاني بخاطر الشاعر في وقت العمل ، وإنما الكلام إذا كان قوياً من مثل هذا الفحل ، احتمل لقوته وجوهاً من التأويل بحسب ما تحتمله الفاظه ، وعلى مقدار قوى المتكلمين فيه) وعد ابن سلام ص ٦٩ هذا البيت من التشبيهات التي استحسنها الناس . وفي العمدة ٧٥/٢ (.. إذا انحط ـ أي الجلمود ـ من عال كان شديد السرعة فكيف إذا اعانته قوة السيل من ورائه ؟) المصقع : البليغ الذي لا يتتعتع . المكتل : شبه الزنبيل يسع ١٥ صاعاً . تنوش الحوض : تتناول ماءه . والرجز : باتت تنوش ... لأبي النجم .

والكرور جميعاً الرجوع ، يقال : كر على قِرنه يكُر كراً وكروراً ، والمكر: مِفعَل من كرّ يكُرّ ، ومِفعَل يتضمن مبالغة ، كقولهم : فلان مِسعَر حرب ، وفلان مِقوَل ومِصقَع ، وانما جعلوه متضمناً مبالغة لأن مِفعلاً قد يكون من أسماء الأدوات نحو المعول والمكتل والمخرز ، فجعل كأنه أداة للكرور وآلة لسعر الحرب وغير ذلك . مفرّ : مِفعَل من فرّ يفِر فِراراً ، والكلام فيه نحو الكلام في مكرّ . الجلمود والجُلْمُد : الحجر العظيم الصلب والجمع جلامد وجلاميد . الصخر : الحجر ، الواحدة صخرة وجمع الصخر صخور . الحط القاء الشيء من علوّ الى سفل ، يقال : حطه يحُطه فانحط ، وقوله « من عل » أي من فوق ، وفيه سبع لغات ، يقال : أتيته من عل مضمومة اللام ، ومن علو بفتح الواو وضمها وكسرها ، ومن علي بياء ساكنة ، ومن عال مثل قاض ، ومن معال مثل معاد ، ولغة ثامنة يقال من علا ، وأنشد الفراء :

باتت تنوش الحوضَ نوشاً من علا نوشاً به تقطع أجواز الفلا

وقوله « كجلمود صخر » من إضافة بعض الشيء الى كله ، مثل باب حديد وجبة خز أي كجلمود من صخر .

يقول : هذا الفرس مكرّ اذا أريد منه الكرّ ، ومفرّ اذا أريد منه الفر ، ومقبل اذا أريد منه إقباله ، ومدبر اذا أريد منه ادباره ، وقوله « معاً » يعني أن الكر والفر والاقبال والادبار مجتمعة في قوته لا في فعله ، لأن فيها تضاداً ، ثم شبهه في سرعة مرّه وصلابة خَلقه بحجر عظيم ألقاه السيل من مكان عال الى حضيض .

٥٢ـ كُمَيتٍ يَزِلُّ اللِّبْدُ عن حالِ مَتْنِهِ كما زَلَّتِ الصَّفْواءُ بالمُتَنَزَّلِ

زلّ الشيء يزِلّ زليلاً وأزللته أنا . الحال : مقعد الفارس من ظهر الفرس . الصفواء والصفوان والصفاء : الحجر الصلب . الباء في قوله « بالمتنزل » للتعدية .

يقول : هذا الفرس الكميت يزل لبده عن متنه لانملاس ظهره واكتناز

(٥٢) عد ابن سلام ص ٧٠ هذا البيت من التشبيهات التي استحسنها الناس
كميت : أحمر قانىء . اللبد : ما تحت السرج .

لحمه ، وهما محمدان من الفرس ، كما يُزِل الحجرُ الصلب الأملس المطرَ النازل عليه ، وقيل بل أراد الانسان النازل عليه ، والنزَل والنزول واحد ، والمتنزل - في البيت - صفة لمحذوف ، وتقديره بالمطر المتنزل أو بالانسان المتنزل .
وتحرير المعنى : أنه لاكتناز لحمه وانملاس صلبه يزل لبده عن متنه كما أن الحجر الصلب يُزِل المطر أو الانسان عن نفسه ، وجر « كميتاً » وما قبله من الأوصاف لأنها لمنجرد .

٥٣ - على الذَّبْل جيّاشٍ ، كأنَّ اهتزامَه إذا جاش فيه حَمْيُهُ غَليُ مِرجَلِ

الذبل والذبول واحد ، والفعل ذَبَل يذبُل . الجيّاش : مبالغة جائش وهو « فاعل » من جاشت القدر تجيش جيشاً وجيشاناً اذا غلت ، وجاش البحر جيشاً وجيشاناً اذا هاجت أمواجه . الاهتزام : التكسر . الحمي : حرارة القيظ وغيره والفعل حَمِيَ يحمى . المرجل : القدر من صفر أو حديد او نحاس أو شبهه والجمع المراجل ، وروى ابن الانباري وابن مجاهد عن ثعلب أنه قال : كل قدر من حديد او صفر او حجر او خزف او نحاس او غيرها فهي مرجل .
يقول : تغلي فيه حرارة نشاطه على ذبول خَلقه وضمر بطنه ، وكأن تكسر صهيله في صدره غليان قدر . جعله ذكي القلب نشيطاً في السير والعدو على ذبول خلقه وضمر بطنه ، ثم شبه تكسر صهيله في صدره بغليان القدر .

٥٤ - مِسَحٍّ إذا ما السابحاتُ على الونى أثرنَ الغبارَ بالكَديدِ المُركَّلِ

سحّ يسُحّ : قد يكون بمعنى صبّ يصُبّ وقد يكون بمعنى انصبّ ينصبّ ، فيكون مرةً لازماً ومرة متعدياً ، ومصدره اذا كان متعدياً السَحّ ، وإذا كان لازماً السَحّ والسُحوح ، تقول : سحّ الماءَ فسحّ هو ، ومِسح مِفعَل من المتعدي ، وقد قررنا أن « مِفعلا » في الصفات يقتضي مبالغة فالمعنى أنه يصب الجري والعدو صباً بعد صب . السابح من الخيل الذي يمد يديه في

(٥٤) في خزانة الادب ٣/٢٢٤ (يقول : ان الخيل السريعة إذا فترت فأثارت الغبار بأرجلها من التعب ، جرى هذا الفرس جرياً سهلاً كما يسح السحاب المطر) .

عدوه ، شُبـــه بالسابح في الماء . الونى : الفتور ، والفعل : ونى يني وَنْياً ووني . الكديد : الأرض الصلبة المطمئنة . المركل : من الركل وهو الدفع بالرجل والضرب بهـــا ، والفعل منه ركَل يركُل ، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : « فركاني جبريل » والتوكيل : التكرير والتشديد ، والمركّل : الذي يُركل مرة بعد اخرى .

يقول : يصب هذا الفرس عدوه وجريه صباً بعد صب أي يجيء به شيئاً بعد شيء ، اذا أثارت جياد الخيل التي تمد أيديها في عدوهـا الغبار في الأرض الصلبة التي وطئت بالاقدام والمناسم والحوافر مرة بعد اخرى ، في حال فتورها في السير وكلالها ، وتحرير المعنى : أنه يجيء بجري بعد جري اذا كلّت الخيل السوابح وأعيت وأثارت الغبار في مثل هذا الموضع ، وجر « مسحاً » لأنه صفة الفرس المنجرد ، ولو رفع لكان صواباً ، وكان حينئذ خبر مبتدا محذوف تقديره هو مسح ، ولو نصب لكان صواباً ايضاً ، وكان انتصابه على المدح ، والتقدير أذكر مسحاً أو أعني مسحاً ، وكذلك القول فيما قبله من الصفات نحو كميت ، يجوز في كل هـذه الالفاظ الاوجه الثلاثة من الاعراب ، ويروى : المرحّل .

٥٥ ـ يُزِلُّ الغلامَ الخِفَّ عن صَهَواتِهِ ويُلوي بأثوابِ العنيفِ المثقّلِ

الخف : الخفيف . الصهوة : مقعد الفارس من ظهر الفرس والجمع الصهوات ، وفَعلة تجمع على : فَعَلات بفتح العين اذا كانت اسماً نحو شعرة وشعرات وضربة وضربات ، إلا اذا كانت عينها واواً أو ياء أو مدغمة في اللام فانهـا تسكن حينئذ نحو بيضة وبيضات وعورة وعورات وحبة وحبـات ، فإذا كانت صفـة تجمع على فعلات مسكنة العين أيضاً نحو ضخمة وضخمات وخدلة وخـدلات . ألوى بالشيء : رمى به ، وألوى به : ذهب به . العنيف : ضد الرفيق .

يقول : ان هذا الفرس يزل ويزلق الغلام الخفيف عن مقعده من ظهره ،

---

(٥٥) في الخزانة ٣/٢٢٣ (وقيل : معناه أنه إذا ركبه العنيف لم يتمالك أن يصلح ثيابه واذا ركبه الغلام الخف زل عنه لسرعته ونشاطه ، وإنمـا يصلح له من يداريه) . خدلة : ممتلئة .

ويرمي بثياب الرجل العنيف الثقيل ، يريد أنه يزلق عن ظهره من لم يكن جيد الفروسية عالماً بها ، ويرمي بأثواب الماهر الحاذق في الفروسية لشدة عدوه وفرط مرحه في جريه ، وانما عبرّ بصهواته ولا يكون له الا صهوة واحدة لأنه لا لبس فيه ، فجرى الجمع والتوحيد مجرى واحداً عند الاتساع ، لأن اضافتها الى ضمير الواحد تزيل اللبس ، كما يقال : رجل عظيم المناكب وغليظ المشافر ولا يكون له الا منكبان وشفتان ، ورجل شديد مجامع الكتفين ولا يكون له الا مجمع واحد ، ويروى « يطير الغلام » أي يطيره ، ويروى « يزل الغلام الخف » بفتح الياء من « يزل » ورفع « الغلام » فيكون فعلا لازماً .

٥٦ ـ دَريرٍ كخُذروفِ الوليدِ أمَرَّهُ تتابُعُ كفّيه بخيطٍ مُوَصَّلِ

الدرير : من درّ ـ يدُرّ ، وقد يكون درّ لازماً ومتعدياً ، يقال درت الناقة اللبن فدر اللبن ، ثم الدرير ههنا : يجوز ان يكون بمعنى الدارّ من درّ اذا كان متعدياً ، والفعيل يكثر مجيئه بمعنى الفاعل نحو قادر وقدير وعالم وعليم ، ويجوز أن يكون بمعنى المُدِرّ من الإدرار وهو جعل الشيء داراً ، وقد يكثر الفعيل بمعنى المفعل كالحكيم بمعنى المحكِم ، والسميع بمعنى المُسْمِع ، ومنه قول عمرو بن معديكرب :

أمن ريحانةَ ، الداعي السميعُ يؤرّقني ، وأصحابي هجوعُ ؟

أي المسمع . الخذروف : حصاة مثقوبة يجعل الصبيان فيها خيطاً فيديرها الصبي على رأسه ، شبه سرعة هذا الفرس بسرعة دوران الحصاة على رأس الصبي . الوليد : الصبي والجمع الوِلدان ، وجمع خذروف : خذاريف . الوليدة : الصبية ، وقد يستعار للأمة والجمع الولائد . الإمرار : احكام الفتل .

يقول : هو يدر العدو والجري أي يديمها ويواصلها ويتابعها ويسرع فيهما اسراع خذروف الصبي اذا أحكم فتل خيطه وتتابعت كفاه في فتله وإدارته بخيط قد انقطع ثم وصل ، وذلك أشد لدورانه لانملاسه ومرونه على ذلك .

(٥٦) عد ابن سلام ص ٧٠ هذا البيت من التشبيهات التي استحسنها الناس .

وتحرير المعنى : أنه مديم السير والعدو متابع لهما ، ثم شبهه في سرعة مره وشدة عدوه بالخذروف في دورانه اذا بولغ في فتل خيطه وكان الخيط موصلاً ، ويسوغ في اعراب « درير » ما ساغ في اعراب « مسح » من الأوجه الثلاثة .

٥٧ ـ له أيطلا ظَبْيٍ وساقا نَعامةٍ وإرخاءُ سِرحانٍ وتقريبُ تَتْفُلِ

الأيطل والإِطل والإِطِل : الخاصرة والجمع الأياطل والآطال ، أجمع البصريون على أنه لم يأت على فِعِل من الأسماء إلا « ابل » ، ومن الصفات الا « بِلِز » وهي الجارية التارّة السمينة الضخمة ، وحكى الكوفيون « إطِلاً » من الأسماء أيضاً مثل « إبِل » ، فقد اتفق الفريقان على اقتصار « فِعِل » على هذه الثلاثة . الظبي : يجمع على أظبٍ وظباء ، والساق على الأسْؤق والسوق ، والنعامة تجمع على النعامات والنَّعام والنعائم . الإرخاء : ضرب من عدو الذئب يشبه خبب الدواب . السرحان : الذئب . التقريب : وضع الرجلين موضع اليدين في العدو . التتفل : ولد الثعلب .

شبه خاصرتي هذا الفرس بخاصرتي الظبي في الضمر ، وشبه ساقيه بساقي النعامة في الانتصاب والطول ، وعدوه بإرخاء الذئب ، وتقريبه بتقريب ولد الثعلب ، فجمع أربعة تشبيهات في هذا البيت .

٥٨ ـ ضليعٍ إذا استدبرتَه سدَّ فرجَه بضافٍ فُويقَ الأرضِ ليس بأعزلِ

الضليع : العظيم الأضلاع المنتفخ الجنبين والجمع الضلعاء ، والمصدر الضَّلاعة ،

---

(٥٧) في البيان والتبين ٥٣/٤ أن خلفاً قال : لم أر أجمع من هذا البيت . وفي العمدة ٢١/٢ (زعم الفرزدق ان أكمل بيت قالته العرب ... قول امرىء القيس : له أيطلا ...) وفي الشعر والشعراء ٨٣/١ (.. وقد تبعه الناس في هذا الوصف وأخذوه ولم يجتمع لهم ما اجتمع له في بيت واحد) . وعد ابن سلام ص ٧٠ هذا البيت من التشبيهات التي استحسنها الناس ، كما عده قدامة بن جعفر ص ١١٢ من التشبيهات الموفقة وقال (أتى بأربعة أشياء مشبهة بأربعة أشياء) ، ومثل هذا رأي صاحب الصناعتين ص ٢٤٩ والعمدة ١٩٩/١ التارة : الممتلئة الجسم .

والفعل ضلُع يضلُع . الاستدبار : النظر الى دبر الشيء وهو مؤخره وتتبع دبر الشيء . الفرج : الفضاء بين اليدين والرجلين والجمع الفروج . الضَّفْو : السبوغ والتمام ، والفعل ضفا يضفو ، أراد بذنب ضافٍ ، فحذف الموصوف اجتزاء بدلالة الصفة عليه ، كقولهم مررت بكريم أي بإنسان كريم . فويق : تصغير « فوق » وهو تصغير التقريب مثل : قبيل وبعيد ، في تصغير : قبل وبعد . الأعزل : الذي يميل عظم ذنبه الى أحد الشقين .

يقول : هذا الفرس عظيم الاضلاع منتفخ الجنبين ، اذا نظرت اليه من خلفه ، رأيته قد سدّ الفضاء الذي بين رجليه بذنبه السابغ التام الذي قرب من الارض ، وهو غير مائل الى أحد الشقين ، فسبوغ ذنبه من دلائل عتقه وكرمه ، وشرط كونه فويق الأرض لأنه اذا بلغ الأرض وطئه برجليه وذلك عيب لانه ربما عثر به ، واستواء عسيب ذنبه أيضاً من دلائل العتق والكرم .

٥٩ـ كأنَّ على المتنين منه إذا انتحى   مَداكَ عروسٍ أو صَلايةَ حَنْظَلِ

المتنان : تثنية متن ، وهما ما عن يمين الفقار وشمالها . الانتحاء : الاعتماد والقصد . المدك : الحجر الذي يسحق به الطيب وغيره ، والذي يسحق عليه أيضاً مداك ، والدَّوْك : السحق ، والفعل منه داك يدوك دوكاً . الصلاية : الحجر الأملس الذي يسحق عليه شيء كالهبيد وهو حب الحنظل . ويروى « كأن سراته لدى البيت قائماً » والسراة : أعلى الظهر والجمع السروات ، ويستعار لِعلْيَة الناس ، وسراة النهار : أعلى مداه ، والسَّرْو : الارتفاع في المجد والشرف ، والفعل منه سرا يسرو وسَرِي يسرى وسَرُوَ يسرو ، ونصب « قائماً » على الحال .

شبه املاس ظهره واكتنازه باللحم بالحجر الذي تسحق العروس به أو عليه الطيب ، او بالحجر الذي يكسر عليه الحنظل ويستخرج حبه ، وخص مداك العروس لِحِدْثان عهدها بالسحق للطيب .

(٥٩) في خزانة الادب ٣/٢٢٤ (يقول : اذا كان قائماً عند البيت غير مسرج رأيت ظهره املس فكأنه مداك عروس)

٦٠ ـ كأن دماءَ الهاديات بنحرِهِ عُصارةُ حِنَّاءٍ بشَيْبٍ مُرَجَّلِ

الدم يثنى بالدمان والدميان ، ومنه قول الشاعر :

فلو أنّا على حَجَرٍ ذُبِحنا جرى الدميان بالخبر اليقين

والجمع دماء ودُمِيّ ، والتصغير دُمَيّ ، والقطعة منه دَمَة ، حكاها الليث وقد دمِي الشيء يدمى اذا تلطخ بالدم ، وأدميته أنا ودمّيته . الهاديات : المتقدمات والأوائل ، وسمي المتقدم هادياً لأن هادي القوم يتقدمهم ، ومنه قيل لعنق الفرس : هاد ، لأنه يتقدم على سائر جسده . عصارة الشيء : ماخرج منه عند عصره . الترجيل : تسريح الشعر ، والمرجّل : المسرح بالمشط .

يقول : كأن دماء أوائل الصيد والوحش على نحر هذا الفرس عصارة حناء خُضّب بها شيب مسرح ، شبه الدم الجامد على نحره من دماء الصيد بما جف من عصارة الحناء على شعر الأشيب ، وأتى بالمرجل لإقامة القافية .

٦١ ـ فعنّ لنا سربٌ كأن نعاجَه عذارى دَوارٍ في مُلاءٍ مُذَيَّلِ

عنّ : أي عرض وظهر . السرب : القطيع من الظباء أو النساء أو القطا أو المها أو البقر أو الخيل ، والجمع الأسراب . النعاج : اسم لإناث الضأن وبقر الوحش وشاء الجبل ، الواحدة نعجة ، وجمع التصحيح نعجات ، والمراد بالنعاج في هذا البيت : اناث بقر الوحش ، وبالسرب : القطيع منها . العذراء : البكر التي لم تمس ، والجمع عذارى . الدوار : حجر كان اهل الجاهلية ينصبونه ويطوفون حوله تشبيهاً بالطائفين حول الكعبة إذا نأوا عن الكعبة . الملاء جمع ملاءة ، وانما تسمى ملاءة إذا كانت لِفقين . المذيّل : الذي أطيل ذيله وأرخي .

---

(٦٠) وفي الخزانة ايضاً ٢٥٥/٣ (يقول : انه يلحق اول الوحش ، فاذا لحق اولها ، علم انه قد احرز آخرها ، واذا لحقها طعنها فتصيب دماؤها نحره) . وقد عد ابن سلام ص ٧٠ هذا البيت من التشبيهات التي استحسنها الناس .

(٦١) في الخزانة ٢٢٥/٣ (يقول : ان هذا القطيع من البقر يلوذ بعضه ويدور كما تدور العذارى حول دوار ، وهو نسك كانوا في الجاهلية يدورون حوله)

يقول : فعرض لنا وظهر قطيع من بقر الوحش ، كأن إناث ذلك القطيع نساء عذارى يطفن حول حجر منصوب ، يطاف حوله في ملاء طويلة ذيولها . شبه المها في بياض ألوانها بالعذارى ، لأنهن مصونات في الخدور لا يغير ألوانهن حر الشمس وغيره ، وشبه طول أذيالها وسبوغ شعرها بالملاء المذيّلة ، وشبه حسن مشيها بحسن تبختر العذارى في مشيهن .

٦٢ ـ فأدبرنَ كالجَزْعِ المفصّلِ بينه　　بجيدِ مُعَمٍّ في العشيرةِ مُخْوَلِ

الجزع : الخرز اليماني . الجيد : العنق والجمع الأجياد ، ورجل أجيد : طويل العنق ، وجمعه جود . المعمّ : الكريم الأعمام . المخول : الكريم الاخوال ، وقد أعم وأخول اذا كرم أعمامه وأخواله ، وهذان من الشواذ لأن القياس من « أفعَل » : « مُفعِل » ، وهما « أفعل » فهو « مُفعَل » .

يقول : فأدبرت النعاج كالخرز اليماني الذي فصل بينه بغيره من الجواهر في عنق صبي كرم أعمامه وأخواله ، شبه بقر الوحش بالخرز اليماني لأنه يسودّ طرفه وسائره أبيض ، وكذلك بقر الوحش تسودّ أكارعها وخدودها وسائرها أبيض ، وشرط كونه في جيد معمّ مخول لان جواهر قلادة مثل هذا الصبي أعظم من جواهر قلادة غيره ، وشرط كونه مفصلاً لتفرقهن عند رؤيته .

٦٣ ـ فألحقَنا بالهادياتِ ودونَه　　جواحرُها في صَرَّةٍ لم تُزَيَّلِ

الهاديات : الأوائل المتقدمات . الجواحر : المتخلفات ، وقد جحر أي تخلّف . الصرّة : الجماعة ، والصرة : الصيحة ، ومنه صرير القلم وغيره . الزيل والتزييل : التفريق ، والتزيّل والانزيال : التفرق .

يقول : فألحقنا هذا الفرس بأوائل الوحش ومتقدماته ، وجاوز بنا متخلفاته ، فهي دونه ـ أي أقرب منه ـ في جماعة لم تتفرق ، أو في صيحة . وتلخيص المعنى : أنه يلحقنا بأوائل الوحش ويدع متخلفاته ثقة بشدة جريه وقوة عدوه ، فيدرك أوائلها ، واواخرها مجتمعة لم تتفرق بعد ، يريد أنه يدرك أوائلها قبل تفرق جماعتها ، بصفه بشدة عدوه .

٦٤ ـ فعادى عِداءً بين ثورٍ ونعجةٍ دِراكاً ولم يَنْضَحْ بماءٍ فيُغسلِ

المعاداة والعداء : الموالاة . الثور : يجمع على الثيران والثِيَرة والثِوَرة والثِيارة والأثوار والثِيار . الدراك : المتابعة .

يقول : فوالى بين ثور ونعجة من بقر الوحش في طَلَقَ واحد ، ولم يعرق عرقاً مفرطاً يغسل جسده ، يريد أنه أدركهما وقتلهما في طلق واحد قبل أن يعرق عرقاً مفرطاً ، أي أدركهما دون معاناة مشقة ومقاساة شدة . نسب فعل الفارس الى الفرس لأنه حامله وموصله الى مرامه . يقول : صاد هذا الفرس ثوراً ونعجة في طلق واحد ، ودراكاً أي مداركة .

٦٥ ـ فظلَّ طهاةُ اللحم مِن بين مُنضِجٍ صفيفَ شِواءٍ أو قَديرٍ معجّلِ

الطهو والطهي : الإنضاج ، والفعل : طها يطهو ويطهى ، والطهاة جمع طاهٍ كالقضاة جمع قاضٍ والكفاة جمع كافٍ ، والانضاج يشتمل على طبخ اللحم وشيّه . الصفيف : المصفوف على الحجارة لينضَج . القدير : اللحم المطبوخ في القدر .

يقول : ظل المنضجون اللحم وهم صنفان : صنف ينضجون شواء مصفوفاً على الحجارة في النار ، وصنف يطبخون اللحم في القدر . يقول : كثر الصيد فأخصب القوم فطبخوا واشتووا ، و « من » في قوله « من بين منضج » للتفصيل والتفسير ، كقولهم : هم من بين عالم وزاهد ، يريد أنهم لا يعدون الصنفين ، كذلك أراد : لم يعدُ طهاة اللحم الشاوين والطباخين .

٦٦ ـ ورحنا يكادُ الطرفُ يقصُرُ دونَه متى ما تَرَقَّ العينُ فيه تَسَفَّلِ

الطرف : اسم لما يتحرك من أشفار العين ، وأصله التحرك ، والفعل منه طرَف يطرِف . القصور : العجز والفعل قصَر يقصُر . الترقي والارتقاء

(٦٤) في الشعر والشعراء ٨٢/١ ان امرأ القيس كان (اول من قال « فعادى عداء » فاتبعه الناس) الطلق : الشوط

(٦٦) رقاه يرقيه رقية : عوذه او علق عليه عوذة

والرُّقْني واحــد ، والفعل من الرقي : رقي يرقى ، واما رقى يرقي فهو من الرُّقْية ، وقد رقّيته أنا أي حملته على الرّقي .

يقول : ثم أمسينا وتكاد عيوننا تعجز عن ضبط حسنه واستقصاء محاسن خَلقه ، ومتى ما ترقت العين في أعالي خلقه وشخصه نظرت الى قوائمه . وتلخيص المعنى : انه كامل الحسن ، رائع الصورة ، وتكاد العيون تقصر عن كنه حسنه ، ومهما نظرت العيون الى أعالي خلقه اشتهت النظر الى أسافله .

٦٧ ـ فبات عليه سرجُه ولجامُـهُ وبات بعيني قائماً غيرَ مُرسَلِ

يقول بات مسرجاً ملجماً قائماً بين يدي غير مرسل الى المرعى .

٦٨ ـ أصاحِ ترى برقاً ـ أُريك وميضَه ـ كلمع اليــدين في حَبِيٍّ مُكلَّلِ

أصاح : اراد « أصاحب » أي « يا صاحب » ، فرخّم كما تقول في ترخيم « حارث » : « ياحار » وفي ترخيم مالك : يا مال ، ومنـه قراءة من قرأ : « ونادَوا يا مالِ ليقضِ علينا ربُّك » ومنه قول زهير :

يا حارِ لا أُرمينْ منكم بداهيةٍ لم يلقهـا سُوقةٌ قبلي ولا ملكُ

أراد : يا حارث ، والالف نداء للقريب دون البعيد ، تقول : « أزيد » اذا كان زيد حاضراً قريباً منك ، و « يا » نداء للبعيد والقريب ، وأي وأيا وهيا : لنداء البعيد دون القريب . الوميض والإيماض : اللمعـان ، تقول : ومض البرق يمض وأومض اذا لمع وتلألأ . اللمع : التحريك والتحرك جميعاً . الحبيّ : السحاب المتراكم ، سمي بذلك لأنه حبا بعضه الى بعض فتراكم ، وجعله مكللا لأنه صار أعلاه كالإكليل لأسفله ، ومنه قولهم : كللت الرجل اذا توجته ، وكللت الجفنة ببَضعات اللحم اذا جعلته كالإكليل لها . ويروى « مكلِل » بكسر اللام . وقد كلّل تكليلا وانكل انكلالاً إذا تبسم .

(٦٧) في الخزانة ٢٢٨/٢ (ومعناه انه لما جيء به من الصيد لم يرفع عنه سرجه وهو عرق ، ولم يقلع لجامه فيعتلف على التعب فيؤذيه ذلك)

يقول : ياصاحبي هل ترى برقاً أريك لمعانه وتلألؤه وتألقه في سحاب متراكم صار أعلاه كالإكليل لأسفله ، أو في سحاب متبسم بالبرق ، يشبه برقه تحريك اليدين ؟ أراد أنه يتحرك تحركهما ، وتقدير البيت : أريك وميضه في حبيّ مكلل كلمع اليدين . شبه لمعان البرق وتحركه بتحرك اليدين . فرغ من وصف الفرس ، والآن قد أخذ في وصف المطر فقال :

٦٩ ـ يضيءُ سَناه أو مصابيحُ راهبٍ أمالَ السَّليطَ بالذُّبالِ المُفتَّلِ

السنا : الضوء ، والسناء : الرفعة . السليط : الزيت ، ودهن السمسم : سليط أيضاً ، وانما سميا سليطاً لإضاءتها السراج ، ومنه السلطان لوضوح أمره . الذبال : جمع ذبالة وهي الفتيلة ، وقد يثقّل فيقال : ذُبّال .

يقول : هـــذا البرق يتلألأ ضوءه ، فهو يشبه في تحركه لمع اليدين ، أو مصابيح الرهبان أميلت فتائلها بصب الزيت عليها في الاضاءة ، يريد أن تحرك البرق يحكي تحرك اليدين ، وضوءه يحكي ضوء مصباح الراهب إذا أنعم صب الزيت عليه فيضيء . وزعم أكثر الناس أن قوله « أمال السليط بالذبال المفتل » من المقلوب ، وتقديره : أمال الذبال بالسليط اذا صبه عليه ، وقال بعضهم : ان تقديره : أمال السليط مع الذبال المفتل ، يريد أنه يميل المصباح الى جانب ، فيكون أشد إضاءة لتلك الناحية من غيرها .

٧٠ ـ قعدتُ له وصحبتي بين ضارجٍ وبين العُذَيبِ ، بَعْدَ ما متأمَّلي

ضارج والعذيب : موضعان . بعد ما : أصله : بعُد ما ، فخففه فقال : بعْد ، وما : زائدة ، وتقديره : بعُد متأملي .

يقول : قعدت وأصحابي للنظر الى السحاب بين هـــذين الموضعين ، فبعُد متأملي وهو المنظور إليه ، أي بعُد السحاب الذي كنت أنظر اليـه وأرقب مطره وأشيم برقه ، يريد أنه نظر الى هذا السحاب من مكان بعيد فتعجب من بعد نظره ، وقال بعضهم : ان « ما » في البيت بمعنى « الذي » وتقديره : بعُد ما هو متأملي ، فحذف المبتدأ الذي هو « هو » ، وتقديره على هذا القول : بعُد السحاب الذي هو متأملي .

٧١ ـ على قَطَنٍ ـ بالشَّيْمِ ـ أيمنُ صوبِهِ وأيسرُهُ على السِّتارِ فيذبُلِ

ويروى « علا قطناً » من علا يعلو علواً ، أي علا هذا السحاب . قطن : جبل ، وكذلك الستار ويذبل : جبلان ، وبينهما وبين قطن مسافة بعيدة . الصوب : المطر ، وأصله مصدر صاب يصوب صوباً أي نزل من علو الى سفل . الشيم : النظر الى البرق مع ترقب المطر .

يقول : أيمن هذا السحاب على قطن ، وأيسره على الستار ويذبل ، يصف عظم السحاب وغزارته وعموم جوده ، وقوله « بالشيم » أراد : اني إنما احكم به حدساً وتقديراً لأنه لا يُرى ستار ويذبل وقطن معاً .

٧٢ ـ فأضحى يسحُّ الماءَ حولَ كُتيفةٍ يكُبُّ على الاذقانِ دَوْحَ الكَنَهْبَلِ

الكب : إلقاء الشيء على وجهه ، والفعل كبَّ يكُبُّ ، وأما الإكباب فهو خرور الشيء على وجهه ، وهذا من النوادر ، لأن أصله متعد الى المفعول به ، ثم لما نُقل بالهمز إلى باب الإفعال ، قصّر عن الوصول الى المفعول به ، وهذا عكس القياس المطرد ، لأن ما لم يتعد الى المفعول في الأصل ، يتعدى اليه عند النقل بالهمزة الى باب الإفعال ، نحو قعد وأقعدته وقام وأقمته وجلس وأجلسته ، ونظيره « كب وأكب » : « عرض وأعرض » لأن « عرض » متعد الى المفعول به لأن معناه « أظهر » ، و « أعرض » لازم لأن معناه : ظهر ولاح ، ومنه قول عمرو بن كلثوم :

فأعرضت اليمامة واشمخرّت كأسيافٍ بأيدي مصلتينا

الذقن : مجتمع اللحيين ، والجمع الأذقان ، والأذقان مستعار في البيت للشجر . الدوحة : الشجرة العظيمة . والجمع : دوح . الكنهبل بضم الباء وفتحها : ضرب من شجر البادية .

يقول : فأضحى هذا الغيث او السحاب يصب الماء فوق هذا الموضع المسمى بكتيفة ، ويلقي الأشجار العظام من هذا الضرب الذي يسمى كنهبلاً على رؤوسها . وتلخيص المعنى : أن سيل هذا الغيث ينصب من الجبال والآكام فيقلع الشجر

العظام . ويروى « يسح الماء من كل فِيقة » أي بعد كل فيقة . والفيقة من الفُواق وهو مقدار ما بين الحلبتين ، ثم استعاره لما بين الدفعتين من المطر .

٧٣ ـ ومرَّ على القنانِ مِن نَفيانهِ فأنزلَ منه العُصْمَ من كل مُنزَلِ

القنان : اسم جبل لبني أسد . النفيان : ما تطاير من قطر المطر وقطر الدلو ومن الرمل عند الوطء ومن الصوف عند النفش وغير ذلك . العصم : جمع أعصم وهو الذي في إحدى يديه بياض من الأوعال وغيرها . المنزل : موضع الانزال .

يقول : ومر على هذا الجبل بما تطاير وانتشر وتناثر من رشاش هذا الغيث فأنزل الأوعال العصم من كل موضع من هذا الجبل لهولها من وقع قطره على الجبل وفرط انصبابه .

٧٤ ـ وتيماءَ لم يَترُكْ بها جِذعَ نخلةٍ ولا أُطماً إلا مَشيداً بجَندَلِ

تيماء : قرية عادية في بلاد العرب . الجذع يجمع على الأجذاع والجذوع ، والنخلة على النخلات والنخل والنخيل . الأطم : القصر ، والأطم : الأزَج ، والجمع الآطام . الشِيد : الجص ، والشَيْد : الرفع وعلو البُنيان ، والفعل منه شاد يشيد . الجندل : الصخر والجمع الجنادل .

يقول : لم يترك هذا الغيث شيئاً من جذوع النخل بقرية تيماء ولا شيئاً من القصور والأبنية إلا ما كان منها مرفوعاً بالصخور أو مجصصاً ، يعني أنه قلع الاشجار ، وهدم الابنية إلا ما كان منها مرفوعاً بالحجارة والجص .

٧٥ ـ كأنَّ ثبيراً في عرانينِ وَبْلِهِ كبيرُ أناسٍ في بِجادٍ مُزَمَّلِ

---

(٧٤) الأزج : البناء المتطاول

(٧٥) جاء في أمالي ابن الشجري ٧٧/١ (أي مزمل فيه .. ولولا تقدير « فيه » هنا لوجب رفع « مزمل » على الوصف لـ « كبير » ، وتقدير « فيه » أمثل من حمل الجر على المجاورة)

فروة : اسم رجل . ثفر الثورة : فرج البقرة . المتضاجم : المعوج المائل الى احد الشقين .

ثبير : جبل بعينه . العِرنين : الأنف ، وقال جمهور الأئمة : هو معظم الأنف ، والجمع العرانين ، ثم استعار العرانين لأوائل المطر لأن الأنوف تتقدم الوجوه البجاد : كساء مخطط والجمع البُجُد . التزميل : التلفيف بالثياب وقد زمّلته بثياب فتزمل بها أي لففته فتلفف بها ، وجر « مزملا » على جوار بجاد ، والا فالقياس يقتضي رفعه لأنه وصف « كبير أناس » ومثله ما حكي عن العرب من قولهم : جحرُ ضبٍ خربٍ ، جر « خربٍ » بمجاورة « ضبٍ » ، ومنه قول الأخطل :

جزى الله عني الأعورينِ ملامةً وفروةَ ثفْرَ الثورةِ المتضاجمِ

جر المتضاجم على جوار الثورة ، والقياس نصبه لأنه صفة ثفر ، ونظائرها كثيرة .

الوبل : جمع وابل وهو المطر الغزير العظيم القطر ، ومثله شارب وشرب وراكب وركب وغيرهما ، والوبل أيضاً مصدر وَبَلت السماء تبِل وَبْلًا اذا أتت بالوابل .

يقول : كأن ثبيراً في أوائل مطر هذا السحاب سيد أناس قد تلفف بكساء مخطط ، شبه تغطيته بالغثاء بتغطي هذا الرجل بالكساء .

٧٦ — كأنّ ذرا رأسِ المُجَيْمِرِ غُدوةً من السيلِ والغُثاءِ فَلْكةُ مِغزَلِ

الذروة : اعلى الشيء والجمع الذرا . المجيمر : أكمة بعينها . الغثاء : ما جاء به السيل من الحشائش والشجر والكلأ والتراب وغير ذلك ، والجمع الأغثاء . المغزل بضم الميم وفتحها وكسرها معروف ، الجمع المغازل ، وفلكة المغزل مفتوحة الفاء .

يقول : كأن هذه الأكمة غدوة بما أحاط بها من أغثاء السيل فلكة مغزل ، شبه استدارة هذه الأكمة بما أحاط بها من الأغثاء باستدارة فلكة المغزل ، واحاطتها بها احاطة المغزل .

(٧٦) يروي بعضهم هذا البيت — وكذا البيتان الأخيران رقم ٧٨ و ٧٩ — بزيادة واو قبل « كأن » لتكون هذه الأبيات الثلاثة معطوفة على البيت رقم ٧٥ (كأن ثبيراً ....) ولكن المعري في رسالة الغفران ص ٢٢٥ قال (أرادوا النسق فأفسدوا الوزن) وعلى هذا فهو يرى أن تحذف الواو. وجاء في العمدة ٩٣/١ أن أبا الحسن بن كيسان — وهو أحد شراح المعلقات — هو الذي زاد الواو في الرواية . وللمعري ايضاً رأي في تشديد « الغثاء » وتخفيفها انظره في تعليقنا على البيت رقم ٢٤ .

٧٧ــ وألقى بصحراء الغبيطِ بَعاعَهُ نزولَ اليماني ذي العِيابِ المحمَّلِ

الصحراء تجمع على الصحارى والصحاري معاً . الغبيط هنا : أكمة قد انخفض وسطها وارتفع طرفاها ، وسميت غبيطاً تشبيهاً بغبيط البعير . البعاع : الثقل . قوله « نزول اليماني » أي نزول التاجر اليماني . العياب : جمع عيبة الثياب .

يقول : ألقى هذا الحيـــا ثقله بصحراء الغبيط ، فأنبت الكلأ وضروب الأزهار وألوان النبات ، فصار نزول المطر به كنزول التاجر اليماني صاحب العياب المحملة من الثياب ، حين نشر ثيابه يعرضها على المشترين ، شبه نزول هذا المطر بنزول التاجر ، وشبه ضروب النبات الناشئة من هذا المطر بصنوف الثياب التي نشرها التاجر عند عرضها للبيع ، وتقدير البيت : وألقى ثقله بصحراء الغبيط فنزل به نزولاً مثل نزول التاجر اليماني صاحب العياب من الثياب .

٧٨ ـ كأنَّ مَكاكيَّ الجِواءِ غُدَيَّةً صُبِحنَ سُلافاً من رحيقٍ مُفلفَلِ

المُكّاء : ضرب من الطير والجمع المكاكيّ . الجواء : الوادي والجمع أجوية . غدية : تصغير غدوة أو غداة . الصَّبْح : سقي الصَّبوح ، والاصطباح والتصبّح : شرب الصبوح . السلاف : أجود الخمر وهو ما انعصر من العنب من غير عصر . المفلفل : الذي ألقي فيــه الفلفل . يقال : فلفلت الشراب أفلفله فلفلة ، فأنا مفلفِل ، والشراب مفلفَل .

يقول : كأن هذا الضرب من الطير سُقي هذا الضرب من الخمر صباحاً في هذه الاودية ، وانما جعلها كذلك لحدة ألسنتها وتتابع أصواتها ونشاطهـا في تغريدها ، لأن الشراب المفلفل يَحذي اللسانَ ويسكر ، فجعل نشاط الطير كالسكر ، وتغريدها بحدة ألسنتها من حَذْي الشراب المفلفل اياها .

---

(٧٧) غبيط البعير : نوع من الهوادج . العيبة : وعاء من جلد تجعل فيه الثياب . الحيا : المطر

(٧٨) انظر تعليقنا على البيت رقم ٧٦ . الرحيق : صفوة الخمر . الصبوح : شراب الصباح . يحذي اللسان : يقرصه

٧٩ ـ كأنَّ السباعَ فيه غرقى عشيّةً بأرجائه القصوى أنابيشُ عُنْصُل

الغرقى جمع غريق مثل مرضى ومريض وجرحى وجريح . العَشيّ والعَشية : ما بعد الزوال الى طلوع الفجر ، وكذلك العِشاء . الارجاء : النواحي ، الواحد رجا ، مقصور ، والتثنية رجوان . القُصوى والقُصيا تأنيث الاقصى وهو الابعد ، والياء لغة نجد ، والواو لغة سائر العرب . الانابيش : اصول النبت ، سميت بذلك لأنها ينبش عنها ، واحدتها أنبوشة . العنصل : البصل البري .

يقول : كأن السباع حين غرقت في سيول هذا المطر عشياً أصول البصل البري ، شبه تلطخها بالطين والماء الكدر بأصول البصل البري ، لأنها متلطخة بالطين والتراب .



(٧٩) انظر تعليقنا على البيت رقم ٧٦ . وجاء في العمدة ١٦٠/١ (من العرب من يختم القصيدة فيقطعها والنفس بها متعلقة ، وفيها راغبة مشتهية ... ألا ترى معلقة امرىء القيس كيف ختمها .... فلم يجعل لها قاعدة كما فعل غيره من اصحاب المعلقات ، وهي افضلها) .

طرفة بن العبد

★ هو طَرَفة بن العبد بن سفيان . . . من قبيلة بكر بن وائل ثم من ربيعة العدنانية . وقيل ان « طرفة » لقب له ، وإن اسمه : عمرو[١] ، وقيل أيضاً : بل اسمه عبيد[٢] أو معبد ، والحق أن « معبداً » اسم أخيه[٣] وليس اسمه . وقالوا ان سبب تلقيبه بطرفة - بفتح الطاء والراء - هو قوله :

لا تُعجِلا بالبكاء اليوم مُطَّرِفاً ولا أميرَ كما بالدار إذ وقفا[٤]

و « الطرفة » واحدة الطرفاء وهي شجر[٥] . وقد ذكر الآمدي في المؤتلف[٦] أربعة باسم « طرفة » .

أما كنيته فالمشهور أنها « أبو عمرو »[٧] ، إلا أن بعضهم كنّاه بـ « أبي إسحاق »[٨] و « أبي نضلة »[٩] و « أبي سعد »[١٠] . ولعل مرد هذا الاختلاف في كنيته أن الشاعر - فيما نعلم - لم يتزوج ولم ينجب .

وأما ذوو قرباه فقد اشتهر منهم شاعرة واحدة هي الخِرنِق بنت هفان « أخته لأمه » ، وخمسة شعراء هم : أبوه ، والمتلمس « خاله » ، والمرقشان « الاكبر عم الأصغر ، والأصغر عم طرفة »[١١] وعمرو بن قميئة « ابن عم أبيه » . هذا ، ولم أجد ما يثبت قول بروكلمان[١٢] بأن ابن قميئة (جد طرفة لأمه) ، بل لقد رأيت المرزباني[١٣] ينسب أم طرفة[١٤] فيقول : هي (وردة بنت قتادة بن مشنوء بن عمرو بن مالك بن ضبيعة . .) كما ترى في شجرة نسب شعراء المعلقات[١٥] ، فلعل تصحيفاً طرأ - في إحدى الروايات - على « ضبيعة »

---

* هذه التوطئة بقلم المعلق وليست للزوزني (١) معجم الشعراء ٢٠١ - المزهر ٤٤١/٢ - هدية العارفين ٨٠٢/١ (٢) معجم الشعراء ٢٠١ - ألقاب الشعراء ٣٢٠ (٣) الأغاني ٥٥٩/٢٣ والشعر والشعراء ١٤٢/١ (٤) ألقاب الشعراء ٣٢٠ - المزهر ٤٤١/٢ - القاموس مادة طرف . (٥) الاشتقاق ص٣٥٧ والقاموس واللسان مادة طرف (٦) ص١٤٦ (٧) كما في المزهر ٤٢٤/٢ ومعجم الشعراء ٢٠١ (٨) كما في معجم الشعراء أيضاً وفي كنى الشعراء ص ٢٨٨ (٩) المختار ومن شعر بشار للخالديين ص ٧٣ (١٠) معجم الشعراء ٢٠١ (١١) ابن سلام ٣٤ أو العمدة ٥٤/١ (١٢) ١١٧/١ (١٣) معجم الشعراء ٢٠١ (١٤) جاء في معاهد التنصيص ١٢٣/١ ان (امه وردة من رهط أبيه) وقد نقلت نسبها من معجم الشعراء ، ويبدو من مقارنة نسبها مع المتلمس أنها أخته لأمه . (١٥) بين صفحتي ٦٤ - ٦٥ من هذا الكتاب

فأشبهت « قميئـــة » ، هو الذي خلق اللبس بين عمرو بن قميئة وعمرو بن ... بن ضبيعة .

ولد طرفة في البحرين ولهج بالشعر صغيراً ثم عكف على اللهو والشرب والقيان حتى تحامته عشيرته وأبعدته عنها - كما قال هو عن نفسه(١) - ومما يروى(٢) عنه أنه سئل مرة (ما السرور ؟ فقال : مطعم هنيّ ، ومشرب رويّ ، وملبس دفيّ ، ومركب وطيّ . وكان يؤثر الخفض والدعة) .

وقد لخص لنا في شعره أبرز الخصال التي تهمه من حياته فقال انها ثلاث(٣) : أن يعبّ ، وأن يهبّ ، وأن يحبّ . فالخمرة والإغاثة والمرأة هي كل عالمه . ثم تشاء المقادير أن يدخل طرفة في بلاط عمرو بن هند ملك الحيرة ، ويصحبه الى هذا البلاط خاله المتلمس ، وهو (رأس فحول ربيعة) آنذاك بشهادة الاصمعي(٤) والضبي وابن السكيت ، فينشد الشاعران ما طاب لهما الإنشاد بين يدي الملك ابن هند ، وينادمان أخاه قابوساً ، ويرافقانه في صيده ، حتى اذا لقيا منه عنتاً ، ضغنا عليه وعلى أخيه الملك ، وقالا في هجائها شعراً مقذعاً ؛ ومن هنا بدأ التحول في حياة الشاعرين . ولئن قيل (لا تؤاخِ شاعراً فإنه يمدحك بثمن ويهجوك مجاناً)(٥) لقد قيل أيضاً « ان البلاء موكل بالمنطق » و « مقتل الرجل بين فكيه » ، وهذا ما حدث لطرفة فعلاً : مدح بثمن ، ثم هجا مجاناً ، ثم قتله منطقه .

لم يبلغ هذا الهجاء - أول الأمر - أسماع ابن هند ، الا أن عبد عمرو بن بشر ، صهر طرفة زوج أخته - « وكان طرفة قد هجاه لسوء(٦) ما لقيت أخته منه » - كان بصحبة ابن هند يوماً ، فبدا كشحه من شق ثوبه ، فقال له ابن هند (كأن ابن عمك كان يراك حين يقول ...)(٧) وذكر له هجاء طرفة اياه وفيه ذكر لكشحه ، فقال عبد عمرو : (ما قال فيك أيها الملك أشد . قال : وما قال ؟)(٧) فأنشده كلمة طرفة فيه ، (فاحتملها في قلبه

(١) البيت ٥٢ وما قبله من المعلقة (٢) العقد الفريد ٢٢٠/٦ (٣) انظر الابيات ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ - ٥٩ من معلقته (٤) فحولة الشعراء ص ٣٠ وانظر كذلك الاغاني ٥٥٩/٢٣ (٥) محاضرات الراغب ٢٦/١ (٦) انظر الخبر في الشعر والشعراء ١٣٧/١ (٧) أسماء من قتل من الشعراء ص ٢١٢

على طرفة . فلما كان بعد ذلك بيسير قال لطرفة والمتلمس : أظنكما قد اشتقتما أهلكما ، فهل لكما في أن أكتب لكما الى عامل البحرين بصلة وجائزة ؟ قالا : نعم . فكتب اليه بقتلهما ، فأخذا كتابيهما ومضيا)[١] وبينا هما في الطريق قال المتلمس : (يا طرفة ، انك غلام حديث السن ، والملك مَن عرفت حقده وغدره ، وكلانا قد هجاه ، فلست آمناً أن يكون قد أمر بشرّ ، فهلم فلننظر في كتبنا هذه ... فأبى طرفة أن يفك خاتم الملك ..)[٢] ، ثم (طلع عليهما غلام من الحيرة ، فقال له المتلمس : أتقرأ يا غلام ؟ قال : نعم . ففك صحيفته ودفعها اليه فاذا فيها : أما بعد فإذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حياً . فقال لطرفة : ادفع اليه صحيفتك يقرأها ، ففيها والله ما في صحيفتي . فقال طرفة : كلا لم يكن ليجترىء عليّ . فقذف المتلمس صحيفته في نهر الحيرة ... وأخذ نحو الشام ، وأخذ طرفة نحو البحرين . .)[٣] ، ولما بلغها ورأى العامل ما في صحيفته ، عرض عليه الفرار لخؤولة كانت بينهما ، فلم يصدق طرفة أن في الصحيفة أمر قتله ، بل ظن أن فيها أمراً بجائزة كبيرة لا يقدر عليها العامل ، فاضطر هذا الى سجنه بعد أن شاع الخبر ، وكتب الى عمرو بن هند يعتذر عن قتله[٤] لقرابته منه ، فما كان من عمرو الا أن وجّه عاملاً جديداً بدأ بقتل سلفه ، ثم خيّر طرفة في ميتته ، فأجابه طرفة : اسقني حتى أسكر ، ثم افصدني ودعني أنزف حتى أهلك . ففعل الوالي . وفي ذلك قال البحتري :

وكذاك طرفةُ حين أوجس ضربةً في الرأسِ ، هان عليه فصدُ الأكحلِ

ومنذئذٍ صارت « صحيفة المتلمس » مضرب المثل في الشؤم وفيمن يحمل حتفه بكفه[٥] . ولم ينتصر لطرفة مثلما انتصرت له أخته الخرنق التي بكته طويلا فكان مما قالت :

عددنا له ستاً[٦] وعشرين حجة فلما توفاها استوى سيداً ضخما

---

(١) أسماء من قتل من الشعراء ٢١٢ (٢) الاغاني ٥٤٠/٢٣ (٣) الاغاني ٥٤٥/٢٣
(٤) انظر القصة في نهاية الأرب من شرح معلقات العرب للنعساني (٥) تجد قصة طرفة و« صحيفة المتلمس » في مجمع الأمثال ٤١٢/١ وامالي المرتضى ١٢٨/١ ومعاهد التنصيص ٢٤٨/١ والاغاني ٥٤٢/٢٣ وخزانة الادب ٣٦٦/٢–٣٦٩ والشعر والشعراء وجمهرة أشعار العرب وغيرها . (٦) في جمهرة أشعار العرب ص ٧٣ : نعمنا به خمساً ......سيداً فخما

ولا مثلما انتصر له خاله المتلمس حين راح يحرّض قومه على الثأر ، حتى بعد أن سيقت دية طرفة الى أخيه معبد[١] ، أنعاماً كثيرة . فهو في ذلك يقول[٢] :

وطريفـة بن العبد كان هدّيهم	ضربوا صميمَ قذاله بمهنـدِ
أبني قلابةَ لم تكن عاداتكم	أخذَ الدنية قبل خطة معضَدِ
لم يرحضِ السوءاتِ عن أحسابكم	نَعَمُ الحوائرِ اذ تساق لمعبدِ
فالعبـد دونكمُ اقتلوا بأخيكمُ	كالعَيْرِ أبرزَ جنبـه للمُطردِ

هذا ما قيل في خبر طرفة وقصة مقتله ، ولكنّ بعضهم قال بأن هناك أسباباً أخرى أحفظت عمرو بن هند وأوجدته عليه : منها : أن الشاعر لمح أخت الملك مرة في مجلس شراب فعرّض بها في النسيب[٣] . ومنها : أنه دخل على ابن هند ذات يوم (معجباً تائهاً يتخلج في مشيته بين يديه ، فنظر إليه نظرة كادت تقتلعه من الأرض ـ وكان عمرو لا يبتسم ولا يضحك .. وكانت العرب تهابه هيبة شديدة[٤] .. ـ فقال المتلمس .. لطرفة : اني لأخاف عليك من نظرته اليك هذه مع ما قلت)[٥] .

بقي أن نقول ـ تعقيباً على هذه القصة ـ ان قلة من المعاصرين[٦] يفور الشك في صدورهم حول صحتها ، ولعل السبب في هذا الشك عائد إلى اختلاف الروايات من جهة ، والى الخلاف في قاتل طرفة من جهة اخرى . ففي الوقت الذي نرى الكثيرين يقولون بأن القاتل هو عمرو بن هند ، نرى قلة آخرين ـ كالشريف المرتضى[٧] ـ يقولون بأنه النعمان بن المنذر . وليست دعواهم هذه بشيء . أما انتفاء عمرو بن هند (من قتل طرفة)[٨] وزعمه (أنه لم يأمر الحوثري بقتله)[٨] ثم أمره أن تأخذ (ديته من الحوثري لأنه قتل بيده)[٨]

---

(١) الاغاني ٢٣/٥٥٥–٥٥٧ وانظر الشعر والشعراء ١/١٤٢ (٢) الهدي : الأسير – بنو قلابة : قوم طرفة – معضد : رجل من الحوائر وهم رهط القاتل – يرحض : يغسل – النعم : الإبل وهي الدية – معبد : أخو طرفة – اراد بالعبد : عمرو بن هند وأراد بأخيكم : طرفة – العير : حمار الوحش والمطرد صائده (٣) الشعر والشعراء ١/١٤١ (٤) كانت العرب تلقبه « المحرق » لشدة بطشه ولأنه أحرق مئة من تميم لقتلهم أخاه سعداً – « أو أسعد كما في شعر جرير ص ٣٤٩ » – انظر مجمع الامثال ١/١٢ « إن الشقي وافد البراجم » ، و ١/٤٠٧ « صارت الفتيان حمماً » ، وشرح مقصورة ابن دريد ص ٥٠ (٥) الاغاني ٢٣/٥٤٢–٥٤٣ (٦) منهم بروكلمان ١/٩٢ (٧) الامالي ١/١٣١ وانظر كذلك رسالة الغفران ٢٥٤ (٨) الاغاني ٢٣/٥٥٨ – ٥٥٩

وأن تُدفع الى أخيه معبد ، فذاك لا ينفي القصة ولا يضعّفها ، ولكنه يدل على حنكة الملك وخوفه من بكر بن وائل رهط القتيل . ولهذا السبب بالذات لم يقتله بنفسه ولا في بلاطه . زد على ذلك أن صهر طرفة لم ينقل الى ابن هند هجو طرفة اياه الا بعد الوعد بالأمان ، وهذا سبب آخر جديد لذاك الانتفاء .

وفوق كل ما تقدم بوسعنا أن نقول مطمئنين : ان رثاء أخته له مقتولاً ، وورود خبره في شعر خاله وشعر آخرين غيره ، وقول القرشي[1] ان (قبره اليوم معروف بهجر) .. كل أولئك دلائل على صحة وقائع القصة ؛ وكما حكمنا على الاختلافات السابقة بأنها لا شيء ، نحكم هنا أن الخلاف الواقع بين الروايتين الآتيتين لا يقدم ولا يؤخر في الموضوع شيئاً .

أ ـ (قال محمد بن موسى الكاتب : زعموا أن الكتب لم تزل في قديم الدهر منشورة غير مختومة ولا معنونة فلما قرأ المتلمس صحيفته ... واطلع على سره فيها ، خُتمت الكتب)[2] .

ب ـ و (قال المتلمس : ... كُتِب ولم نره ، وخُتم ولم نره)[2] .

ولعل الرواية الثانية هي الأصح ، وبها أخذ العباسي[3] فقال (.. وختمها لئلا يعلما ما فيها ، وهو أول من ختم الكتب) .

تلك هي حياة طرفة العامة ، أما **حياته الأدبية** فان أول ما يقال فيها أن المتلمس[4] ـ أو المسيب بن علس كما في رواية اخرى ، أو هو عمرو بن كلثوم كما في غيرها[5] ـ (وقف على مجلس لبني ضبيعة . . . فاستنشدوه ، فأنشدهم شعراً قال فيه :

وقد أتناسى الهمَّ عند احتضاره بناجٍ ، عليه الصيعريةُ ، مُكْدَمِ

والصيعرية سمة تكون للاناث خاصة ، فقال له طرفة ـ **وهو غلام** ـ : استنوق الجمل ، أي وصفت الجمل بوصف الناقة وخلطت ... فضحك القوم ، فغضب المتلمس ، ونظر الى لسان طرفة وقال : ويل لهـذا من هذا ، يعني

(١) جمهرة أشعار العرب ص ٧٢ (٢) الاغاني ٥٤٢/٢٣ – ٥٤٣ (٣) معاهد التنصيص ٢٤٨/١
(٤) المتلمس : لقب اطلق عليه لبيت قاله والخلاف في اسمه كثير . انظر جمهرة القرشي ٧٠ وألقاب الشعراء ٣١٥ والاغاني ٥٢٨/٢٣ والمزهر ٤٨٧/٢ (٥) جمهرة أشعار العرب ص ٦٨

رأسه من لسانه)[١] . وهذه القصة ان دلت على شيء فإنما تدل على فطنة طرفة ودقة ملاحظته مذ كان يافعاً . ولكي نقف على الشأو الذي بلغه صاحبنا ، ذاك الذي (مات ولم تظهر أعلاق دفائنه ، ولم تفتح أغلاق خزائنه) – كما قال عنه بديع الزمان[٢] – يكفي أن نعود الى جمهرة[٣] القرشي انرى فيها أن شاعرنا الفتيّ (باغ بحداثة سنه مابلغ القوم في طول أعمارهم) . وروي (عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ اذا استراث الخبر تمثل فيه ببيت طرفة : ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد)[٤] – البيت ١٠١ من معلقته – وطبيعي – أو كالطبيعي – ألاّ ينبغ شاعر في قبيلة إلاّ حملت عليه قبيلته مالم يقله – خاصة ان كان مقلاً كطرفة – قصداً الى التزّيد في شعره ، وتفاخراً بطول باعه ومتنوع فنه ، ولهذا قال ابن سلام[٥] مشيراً الى (قلة مابقي بأيدي الرواة المصححين لطرفة وعبيد اللذين صح لهما قصائد بقدر عشر) .. قال : (فلما قل كلامهما حمل عليهما حمل كثير) .

أما وقد دخلنا في الكلام على نحل الشعر فلا مندوحة لنا عن الوقوف برهة عند طه حسين فإن له رأياً خاصاً في المقطع المتضمن وصف الناقة من معلقة طرفة . يقول الدكتور طه : (ألست ترى في وصف الناقة اغراباً وتكلفاً للالفاظ ... ثم ألست ترى أن هذه الالفاظ الغريبة النادرة تقل ، أو لا تكاد توجد ، في سائر القصيدة ؟)[٦] وعلى هذا فرأيه أن (الذين كانوا يتخذون العلم والتعليم صناعة)[٦] هم الذين أضافوا وصف الناقة ، و (أن هذا الجزء من اجزاء القصيدة مصنوع ، قد قُصد به الى تعليم الشباب طائفة من اوصاف الإبل ، أحصيت فيه احصاء)[٦] .

هذا هو رأي الدكتور طه ، وهو – كما ترى – رأي لا يمكن قبوله أو رده بسهولة . فقد تكون حداثة صاحبنا طرفة عاملاً من عوامل تكلفه وصف الناقة بشيء من التمحّل والتعمّل . فمما لا خلاف فيه أن الشاعر

---

(١) الاغاني ٥٥٩/٢٣ – ٥٦٠ (٢) تاريخ أدب اللغة ٩١ (٣) ص ٦٩ (٤) مسند أحمد بن حنبل ٣١/٦ أما في ١٣٨/٦ فقد نسبت عائشة هذا البيت لعبد الله بن رواحة (٥) ص ٢٣ (٦) حديث الاربعاء ٥٧/١–٥٨

الحدث الناشيء يميل – عادة – بدافع من تحقيق الذات إلى التعالم والتفاصح والإغراب ، لا لشيء إلا ليثبت مقدرته على الاتيان بجديد ومهول . ونحن اذا قلنا بأن الإغراب ليس من طبيعة الشـــاعر العربي بشيء ، فأين نذهب بالعجّاج ورؤبة ومدرستها القائمة على غريب اللفظ ؟ وعلى هذا ، فعندي أن العرب لم يضعوا النصوص المحشوة بالغريب لغرض تعليمي الا منذ القرن الرابع الهجري ، أي منذ ظهور فن المقامة ، وكلنا يعلم أن مقامات الهمذاني فالحريري فالزمخشري تمثل ذروة ذلك الاغراب .

نعود الى الكلام على الشأو الذي بلغه طرفة في الشعر ، والشهرة التي حظي بها فنقول : انه ، على الرغم من صغر ديوانه ، فقد قدّر له أن يشرح على يد اكثر من شارح[1] ، وأن يُنقل – في العصر الحديث – الى أكثر من لغة[1] ، وأن يطبع مرات وفي عدة بلدان . ولعل أبرز المعاني التي ارتكز عليها هذا الديوان هو « الخمرة وما ناسبها » الامر الذي دعـا الاستاذ كارلو نالينو[2] إلى القول بأن شاعرنا الشاب كان (يفتخر في شعره بشرب الخمر اكثر منه بالشجاعة والحماسة ، **ويعتقد زوال كل أمور الدنيا** كما يعتقده لبيد ، ولكنه لا يستنتج من ذلك الاعتقاد وجوب الزهد ، فإنما يقصد لذات العيش) . ولا شك أن هذه العقيدة التي كان عليها طرفة هي التي حفزت المستشرق الايطالي نالينو أن يؤكد وثنية الشاعر ، وأن ينكر على لويس شيخو اعتبـار طرفة من « شعراء النصرانية »[3] . أما المعاني التي سَبَق اليها طرفة ، فمعان ثلاثة وهي : أنـه (أول من طرد الخيال)[4] فقال :

فقل لخيـال الحنظليـة ينقلبْ إليها ، فإني واصلٌ حبلَ من وصلْ

واول من شبه شق السفن الماء بشق المفايل التراب « البيت ٥ من المعلقة » ، وأول من قال « يأتيك بالاخبار من لم تزود » – البيت ١٠١ من المعلقة[5] –

---

(١) انظر معجم سركيس ، ١٢٤ وتاريخ الادب لفاخوري ١٠٥ وبروكلمان ٩٣/١ واعلام الزركلي وانظر كذلك ص٥٦ من هذا الكتاب (٢) تاريخ الآداب العربية ص ٦٨ (٣) ورأي بروكلمان كرأي نالينو . انظر حاشيتنا رقم ٣ في الصفحة رقم ٧١ من هذا الكتاب (٤) طيف الخيـال للمرتضى ٤٧ والشعر والشعراء ١٤٩/١ (٥) راجع تعليقنا على البيتين المذكورين ٥ و ١٠١

أخيراً ، وقبل أن نورد أبيات المعلقة الطرفية ، لا بد لنا من كلمة قصيرة حول المناسبة التي نظمت بها ، فقد قيل ان اخاه معبداً ، كانت قد ضلت له ابل ، فذهب طرفة الى ابن عم له يدعى مالكاً ، ورغب اليه أن يعينه في طلبها . ولكنّ مالكاً لامه وانتهره وقال له : فرّطت فيها ثم أقبلت تتعب في طلبها ! فتألم طرفة من هذا الرد وهاجت قريحته ، فقال قصيدته هذه ، يعاتب فيها ابن عمه عتاباً رفيقاً على تعنيفه إياه ، ويستعطف أعمامه الذين لم يقسموا له حصته من المال بعد وفاة أبيه .. ثم كان أن ردوا عليه الحصة حصتين [1] .

هذا ، وقد مر فيما قدمناه بين يدي هـذا الكتاب كثير مما يتصل بحياة الشاعر أو بفنه ، فليرُجع اليه [2] .

★ ★ ★

---

(١) انظر رجال المعلقات ١١٨ وتاريخ آداب اللغـة لزيدان ١٢٦/١ ، وانظر كذلك الابيات الاربعة عشر(٦٧ — ٨٠) من معلقته ففيها مناسبة نظمها (٢) راجع الصفحات ١٠ ← ١٢ و ١٤ و ٢٣ و ٢٤ و ٣١ و ٣٥ و ٤٠ و ٤١ و ٥١ و ٥٥ و ٥٧ و ٥٩

معلّقة طرفة بن العبد

وقال طـَرَفة بن العبد البكري :

١ — لخولةَ أطلالٌ ببُرقــةِ ثَهْمَدِ   تلوحُ كباقي الوشم في ظاهرِ اليدِ

خولة : اسم امرأة كلبية ، ذكر ذلك هشام بن الكلبي. الطلل : ما شخص من رسوم الدار ، والجمع أطلال وطلول . البرقة والأبرق والبرقاء : مكان اختلط ترابه بحجارة أو حصى ، والجمع البُرَق والأبارق والبرقاوات . اذا حمل على معنى البقعة أو الأرض قيل البرقاء ، واذا حمل على المكان أو الموضع قيل الأبرق . ثهمد : موضع . تلوح : تلمع ، واللوح اللمعان . الوشم : غرز ظاهر اليد وغـيره بإبرة ، وحشو المغارز بالكحل ، والنقش بالنيلج ، والفعل منـه : وشَم يشم وشماً ، ثم جُعل اسماً لتلك النقوش ، وتجمع بالوِشام والوشومِ ، ومنـه قوله عليه الصلاة والسلام « لعن الله الواشمة والمستوشمة » فالواشمـة : هي التي تشم اليد ، والمستوشمة : هي التي يُفعل بها ذلك ، ثم تبالغ فتقول : وشّم يوشّم توشيما اذا تكرر ذلك منه وكثر .

يقول : لهذه المرأة أطلال ديار بالموضع الذي يخالط أرضه حجـارة وحصى من ثهمد ، فتلمع تلك الاطلال لمعان بقايا الوشم في ظاهر الكف . شبه لمعان آثار ديارها ووضوحها بلمعان آثار الوشم في ظاهر الكف .

٢ — وقوفاً بها صحبي عليَّ مطيَّهم   يقولون : لاتهلكْ أسىً وتجلّدِ

تفسير البيت هنـا كتفسيره في قصيدة امرىء القيس . التجلّد : تكلف الجلادة وهو الصبر .

---

(١) يروى مطلعها : لخولة ..... وقفت بها أبـكي وأبكي إلى الغد — بفتح همزة أبكي الأولى وضم الثانية — ابن سلام ص ١١٥ (٢) انظر البيت رقم ٣ من المعلقة المرقـبة وانظر تعليقنا عليه في الحاشية.

٣ — كأنَّ حُدوجَ المالكيّةِ غدوةً   خلايا سفينٍ بالنواصفِ من دَدِ

الحِدج : مركب من مراكب النساء ، والجمع حُدوج وأحداج ، والحِداجة مثله وجمعها حدائج . المالكيّة : منسوبة الى بني مالك : قبيلة من كلب . الخلايا : جمع الخلية وهي السفينة العظيمة . السفين : جمع سفينة ، ثم يجمع السفين على السفن ، وقد يكون السفين واحداً ، وتجمع السفينة على السفائن . النواصف : جمع الناصفة وهي أماكن تتسع من نواحي الأودية مثال السكك وغيرها . دد : قيل هو اسم واد — في هذا البيت — وقيل دد مثل يد ، وددا مثل عصا ، وددن مثل بدن ، وهذه الثلاثة بمعنى اللهو واللعب .

يقول : كأن مراكب العشيقة المالكية غدوة فراقها بنواحي وادي دد سفن عظام ، شبه الإبل وعليها الهوادج بالسفن العظام ، وقيل : بل حسبها سفناً عظاماً من فرط لهوه وولهه ، وهذا إذا حملتَ دداً على اللهو ، وان حملتَه على أنه واد بعينه فمعناه على القول الأول .

٤ — عَدَوْلِيَّةٌ أو من سفينِ ابنِ يامنٍ   يجورُ بها الملاّحُ طوراً ويهتدي

عَدَوْلى : قبيلة من اهل البحرين ، وابن يامن رجل من أهلها ، وروى أبو عبيدة : ابن نبتل ، وهو رجل آخر منها . الجَوْر : العدول عن الطريق ، والباء ههنا للتعدية . الطور : التارة ، والجمع الأطوار .

يقول : هذه السفن التي تشبهها هذه الإبل من هذه القبيلة أو من سفن هذا الرجل ، والملاح يجريها مرة على استواء واهتداء ، وتارة يعدل بها فيميلها عن سنن الاستواء وكذلك الحداة ، تارة يسوقون هذه الابل على سمت الطريق ، وتارة يميلونها عن الطريق ليختصروا المسافة . وخص سفن هذه القبيلة وهذا الرجل لعظمها وضخمها ، ثم شبه سَوق الإبل تارة على الطريق وتارة على غير الطريق ، باجراء الملاح السفينة مرة على سمت الطريق ، ومرة عادلاً عن ذلك السمت .

٥ — يشقّ حبابَ الماءِ حيزومُها بها ... كما قسمَ التُّربَ المفايلُ باليدِ

حباب الماء : أمواجه ، الواحدة حبابة . الحيزوم : الصدر ، والجمع الحيازيم . التُّرب والتُّراب والتَّرباء والتَّورب والتَّيرب والتَّيراب والتَّوراب واحد ، ثم يجمع التراب على أتربة وتِربان ، والتربة على التُّرَب ، ذكر هذا كله ابن الأنباري . الفِيال : ضرب من اللعب ، وهو أن يُجمع التراب فيُدفن فيه شيء ، ثم يُقسم التراب نصفين ، ويُسأل عن الدفين في أيها هو ، فمن أصاب قَمر ومن أخطأ قُمِر . يقال : فايل هذا الرجل يفايل مفايلة وفيالاً ، اذا لعب بهذا الضرب من اللعب .

شبه شقّ السفن الماء بشق المفايل التراب المجموع بيده .

٦ — وفي الحيّ أحوى ينفضُ المرْدَ شادنٌ ... مُظاهرُ سِمطيْ لؤلؤٍ وزبرجدِ

الاحوى : الذي في شفتيه سُمرة ، والأنثى الحواء والجمع الحُوّ ، وأيضاً الأحوى ظبي في لونه حُوّة ، والشادن أحوى لشدة سواد أجفانه ومقلتيه . قال الاصمعي : الحوّة : حمرة تضرب الى السواد ، يقال : حَوِيَ الفرس : مال الى السواد . فعلى هذا : شادن : صفة أحوى ، وقيل : بدل من أحوى ، وينفض المرد صفة أحوى . الشادن : الغزال الذي قوي واستغنى عن أمه . المظاهر : الذي لبس ثوباً فوق ثوب أو درعاً فوق درع أو عقداً فوق عِقد . السمط : الخيط الذي نظمت فيه الجواهر والجمع سموط .

يقول : وفي الحي حبيب يشبه ظبياً أحوى في كحل العينين وسمرة الشفتين في حال نفض الظبي ثمر الأراك لأنه يمد عنقه في تلك الحال ، ثم صرّح بأنه يريد انساناً فقال : قد لبس عقدين أحدهما من اللؤلؤ والآخر من الزبرجد . .

---

(٥) قال ابن قتيبة ١٤٣/١ (ومما سبق اليه طرفة فأخذ منه قوله يذكر السفينة : يشق حباب . . . أخذه لبيد فقال : تشق خمائل الدهنا يداه ... كما لعب المقامر بالفيال) كما أخذه الطرماح أيضاً . وعد صاحب العمدة ١٧٦/١ هذا البيت من المعاني المخترعة . وقال طه حسين في حديث الاربعاء ٦٣/١ انه (مفتون بهذين البيتين إلى غير حد) يقصد هذا البيت وبيتاً آخر لم يورده الزوزني . قمر : غلب .

شبهه بالظبي في ثلاثة أشياء : في كحل العينين ، وحوة الشفتين ، وحسن الجيد ، ثم أخبر أنه متحلٍّ بعقدين من لؤلؤ وزبرجد .

٧ – خذولٌ تراعي رَبْرَباً بخميلةٍ تَناوَلُ أطرافَ البريرِ وترتدي

خذول أي خذلت أولادها . تراعي ربرباً أي ترعى معه . الربرب : القطيع من الظباء وبقر الوحش . الخميلة : رملة منبتة . قال الاصمعي : هي أرض ذات شجر ، والجمع الخمائل . البرير : ثمر الاراك المدرك البـــالغ ، الواحدة : بريرة . الارتداء والتردي : لبس الرداء .

يقول : هذه الظبية التي أشبهها الحبيب ظبية خذلت أولادها ، وذهبت مع صواحبها في قطيع من الظباء ، ترعى معهـا في أرض ذات شجر أو ذات رملة منبتة ، تتناول أطراف الأراك وترتدي بأغصانه . وانما خص تلك الحال لمـد عنقها الى ثمر الشجرة . شبه طول عنق الحبيب وحسنه بذلك .

٨ – وتبسِمُ عن ألمى كأنَّ منوّراً تخلّلَ حُرَّ الرملِ دِعصٌ له ندِ

الألمى : الذي يضرب لون شفتيه الى السواد ، والأنثى لمياء ، والجمع لُمي ، والمصدر اللَّمى ، والفعل لَمِيَ يلمى . البسم والتبسم والابتسام واحد . كأن منوراً يعني أقحواناً منوراً فحذف الموصوف اجتزاء بدلالة الصفة عليه . نوّر النبت اذا خرج نَوره فهو منوّر . حر كل شيء : خالصه . الدعص : الكثيب من الرمل ، والجمع الأدعاص . الندى : يكون دون الابتلال ، والفعل نَدِيَ يندى ندىً وندّيته تندية .

يقول : وتبسم الحبيبة عن ثغر ألمى الشفتين كأنه أقحوان خرج نَوره في دعص ند ، يكون ذلك الدعص فيما بين رمل خالص لا يخالطه تراب ، وانمـا جعله ندياً ليكون الاقحوان غضاً ناضراً ، شبه به ثغرها ، وشرط لمى الشفتين ليكون أبلغ في بريق الثغر ، وشرط كون الاقحوان في دعص ند لما ذكرنا ، وتقدير الكلام : كأن « به » أقحواناً منوراً تخلل دعص له ند حر الرمل ، « أي بثغرها » ، فحذف الخبر .

٩ – سقته إياةُ الشمسِ إلاّ لِثاتِه أُسِفَّ - ولم تكدِمْ عليه - بإثمدِ

إياة الشمس وإياها : شعاعها . اللثة : مغرز الاسنان ، والجمع اللثات . الإسفاف : افعال من سففتُ الشيء أَسَفّه سفاً . الإثمد : الكحل . الكدم : العض .

ثم وصف ثغرها فقال : سقاه شعاع الشمس ، أي كأن الشمس أعارته ضوءها . ثم قال : إلا لثاته ، يستثني اللثات لأنه لا يستحب بريقها . ثم قال : أسفّ عليه الإثمد أي ذُرّ الإثمد على اللثة ، ولم تكدم بأسنانها على شيء يؤثر فيها . وتقديره : أسفّ بإثمد ولم تكدم عليه بشيء . ونساء العرب تذرّ الإثمد على الشفاه واللثات فيكون ذلك أشد للمعان الأسنان .

١٠ – ووجهٍ كأنّ الشمسَ حلّتْ رداءَها عليه نقيّ اللونِ لم يتخدّدِ

التخدد : التشنج والتغضّن . يقول : وتبسم عن وجه كأن الشمس كسته ضياءها وجمالها ، فاستعار لضياء الشمس اسم الرداء ، ثم ذكر أن وجهها نقي اللون غير متشنج متغضن . وصف وجهها بكمال الضياء والنقاء والنضارة . وجر الوجه عطفاً على « ألمى » .

١١ – وإني لأُمضي الهمّ عندَ احتضارِه بعوجاءَ مِرقالٍ تروح وتغتدي

الاحتضار والحضور واحد . العوجاء : الناقة التي لا تستقيم في سيرها لفرط نشاطها . المرقال : مبالغة مُرقِل من الإرقال ، وهو بين السير والعدو .

يقول : واني لأمضي همي ، وأنفذ إرادتي عند حضورها بناقة نشيطة في سيرها ، تخُبّ خَبَباً ، وتذمُل ذميلاً ، في رواحها واغتدائها . يريد أنها تصل سير الليل بسير النهار ، وسير النهار بسير الليل . يقول : واني لأنفذ همي عند حضورها بإتعاب ناقة مسرعة في سيرها .

(١١) الخبب والذميل : ضربان من السير والأول أسرع .

١٢ – أمونٍ كألواحِ الإرانِ نسأتُها ... على لاحبٍ كأنه ظهرُ بُرْجُدِ

الأمون : التي يؤمن عثارها . الإران : التابوت العظيم . نصأتها – بالصاد – زجرتها ، ونسأتها – بالسين – : ضربتها بالمنسأة وهي العصا . اللاحب : الطريق الواضح . البرجد : كساء مخطط .

يقول : هذه الناقة الموثقة الخَلق يؤمن عثارها في سيرها وعدوها ، وعظامها كألواح التابوت العظيم ، ضربتها بالمنسأة على طريق واضح كأنه كساء مخطط في عرضه . يريد أنه يمضي همه بناقة موثقة الخلق يؤمن عثارها ، ثم شبه عرض عظامها بألواح التابوت ، ثم ذكر سَوقه اياها بالعصا ثم شبه الطريق بالكساء المخطط لأن فيه أمثال الخطوط العجيبة .

١٣ – جُماليّةٍ وجناء تَردي كأنها ... سَفَنّجةٌ تَبري لأزعرَ أربدِ

الجمالية : الناقة التي تشبه الجمل في وثاقة الخَلق . الوجناء : المكتنزة اللحم ، أخذت من الوجين وهي الأرض الصلبة ، والوجناء : العظيمة الوجنات أيضاً . الرَدَيان : عَدْو الحمار بين متمرغه وآريّه ، هذا هو الأصل ، ثم يستعار للعدْو ، والفعل : ردى يردي . السفنجة : النعامة . تبري : تعرض . والبري والانبراء واحد ، وكذلك التبري . الأزعر : القليل الشعر . الأربد : الذي لونه لون الرماد .

يقول : أمضي همي بناقة تشبه الجمل في وثاقة الخَلق ، مكتنزة اللحم ، تعدو كأنها نعامة تعرض لظليم قليل الشعر ، يضرب لونه الى لون الرماد . شبه عدوها بعدو النعامة في هذه الحال .

١٤ – تباري عِتاقاً ناجياتٍ وأتبعَتْ ... وظيفاً وظيفاً فوقَ مَوْرٍ معبّدِ

---

(١٢) في الشعر والشعراء ٨١/١ ان طرفة أخذ هذا المعنى من امرى القيس إذ يقول :

وعنس كألواح الإران نسأتها ... على لاحب كالبرد ذي الحبرات

(١٣) الآري : وتد في حائط أو حبل على شكل حلقة ، يربط به زمام الدابة في محبسها

باريت الرجل : فعلت مثل فعله مغالباً له . العتـاق : جمع عتيق وهو الكريم . الناجيات : المسرعات في السير . نجا ينجو نجاً ونجاء أي أسرع في السير . الوظيف : ما بين الرسغ الى الركبة وهو وظيف كله . المور : الطريق . المعبّد : المذلل ، والتعبيد : التذليل والتأثير .

يقول : هي تباري إبلاً كراماً مسرعات في السير ، وتتبع وظيف رجلها وظيف يدها ، فوق طريق مذلل بالسلوك والوطء بالاقدام والحوافر والمناسم في السير .

١٥ – تَرَبَّعَتِ القُفَّينِ في الشَّوْلِ ترتعي　　حدائقَ مَوْليِّ الأَسِرَّةِ أغيدِ

التربّع : رعي الربيع والاقامـة بالمكان واتخاذه ربعاً . القفّ : ما غلظ من الارض وارتفع ولم يبلغ أن يكون جبلاً ، والجمع قِفاف . الشَوْل : النوق التي جفت ضروعها وقلت ألبانها ، الواحدة شائلة بالتاء لا غير . وأما الشُوَّل فجمع شائل مِن : شال البعير بذنبه اذا رفعه يشول شَوْلاً ، ويقال : ناقـة شائل وجمل شائل . والشَوْل الارتفـاع ويعدّى بالباء ، والإشالة الرفع . الارتعاء : الرعي ، اذا اقتصر على مفعول واحد عنى الرعي . الحدائق : جمع حديقة وهي كل روضة ارتفع أطرافها وانخفض وسطها ، والحديقة : البستان أيضاً ، سميت بها لإحداق الحائط بها ، والإحداق : الإحاطة . الموليّ : الذي أصابه الوليّ وهو المطر الثاني من أمطار السنة ، سمي به لأنـه يلي الاول ، والاول : الوسمي ، سمي به لأنه يسم الارض بالنبات ، يقال : وُلِيَ المكان يُولى فهو مَوْليّ إذا مُطِر الوليّ . سِرّ الوادي وسَرارته : خـيره وأفضله كلأً ، والجمع الاسرّة والسّرار . الاغيد : الناعم الخَلق ، وتأنيثه غيداء ، والجمع الغِيد ، ومصدره الغَيَد .

يقول : قد رعت هـذه الناقة أيام الربيع كلأ القفين ، وأراد بهما قفين معينين معروفين ، بين نوق جفت ضروعهـا وقلت ألبانهـا ، ترعى – هي – حدائق واد قد وُلِيت أسرتها ، وهو مع ذلك ناعم التربة . وصف الناقة برعيها أيام الربيع ليكون ذلك أوفر للحمها وأشد تأثيراً في سمنها ، ثم وصفها بأنهـا

كانت في صواحب لها ، وهي اذا رأت صواحبها ترعى كان ذلك أدعى لها الى الرعي ، ثم وصف مرعاها بأنه في واد اعتادته الامطار ، وهو مع ذلك طيب التربة . وقوله « حدائق موليّ الاسرة » تقديره : حدائق واد مولي الاسرة ، فحذف الموصوف ثقة بدلالة الصفة عليه .

١٦ - تَرِيعُ إلى صوتِ المُهيبِ وتتقي   بذي خُصَلٍ رَوعاتِ أكلفَ مُلبِدِ

الرَّيْع : الرجوع ، والفعل : راع يريع . الإهابة : دعاء الإبل وغيرها ، يقال : أهاب بناقته اذا دعاها . الاتقاء : الحجز بين شيئين ، يقال : اتقى قِرنه بترسه إذا جعله حاجزاً بينه وبينه . قوله « بذي خُصَل » أراد : بذنب ذي خصل ، فحذف الموصوف اكتفاء بدلالة الصفة عليه ، والخصل : جمع خُصلة من الشعر وهي قطعة منه . الروع : الإفزاع ، والروعة : فعلة منه ، وجمعها : الروعات . الأكلف : الذي يضرب الى السواد . الملبد : ذو وبر متلبد من البول والثلط وغيره . روعات أكلف : أي روعات فحل أكلف ، فحذف الموصوف .

يقول : هي ذكية القلب ، ترجع الى راعيها ، وتجعل ذنبها حاجزاً بينها وبين فحل تضرب حمرته الى السواد متلبد الوبر . يريد أنها لاتمكنه من ضرابها ، واذا لم يصل الفحل الى ضرابها لم تلقح ، واذا لم تلقح كانت مجتمعة القوى وافرة اللحم قوية على السير والعدو .

١٧ - كأنَّ جَناحَيْ مَضْرَحِيٍّ تَكَنَّفا   حِفافيه شُكّا في العسيب بمِسرَدِ

المَضرحيّ : الأبيض من النسور ، وقيل : هو العظيم منها . التكنّف : الكون في كنف الشيء وهو ناحيته . الحفاف : الجانب والجمع الأحفّة . الشك : الغرز . العسيب : عظم الذنب والجمع عُسُب . المسرد والمسراد : الإشفى ، والجمع : المسارد والمساريد .

(١٧) جاء في الصناعتين ص٩٣ (ومن الخطأ قول طرفة يصف ذنب البعير : كأن جناحي ..... وإنما توصف النجائب بخفة الذنب ، وجعله هذا كثيفاً طويلاً عريضاً) ومثل هذا النقد تجده في عيار الشعر لابن طباطبا ص ٩٩ . الاشفى : المثقب - بكسر الميم - .

يقول : كأنّ جناحي نسر أبيض غرزا بإشفى في عظم ذنبها ، فصارا في ناحية . شبه شعر ذنبها بجناحي نسر أبيض في الباطن .

١٨ ـ فطوراً به خلفَ الزميلِ ، وتارةً على حَشَفٍ كالشَّنِّ ذاوٍ مُجدَّدِ

قوله : فطوراً به ، يعني فطوراً تضرب بالذنب . الزميل : الرديف . الحشف : الأخلاف التي جف لبنها فتشنجت والواحدة حشفة ، وهو مستعار من حشف التمر أو من الحشيف وهو الثوب الخلَق : الشنّ : القربة الخَلَق ، والجمع الشِنان . الذَّوِيّ : الذبول ، والفعل ذوى يذوي ، وذَوِي يذوى لغة أيضاً . المجدّد : الذي جُدّ لبنه أي قُطع .

يقول : تارة تضرب هذه الناقة ذنبها على عجزها خلف رديف راكبها ، وتارة تضرب على أخلاف متشنجة خلق كقربة بالية وقد انقطع لبنها .

١٩ ـ لها فخذان أُكمِلَ النَّحْضُ فيهما كأنهما بابا منيفٍ مُمَرَّدِ

النحض : اللحم . قوله : بابا منيف ، أي بابا قصر منيف ، فحذف الموصوف . المنيف : العالي ، والإنافة : العلو . الممرّد : المملس ، من قولهم : وجه أمرد ، وغلام أمرد لاشعر عليه ، وشجرة مرداء لاورق لها ، والممرد : المطول أيضاً ، وقد أوّل قوله تعالى « وصرحٌ ممرّدٌ من قواريرَ » بها .

يقول : لهذه الناقة فخذان أكمل لحمها ، فشابها مصراعي باب قصر عال مملس أو مطوّل في العرض .

٢٠ ـ وَطيٌّ مَحالٍ كالحَنيِّ خُلوفُه وأجرِنَةٌ لُزَّتْ بِدأيٍ مُنَضَّدِ

الطيّ : طي البئر . المحال : فقار الظهر ، والواحدة محالة وفقارة . الحَنيّ : القِسيّ ، والواحدة حنية ، وتجمع أيضاً على حنايا . الخلوف : الأضلاع ، الواحد خَلْف . الأجرنة : جمع جِران وهو باطن العنق . اللز : الضم . الدأي : خرز الظهر والعنق ، والواحدة دأية ، وتجمع أيضاً على الدأيات . التنضيد : مبالغة النضد ، وهو وضع الشيء

(٢٠) طي البئر : تعريشها بالحجارة والآجر .

على الشيء ، والمنضّد أشد من المنضود.

يقول : ولها فقار مطوية متراصفة متداخلة ، كأن الأضلاع المتصلة بها قِسِيّ ، ولها باطن عنق ضُم وقرن الى خرز عنق قد نضد بعضه على بعض .

٢١ ـ كأنّ كِناسَيْ ضالةٍ يَكنُفانها وأَطْرَ قِسِيٍّ تحت صُلْبٍ مُؤَيَّدِ

الكناس : بيت يتخذه الوحش في أصل شجرة ، والجمع : الكُنُس ، وقد كنس الوحش يكنِس كَنْساً وكنوساً : دخل كناسه . الضال : ضرب من الشجر ، وهو السدر البري ، الواحدة : ضالة . كنفت الشيء : صرت في ناحيته ، أكنُفه كَنْفاً ، والكَنَف : الناحية ، والجمع : الأكناف . الأطر : العطف ، والانئطار : الانعطاف . المؤيّد : المقوى ، والتأييد : التقوية ، من الأيد والآد وهما القوة . شبه ابطيها في السعة ببيتين من بيوت الوحش في أصل شجرة ، وشبه أضلاعها بقسيّ معطوفة.

يقول : كأن بيتين من بيوت الوحش في أصل ضالة صارا في ناحيتي هذه الناقة ، وقسياً معطوفة تحت صلب مقوى ، وسعة الإبط أبعد لها من العثار ، لذلك مدحها بها .

٢٢ ـ لها مِرفقان أفتلان كأنها تَمُرُّ بِسلْمَيْ دالجٍ متشـدِّدِ

الأفتل : القوي الشديد ، وتأنيثه فتلاء . السلم : الدلو لها عروة واحدة مثل دلاء السقائين . الدالج : الذي يأخذ الدلو من البئر فيفرغها في الحوض . التشدد والاشتداد والشدة واحد ، يقال : شد يشِد شِدة اذا قوي . الباء في قوله : تمر بسلمي ، للتعدية ، ويجوز أن تكون بمعنى « مع » أيضاً .

يقول : لهذه الناقة مرفقان قويان شديدان بائنان عن جنبيها ، فكأنها تمر مع دلوين من دلاء الدالجين الأقوياء . شبهها بسقاء حمل دلوين : احداهما بيمناه ، والأخرى بيسراه ، فبانت يداه عن جنبيه . شبه بعد مرفقيها عن جنبيها ببعد هاتين الدلوين عن جنبي حاملها القوي الشديد .

٢٣ ـ كقَنْطَرةِ الروميّ أَقسمَ ربُّها لَتُكتَنَفَنْ حتى تُشادَ بِقرمَدِ

---

(٢٣) الصاروج : حجر الكلس بعد شيه.

القرمد : الآجر ، وقيل : هو الصاروج ، والواحدة : قرمدة . الاكتناف : الكون في أكناف الشيء وهي نواحيه .

شبه الناقة في تراصف عظامها وتداخل أعضائها ، بقنطرة تبنى لرجل رومي ، قد حلف صاحبها ليحاطن بها حتى ترفع أو تجصص بالصاروج أو بالآجر . الشَّيْد : الرفع والطلي بالشِيد وهو الجص . قوله : كقنطرة الرومي : كقنطرة الرجل الرومي . وقوله : لتكتنفن : أي والله لتكتنفن .

٢٤ ـ صُهابِيَّةُ العُثْنونِ مُوجَدَةُ القَرا بعيدةُ وَخْدِ الرِّجْلِ مَوّارةُ اليَدِ

العثنون : شعرات تحت لحيها الأسفل . يقول : فيها صهبة أي حمرة . القرا : الظهر ، والجمع الأقراء . الموجَدة : المقواة ، والإيجاد : التقوية ، ومنه قولهم : بعير أُجُد أي شديد الخَلق قوي . الوَخْد والوَخْدان والوخيد : الذميل ، والفعل : وخد يخد . المور : الذهاب والمجيء ، والموارة : مبالغة المائرة ، وقد مارت تمور موراً فهي مائرة .

يقول : في عثنونها صهبة ، وفي ظهرها قوة وشدة ، ويبعد ذميل رجليها ومور يديها في السير . ويجوز جر « صهابيةالعثنون » على الصفة لعوجاء ، ويجوز رفعها على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره : هي صهابية العثنون .

٢٥ ـ أُمِرَّتْ يداها فَتْلَ شَزْرٍ وأُجنِحَتْ لها عضُداها في سَقيفٍ مُسَنَّدِ

الإمرار : إحكام الفتل . الفتل الشزر : ما أدير عن الصدر، والنظر الشزر والطعن الشزر : ما كان في أحد الشقين . الإجناح : الإمالة ، والجنوح : الميل . السقف والسقيف واحد ، والجمع السُقُف . المسند : الذي أسند بعضه الى بعض .

يقول : فُتلت يداها فتلاً بعدتا به عن كِرْكِرتها ، وأميلت عضداها تحت جنبيها كأنها سقف أسند بعض لبنه الى بعض .

٢٦ ـ جَنوحٌ دُفاقٌ عَنْدَلٌ ثم أُفرِعتْ لهـــا كتفاها في مُعالىً مُصَعَّدِ

الجنوح : مبالغة الجانحة ، وهي التي تميل في أحد الشقين لنشاطها في السير .

(٢٤) الذميل : السير اللين .

(٢٥) كركرة البعير : نتوء في مقدم صدره يستند عليه في البروك .

الدفاق : المندفقة في سيرها أي المسرعة غاية الإسراع . العندل : العظيمة الرأس . الإفراع : التعلية ، يقال : فرَعت الجبل أفرَعه فرْعاً اذا علوته ، وتفرعته أيضاً وأفرعته غيري أي جعلته يعلوه . المعالاة والإعلاء والتعلية واحد ، والتصعيد مثلها .

يقول : هذه الناقة شديدة الميلان عن سمت الطريق لفرط نشاطها في السير ، مسرعة غاية الاسراع ، عظيمة الرأس ، وقد عُليت كتفاها في خلق معلى مصعد . وقوله : في معالى ، يريد : في خَلق معالى ، أو ظهر معالى ، فحذف الموصوف اجتزاء بدلالة الصفة عليه ، ويجوز في « الجنوح » الرفع والجر على ما مر .

٢٧ ـ كأنَّ عُلوبَ النِّسْعِ في دَأياتِها   مَواردُ من خلقاءَ في ظهرِ قَرْدَدِ

العَلْب : الأثر ، والجمع العلوب ، وقد علَبت الشيء علباً إذا أثرت فيه . النسع : سَير كهيئة العِنان تشد به الأحمال ، وكذلك النِسعة والجمع الأنساع والنسوع والنِسَع . الموارد : جمع المورد وهو الماء الذي يورد . الخلقاء : الملساء ، والأخلق : الأملس ، وأراد : « من خلقاء » أي « من صخرة خلقاء » فحذف الموصوف . القردد : الأرض الغليظة الصلبة التي فيها وهاد ونجاد .

يقول : كأن آثار النسع في ظهر هذه الناقة وجنبيها نقر فيها ماء من صخرة ملساء في أرض غليظة متعادية فيها وهاد ونجاد . شبه آثار النسع أو الانساع بالنقر التي فيها الماء في بياضها ، وجعل جنبها صلباً كالصخرة الملساء ، وجعل خَلقَها في الشدة والصلابة كالأرض الغليظة .

٢٨ ـ وأتلعُ نَهّاضٌ ـ إذا صَعَّدتْ به ـ   كسُكّانِ بوصيٍّ بدجلةَ مُصعِدِ

الأتلع : الطويل العنق . النهاض : مبالغة الناهض . البوصيّ : ضرب من السفن . السكان : ذنب السفينة . يقول : هي طويلة العنق فإذا رفعت عنقها أشبه ذنب سفينة في دجلة تصعد . قوله : إذا صعدت به ، أي بالعنق ، والباء للتعدية . جعل عنقها طويلاً سريع النهوض ، ثم شبهه في الارتفاع والانتصاب بسكان السفينة في حال جريها في الماء .

٢٩ ـ وجمجمةٌ مثلُ العَلاةِ كأنما   وعى الملتقى منها إلى حرفِ مِبرَدِ

(٢٧) الدأيات : خرزات الظهر . متعادية : غير متساوية .

(٢٩) العلاة : السندان . فراش الرأس : عظام رقاق تلي قحف الرأس .

الوعي : الحفظ والاجتماع والانضمام ، وهو في البيت على المعنى الثاني . الحرف : الناحية ، والجمع الأحرف والحروف .

يقول : ولها جمجمة تشبه العلاة في الصلابة ، فكأنما انضم طرفها إلى حد عظم يشبه المبرد في الحدة والصلابة . الملتقى : موضع الالتقاء وهو طرف الجمجمة لأنه يلتقي به فَراش الرأس .

٣٠ ـ وخدٌ كقِرطاسِ الشآمي، ومِشْفَرٌ كسِبتِ اليماني قِدُّه لم يُحَرَّدِ

قوله : كقرطاس الشآمي : يعني كقرطاس الرجل الشآمي فحذف الموصوف اكتفاء بدلالة الصفة عليه . المشفر للبعير بمنزلة الشفة للانسان والجمع المشافر . السبت : جلود البقر المدبوغة بالقَرَظ . قوله : كسبت اليماني ، يريد : كسبت الرجل اليماني . التحريد : اضطراب القطع وتفاوته .

شبه خدها في الانملاس بالقرطاس ، ومشفرها بالسبت في اللين واستقامة القطع .

٣١ ـ وعينان كالماويّتين استكنّتا بكهفيْ حجاجيْ صخرةٍ قَلْتِ موردِ

الماوية : المرآة . الاستكنان : طلب الكِنّ . الكهف : الغار . الحجاج : العظم المشرف على العين الذي هو منبت شعر الحاجب والجمع الأحجّة . القلت : النقرة في الجبل يستنقع فيها الماء ، والجمع القِلات . المورد : الماء ، هنا .

يقول : لها عينان تشبهان مرآتين في الصفاء والنقاء والبريق ، وتشبهان ماء في القلت في الصفاء ، وشبه عينيها بكهفين في غؤورهما ، وحجاجيها بالصخرة في الصلابة . قوله : حجاجي صخرة : أي حجاجين من صخرة ، كقولهم : بابُ حديد ، أي باب من حديد .

٣٢ ـ طَحوران عُوّارَ القذى فتراهما كمكحولتيْ مذعورةٍ أمِّ فرقدِ

---

(٣٠) استشهد الزمخشري بهذا البيت في مقاماته ص ٢١٩ عند ذكر التحريد وهو من عيوب القافية ثم قال (المحرد : المعوج من كل شيء ، يقال حرد الجلد إذا عرج قطعه : بعضه دقيقاً وبعضه عريضاً) بتشديد الراء في حرد وعرج . وجاء في اللسان ـ مادة جمع ـ بيت لذي الرمة يقول فيه :

(ورأس كجماع الثريا ومشفر كسبت اليماني قده لم يحرد)

جماع : على وزن رمان . القرظ : ورق السلم يدبغ به .

(٣١) في اعجاز القرآن للباقلاني ١١١/١ أن طرفة أخذ هذا المعنى من قول امرىء القيس :

وعينان كالماويتين ومحجر إلى سند مثل الصفيح المنصب

الطرح والطحر والدحر واحد ، الطحور : مبالغة الطاحر ، والفعل طحَر يطحَر . العُوّار والقذى واحد ، الجمع : العواوير . أراد بالمكحولتين : العينين ، ولا تكحل بقر الوحش ، ولكن العين محل الكحل على الاطلاق . الذعر : الإخافة . الفرقد : ولد البقرة الوحشية ، والجمع الفراقد .

يقول : عيناها تطرحان وتبعدان القذى عن أنفسهما ، ثم شبههما بعيني بقرة وحشية لها ولد ، وقد أفزعها صائد أو غيره ، وعين الوحشية في هذه الحالة أحسن ما تكون .

٣٣ ـ وصادقتا سَمعِ التوجّسِ للسُّرى لِهَجْسٍ خفيٍّ أو لصوتٍ مُنَدَّدِ

التوجس : التسمّع . السرى : سير الليل . الهجس : الحركة . التنديد : رفع الصوت.
يقول : ولها أذنان صادقتا الاستماع في حال سير الليل لا يخفى عليهما السر الخفي ولا الصوت الرفيع .

٣٤ ـ مؤَلَّلتان تعرفُ العِتقَ فيهما كسامعتيْ شاةٍ بِحَوْمَلَ مُفردِ

التأليل : التحديد والتدقيق ، من الألّة وهي الحربة ، وجمعها ألّ والال ، وقد ألّه يؤلّه ألاً اذا طعنه بالألّة ؛ والدقة والحدة تحمدان في آذان الإبل . العتق : الكرم والنجابة . السامعتان : الأذنان . الشاة : الثور الوحشي . حومل : موضع بعينه.
يقول : لها أذنان محددتان تحديد الألّة ، تعرف نجابتها فيهما ، وهما كأذني ثور وحشي منفرد في الموضع المعين ، وخص المفرد لأنه أشد فزعاً وتيقظاً واحترازاً .

٣٥ ـ وأروعُ نبّاضٌ أحذُّ مُلَملَمٌ كمِرداةِ صخرٍ في صفيحٍ مُصمَّدِ

الأروع : الذي يرتاع لكل شيء لفرط ذكائه . النباض : الكثير الحركة ، مبالغة النابض ، من نبَض ينبِض نبضاناً . الأحذّ : الخفيف السريع . الململَم : المجتمع الخَلق ، الشديد الصلب . المرداة : الصخرة التي تكسر بها الصخور . الصفيحة : الحجر العريض ، والجمع الصفائح والصفيح . المصمّد : المحكم الموثّق .

---

(٣٤) في الباقلاني ايضاً ١١١/١ ان هذا المعنى مأخوذ من امرىء القيس في قوله :

وسامعتان يعرف العتق فيهما كسامعتي مذعورة وسط ربرب

يقول : لهاقلب يرتاع لأدنى شيء لفرط ذكائه، سريع الحركة، خفيف صلب، مجتمع الخلق، يشبه صخرة تكسر بها الصخور في الصلابة ، فيا بين أضلاع تشبه حجارة عراضاً موثقة محكمة . شبه القلب بين الأضلاع بحجرصلب بين حجارة عراض . قوله : كمرداة صخر، أي كمرداة من صخر ، مثل قولهم : هذا ثوب خز ، وقوله : في صفيح ، أي فيا بين صفيح . المصمد : نعت للصفيح على لفظه دون معناه .

٣٦ ـ وأعلمُ مخروتٌ من الأنفِ مارنٌ   عتيقٌ ، متى تَرْجُمْ به الأرضَ تزددِ

الأعلم : المشقوق الشفة العليا . المخروت : المثقوب ، والخرْت : الثقب . المارن : مالان من الأنف .

يقول : ولها مشفر مشقوق ، ومارن أنفها منقوب ، وهي متى ترم الأرض بأنفها ورأسها ازدادت في سيرها .

٣٧ ـ وإن شئتُ لم تُرقِلْ ، وإن شئتُ أرقلتْ   مخافةَ ملويٍّ من القِدِّ مُحصَدِ

الإرقال : دون العدو وفوق السير . الإحصاد : الإحكام والتوثيق .

يقول : هي مذللة مروضة فإن شئتُ أسرعتْ في سيرها ، وان شئت لم تسرع ، مخافة سوط ملويّ من القد موثّق .

٣٨ ـ وإن شئتُ سامى واسطَ الكُورِ رأسُها   وعامَتْ بضَبْعيها نجاءَ الخَفَيْدَدِ

المساماة : المباراة في السمو وهو العلو . الكور : الرحل بأداته ، والجمع الأكوار والكيران ، وواسطه له كالقَرَبوس للسرج. العوم : السباحة ، والفعل عام يعوم عوماً. الضبع : العضد . النجاء : الاسراع . الخفيدد : الظليم .

يقول : وان شئت جعلت رأسها موازياً لواسط رحلها في العلو من فرط نشاطها وجذبي زمامها اليّ ، وأسرعت في سيرها حتى كأنها تسبح بعضديها إسراعاً مثل إسراع الظليم .

٣٩ ـ على مثلها أمضي إذا قال صاحبي :   ألا ليتني أفديكَ منها وأفتدي

يقول : على مثل هذه الناقة أمضي في أسفاري حين يبلغ الأمر غايته . يقول

---

(٣٧) القد : سير من جلد غير مدبوغ .

(٣٨) القربوس : مقدم السرج .

صاحبي : ألا ليتني أفديك من مشقة هذه الشقة ، وخلصتك منها ونجيت نفسي .

٤٠ ـ وجاشت إليه النفسُ خوفاً وخالَه مصاباً ولو أمسىٰ على غيرِ مَرصَدِ

خاله : أي ظنه ، والخيلولة : الظن . المرصد : الطريق ، والجمع : المراصد ، وكذلك المرصاد .

يقول : وارتفعت نفسه ، أي زال قلبه عن مستقره لفرط خوفه فظنه هالكاً ، وان أمسى على غير الطريق . يقول : صعوبة هذه الفلوات جعلته يظن أنه هالك ، وان لم يكن على طريق يخاف قطاع الطريق .

٤١ ـ إذَا القومُ قالوا مَنْ فتىً خِلْتُ أنّني عُنيتُ فلَمْ أكْسَلْ ولَمْ أتبلَّدِ

يقول : اذا القوم قالوا من فتى يكفي مهماً أو يدفع شراً ؟ خلت أنني المراد بقولهم فلم أكسل في كفاية المهم ودفع الشر ولم أتبلد فيها . وعنيت من قولهم : عنى يعني عُنِيّاً بمعنى أراد ، ومنه قولهم : يعني كذا أي يريده ، وايش تعني بهذا أي ايش تريد بهذا ، ومنه « المعنى » وهو المراد ، والجمع المعاني .

٤٢ ـ أحلْتُ عليْهَا بالقَطِيعِ فأجذَمَتْ وقَدْ خَبَّ آلُ الأمعَزِ المُتوَقِّدِ

الإحالة : الإقبال هنا . القطيع : السوط . الإجذام : الإسراع في السير . الآل : ما يرى شبه السراب طرفي النهار ، والسراب ما كان نصف النهار . الأمعز : مكان يخالط ترابه حجارة أو حصى ، واذا حمل على الأرض أو البقعة قيل المعزاء ، والجمع الأماعز .

يقول : أقبلت على الناقة أضربها بالسوط فأمرعت في السير في حال خبب آل الأماكن التي اختلطت تربتها بالحجارة والحصى .

٤٣ ـ فَذالتْ كما ذالتْ وَليدَةُ مَجْلِسٍ تُرِي ربَّهَا أذيالَ سَحْلٍ مُمَدَّدِ

الذيل : التبختر ، والفعل ذال يذيل . الوليدة : الصبية والجارية ، وهي في البيت بمعنى الجارية . السحل : الثوب الأبيض من القطن وغيره .

---

(٤١) يرى احمد امين في « الصعلكة والفتوة في الاسلام ص ١٢ » ان طرفة في هذا البيت والأبيات الخمسة التالية (يرسم لنا صورة للفتى كما يتصورها هو .... فالفتوة في نظره ونظر أمثاله شجاعة وكرم وإتلاف للمال في الجد والهزل وعدم الاعتداد بالحياة في سلم أو حرب ، وقد شرح هذه الخصال بعد في قوله: ولولا ثلاث ....) انظر تعليقنا على البيت رقم ٥٦

يقول : فتبخترت هذه الناقة كما تتبختر جارية ترقص بين يدي سيدها فتريه ذيل ثوبها الأبيض الطويل في رقصها ؛ شبه تبخترها في السير بتبختر الجارية في الرقص ، وشبه طول ذنبها بطول ذيلها .

٤٤ ـ ولَسْتُ بِحَلاَّلِ التِّلاعِ مَخَافَـةً وَلكِن مَتى يَسْتَرْفِدِ القَوْمُ أَرْفِدِ

الحلاّل : مبالغة الحالّ من الحلول . التلعة : ما ارتفع من مسيل الماء ثم انخفض عن الجبال الى قرار الأرض ، والجمع التلعات والتلاع . الرفد والإرفاد : الإعانة ، والاسترفاد الاستعانة .

يقول : أنا لا أحل التلاع مخافة حلول الأضياف بي أو غزو الأعداء اياي ، ولكني أعين القوم إذا استعانوا بي إما في قرى الأضياف ، وإما في قتال الأعداء والحساد .

٤٥ ـ فإنْ تَبْغِني في حَلْقَةِ القَوْمِ تلْقَني وَإن تقتنصني في الحَوَانيتِ تصْطَدِ

البُغاء : الطلب ، والفعل بغى يبغي . الحلقة تجمع على الحلق بفتح الحاء واللام وهذا من الشواذ ، وقد تجمع على الحلق مثل بَدرة وبِدر وثَلة وثِلل . الحانوت : بيت الخمار ، والجمع الحوانيت . الاصطياد : الاقتناص .

يقول : وان تطلبني في محفل القوم تجدني هناك وان تطلبني في بيوت الخمارين تصطدني هناك . يريد أنه يجمع بين الجد والهزل .

٤٦ ـ وإنْ يَلْتَقِ الحيّ الجَميعُ تُلاقِني إلى ذُرْوَةِ البيتِ الشَّريفِ المُصمَّدِ

الصمد : القصد ، والفعل صَمَد يصمُد ، والتصميد مبالغة الصمد .

يقول : وإن اجتمع الحي للافتخار تلاقني أنتمي وأعتزي الى ذروة البيت الشريف أي إلى أعلى الشرف . يريد أنه أو فاهم حظاً من الحسب وأعلاهم سهماً من النسب . قوله : تلاقني الى ، يريد أعتزي الى ، فحذف الفعل لدلالة الحرف عليه .

٤٧ ـ نَداماي بِيضٌ كالنّجُومِ وقَيْنَةٌ تَروحُ علينا بَيْنَ بُرْدٍ ومُجْسَدِ

---

(٤٥) الثلة : بفتح الثاء : جماعة الغنم .

(٤٧) جاء في خزانة الأدب ٢٢٨/٤ (قال ابو جعفر : سمي النديم نديماً لندامة جذيمة الابرش حين قتل مالكاً وعقيلاً) في خبر طويل . (وإنما قيل لها قينة ، لأنها تعمل بيديها مع غنائها ، والعرب تقول لكل من يصنع بيديه شيئاً : قين) .

الندامى : جمع الندمان وهو النديم ، وجمع النديم نِدام ونُدَماء . وصفهم بالبياض تلويحاً الى أنهم أحرار ولدتهم حرائر ولم تعرف الإماءفيهم فتورثهم ألوانهن ، أو وصفهم بالبياض لإشراق ألوانهم وتلألؤ غررهم في الاندية والمقامات اذ لم يلحقهم عار يعيّرون به فتتغير ألوانهم لذلك ، أو وصفهم بالبياض لنقائهم من العيوب ، لأن البياض يكون نقياً من الدرن والوسخ ، أو لاشتهارهم ، لأن الفرس الأغر مشهور فيما بين الخيل . والمدح بالبياض في كلام العرب لايخرج عن هذه الوجوه . القينة : الجارية المغنية والجمع القينات والقِيان . المجسد : الثوب المصبوغ بالجِساد وهو الزعفران ، ويقال بل هو الثوب الذي أشبع صبغه فيكاد يقوم من اشباع صبغه ، والمِجسد لغة فيه ، وقال جماعة من الأئمة : بل المِجسد الثوب الذي يلي الجسد ، والمُجسد ماذكرنا ، والجمع المجاسد .

يقول : نداماي أحرار كرام تتلألأ ألوانهم وتشرق وجوههم ، و مغنية تأتينا رواحاً لابسة برداً أو ثوباً مصبوغاً بالزعفران أو ثوباً مشبع الصبغ .

٤٨ ـ رَحِيبٌ قِطَابُ الجَيْبِ مِنْهَا رَفِيقَةٌ بِجَسِّ النَّدامَى بَضَّةُ المُتَجَرَّدِ

الرحب والرحيب واحد ، والفعل رحِب رَحَباً ورحُب رَحابة ورُحْباً .
قطاب الجيب : مخرج الرأس منه . الغضاضة والبضاضة : نعومة البدن ورقة الجلد . والفعل غض يغَض وبض يبَض . المتجرد : حيث تُجرد أي تعرى .

يقول : هذه القينة واسعة الجيب لإدخال الندامى أيديهم في جيبها للمسها ، ثم قال : هي رفيقة على جس الندامى إياها ، وما يعرى من جسدها ناعم اللحم رقيق الجلد صافي اللون . والجس : اللمس ، والفعل جس يجس جساً .

٤٩ ـ إذا نحنُ قُلْنا: أَسْمِعِينا. انْبرَتْ لَنا على رِسْلِها مَطْرُوقَةً لَمْ تَشَدَّدِ

أسمعينا : أي غنينا . البري والانبراء والتبري : الاعتراض للشيء والأخذ

---

(٤٨) وجاء في الخزانة ٢٢٩/٤ (وإنما وصف قطاب جيبها بالسعة لأنها كانت توسعه ليبدو صدرها فينظر إليه ويتلذذ به وليس المعنى ان عنقها واسع ... كما توهمه ابو جعفر النحوي والخطيب التبريزي ، فان هذا الوصف ذم .... وقطاب الجيب بالكسر ... مخرج الرأس من الثوب ... وكانت القينة يفتق فتيق في كمها إلى الابط فاذا أراد الرجل أن يلمس منها شيئاً أدخل يده فلمس ... يقول : هي بضة الجسم عند التجرد من ثيابها والنظر إليها) انتهى

فيه . على رسلها : أي على تؤدتها ووقارها . المطروقة : الـتي بها ضعف ؛ ويروى مطروفة ، وهي التي أصيب طرفها بشيء أي كأنها أصيب طرفها لفتور نظرها .

يقول : اذا سألناها الغناء عرضت تغنينا متئدة في غنائها على ضعف نغمتها لا تشدد فيها ، أراد لم تتشدد فحذف احدى التاءين استثقالا لهما في صدر الكلمة ، ومثله « تنزل الملائكة » و « ناراً تلظى » و « فأنت عنه تلهى » وما أشبه ذلك .

٥٠ ـ إذا رَجَّعَتْ في صَوْتِها خِلتَ صَوْتَها تَجاوُبَ أَظْآرٍ على رُبَعٍ رَدِي

الترجيع : ترديد الصوت وتغريده . الظئر : التي لهـا ولد ، والجمع الأظآر . الربع من ولد الإبل : ما ولد في أول النتاج . الردى : الهلاك ، والفعل ردي يردى ، والإرداء الإهلاك ، والتردي مثل الردى .

يقول : اذا طرّبت في صوتهـا ورددت نغمتها حسبت صوتها أصوات نوق تصيح عند جؤارها ، شبه صوتها بصوتهن في التحزين . ويجوز أن يكون الاظآر النساء ، والربع مستعار لولد الانسان ؛ فشبه صوتها في التحزين والترقيق بأصوات النوادب والنوائح على صبي هالك .

٥١ ـ ومَا زالَ تَشْرَابي الخُمورَ ولَذَّتي وَبَيْعي وَإنْفاقي طَرِيفي وَمُتْلَدي

التشراب : الشرب ، وتفعال من أوزان المصادر مثل التقتال بمعنى القتل والتنقـاد بمعنى النقد . الطريف والطارف : المال الحديث . التليد والتِلاد والمتلد : المال القديم الموروث .

يقول : لم أزل أشرب الخمر وأشتغل باللذات وبيع الاعلاق النفيسة وإتلافها حتى كأن هذه الاشياء لي بمنزلة المال المستحدث والمال الموروث ، يريد أنه يلزم القيام بهذه الاشياء لزوم غيره القيام باقتنائه المال واصلاحه .

٥٢ ـ إلى أنْ تَحامَتْني العَشيرَةُ كُلُّهـا وَأُفْرِدْتُ إفْرادَ البَعيرِ المُعَبَّدِ

التحامي : التجنب والاعتزال . البعير المعبـد : المذلل المطلي بالقَطِران ، والبعير يستلذ ذلك فيذل له .

---

(٥٠) جاء في خزانة الأدب ٤/٢٣٠ (هذا البيت قلما يوجد في هذه القصيدة)

يقول : فتجنبتني عشيرتي كما يُتجنب البعير المطلي بالقطران ، وأفردتني لما رأت أني لا أكف عن إتلاف المال والاشتغال باللذات .

٥٣ - رَأَيْتُ بَني غَبْرَاءَ لا يُنْكِرُونَني وَلا أَهْلُ هذاكَ الطِّرَافِ المُمَدَّدِ

الغبراء : صفة الارض جعلت كالاسم لها . الطراف : البيت من الادم ، والجمع الطُرُف ، وكنى بتمديده عن عِظمه .

يقول : لما افردتني العشيرة رأيت الفقراء الذين لصقوا بالارض من شدة الفقر لاينكرون احساني وانعامي عليهم ، ورأيت الاغنياء الذين لهم بيوت الأدم لا ينكرونني لاستطابتهم صحبتي ومنادمتي. يقول : ان هجرتني الاقارب وصلتني الاباعد ، وهم الفقراء والاغنياء ، فهؤلاء لطلب المعروف وهؤلاء لطلب العلا .

٥٤ - ألا أيُّهذا اللائمي أَحْضُرَ الوَغى وَأَنْ أَشهدَ اللذاتِ ، هل أنتَ مُخْلِدي ؟

الوغى : أصله صوت الابطال في الحرب ثم جعل اسماً للحرب . الخلود : البقاء ، والفعل خلَد يخلُد ، والإخلاد والتخليد : الإبقاء .

يقول : ألا أيها الإنسان الذي يلومني على حضور الحرب وحضور اللذات هل تخلدني ان كففت عنها ؟

٥٥ - فإنْ كُنتَ لا تَسْطيعُ دَفْعَ مَنيّتي فَدَعْني أُبادِرْها بما مَلَكتْ يدي

اسطاع يسطيع : لغة في استطاع .

يقول : فان كنت لاتستطيع أن تدفع موتي عني فدعني أبادر الموت بإنفاق أملاكي ، يريد أن الموت لابد منه فلا معنى للبخل بالمال وترك اللذات وامتناع الذوق .

(٥٤) جاء في الوساطة ص ٤٦٦ أن « أحضر » منصوب (باضمار أن ، والبصريون يروونه على الرفع) وجاء في الخزانة ١/١١٧ (معنى البيت : يامن يلومني في حضور الحرب لئلا اقتل ، وفي أن أنفق مالي لئلا أفتقر ، ما أنت مخلدي ان قبلت منك فدعني أنفق مالي في الفتوة ولا أخلفه لغيري) وعد ابن قتيبة ١/١٤٦ هذا البيت والذي يليه (من جيد شعره) .

٥٦ ـ وَلَوْلا ثَلاثٌ هُنَّ من عيشَةِ ٱلْفَتى ، وَجَدِّكَ ، لم أَحفِلْ متى قامَ عُوَّدي

الجد : الحظ والبخت ، والجمع الجدود ، وقد جَد الرجل يَجَد جَداً فهو جديد ، وجُد يُجَد جَداً فهو مجدود إذا كان ذا جد ، وقد أجده الله اجداداً جعله ذا جد ، وقوله « وجدك » قسم . الحفل : المبالاة . العوَّد : جمع عائد من العيادة .

يقول : فلولا حبي ثلاث خصال هن من لذة الفتى الكريم لم أبال متى قام عودي من عندي آيسين من حياتي . أي لم أبال متى مت .

٥٧ ـ فَمِنْهُنَّ سَبقي العاذلاتِ بشَرْبَةٍ كُمَيتٍ متى ما تُعلَ بالماءِ تُزْبِدِ

يقول : إحدى تلك الخلال أني أسبق العواذل بشربة من الخمر كميت اللون متى صب الماء عليها أزبدت ، يريد أنه يباكر شرب الخمر قبل انتباه العواذل .

---

(٥٦) يرى أحمد أمين في « الصعلكة والفتوة في الاسلام ص ١٣ » ان هذا البيت والأبيات الثلاثة التالية تأكيد للأبيات الستة « من ٤١ إلى ٤٦ » فانظر تعليقنا على البيت ٤١ . وقال أحمد امين حول هذا البيت « رقم ٥٦ » إنه يدل على اعتقاد الشاعر بأن (الحياة هي هذه الحياة ولا شيء وراءها ، فليلتذ ما امكن) . وجاء في الشعر والشعراء ١٤٥/١ ، وكذلك في معاهد التنصيص ١٢٣/١ وفي العقد الفريد ٢٢٠/٦ أن عبد الله بن نهيك ، وهو شاعر اموي ، اخذ من طرفة معنى الأبيات الاربعة « من ٥٦ إلى ٥٩ » فقال :

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى وجدك لم احفل متى قام رامس
فمنهن سبقي العاذلات بشربة كأن اخاها مطلع الشمس ناعس
ومنهن تجريد الكواعب كالدمى إذا ابتز عن اكفالهن الملابس
ومنهن تقريط الجواد عنانه إذا استبق الشخص الخفي الفوارس

رامس : دافن ، ابتز : استلب ، التقريط : جعل العنان وراء اذن الفرس .

وجاء في معاهد التنصيص ١٢٤/١ (وقد ناقض عبد الحميد بن ابي الحديد البغدادي ابيات طرفة ... فقال :

لولا ثلاث لم اخف صرعتي ليست كما قال « فتى العبد »
: أن انصر التوحيد والعدل في كل مكان باذلاً جهدي
وان اناجي الله مستمتعاً ... بخلوة احلى من الشهد
وان اتيه الدهر كبراً على كل لئيم اصعر الخد
لذاك اهوى لا فتاة ولا ... خمر ولا ذي منعة نهد) ...

٥٨ - وكَرّي ، إذا نادى المُضافُ ، مُحَنَّباً كَسِيدِ الغَضَى ، نَبَّهْتَهُ ، المُتَوَرِّدِ

الكر : العطف . والكرور : الانعطاف . المضــاف : الخائف والمذعور ، والمضاف : المُلجأ . المحنب : الذي في يده انحناء ، والمجنب : الذي في رجله انحناء . السيد : الذئب ، والجمع السِيدان . الغضى : شجر . الورِد والتورد واحد .

يقول : والخصلة الثانية عطفي ، اذا ناداني الملجأ الي والخائف عدوه مستغيثاً اياي ، فرساً في يده انحناء يسرع في عدوه اسراع ذئب يسكن فيما بين الغضى اذا نبهته وهو يريد الماء ، جعل الخصلة الثانية اغاثة المستغيث وإعانة اللاجيء اليــه ، فقال : أعطف ، في اغاثته ، فرسي الذي في يده انحناء ، وهو محمود في الفرس اذا لم يفرط ، ثم شبه فرسه بذئب اجتمع له ثلاث خلال : احداها كونه فيما بين الغضى ، وذئب الغضى من أخبث الذئاب ، والثانية اثارة الإنسان إياه ، والثالثة وروده الماء ، وهما يزيدان في شدة العدو .

٥٩ - وتَقصيرُ يومِ الدجنِ ، والدَّجنُ مُعجِبٌ ، بِبَهكَنَةٍ تَحتَ الطِّرافِ المُعمَّدِ

قصّرت الشيء : جعلته قصيراً . الدجن : إلباس الغيم آفــاق السماء . البهكنة : المرأة الحسنة الخَلق السمينة الناعمة . المعمد : المرفوع بالعمد .

يقول : والخصلة الثالثة أني أقصر يوم الغيم بالتمتع بامرأة ناعمــة حسنــــة الخَلق تحت بيت مرفوع بالعمد ، جعل الخصلة الثالثة استمتاعه بحبائبه ، وشرط تقصير اليوم لأن أوقات اللهو والطرب أقصر الأوقات ؛ ومنه قول الشاعر :

شهور ينقضين وما شعرنا بأنصاف لهن ولا سِرارِ

وقوله : والدجن معجب أي يعجب الإنسان .

٦٠ - كأنَّ البُرينَ وَالدَّماليجَ عُلِّقَتْ على عُشَرٍ أَوْ خِرْوَعٍ لم يُخَضَّدِ

البرة : حلقة من صُفر أو شَبَه أو غيرهمـــا تجعل في أنف الناقة ، والجمع البُرا والبُرات ، والبُرون في الرفع والبُرين في النصب والجر ، استعارها للأسورة والخلاخيل . الدُملج والدُملوج : المِعضَد ، والجمع الدماليج والدمالج . العشر والخروع : ضربان من الشجر . التخضيد : التشذيب من الأغصان والأوراق ، والعشر وصف البهكنة .

(٦٠) الدملوج أو المعضد : هو كالسوار إلا أنه يلبس على العضد .

يقول : كأن خلاخيلها وأسورتها ومعاضدها معلقة على أحـــد هذين الضربين من الشجر ، وجعله غير مخضد ليكون أغلظ ؛ شبه ساعديها وساقيها بأحد هذين الشجرين في الامتلاء والنعمة والضخامة .

٦١ - كَرِيمٌ يُرَوِّي نَفْسَهُ في حَيَاتِهِ سَتَعْلَمُ إن مِتْنا غداً أيُّنا الصَّدي

يقول : أنا كريم يروي نفسه أيام حياته بالخمر ، ستعلم ان متنا غـــداً أيُّنا العطشانُ ، يريد أنه يموت ريان وعاذله يموت عطشان .

٦٢ - أرَى قَبْرَ نَحَّامٍ بَخِيلٍ بِمَالِهِ كَقَبْرِ غَوِيٍّ في البَطَـالَةِ مُفْسِدِ

النحام : الحريص على الجمع والمنع . الغويّ : الغاوي الضـــال ، والغَيّ والغَوَاية : الضلالة ، وقد غوى يغوي .

يقول : لا فرق بين البخيل والجواد بعد الوفاة فلِمَ أبخلُ بأعلاقي ؟ فقال : أرى قبر البخيل والحريص بماله كقبر الضالّ في بطالته المفسد بماله .

٦٣ - تَرَى جُثْوَتَيْنِ من تُرابٍ عَلَيْهِما صَفائِحُ صُمٌّ مِنْ صَفِيحٍ مُنَضَّدِ

الجثوة : الكومة من التراب وغيره ، والجمع الجثـــا . التنضيد : مبالغة النضد .

يقول : أرى قبريْ البخيل والجواد كومتين من التراب عليهما حجارة عراض صلاب فيما بين قبور عليها حجارة عراض قد نضدت .

٦٤ - أرَى المَوْتَ يَعْتَامُ الكِرَامَ وَيَصْطَفِي عَقِيلَةَ مَـــالِ الفَاحِشِ المُتَشَدِّدِ

الاعتيام : الاختيار . العقائل : كرائم المال والنساء ، الواحـــدة عقيلة .

الفاحش : البخيل .

يقول : أرى الموت يختار الكرام بالإفناء ، ويصطفي كريمة مال البخيل المتشدد بالإبقاء . وقيل : بل معناه أن الموت يعم الأجواد والبخلاء فيصطفي الكرام وكرائم

---

(٦٢) استجاد ابن قتيبة لطرفة هذا البيت والأبيات الثلاثة ٦٤ - ٦٥ - ٦٦ وذلك في كتابه الشعر والشعراء ص ١٣٩/١ و ص ١٤٦/١

أموال البخلاء ؛ يريد أنه لا تخلص منه لواحد من الصنفين ، فلا يجدي البخل على صاحبه بخير فالجود أحرى لأنه أحمد .

٦٥ـ أرَى العَيْشَ كَنْزاً ناقِصاً كُلَّ لَيْلَةٍ وَما تَنْقُصِ الأيَّامُ وَالدَّهْرُ يَنْفَدِ

شبه البقاء بكنز ينقص كل ليلة ، وما لا يزال ينقص فإن مآله إلى النفاد ، فقال : وما تنقصه الأيام والدهر ينفد لا محالة ، فكذلك العيش صائر إلى النفاد لا محالة ، والنفاد : الفناء ، والفعل نفِد ينفَد ، والإنفاد : الإفناء .

٦٦ ـ لَعَمْرُكَ إنَّ المَوْتَ ، ما أخْطأ الفَتى ، لَكالطِّوَلِ المُرْخى وَثِنْياهُ بِاليَدِ

العَمر والعُمر والعُمُر بمعنى ، ولا يستعمل في القسم إلا بفتح العين . قوله : ما أخطأ الفتى ، فـ « ما » مع الفعل هنا بمنزلة مصدر حل محل الزمان ، نحو قولهم : آتيك خفوقَ النجم ومقدمَ الحاج أي وقت خفوق النجم ووقت مقدم الحاج . الطول : الحبل الذي يطوّل للدابة فترعى فيه . الإرخاء : الإرسال . الثني : الطرف ، والجمع الأثناء .

يقول : أقسم بحياتك ان الموت في مدة إخطائه الفتى ، أي مجاوزته إياه ، بمنزلة حبل طُوَلٍ للدابة ترعى فيه وطرفاه بيد صاحبه ؛ يريد أنه لا يتخلص منه كما أن الدابة لا تُفلِت ما دام صاحبها آخذاً بطرفي طِوَلها ، لما جعل الموت بمنزلة صاحب الدابة التي أرخى طولها ، قال : متى شاء الموت قاد الفتى لهلاكه ، ومن كان في حبل الموت انقاد لقوْده .

٦٧ ـ فَما لي أراني وَابْنَ عَمِّي مالِكاً مَتَى أدْنُ مِنْهُ يَنْأَ عَنِّي وَيَبْعُدِ

النأي والبعد واحد فجمع بينهما للتأكيد وإثبات القافية ، كقول الشاعر :

وهند أتى من دونها النأي والبعد

يقول : فما لي أراني وابن عمي متى تقربت منه تباعد عني ؟ يستغرب هجرانه إياه مع تقربه منه .

---

(٦٧) البيت : وهند أتى ... للحطيئة .

٦٨ - يَلُومُ وَما أَدْري عَلامَ يَلُومُني كَما لامَني في الحَيِّ قُرْطُ بْنُ مَعْبَدِ

يلومني مالك وما أدري ما السبب الداعي إلى لومه إياي كما لامني هـذا الرجل في القبيلة ، يريد أن لومه إياه ظلم صُراح كما كان لوم قرط إياه كذلك .

٦٩ - وَأَيْأَسَني مِنْ كُلِّ خَيْرٍ طَلَبْتُهُ كَأَنّا وَضَعْناهُ إلى رَمْسِ مُلْحَدِ

الرمس : القبر وأصله الدفن . ألحدت الرجل : جعلت له لحداً .

يقول : قنّطني مالك من كل خير رجوته منه ، حتى كأنا وضعنا ذلك الطلب الى قبر رجل مدفون في اللحد ، يريد أنه آيسه من كل خير طلبه كأن الميت لا يرجى خيره .

٧٠ - عَلى غَيْرِ شَيْءٍ قُلْتُهُ غَيْرَ أَنَّني نَشَدْتُ ، فَلَمْ أُغْفِلْ ، حَمُولَةَ مَعْبَدِ

النشدان : طلب المفقود . الإغفـال : الترك . الحمولة : الإبل الـتي تطيق أن يحمل عليها . معبد : أخوه .

يقول : يلومني على غير شيء قلته وجنـاية جنيتها ، ولكنني طلبت إبل أخي ولم أتركها ، فنقم ذلك مني وجعل يلومني ، وقوله : غير أنني ، استثناء منقطع تقديره ولكنني

٧١ - وَقَرَّبْتُ بِالقُرْبى وَجَدِّكَ إِنَّني مَتى يَكُ أَمْرٌ لِلنَّكيثَـةِ أَشْهَدِ

القربى . جمع قربة (؟) وقيـل هو اسم من القرب والقرابـة ، وهو أصح القولين . النكيثة : المبالغة في الجهد واقصى الطاقة ، يقال : بلغت نكيثة البعير أي أقصى ما يطيق من السير .

يقول : وقربت نفسي بالقرابة التي ضمنا حبلها ونظمنا خيطها ، وأقسم بحظك وبختك أنه متى حدث له أمر يبلغ فيه غاية الطاقة ويبذل فيه المجهود أحضره وأنصره .

٧٢ - وَإِنْ أُدْعَ لِلجُلّى أَكُنْ مِنْ حُماتِها وَإِنْ يَأْتِكَ الأَعْداءُ بِالجَهْدِ أَجْهَدِ

الجلى : تأنيث الأجلّ ، وهي الخطة العظيمة ، والجلاّء بفتح الجيم والمد لغة فيهـا . الحماة : جمع الحامي من الحماية .

---

(٧١) قول الزوزني (القربى : جمع قربة) غير صحيح ولهذا أقحمنا إشارة الاستفهام بعده.

يقول : وإن دعوتني للأمر العظيم والخطب الجسيم أكن من الذين يحمون حريمك ، وإن يأتك الأعداء لقتالك أجهد في دفعهم عنك غاية الجهد ، والباء في قوله بالجهد زائدة.

٧٣ ـ وَإنْ يَقْذِفُوا بِالقَذْعِ عِرْضَكَ أَسْقِهِمْ بِكَأْسِ حِياضِ المَوْتِ قَبْلَ التَّهَدُّدِ

القذع والقَذَع : الفحش . العِرض : موضع المدح والذم من الإنسان ، قاله ابن دريد ، وقد يفسر بالحسب ، والعرض : النفس ، ومنه قول حسان :

فإن أبي ووالــدَه وعرضي لِعرضِ محمدٍ منكم وقــاءُ

أي نفسي فداء، والعِرض : العَرَق وموضع العرق، والجمع الأعراض في جميع الوجوه . التهدد والتهديد واحد ، القذف : السب .

يقول : وإن أساء الأعداء القول فيك وأفحشوا الكلام أوردتهم حياض الموت قبل أن أهددهم ؛ يريد أنه يبيدهم قبل تهديدهم أي لا يشتغل بتهديدهم بل يشتغل بإهلاكهم؛ ومن روى « بشِرب » فهو النصيب من الماء ، والشرب، بضم الشين، مصدر شرب؛ يريد أسقهم شُرب حياض الموت، فالباء زائدة ، والمصدر بمعنى المفعول، والإضافة بتقدير من .

٧٤ ـ بِلا حَدَثٍ أَحدَثْتُهُ ، وَكَمُحْدِثٍ هِجائي وَقَذْفي بالشَّكاةِ وَمُطْرَدي

يقول : اجفى وأهجر وأضام من غير حدث إساءة أحدثته ، ثم اهجى وأشكى وأطرَد كما يُهجى من أحدث إساءة وجرّ جريرة وجنى جناية ويشكى ويطرد ؛ والشكاية والشكوى والشكِية والشكاة واحد ؛ والمطرد بمعنى الإطراد ، وأطردته صيرته طريداً.

٧٥ ـ فَلَوْ كانَ مَوْلايَ امْرأً هُوَ غَيْرُهُ لَفَرَّجَ كَرْبي أَوْ لأَنظَرَني غَدي

يقول : فلو كان ابن عمي غــير مالك لفرج كربي أو لأمهلني زماناً . فرَجت الامر وفرّجته : كشفته ، والفَرَج : انكشاف المكروه . كرَبه الغم : اذا ملأ صدره ، والكُربة اسم منه ، والجمع كرب . الإنظار : الإمهــال ، والنَظِرة اسم بمعنى الإنظار .

٧٦ ـ وَلَكِنَّ مَوْلايَ امْرُؤٌ هوَ خانِقي على الشُّكْرِ وَالتَّسْآلِ أَوْ أَنا مُفْتَدِ

خنقت الرجل خنقاً : عصرت حلقه . التسآل : السؤال .

يقول : ولكن ابن عمي رجل يضيق الأمر عليّ حتى كأنه يأخذ عليّ متنفسي على حال شكري إياه وسؤالي عوارفه وعفوه أو كنت في حال افتدائي نفسي منه .

يقول : هو لا يزال يضيق الأمر عليّ سواء شكرته على آلائه ، أو سألته بره وعطفه ، أو طلبت تخليص نفسي منه .

٧٧ - وَظُلْمُ ذوِي ٱلْقُرْبى أَشَدُّ مَضَاضَةً على ٱلْمَرْءِ من وَقْعِ ٱلْحسامِ ٱلمهنَّدِ

مضني الأمر وأمضني : بلغ من قلبي وأثرّ في نفسي تهييج الحزن والغضب .

يقول : ظلم الاقارب اشد تأثيراً في تهييج نار الحزن والغضب من وقع السيف القاطع المحدد أو المطبوع بالهند . الحسام : فُعال من الحسم وهو القطع .

٧٨ - فَذَرْني وَخُلقي ، إِنني لكَ شاكِرٌ وَلَوْ حَلَّ بيْتي نائياً عند ضَرغَدِ

ضرغد : جبل . يقول : خلّ بيني وبين خلقي وكاني الى سجيتي فاني شاكر لك وان بعدتُ غاية البعد حتى ينزل بيتي عند هذا الجبل الذي سمي بضرغد ، وبينهم وبين ضرغد مسافة بعيدة وشُقة شاقة وبينونة بليغة .

٧٩ - فلوْ شاء رَبي كنتُ قيسَ بنَ خالِدٍ وَلَوْ شاء رَبي كنتُ عمرَو بنَ مَرْثَدِ

هذان سيدان من سادات العرب مذكوران بوفور المال ونجابة الأولاد ، وشرف النسب وعِظم الحسب .

يقول : لو شاء الله بلّغني منزلتها وقدرهما .

٨٠ - فأَصْبحتُ ذا مالٍ كثيرٍ وَزَارَني بَنُونَ كِرَامٌ سادَةٌ لمُسَوَّدِ

يقول : فصرت حينئذ صاحب مال كثير ، وزارني بنون موصوفون بالكرم والسؤدد لرجل مسوّد يعني به نفسه ، والتسويد مصدر سوّدته فساد . يقول : لو بلغني الله منزلتها لصرت وافر المال ، كريم العقِب ، وهو الولد .

٨١ - أنا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الَّذي تَعرِفونَه خَشاشٌ كرأسِ الحيَّةِ المُتوقِّدِ

(٨١) الخشاش : الرجل الماضي ، والخفيف ، والذكي ، ولطيف الرأس .

الضرب : الرجل الخفيف اللحم . يقول : أنا الضرب الذي عرفتموه ، والعرب تتمدح بخفة اللحم لأن كثرته داعية الى الكسل والثقل، وهما يمنعان من الإسراع في دفع الملمات وكشف المهات ؛ ثم قال : وأنا دخّال في الامور بخفة وسرعة ؛ شبّه تيقظه وذكاء ذهنه بسرعة حركة رأس الحية وشدة توقده .

٨٢ ـ فآلَيْتُ: لا يَنفَكُّ كَشْحي بِطانَةً لِعَضْبٍ رَقيقِ الشَّفْرَتَينِ مُهَنَّدِ

لا ينفك : لا يزال ، وما انفك : ما زال ، البطانة : نقيض الظهارة . العضب : السيف القاطع . شفرتا السيف : حدّاه ، والجمع الشفرات والشِفار .

يقول : ولقد حلفت أن لا يزال كشحي لسيف قاطع رقيق الحدين طبعته الهند بمنزلة البطانة للظهارة .

٨٣ ـ حُسامٍ إذا ما قُمْتُ مُنْتَصِراً بِهِ كفى العَوْدَ منه البدءُ ليس بِمِعْضَدِ

الانتصار : الانتقام . المعضد : سيف يقطع به الشجر ، والعضد قطع الشجر ، والفعل عضَد يعضِد .

يقول : لا يزال كشحي بطانة لسيف قاطع ، اذا ما قمت منتقماً به من الاعداء كفى الضربة الاولى به الضربة الثانية فيغني البدء عن العود ، وليس سيفاً يقطع به الشجر ، نفى ذلك لأنه من أردا السيوف .

٨٤ ـ أخي ثِقَةٍ لا يَنْثَني عَنْ ضَرِيبَةٍ إذا قيل: مَهْلاً . قالَ حاجِزُه : قَدي

أخي ثقة : يوثق به ، أي صاحب ثقة . الثني : الصرف ، والفعل ثنى يثني ، والانثناء الانصراف . الضريبة : ما يضرب بالسيف ، والرمية : ما يرمى بالسهم ، والجمع الضرائب والرمايا . مهلاً : أي كف . قدي وقدني : أي حسبي ، وقد جمعها الراجز في قوله :

قَدْنِيَ من نصر الخبيبين قدي

يقول : هذا السيف سيف يوثق بمضائه كالاخ الذي يوثق بإخائه ، لا ينصرف عن

---

(٨٤) اراد حميد الارقط بالخبيبين : عبد الله بن الزبير واخاه مصعباً ، لأن عبد الله يكنى أبا خبيب ، ثم غلب .

ضريبة أي لا ينبو عما ضُرب به ، إذا قيل لصاحبه : كُف عن ضرب عـدوك . قال مانع السيف وهو صاحبه : حسبي فاني قد بلغت ما أردت من قتل عدوي ، يريد أنه ماض لا ينبو عن الضرائب ، فاذا ضَرب به صاحبه أغنته الضربة الاولى عن غيرها.

٨٥ ـ إذا ابتَدَرَ القَوْمُ السِّلاحَ وَجَدْتَني مَنيعـــاً إذا بَلَّتْ بقائِمِهِ يَدي

ابتدر القوم السلاح : استبقوه . المنيع : الذي لا يُقهر ولا يغلب . بَـلَّ بالشيء يَبَلّ به بللاً إذا ظفر به .

يقول : إذا استبق القوم أسلحتهم وجدتني منيعاً لا أقهر ولا أغلب إذا ظفرت يدي بقائم هذا السيف .

٨٦ ـ وَبَرْكٍ هُجُودٍ قَدْ أثارَتْ مَخافَتي بَوادِيهـا ، أمْشي بِعَضْبٍ مُجَرَّدِ

البرك : الإبل الكثيرة الباركة . الهجود : جمع هاجد وهو النـــائم ، وقد هجد يهجد هجوداً . مخافتي : مصدر مضاف إلى المفعول . بواديها : أوائلها وسوابقها .

يقول : ورب إبل كثيرة باركة قد أثارتها عن مباركها مخافتها اياي في حال مشيي مع سيف قاطع مسلول من غمده ؛ يريد أنه أراد أن ينحر بعيراً منها فنفرت منه لتعودها ذلك منه .

٨٧ ـ فَمَرَّتْ كَهاةٌ ذاتُ خَيفٍ جُلالَةٌ عَقيلَةُ شَيْخٍ كالوَبيلِ يَلَنْدَدِ

الكهـــاة والجلالة : الناقة الضخمة السمينة . الخيف : جلد الضرع ، وجمعه أخياف . العقيلة : كريمة المال والنساء ، والجمع العقـائل . الوبيل : العصا الضخمة . اليلندد والالندد والالدّ : الشديد الخصومة ، وقـــد لدّ الرجل يلَد لدداً صار شديد الخصومة ، وقد لددته ألُده لداً غلبته بالخصومة .

يقول : فمرت بي ، في حال إثارة مخافتي إياها ، ناقة ضخمة لها جلد الضرع ، وهي كريمة مال شيخ قد يبس جلده ونحل جسمه من الكبر ، حتى صار كالعصا الضخمة يبساً ونحولاً وهو شديد الخصومة ؛ قيل : أراد أباه ، يريد أنه نحر كرائم مال أبيه لندمائه ، وقيل : بل أراد غيره ممن يُغير هو على ماله ، والقول الاول أحراهما بالصواب .

٨٨ - يَقولُ،وَقَدْ تَرَّ الوَظيفُ وَساقُها: أَلَسْتَ تَرَى أن قد أَتَيْتَ بمُؤيِدِ

ترّ : أي سقط . المؤيد : الداهية العظيمة الشديدة .

يقول : قال هذا الشيخ في حال عقري هذه الناقة الكريمة وسقوط وظيفها وساقها عند ضربي إياها بالسيف : ألم تر أنك أتيت بداهية شديدة بعقرك مثل هذه الناقة الكريمة النجيبة ؟

٨٩ - وَقالَ : ألا ماذا تَرَوْنَ بشارِبٍ شَديدٍ عَلَيْنا بَغْيُهُ مُتَعَمِّدِ

يقول : قال هذا الشيخ للحاضرين : أي شيء ترون أن يُفعل بشارب خمر اشتد بغيه علينا عن تعمد وقصد ؟ يريد أنه استشار أصحابه في شأني وقال : ماذا نحتال في دفع هذا الشارب الذي يشرب الخمر ويبغي علينا بعقر كرائم أموالنا ونحرها متعمداً قاصداً ؟ ترون : من الرأي ، والباء في قوله « بشارب » صلة محذوف تقديره : أن يُفعل ونحوه .

٩٠ - وَقالَ : ذَرُوهُ إنَّما نَفْعُها لَهُ وَإلاّ تَكُفُّوا قاصيَ ٱلبَرْكِ يَزْدَدِ

ذروه : دعوه ، والماضي منها غير مستعمل عند جمهور الائمة اجتزاء بـ « ترك » منها ، وكذلك اسم الفاعل والمفعول لاجتزائهم بالتارك والمتروك . الكف : المنع والامتناع ، كفه فكف ، والمضارع منها يكُف .

يقول : ثم استقر رأي الشيخ على أن قال : دعوا طرفة إنما نفع هذه الناقة له . أو أراد : انما نفع هذه الإبل له لأنه ولدي الذي يرثني ، وإلاّ تردوا وتمنعوا ما بعد هذه الإبل من الندود يزدد طرفة من عقرها ونحرها ، أراد أنه أمرهم برد ما ندّ لئلا أعقر غير ما عقرت .

٩١ - فَظَلَّ الإماءُ يَمْتَلِلْنَ حُوارَها وَيُسْعَى عَلَيْنا بالسَّديفِ المُسَرْهَدِ

الإماء : جمع أمَة . الامتلال والملّ : جعل الشيء في الملّة وهي الجمر والرماد الحار . الحوار للناقة بمنزلة الولد للإنسان يعم الذكر والانثى . السديف : السنام ،

(٨٨) الوظيف : ما فوق الرسغ .

وقيل قِطع السنام . المسرهد : المربى ، والفعل سرهد يسرهد سرهدة .

يقول : فظل الإماء يشوين الولد الذي خرج من بطنها تحت(؟)الجمر والرماد الحار ، ويسعى الخدم علينا بقطع سنامها المقطع ، يريد أنهم أكلوا أطايبها وأباحوا غيرها للخدم ، وذِكر الحوار دال على أنها كانت حبلى ، وهي من أنفس الإبل عندهم .

٩٢ ـ فإِنْ متُّ فانْعَيني بما أنا أهلُهُ وشُقّي عَليَّ الجَيبَ يا ابْنةَ معبَدِ

لما فرغ من تعداد مفاخره أوصى ابنة اخيه ، ومعبد أخوه ، فقال : إذا هلكت فأشيعي خبر هلاكي بثنائي الذي أستحقه وأستوجبه ، وشقي جيبك علي ؛ يوصيها بالثناء عليه والبكاء . النعي : اشاعة خبر الموت ، والفعل نعى ينعى . أهله أي مستحقه ، كقوله تعالى : « وكانوا أحقَ بها وأهلَها » .

٩٣ ـ ولا تجعَليني كامرِىء لَيسَ هَمُّهُ كهَمّي ولا يُغني غَنائي ومَشْهدي

يقول : ولا تسوي بيني وبين رجل لا يكون همه مطلب المعالي كهمي ، ولا يكفي المهم والملم كفايتي ، ولا يشهد الوقائع مشهدي ، والهم أصله القصد ، يقال : هم بكذا أي قصد له ، ثم يجعل الهم والهمة اسماً لداعية النفس إلى العلا . الغناء : الكفاية . المشهد في البيت بمعنى الشهود وهو الحضور ؛ أي ولا يغني غناء مثل غنائي ، ولا يشهد الوقائع شهوداً مثل شهودي . يقول : لا تعدلي بي من لا يساويني في هذه الخلال فتجعلي الثناء عليه كالثناء علي والبكاء علي كالبكاء عليه .

٩٤ ـ بَطيءٍ عَنِ الجُلّى سَريعٍ إلى الخَنا ذَلولٍ بأجماعِ الرِّجالِ مُلَهَّدِ

البُطء : ضد العجلة ، والفعل بطؤ يبطؤ . الجلى : الامر العظيم . الخنا : الفحش . جُمع الكف وجِمعها لغتان ، يقال : ضربه بجُمع كفه إذا ضربه بها مجموعة ، والجَمع الأجماع . التلهيد : مبالغة اللَّهْد وهو الدفع بجُمع الكف ، يقال : لهده يلهده لهداً . والبيت كله من صفة من ينهى ابنة أخيه أن تعدل غيره به .

(٩٢) جاء في أمالي المرتضى ٢/١٧-١٨ أن أهل (الجاهلية كانوا يرون البكاء على) موتاهم (فيأمرون به ... وهذا مشهور عنهم) .

يقول : ولا تجعلني كرجل يبطؤ عن الامر العظيم ويسرع الى الفحش ، و كثيرا ما يدفعه الرجال بأجماع أكفهم فقد ذل غاية الذل .

٩٥ـ فَلَوْ كُنتُ وَغْلاً في الرِّجالِ لَضَرَّني عَداوَةُ ذي الأَصحابِ وَالمُتَوَحِّدِ

الوغل : أصله الضعيف ثم يستعار للئيم .

يقول : لو كنت ضعيفاً من الرجال لضرتني معاداة ذي الاتباع والمنفرد الذي لا أتباع له ، إياي ، ولكنني قوي منيع لا تضرني معاداتهما إياي ، ويروى « وغداً » وهو اللئيم .

٩٦ـ وَلَكِنْ نَفى عَني الرِّجالَ جَراءَتي عَلَيْهِمْ ، وَإِقدامي وَصِدقي وَمَحْتِدي

الجرأة والجراءة واحد ، والفعل جرؤ يجرؤ ، والنعت جريء ، وقد جرأه على كذا أي شجعه . المحتد : الاصل .

يقول : ولكن نفى عني مباراة الرجال ومجاراتهم شجاعتي واقدامي في الحروب وصدق صريمتي و كرم أصلي .

٩٧ـ لَعَمْرُكَ ما أَمْرِي عَلَيَّ بِغُمَّةٍ نَهـارِي ، وَلا لَيْلي عَلَيَّ بِسَرْمَدِ

الغُمة والغَم واحد ، وأصل الغم التغطية ، والفعل غم يغُم ، ومنه الغَمام لأنه يغم السماء أي يغطيها ، ومنه الأغم والغمّاء ، لأن كثرة الشَعر تغطي الجبين والقفا .

يقول : أقسم ببقائك ما يغم أمري رأيي ، أي ما تغطي الهموم رأيي في نهاري ، ولا يطول علي ليلي حتى كأنه صار دائماً سرمداً ؛ وتلخيص المعنى : أنه تمدح بمضاء الصريمة وذكاء العزيمة . يقول : لاتغمني النوائب فيطول ليلي ويظلم نهاري .

٩٨ـ وَيَوْمٍ حَبَسْتُ النَفسَ عِندَ عِراكِهِ حِفاظاً عَلى عَوْراتِـهِ ، وَالتَهَدُّدِ

العراك والمعاركة : القتال ، وأصلها من العرك وهو الدلك . الحفاظ : المحافظة على ماتجب

(٩٨) العورة : كل ما كان عرضة لخطر العدو ، وكل مايستحيا منه إذا ظهر ، أراد بها طرفة : حوزته وحريمه وأحسابه . الهاء في « عراكه » و « عوراته » يعود على «اليوم» . التهدد : معطوف على العراك .

المحافظة عليه من حماية الحوزة والذب عن الحريم ودفع الذم عن الاحساب .

يقول : ورب يوم حبست نفسي عن القتال والفزعات وتهدُّد الأقران محافظة على حسبي .

٩٩ ـ علىٰ مَوْطِنٍ يخشى ٱلفتى عندَه الرَّدى متى تعترِكْ فيه ٱلفرائصُ تُرْعَدِ

الموطن : الموضع . الردى : الهلاك ، والفعل ردي يردى ، والإرداء : الإهلاك . الاعتراك والتعارك واحد . الفرائص : جمع فريصة وهي لحمة عند مجمع الكتف ترعد عند الفزع .

يقول : حبست نفسي في موضع من الحرب يخشى الكريم هناك الهلاك ، ومتى تعترك الفرائص فيه أُرعِدت من فرط الفزع وهول المقام .

١٠٠ ـ وأَصْفَرَ مَضْبوحٍ نَظَرْتُ حِوارَهُ على النارِ وَاستَوْدعتُهُ كفَّ مُجْمِدِ

ضبَحت الشيء : قربته من النار حتى أثرت فيه ، أضبحه ضَبْحاً . الحوار والمحاورة : مراجعة الحديث ، وأصله من قولهم : حار يحور اذا رجع ؛ ومنه قول لبيد :

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رماداً بعد اذ هو ساطع

نظرت : أي انتظرت ، والنَّظَر : الانتظار ، ومنه قوله تعالى : « انظُرونا نقتبسْ من نوركم » . استودعته وأودعته واحد . المجمد : الذي لا يفوز ، وأصله من الجمود .

يقول : ورب قِدح أصفر قد قُرب من النار حتى أثرت فيه ، وانما فعل ذلك ليصلب ويصفر . انتظرت مراجعته أي انتظرت فوزه أو خيبته ونحن مجتمعون على النار له ، وأودعت القدح كف رجل معروف بالخيبة وقلة الفوز ، يفتخر بالميسر ، وانما افتخرت العرب به لأنه لا يركن اليه الا سمح جواد ، ثم كمل المفخرة بايداع قدحه كف مجمد قليل الفوز .

---

(١٠٠) جاء في رسالة الغفران ٢٥١ – والخطاب فيه لطرفة – (.. هذا البيت يتنازع فيه فينسبه إليك قوم ، وينسبه آخرون الى عدي بن زيد ، وهو بكلامك أشبه) .

١٠١ ـ ستُبْدي لكَ الأيّامُ ما كنتَ جاهلاً   وَيَأْتيكَ بالأَخْبارِ مَنْ لم تُزَوِّدِ

يقول : ستطلعك الأيام على ما تغفل عنه ، وسينقل اليك الأخبار من لم تزوده .

١٠٢ ـ وَيَأْتيكَ بالأَخْبارِ مَنْ لم تَبِعْ لَهُ   بَتاتاً ولم تَضرِبْ لَهُ وَقْتَ مَوْعِدِ

باع : قد يكون بمعنى اشترى ، وهو في البيت بهذا المعنى . البتات : كساء المسافر وأداته . والجمع أبتّة ولم تضرب له أي لم تبين له ، كقوله تعالى : « ضرب الله مثلاً » أي بيّن وأوضح .

يقول : سينقل اليك الأخبار من لم تشتر له متاع المسافر ، ولم تبين له وقتاً لنقل الاخبار اليك .

* * *

(١٠١) جاء في العقدالفريد ٥/٢٧١ أن النبي أنشد هذا البيت فقال : (هذا من كلام النبوة). وقال ابن عباس عن هذا البيت أيضاً ـ العقد الفريد ٥/٢٧٦ ـ (إنها لكلمة نبي) . وذكر الرافعي ٢/٣٢٣ أن الرسول أنشد الشطر الثاني من هذا البيت هكذا : (ويأتيك من لم تزود بالأخبار) وذلك لأنه « ماينبغي له » أن يقول الشعر . وجاء في الشعر والشعراء ١/١٤٥ أن هذا البيت (مما سبق إليه) طرفة .

زهير بن أبي سلمى

★ هو زهير بن ربيعة « أبي سلمى ، بضم السين » بن رباح ... من مزينة [1] ، ثم من الياس بن مضر – على الصحيح – وليس من أخيه : الناس بن مضر المعروف بعيلان ، والسبب في أن بعضهم [2] ينسبه الى قيس عيلان هو أنه نشأ عند أخواله من بني عبد الله بن غطفان وهم بطن من قيس .

كان زهير يكنى بأبي بُجَير [3] ، وقال آخرون انه يكنى أيضاً بأبي سلمى [4] . ولم يكن له لقب يعرف به . أما عقبه فهو ممتد معروف بقول الشعر حتى لقد قال ابن سلام [5] : (لم يزل في ولد زهير شعر ، ولم يتصل في ولد أحد من فحول الجاهلية ما اتصل في ولد زهير) . وقال ابن قتيبة [6] : (. فهؤلاء خمسة شعراء في نسق : العوام بن عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى) ، وزاد غيره فقال : الحجاج بن ذي الرقيبة بن عبد الرحمن بن عقبة « المضرّب » بن كعب بن زهير بن أبي سلمى : كل هؤلاء شعراء في نسق. وقال بعض الأدباء اليوم [7] : ان أحد عشر شاعراً تحدّروا من نسل أبي سلمى . أضف الى كل هذا وذاك أن أختيه : سلمى والخنساء ، شاعرتان ، وأن ابنه بجيراً ، وخاله [8] – أو هو خال أبيه [9] – : بشامة بن الغدير ، وزوج أمه [10] : أوس بن حجر : شعراء . أما ولده سالم فقد وقع عن الفرس ومات ، ولم يسمع له شعر . ومما يذكر أن « أم أوفى » التي ذكرها في مطلع معلقته هي زوجه الأولى ، وقد طلقها فندم ثم تزوج بعدها من « كبشة . الغطفانية [11] وهي أم أولاده .

كان زهير حكيماً حليماً ، راجح العقل ، سديد الرأي ورعاً حتى قال ابن قتيبة [12] فيه انه (كان ... يتأله ، ويتعفف في شعره ، ويدل شعره على ايمانه) . ويروى [13] أنه

---

* هذه التوطئة بقلم المعلق وليست للزوزني (١) في الاغاني ٢٩٨/١٠ أن «مزينة» أم عمرو بن أد وهي بنت كلب بن وبرة ، وفي جمهرة أنساب العرب ٢٠١ وفي الاشتقاق ١٨٠ وفي سبائك الذهب ٢٥ أنها امرأة عمرو ، وليست أمه (٢) ابن سلام ٣٤ – المزهر ٤٧٧/٢ (٣) المزهر ٤٢٤/٢ (٤) كنى الشعراء ٢٨٨ – من نسب الى أمه من الشعراء الترجمة ٢٨ و ٢٩ (٥) ص٩٣ (٦) الشعر والشعراء ٩٢/١ (٧) حنا فاخوري ٢٢٨ (٨) ابن سلام ٥٦٣ – الأغاني ٣١٩/١٠ – رسالة الغفران ٥٤٧ – من نسب الى أمه من الشعراء ، الترجمة ٢٨ (٩) تاريخ الأدب للزيات ٤٩ – تاريخ الأدب للفاخوري ١٥٢ (١٠) ابن سلام ٨١ (١١) الأغاني ٣٨/١٧ (١٢) ٨٨/١ (١٣) معاهد التنصيص ٥٣/٢ – الأغاني ٣١٨/١٠ .

قال : (ما خرجت قط في ليلة ظلماء إلا خفتُ أن يصيبني الله بعقوبة لمجانبي قوماً ظلمتهم) ، فهو بهذه الأخلاق وبالحكمة التي كانت تنثال على لسانه استحق أن يُعد ارهاصاً لعهد الاسلام ، كما سيأتي عند عرضنا لرأي « نالينو » فيه . ولعل من أطرف ما قيل في إيمانه أن صاحب رسالة الغفران [1] – وهو الذي حشر زهيراً في الجنة مع المؤمنين – قال على لسانه : (كنت مؤمناً بالله العظيم ، ورأيت فيما يرى النائم حبلاً نزل من السماء ، فمن تعلق به من سكان الأرض سلم ، فعلمت أنه أمر من أمر الله ، فأوصيت بَنِيَّ وقلت لهم عند الموت : ان قام قائم يدعوكم الى عبادة الله فأطيعوه . ولو أدركت محمداً لكنت أول المؤمنين . وقلت في الميمية . . . :

فلا تكتمُنَّ الله ما في نفوسكم ليخفى ، ومهما يكتم الله يعلم

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم) .

الا أن بعض الأدباء [2] قال بأن الرسول ﷺ رأى زهيراً (وله مئة سنة فقال « اللهم أعذني من شيطانه » فمالاك بيتاً حتى مات) ، ولئن رجح بروكلمان [3] عدم صحة هذا الخبر فنحن نرجح حدوثه قبل نزول الوحي على الرسول أو قبل الجهر بدعوته .

بدأ زهير حياته الأدبية منذ حداثته اذ كان معجباً بشعر خاله بشامة بن الغدير ، منقطعاً اليه . وبشامة هذا شاعر جاهلي [4] مُجيد ، اختار له الضبي في المفضليات قطعتين ، وكان مقعداً منذ الولادة . ويروى [5] أنه لما (حضرته الوفاة لم يكن له ولد فقسم ماله بين اخوته وبني أخيه وأقاربه ، فقال له زهير . . . : ماذا قسمت لي ياخالاه ؟ فقال : أفضل ذلك كله . قال : ما هو ؟ قال : شعري) . ثم تتفق الروايات [6] ، بعد هذا ، أنه صار راوية أوس بن حجر .

والكلام على شعر زهير يدفع بالضرورة الى الكلام على حرب « داحس والغبراء » . وموجز القصة [7] أن عبساً وذبيان تراهنتا على سباق بين ذكر وانثى « هما داحس والغبراء » من خيل عبس ، ومثلها من خيل ذبيان . الا أن مكيدة دبرت من أحد الفريقين لكسب

---

(١) ص ٦٧ وانظر كذلك خزانة الأدب ٢/٢٩٣ (٢) الاغاني ١٠/٣٠١ – معاهد التنصيص ١/١١٠ (٣) ١/٩٥ (٤) عده ابن سلام مع الاسلاميين خطأ (٥) ابن سلام ٥٦٣/٥٦٤ وانظر الاغاني ١٠/٣١٩ – ٣٢٠ ورسالة الغفران ٥٤٧ (٦) ابن سلام ٨١ – ابن قتيبة ١/٨٦ (٧) القصة في الاغاني ١٧/١١٦ - سبائك الذهب ١٠٩ – اللسان والقاموس : مادة دحس .

الرهان كان من جرائها أن نشبت الحرب بينهما ودامت أمداً طويلاً إلى أن هب هرم بن سنان وابن عمه الحارث بن عوف فأصلحا بين القبيلتين وتعهدا بدفع ديات القتلى من مالهما الخاص .

والذي يعنينا من هذه القصة أن زهيراً أعجب بأريحية هرم والحارث ومروءتهما ، فقال في مدحهما شعراً كثيراً رائعاً ، منه هذه المعلقة التي نحن بصددها اليوم . وقيل (ان هرماً كان قد حلف ألا يمدحه زهير .. ولا يسأله .. ولا يسلم عليه الا أعطاه عبداً أو وليدة أو فرساً ، فاستحيا زهير مما كان يقبل منه فكان اذا رآه في ملأ قال : عموا صباحاً غير هرم ، وخيركم استثنيت)[١] . ويروى[٢] كذلك أن عمر «ض» قال (لبعض ولد هرم : أنشدني بعض ما قال فيكم زهير . فأنشده ، فقال : لقد كان يقول فيكم فيحسن . فقال : يا أمير المؤمنين ، انا كنا نعطيه فنجزل . فقال عمر«ض»: ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم) وفي خبر آخر[٣] (عن ابن عباس قال : قال لي عمر : أنشدني لأشعر شعرائكم . قلت : من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : زهير . قلت : وكان كذلك ! قال : كان لا يعاظل بين الكلام ، ولا يتبع حوشيه ، ولا يمدح الرجل الا بما فيه) . ولتفسير **المعاظلة** نذهب الى ابن الاثير[٤] فنراه يقول بأنها (مأخوذة من قولهم : تعاظلت الجرادتان ، اذا ركبت احداهما الاخرى ، فسمي الكلام المتراكب في ألفاظه أو في معانيه : المعاظلة ، مأخوذاً من ذلك ، وهو اسم لائق بمسماه) . ولم يكن عمر «ض» وحده الذي أثنى على زهير بل لقد ذكر الحصري[٥] أن قريشاً (كانت . . معجبة بشعر زهير) وزاد على ذلك فقال : (قال النبي ﷺ : إنا قد سمعنا كلام الخطباء والبلغاء وكلام ابن أبي سلمى فما سمعنا مثل كلامه من أحد) . وجاء[٦] عن معاوية أنه (سأل . . . الأحنف بن قيس عن أشعر الشعراء فقال :

---

(١) الاغاني ٣١٣/١٠ (٢) الشعر والشعراء ٩٤/١ وانظر الاغاني ٣١٣/١٠ وخزانة الادب ٢٩٢/٢ والكامل ٢٢٢/١ والعقد الفريد ٢٩٢/٥ (٣)ابن سلام ٥٢ – الاغاني ٢٩٩/١٠و٣٠٠ – الشعر والشعراء ٨٦/١ - محاضرات الراغب ٣٧/١ العقد الفريد ٢٧٠/٥ – جمهرة القرشي ٥٣ (٤) المثل السائر ١١٤ (٥) زهر الآداب ٥٨/١ (٦) معاهد التنصيص ١١٠/١ – الاغاني ٣٠٠/١٠

زهير . قال : وكيف ذاك ؟ قال : كف عن المادحين فضول الكلام) . وروي [١] عن عكرمة بن جرير أنه سأل أباه مرة (من أشعر الناس ؟ قال: أعن اهل الجاهلية تسألني أم اهل الاسلام؟ قلت : ماأردت إلا الاسلام ، فإذ ذكرت الجاهلية فأخبرني عن أهلها . قال : زهير شاعرهم) . (وقال **أهل النظر** : كان زهير أحصفهم شعراً ، وأبعدهم من سخف) [٢] .
وقال أبومنصور الثعالبي في كتاب خاص الخاص : إنه -أي زهير- (أجمع الشعراء للكثير من المعاني في القليل من الألفاظ ، وأبياته التي في آخر قصيدته التي أولها :أمن أم أوفى ... تشبه كلام الانبياء ، عليهم الصلاة والسلام ، وهي غرة حكم العرب ونهاية في الحسن والجودة ، تجري مجرى الامثال الرائعة الرائقة ، وهي :

ومن يَكُ ذافضلٍ ....   ومن يصانع ....)

وقد عقّب نالينو [٣] على نص الثعالبي فقال (كأن زهيراً أحسّ بتقرّب عهد جديد ، أعني عهد الاسلام الذي بدّل [٤] فيه التوحش والجهل القديم بتهذيب الأخلاق والحلم) .
وقال نالينو أيضاً (..وهذه المعلقة تختلف عن المعلقات السابق ذكرها لما تحويه من عبارات الحلم والورع ومن النصائح والحكم) وقال طه حسين [٥] ان في ديوان زهير ما هو أجمل من معلقته .وعلى ذكر حكم زهير ورجاحة عقله لا يسعني إلا أن أنقل هنا ما أورده ابن قتيبة [٦] اذ قال (قال بعض الرواة : لو أن زهيراً نظر في رسالة عمر بن الخطاب الى أبي موسى الاشعري مازاد على ما قال :

فإن الحق مقطعه ثلاث :   يمين أو نِفار أو جلاء

يعني يميناً ، أو منافرة الى حاكم يقطع بالبينات ، أو جلاء وهو بيان وبرهان يجلو به الحق وتتضح الدعوى) ، (يريد أن الحقوق إنما تصح بواحدة من هذه الثلاث : يمين أو محاكمة أو حجة بينة واضحة) .
بعد هذه الطائفة من الاخبار التي تضع زهيراً في مكان مكين من عالم الشعر يطلع علينا الاصمعي بتحامله فيقول : [٧] (مايصلح زهير ان يكون أجيراً للنابغة) .

---

(١) ابن سلام ٥٤ - الاغاني ٢٩٨/١٠ - ٣٠٠ وانظر ص١٩ من هذا الكتاب (٢) ابن سلام ٥٣ - العمدة ٦٢/١ - المزهر ٤٨٢/٢ . (٣) تاريخ الآداب لنالينو ص ٦٢ (٤) الصواب : «بدل .. بالتوحش .. تهذيب الأخلاق» لأن الباء بعد فعل (بدل) تدخل على المتروك ، لا على المأخوذ به (٥) حديث الاربعاء ٧٥/١ (٦) الشعر والشعراء ٨٩/١ و ٩٩/١ - خزانة الادب ٢٩١/٢ (٧) فحولة الشعراء ١٤-١٧

لا أدري لماذا يسخر الأصمعي من زهير ويتعصب للنابغة الذبياني – القيسي – ولكن الذي ألاحظه ان الاصمعي – وهو من قيس – لا ينفي صفة الفحولة عن **زهير** وابنه كعب فقط ، بل يمتد به هذا النفي الى **عنترة ولبيد** – وهؤلاء الاربعة (١) كلهم من قيس – في الوقت الذي يصف فيه كلاً من **ابن حلزة** وابن قميئة والمرقشين بأنه من الفحولة، وهؤلاء الاربعة جميعاً بكريون من ربيعة. اما التغالبة من ربيعة فلم تكن مكانتهم لديه كالبكريين، وحسبك أنه لم يعد مهلهلا **وابن كلثوم** من الفحولة. وليس هذا موضع الدخول في تحقيق عن الاصمعي ولكنها خطوط اولى أطرحها لبحث الباحثين واستكمالهم اياها ، ولولا انها تمس خمسة من اصحاب المعلقات ما التفت اليها (٢) .

بقيت ناحية في شعر زهير ليس في مقدورنا التجاوز عنها ، **هي : تنقيح ذلك الشعر وتثقيفه** .

قال ابن قتيبة(٣) : (.. ومن الشعراء : المتكلف والمطبوع ، فالمتكلف هو الذي قوّم شعره بالثقاف ، **ونقحه** بطول التفتيش ، وأعاد فيه النظر بعد النظر كزهير والحطيئة . وكان الاصمعي يقول : زهير والحطيئة وأشباههما من الشعراء **عبيد الشعر** ، لأنهم نقحوه ، ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين . وكان الحطيئة يقول : خير الشعر الحولي المنقح المحكك . وكان زهير يسمي كُبْر قصائده : **الحوليات**) .

يلوح لي من هذا النص ، ومن تعريف « عبيد الشعر » على ذلك النحو أن صاحب التعريف يكاد يغلب عليه الشعور بعدم الرضى عن هؤلاء وان لم يقل ذلك صراحة . بيد أن الجاحظ كان أميل الى الرضى ووضوح الرأي حين عرّفهم بقوله (٤) (.. وكذلك كل

---

(١) ليس زهير من قيس ولكن كثيرين نسبوه لغطفان القيسية ، حيث نشأ .

(٢) جاء في فحولة الشعراء ٣٤ – ٣٧ وعند ابن سلام ٣٤ أن الشعر كان في ربيعة قبل أن يصير إلى قيس ، فلعل ميل الاصمعي لإكبار كل قديم جعله يقر بالفحلة للعديد من شعراء ربيعة ولواحد من القيسيين هو النابغة . أما قوله ص ٣٥ (أفي الدنيا مثل فرسان قيس وشعرائهم ؟) فليس ينقض ماسبق لأن « الفحول » عنده طبقة ، و « الشعراء الفرسان » طبقة . ولعله كان يسترضي قيساً – وهو منها – عندما جعل لها السبق في « الشعراء الفرسان » مقابل سبق ربيعة في « الفحول » وللتأكد من أن « الفرسان » عنده طبقة غير « الفحول » ارجع الى الصفحات ٢٧ و ٢٩ و ٣٥ و ٣٧ من كتاب فحولة الشعراء و ص ٨١ من الموشح ، وستجد أنه عد عنترة من أشعر الفرسان وليس من الفحول . وقال عن السليك : ليس من الفحول ولا من الفرسان (٣) الشعر والشعراء ١/٢٣ (٤) البيان والتبيين ٢/١٣ .

من جوّد في جميع شعره ، ووقف عند كل بيت قاله ، وأعاد فيه النظر ، حتى يُخرجَ أبيات القصيدة كلها مستوية في الجودة) . وأضاف الجاحظ فقال [١] (ومن تكسب بشعره ، والتمس به صلات الأشراف والقـــادة ، وجوائز الملوك والسادة في قصائد السماطين ، وبالطوال التي تنشد يوم الحفل ، لم يجـــد بداً من صنيع زهير والحطيئة وأشباههما ، فإذا قالوا في غير ذلك أخـذوا عفو الكلام وتركوا المجهود) .

وما من شك أن نظرة الجاحظ هنا أقرب الى واقع شعر زهير ، وأصدق انطباقاً عليه .

ولكم كان بودي أن أتحدث عن مدرسـة التنقيح في الشعر ، لولا أن الحديث في هذا يطول فيتعدى صاحبنا زهيراً الى زهاء عشرين شاعراً بل يزيدون [٢] .

أما حوليات زهير فهي قصائد نظم كل واحدة منها في حول [٣] – أي في سنة – وليس ذلك بقصد إطالتها ولكن لتجويدها وتنقيحها . والمعروف أن حولياته أربع ، وليست المعلقة إحداها .

أخيراً : لقد نال ديوان زهير نصيبه من العناية فشـــرحه [٤] السكري ، فثعلب ، فالأعلم الشنتمري ؛ وطبع عدة مرات في المشرق والمغرب ، وترجمت أقسام منه الى الألمانية كما ترجمت المعلقة – خاصة – إلى أكثر من لغة [٥] . وذكر الجاحظ أن ليس للرجز نصيب عند زهير ، وما هذا بعيب عندهم ، لأن القريض فن والرجز فن آخر [٦] .

هذا وقد مر فيما قدمناه بين يدي هذا الكتاب كثير مما يتصل بحياة الشاعر أو بفنه ، فليُرجع إليه [٧] .



(١) البيان والتبيين ٢/١٣ . (٢) أملي أن أخصهم بكتاب إن شاء الله (٣) خزانة الادب ٢/٢٩٢ – العمدة ١/٨٣ – المعلقات العشر ٢٢ (٤) بروكلمان ١/٩٦ – معجم سركيس ٩٨١ (٥) أعلام الزركلي وتاريخ الأدب للفاخوري وانظر كذلك « طبعات المعلقات » في ص ٦٠ من هذا الكتاب (٦) البيان والتبيين ٤/٨٤ وانظر نالينو ١٦٥ (٧) راجع الصفحات ١٠ و ١١ و ١٣ و ١٤ و ١٦ ← ١٨ و ٢٦ ← ٢٨ و ٣٠ و ٣١ و ٣٣ و ٣٥ و ٤٠ و ٥٢ و ٥٩ .

معلّقة زهير بن أبي سُلمى

وقال زهير بن أبي سُلمى المُزَني[1] :

١ - أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ بِحَوْمانَـةِ الدَّرَّاجِ فالْمُتَثَلَّمِ

الدمنة : ما اسودّ من آثار الدار بالبعر والرماد وغيرهما ، والجمع الدِمَن ، والدمنة : الحقد ، والدمنة السرجين ، وهي في البيت بمعنى الأول . حومانة الدراج والمتثلم : موضعان . وقوله : أمن أم أوفى ، يعني أمن منازل الحبيبة المكناة بأم أوفى دمنة لاتجيب ؟ وقوله : لم تكلم ، جزم بلم ثم حرك الميم بالكسر لأن الساكن إذا حرك كان الأحرى تحريكه بالكسر ، ولم يكن بد ههنا من تحريكه ليستقيم الوزن ويثبت السجع (؟) ، ثم أشبعت الكسرة بالإطلاق لأن القصيدة مطلقة القوافي .

يقول : أمن منازل الحبيبة المكناة بأم أوفى دمنة لاتجيب سؤالها بهذين الموضعين . أخرج الكلام في معرض الشك ليدل بذلك على أنه لبعد عهده بالدمنة وفرط تغيرها لم يعرفها معرفة قطع وتحقيق .

٢ - وَدارٌ لَهَا بالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّها مَراجِيعُ وَشْمٍ في نَواشِرِ مِعْصَمِ

الرقمتان : حرّتان إحداهما قريبة من البصرة والأخرى قريبة من المدينة . المراجيع : جمع المرجوع ، من قولهم : رجعه رجعاً ، أراد الوشم المجدد والمردد . نواشر المعصم : عروقه ، الواحد : ناشر ، وقيل ناشرة . والمعصم : موضع السوار من اليد ، والجمع المعاصم .

يقول : أمن منازلها دار بالرقمتين ؟ يريد أنها تحل الموضعين عند الانتجاع ولم يرد أنها تسكنهما جميعاً لأن بينهما مسافة بعيدة ، ثم شبه رسوم دارها بهما بوشم في المعصم قد رُدد وجُدد بعد امحائه ، شبه رسوم الدار عند تجديد السيول إياها بكشف التراب عنها بتجديد الوشم ؛ وتلخيص المعنى : أنه أخرج الكلام في معرض الشك في هذه الدار أهي لها أم لا ، ثم شبه رسومها بالوشم المجدد في المعصم ؛ وقوله : ودار لها بالرقمتين ، يريد : وداران لها

---

(١) مر بك في ترجمة زهير ص١٧٢ أن أم أوفى زوجه الأولى . السرجين : الزبل - السجع يكون في النثر ، وحقه أن يقول : التصريع .

بها ، فاجتزأ بالواحد عن التثنية لزوال اللبس اذ لاريب في أن الدار الواحدة لاتكون قريبةمن البصرة والمدينة؛ وقوله: كأنها ، أراد كأن رسومها وأطلالها ، فحذف المضاف.

٣ ـ بها العِينُ والأرْآمُ يمشينَ خِلفَةً وأطلاؤها ينهضْنَ من كلِّ مَجْثِمِ

قوله : بها العين ، أي البقر العين ، فحذف الموصوف لدلالة الصفة عليه ، والعين : الواسعات العيون ،و العَيَن : سعة العين . الأرآم : جمع رئم وهو الظبي الأبيض خالص البياض ؛ وقوله : خلفة ، أي يخلف بعضها بعضاً ، اذا مضى قطيع منها جاء قطيع آخر ، ومنه قوله تعالى: « وهو الذي جعل الليلَ والنهارَ خلفة » يريد أن كلاً منهما يخلف صاحبه فاذا ذهب النهار جاء الليل ، واذا ذهب الليل جاء النهار . الاطلاء : جمع الطلا وهو ولد الظبية والبقرة الوحشية ويستعار لولد الإنسان ، ويكون هذا الاسم للولد من حين يولد الى شهر أو أكثر منه . الجثوم للناس والطير والوحوش بمنزلة البروك للبعير ، والفعل جثم يجثِم ، والمجثِم : موضع الجثوم ، والمجثَم : الجثوم ، فالمفعل من باب فعل يفعِل ، اذا كان مفتوح العين كان مصدراً ، واذا كان مكسور العين كان موضعاً ، نحو : المضرَب والمضرِب .

يقول : بهذه الدار بقر وحش واسعات العيون وظباء بيض يمشين بها خالفات بعضها بعضاً وأولادها ينهضن من مرابضها لترضعها أمهاتها .

٤ ـ وقفتُ بها من بعدِ عشرينَ حِجَّةً فلأْياً عَرَفْتُ الدارَ بعدَ توهُّمِ

الحجة : السنة ، والجمع الحِجج . اللأي : الجهد والمشقة .

يقول : وقفت بدار أم أوفى بعد مضي عشرين سنة من بينها وعرفت دارها بعد التوهم بمقاساة جهد ومعاناة مشقة ، يريد أنه لم يثبتها إلا بعد جهد ومشقة لبعد العهد بها ودروس أعلامها .

٥ ـ أثافيَّ سُفْعاً في مُعرَّسِ مِرْجَلٍ ونُؤياً كجِذْمِ الحوضِ لم يتثَلَّمِ

الأُثفية والإثفية : جمعها الأثافيّ والأثافي ، بتثقيل الياء وتخفيفها ، وهي حجارة توضع القدر عليها ، ثم ان كان من الحديد سمي منصِباً ، والجمع المناصب ، ولايسمى أثفية . السفع : السود ، والاسفع مثل الأسود، والسفاع مثل السواد . المعرس : أصله

المنزل، من التعريس وهو النزول في وقت السحر ، ثم استعير للمكان الذي تنصب فيه القدر المرجل : القدر عند ثعلب من أي صنف من الجواهر كانت . النؤي : نهير يحفر حول البيت ليجري فيه الماء الذي ينصب من البيت عند المطر ولا يدخل البيت ، والجمع الآناء والنئي . الجذم : الاصل ، ويروى : كحوض الجُد ، والجد : البئر القريبة من الكلإ وقيل بل هي البئر القديمة .

يقول : عرفت حجارة سوداً تنصب عليها القدر ، وعرفت نهيراً كان حول بيت أم أوفى بقي غير متثلم كأنه أصل حوض . نصب « أثافي » على البدل من الدار في قوله : عرفت الدار ؛ يريد أن هذه الأشياء دلته على أنها دار أم أوفى .

٦ ـ فَلمّا عرفْتُ الدّارَ قلتُ لِربعِها : ألا انْعِمْ صباحاً أيُّها الرَّبعُ واسلَمِ

كانت العرب تقول في تحيتها : انعم صباحاً أي نعمت صباحاً ، أي طاب عيشك في صباحك ، من النعمة وهي طيب العيش ، وخص الصباح بهذا الدعاء لأن الغارات والكرائه تقع صباحاً ، وفيها أربع لغات : انعم صباحاً ، بفتح العين ، من نعم ينعم مثل علم يعلم . والثانية انعم ، بكسر العين ، من نعم ينعم ، مثل حسِب يحسِب ، ولم يأت على فعِل يفعِل من الصحيح غيرهما ، وقد ذكر سيبويه أن بعض العرب أنشده قول امرىء القيس :

ألا انعم صباحاً أيها الطلل البالي وهل ينعمن من كان في العصر الخالي؟

بكسر العين من ينعم . والثالثة عم صباحاً من وعم يعم مثل وضع يضع . والرابعة عم صباحاً من وعم يعِمُ مثل وعد يعد .

يقول : وقفت بدار أم أوفى فقلت لدارها محيياً إياها وداعياً لها : طاب عيشك في صباحك وسلمت .

٧ ـ تَبَصَّرْ خليلي هل ترى من ظعائنٍ تحَمَّلْنَ بالعَلياءِ من فوقِ جُرثُمِ

الظعائن : جمع ظعينة ، لأنها تظعن مع زوجها ، من الظعْن والظعَن وهما الارتحال . بالعلياء أي بالأرض العلياء أي المرتفعة . جرثم : ماء بعينه .

يقول : فقلت لخليلي : انظر يا خليلي هل ترى بالأرض العالية من فوق هذا الماء نساء

في هوادج على إبل ؟ يريد أن الوجد برّح به والصبابة ألحت عليه حتى ظن المحال لفرط ولهه ، لأن كونهن بحيث يراهن خليله بعد مضي عشرين سنة محال . التبصر : النظر . التحمل : الترحل .

٨ ـ جَعَلنَ القَنانَ عن يمينٍ وحَزْنَهُ وكَمْ بالقَنانِ مِنْ مُحِلٍّ ومُحْرِمِ

القنان : جبل لبني أسد . عن يمين : يريد الظعائن . الحزن : ما غلظ من الارض وكان مستوياً . والحُزُن ما غلظ من الارض وكان مرتفعاً . من محل ومحرم ، يقال: حل الرجل من احرامه وأحل ، وقال الاصمعي : من محل ومحرم ، يريد من له حرمة ومن لا حرمة له ، وقال غيره : يريد دخل في أشهر الحِل ودخل في أشهر الحُرُم .

يقول : مررت بهم أشهر الحل وأشهر الحرم .

٩ ـ عَلَوْنَ بأنماطٍ عِتاقٍ وكِلَّةٍ وِرادٍ حواشيها مُشاكِهَةِ الدَّمِ

الباء في قوله « علون بأنماط » للتعدية ، ويروى : وعالين أنماطاً ، ويروى : وأعلين ، وهما بمعنى واحد ، والمعالاة قد تكون بمعنى الإعلاء ؛ ومنه قول الشاعر :

عاليت أنساعي وجِلبَ الكورِ على سراةِ رائحٍ ممطورِ

أنماط : جمع نمط وهو ما يبسط من صنوف الثياب . العتاق : الكرام ، الواحد عتيق . الكلة : الستر الرقيق ، والجمع الكِلل . الوراد : جمع ورد وهو الاحمر والذي يضرب لونه إلى الحمرة . المشاكهة : المشابهة . ويروى «وراد الحواشي لونها لون عندم» . العندم : البَقّم ، والعندم دم الاخوين .

يقول : وأعلين أنماطاً كراماً ذات أخطار أو ستراً رقيقاً ، أي ألقينها على الهوادج وغشّينها بها ، ثم وصف تلك الثياب بأنها حمر الحواشي يشبه ألوانها الدم في شدة الحمرة أو البقم أو دم الاخوين .

١٠ ـ وورَّكْنَ في السُّوبانِ يَعلونَ مَتنَهُ عليهِنَّ دَلُّ النّـاعِمِ المُتَنَعِّمِ

(٩) قوله « عاليت أنساعي ... » : البيت للعجاج . شبه بعيره بثور وحشي رائح وقد أصابه المطر . الانساع : حبال يشد بها الرحل فوق البعير . الكور : الرحل ، وجلبه : غطاؤه وعيدانه . السراة : الظهر . العندم والبقم ودم الأخوين واحد ، وهو شجر أحمر يصنع منه صبغ .

السوبان : الارض المرتفعة اسم علم لها . التوريك : ركوب أوراك الدواب . الدل والدلال والدالّة واحد ، وقد أدلت المرأة وتدللت . النعمة : طيب العيش ، والتنعم : تكلف النعمة .

يقول : وركبت هؤلاء النسوة أوراك ركابهن في حال علوهن متن السوبان وعليهن دلال الانسان الطيب العيش الذي يتكلف ذلك .

١١ـ بكَرْنَ بكوراً واستحرنَ بسُحرةٍ فهُنَّ ووادي الرّسِّ كاليدِ للفمِ

بكر وابتكر وبكّر وأبكر : سار بكرة . استحر : سار سحراً . سحرة : اسم للسحر ، ولا تصرف سحرة وسحر اذا عنيتهما من يومك الذي أنت فيه ، وان عنيت سحراً من الأسحار صرفتهما . وادي الرس : واد بعينه .

يقول : ابتدأن السير وسرن سحراً وهن قاصدات لوادي الرس لا يخطئنه كاليد القاصدة للفم لا تخطئه .

١٢ـ وفيهنَّ مَلْهىً للّطيفِ ومنظرٌ أنيقٌ لِعَينِ النّاظِرِ المُتوسّمِ

الملهى : اللهو وموضعه . اللطيف : المتأنق الحسن المنظر ، الأنيق : المعجِب ، فعيل بمعنى المفعل كالحكيم بمعنى المحكم والسميع بمعنى المسمِع والأليم بمعنى المؤلم ، ومنه قوله عز وجل : « عذاب أليم » ؛ ومنه قول ابن معديكرب :

أمِنْ ريحانةَ ، الداعي السميعُ يؤرقني ، وأصحابي هجوعُ

أي المسمِع . والإيناق : الإعجاب . التوسم : التفرس ، ومنه قوله تعالى : « ان في ذلك لآيات للمتوسمين » ، وأصله من الوَسام والوَسامة وهما الحسن ، كأن التوسم تتبع محاسن الشيء ، وقد يكون من الوسم فيكون تتبع علامات الشيء وسماته .

يقول : وفي هؤلاء النسوان لهو أو موضع لهو للمتأنق الحسن المنظر ، ومناظر معجبة لعين الناظر المتتبع محاسنهن وسمات جمالهن .

١٣ـ كَأَنَّ فُتاتَ العِهْنِ ، في كلِّ مَنزِلٍ نَزَلْنَ به ، حَبُّ الفَنا لم يُحَطَّمِ

---

(١٣) ورد هذا البيت في كل من نقد الشعر ١٦٨ والعمدة ٦/٢ ، وقانون البلاغة ٤٤٣ ليكون مثالاً على « الإيغال » في القافية : « لم يحطم » . قال قدامة : قد (يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تاماً من غير أن يكون للقافية في ما ذكره صنع ، ثم يأتي بها لحاجة الشعر فيزيد بمعناها في تجويد ما ذكره من المعنى في البيت) . وقال المبرد في الكامل ٦٨/٢ (فهذا من أحسن التشبيه) .

الفتات : اسم لما انفتّ من الشيء أي تقطع وتفرق ، وأصله من الفت وهو التقطيع والتفريق ، والفعل منه فتّ يفُتّ ، والمبالغة التفتيت ، والمطاوع الانفتات والتفتت .
الفنا : عنب الثعلب . التحطم : التكسر ، والحطم : الكسر . العهن : الصوف المصبوغ ، والجمع العهون .

يقول : كأن قطع الصوف المصبوغ الذي زينت به الهوادج في كل منزل نزلته هؤلاء النسوة حب عنب الثعلب في حال كونه غير محطم ، لأنه اذا حُطم زايله لونه ، يشبه الصوف الأحمر بحب عنب الثعلب قبل حطمه .

١٤ـ فَلَمّا وَرَدْنَ الماءَ زُرقاً جِمامُهُ وَضَعنَ عصيَّ الحاضِرِ المُتخيِّمِ

الزرقة : شدة الصفاء ، ونصل أزرق وماء أزرق اذا اشتد صفاؤهما ، والجمع زرق ومنه زرقة العين . الجمام : جمع جم الماء وجُمته وهو ما اجتمع منه في البئر والحوض أو غيرهما . وضع العصي : كناية عن الإقامة ، لأن المسافرين اذا أقاموا وضعوا عصيهم . التخيم : ابتناء الخيمة .

يقول : فلما وردت هؤلاء الظعائن الماء وقد اشتد صفاء ما جمع منه في الآبار والحياض عزمن على الإقامة كالحاضر المبتني الخيمة .

١٥ـ ظَهَرْنَ من السُّوبانِ ثمَّ جَزَعْنَهُ على كلِّ قَيْنيٍّ قشيبٍ ومُفأَمِ

الجزع : قطع الوادي ، والفعل جزَع يجزَع ، ومنه قول امرىء القيس :

وآخرُ منهم جازعٌ نجدَ كبكبِ

أي قاطع . وكل صانع عند العرب قين ، فالحداد قين ، والجزار قين ، فالقين ههنا الرّحال وجمع القين قيون مثل بيت وبيوت ، وأصل القين الإصلاح ، والفعل منه قان يقين ، ثم وضع المصدر موضع اسم الفاعل وجعل كل صانع قيناً لأنه مصلح ؛ ومنه قول الشاعر :

ولي كبد مجروحة قد بدا بها صدوع الهوى لو أن قيناً يقينها

أي لو أن مصلحاً يصلحها . ويروى : على كل حِيريّ ، منسوب الى الحيرة ، وهي بلدة.
القشيب : الجديد . المفأم : الموسّع .

يقول : علون من وادي السوبان ثم قطعنه مرة أخرى لأنه اعترض لهن في طريقهن مرتين ، وهن على كل رحل حيري أو قيني جديد موسّع .

١٦ـ فأقسمتُ بالبيتِ الذي طاف حولَهُ رجالٌ بَنَوهُ من قُريشٍ وجُرْهُمِ

يقول : حلفت بالكعبة التي طاف حولها من بناها من القبيلتين . جرهم : قبيلة قديمة تزوج فيهم اسماعيل ، عليه السلام ، فغلبوا على الكعبة والحرم بعد وفاته ، عليه السلام ، وضعف أمر أولاده ، ثم استولى عليها بعد جرهم خزاعة الى أن عادت الى قريش ، وقريش اسم لولد النضر بن كنانة .

١٧ـ يميناً لَنِعْمَ السيّدانِ وُجِدتُما على كُلِّ حالٍ من سَحيلٍ ومُبرَمِ

السحيل : المفتول على قوة واحدة . المبرم : المفتول على قوتين أو أكثر ، ثم يستعار السحيل للضعيف والمبرم للقوي .

يقول : حلفت يميناً ، أي حلفت حلفاً ، نعم السيدان وجدتما على كل حال ضعيفة وحال قوية ، لقد وجدتما كاملين مستوفيين لخلال الشرف في حال يُحتاج فيها الى ممارسة الشدائد ، وحال يُفتقر فيها الى معاناة النوائب ، وأراد بالسيدين هرم بن سنان والحارث ابن عوف ، مدحهما لإتمامهما الصلح بين عبس وذبيان وتحملهما أعباء ديات القتلى .

١٨ـ تدارَكْتُما عَبْساً وَذُبيانَ بعدما تفانَوا ودقُّوا بَينهمْ عطرَ مَنْشِمِ

التدارك : التلافي ، أي تداركتما أمرهما . التفاني : التشارك في الفناء . منشم ، قيل فيه : انه اسم امرأة عطارة اشترى قوم منها جفنة من العطر وتعاقدوا وتحالفوا وجعلوا آية الحلف غمسهم الأيدي في ذلك العطر ، فقاتلوا العدو الذي تحالفوا على قتاله فقتلوا عن آخرهم ، فتطيّر العرب بعطر منشم وسار المثل به ، وقيل : بل كان عطاراً يُشترى منه ما يُحنط به الموتى فسار المثل بعطره .

يقول : تلافيتما أمر هاتين القبيلتين بعدما أفنى القتال رجالهما وبعد دقهم عطر هذه المرأة ، أي بعد اتيان القتال على آخرهم كما أتى على آخر المتعطرين بعطر منشم .

١٩ـ وقد قلتُما: إنْ نُدرِكِ السِّلْمَ واسعاً بمالٍ ومعروفٍ من القولِ نَسلَمِ

السِلم والسَلم : الصلح . يذكر ويؤنث .

---

(١٨) في أمالي ابن الشجري ١/١٠٣ـ١٠٤ وفي خزانة الأدب ٣/٦ واللسان مادة نشم : روايات كثيرة مختلفة حول منشم وأصلها وقصتها ، ولم نر فائدة في نقلها .

يقول : وقد قلتما : إن أدركنا الصلح واسعاً ، أي ان اتفق لنا إتمام الصلح بين القبيلتين ببذل المال واسداء معروف من الخير سلمنا من تفاني العشائر .

٢٠- فأَصبحتُما منها على خيرِ موطنٍ　　بعيدَينِ فيها من عُقوقٍ ومأْثَمِ

العقوق : العصيان ، ومنه قوله ، عليه الصلاة والسلام : « لايدخل الجنة عاق لأبويه » . المأثم : الإثم ، يقال : أَثِم الرجل يأثَم اذا أقدم على اثم ، وأثمه الله يأثمه إثاماً واثماً اذا جازاه بإثمه ، وآثمه ايثاماً صيّره ذا اثم ، وتأثّم الرجل تأثماً اذا تجنب الإثم ، مثل تحرّج وتحنّث وتحوّب اذا تجنب الحرج والحِنث والحُوب .

يقول : فأصبحتما على خير موطن من الصلح بعيدين في اتمامه من عقوق الأقارب والإثم بقطيعة الرحم ؛ وتلخيص المعنى : أنكما طلبتما الصلح بين العشائر ببذل الاعلاق وظفرتما به وبعدتما عن قطيعة الرحم . والضمير في « منها » للسلم ، وقد يذكر ويؤنث .

٢١- عظيمَينِ في عُلْيا مَعَدٍّ - هُديتُما -　　ومن يَستَبِحْ كنزاً من المجدِ يعظُمِ

العليا : تأنيث الاعلى ، وجمعها العليات والعلا مثل الكبرى في تأنيث الاكبر ، والكبريات والكُبَر في جمعها ، وكذلك قياس الباب . وقوله : هديتما ، دعاء لهما . الاستباحة : وجود الشيء مباحاً ، وجعل الشيء مباحاً ، والاستباحة الاستئصال . ويروى « يُعظم » من الإعظام بمعنى التعظيم ، ونصب « عظيمين » على الحال .

يقول : ظفرتما بالصلح في حال عظمتكما في الرتبة العليا من شرف معدّ وحسبها ، ثم دعا لهما فقال : هديتما الى طريق الصلاح والنجاح والفلاح ، ثم قال : ومن وجد كنزاً من المجد مباحاً واستأصله عظم أمره أو عظم فيما بين الكرام .

٢٢- تُعَفّى الكلومُ بالمِئينَ فأَصبحتْ　　يُنَجِّمُها مَنْ ليس فيها بمُجرِمِ

الكلوم والكِلام : جمع كَلْم وهو الجُرح ، وقد يكون مصدراً كالجَرح . التعفية : التمحية ، من قولهم : عفا الشيء يعفو اذا انمحى ودرس ، وعفّاه غيره يعفّيه - وعفاه أيضاً - عفواً . ينجمها أي يعطيها نجوماً .

---

(٢٢) ينجمها أي يدفعها على أقساط في مواقيت معينة .

يقول : تمحى وتزال الجراح بالمئين من الإبل فأصبحت الإبل يعطيها نجوماً من هو بريء الساحة بعيد عن الجرم في هذه الحروب ، يريد أنهما بمعزل عن إراقة الدماء وقد ضمنا إعطاء الديات ووفيا به وأخرجاها نجوماً ، وكذلك تعطى الديات .

٢٣- يُنَجِّمُها قومٌ لقومٍ غرامـةً ولم يُهَرِيقوا بينهم مِـلْءَ مِحجَمِ

أراق المـاء والدم يريقه وهراقه يهريقه وأهراقه يهريقه لغات ، والأصل اللغة الأولى ، والهاء في الثانية بدل من الهمزة في الأولى ، وجمع في الثالثة بين البدل والمبدل توهماً أن همزة أفعل لم تلحقه بعد . المحجم : آلة الحجّام ، والجمع المحاجم .

يقول : ينجّم الإبل قوم غرامة لقوم ، أي ينجمها هذان السيدان غرامة للقتلى ، لأن الديات تلزمهم دونهما ، ثم قال : وهؤلاء الذين ينجمون الديات لم يريقوا مقدار ما يملأ محجماً من الدماء ، والمَلء مصدر ملأت الشيء ، والمِلء مقدار الشيء الذي يملأ الإناء وغيره ، وجمعه أملاء ، يقال : أعطني مِلء القدح ومِلأيه وثلاثة أملائه .

٢٤- فأصبح يجري فيهمُ من تِلادِكُمْ مغانمُ شَتّى من إفالٍ مُزَنَّمِ

التلاد والتليد : المـال القديم الموروث . المغانم : جمع المغنم وهو الغنيمة . شتى أي متفرقة . الإفال : جمع أفيل وهو الصغير السن من الإبل . المزنم : المعلم بزنمة .

يقول : فأصبح يجري في أولياء المقتولين من نفائس أموالكم القديمة الموروثة غنائم متفرقة من إبل صغار معلمة ، وخص الصغار لأن الديات تعطى من بنات اللبون والحقاق والأجذاع ، ولم يقل « المزنمة » وإن كان صفة « الإفال » حملاً على اللفظ لأن فعالاً من الأبنية التي اشترك فيها الآحاد والجموع ، وكل بناء انخرط في هذا السلك ساغ تذكيره حملاً على اللفظ .

٢٥- ألا أَبلِغِ الأَحلافَ عنّي رسالةً وذُبيانَ : هل أقسمتُمُ كلَّ مُقسَمِ

---

(٢٤) الزنمة : شيء يقطع من اذن البعير فيترك معلقاً ، يفعل بكرامها . ابن اللبون : ولد الناقة إذا وضعت أمه غيره فصار لها لبن. الحق والحقة ، بكسر الحاء فيهما : ما استحق من الإبل أن يحمل عليه. الجذع ، بفتحتين : ولد الناقة في السنة الخامسة .

(٢٥) في خزانة الأدب ٨/٣ أن (الأحلاف : أسد وغطفان وطي) . القف : ما ارتفع من الأرض .

الأحلاف والحلفاء : الجيران ، جمع حليف على أحلاف كما جمع نجيب على أنجاب وشريف على أشراف وشهيد على أشهاد ؛ أنشد يعقوب :

قد أغتدي لِفتية أنجـــابِ وجُهمة الليل الى ذَهـــابِ

أقسم أي حلف ، وتقاسم القوم أي تحالفوا ، والقَسم : الحلف ، والجمع الأقسام ، وكذلك القسيمة ، هل أقسمتم أي قد أقسمتم ، ومنه قوله تعالى : « هل أتى على الإنسان » أي قد أتى ، وأنشد سيبويه :

ســائلْ فوارسَ يربوع بشدتنا أهلْ رأونا بسفح القُفّ ذي الأكَم

أي قد رأونا ، لأن حرف الاستفهام لا يلحق حرف الاستفهام .

يقول : أبلغ ذبيان وحلفاءها وقل لهـــم قد حلفتم على ابرام حبل الصلح كل حلف فتحرجوا من الحنث وتجنبوا .

٢٦ـ فلا تكتُمُنَّ اللهَ ما في نفوسكُمْ لِيَخفى ، ومهما يُكتَمِ اللهُ يَعْلَمِ

يقول : لا تخفوا من الله ما تضمرون من الغدر ونقض العهد ليخفى على الله ، ومهما يكتم من الله شيء يعلمه الله ، يريد أن الله عالم بالخفيات والسرائر ولا يخفى عليه شيء من ضمائر العباد ، فلا تضمروا الغدر ونقض العهد فانكم ان أضمرتموه علمه الله ؛ وقوله : يكتم الله ، أي يكتم من الله .

٢٧ـ يُؤخَرْ فيُوضَعْ في كتابٍ فيُدَّخَرْ ليوم الحسابِ أو يُعجَلْ فيُنْقَمِ

أي يؤخر عقابه ويرقم في كتابه فيدخر ليوم الحساب أو يعجل العقاب في الدنيا قبل المصير إلى الآخرة فينتقم من صاحبه ، يريد لا مخلص من عقاب الذنب آجلاً أو عاجلاً .

٢٨ـ وما الحربُ إلاّ ما علمتُمْ وذُقْتُمُ وما هو عنها بالحديثِ المُرَجَّمِ

الذوق : التجربة . الحديث المرجم : الذي يرجم فيه بالظنون أي يحكم فيه بصنوفها .

يقول : ليست الحرب إلا ما عهدتموها وجربتموها ومارستم كراهتها ، وما هذا الذي

---

(٢٦) انظر ما قاله المعري حول هذا البيت والذي يليه ، ص ١٧٣ .

(٢٧) جاء في فحولة الشعراء ٣٤ (قال الأصمعي : جامع زهير قوماً من يهود أي قاربهم فسمع بذكر المعاد فقال في قصيدته : يؤخر فيوضع ...)

أقول بحديث مرجم عن الحرب ، أي هذا ما شهدت عليه الشواهد الصادقة من التجارب وليس من أحكام الظنون .

٢٩ـ متى تَبعثُوها تَبعثُوها ذميمةً وَتَضْرَ إذا ضرَّيتُموها فتَضرَمِ

الضرى : شدة الحرص ، واستعار ناره ، وكذلك الضراوة ، والفعل ضري يضرى ، والإضراء والتضرية الحمل على الضراوة ، ضرِمت النار تضرَم ضَرَماً واضطرمت وتضرمت : التهبت ، وأضرمتها وضرّمتها : ألهبتها .

يقول : متى تبعثوا الحرب تبعثوها مذمومة أي تُذمون على اثارتها ، ويشتد حرصها اذا حملتموها على شدة الحرص فتلتهب نيرانها ، وتلخيص المعنى : أنكم اذا أوقدتم نار الحرب ذُممتم ومتى أثرتموها ثارت وهيجتموها هاجت . يحثهم على التمسك بالصلح ويعلمهم سوء عاقبة ايقاد نار الحرب .

٣٠ـ فتَعرُكُكُم عركَ الرَّحى بثِفالها وَتَلقَحْ كِشافاً ثمَّ تُنتَجْ فتُتئِمِ

ثفال الرحى : خرقة أو جلدة تبسط تحتها ليقع عليها الطحين . والباء في قوله بثفالها بمعنى مع . اللَقح والالقاح: حمل الولد، يقال : لقِحت الناقةُ، والإلقاح جعلها كذلك . الكشاف أن تلقح النعجة في السنة مرتين . أنتجتُ الناقة إنتاجاً : اذا ولدت عندي ، ونُتِجت الناقةُ تُنتَج نتاجاً . الإتآم : أن تلد الأنثى توءمين ، وامرأة متآم اذا كان ذلك دأبها ، والتوءم يجمع على التؤام ، ومنه قول الشاعر :

قالت لنــا ودمعهــا تؤام كالدر اذ أسلمه النظــام

يقول : وتعركم الحرب عرك الرحى الحبَّ مع ثفاله ، وخص تلك الحالة لأنــه لايبسط الا عند الطحن ، ثم قال : وتلقح الحرب في السنة مرتين وتلد توءمين ، جعل إفناء

(٣٠) جاء في خزانة الأدب ٣/٩ (قال صعوداء « وإن رفعته – أي الفعل : تعركم – مستأنفاً كان صواباً » . أقول : « يمنعه – أي يمنع الرفع – ما بعده من الأفعال السبعة فإنها مجزومة) . وجاء في الخزانة أيضاً ٣/١٠ (قال – أبو مضر – : الكشاف عندنا أن يحمل على الناقة عامين متواليين ، وذلك مضر بها وهو أردأ النتاج وإلى هذا ذهب زهير، أي أن الحرب تتوالى عليكم فينالكم منها هذا الضرر ... والإتآم : أن تضع اثنين ، وليس في الإبل إتآم ، إنما الإتآم في الغنم خاصة ، وإنما يريد بذلك تفظيع الحرب وتحذيرهم إياها) . ويفهم من « الخزانة » أن معنى الكشاف يختلف بين قبيلة وأخرى .

الحرب إياهم بمنزلة طحن الرحى الحب ، وجعل صنوف الشر تتولد من تلك الحروب بمنزلة الأولاد الناشئة من الأمهات ، وبالغ في وصفها باستتباع الشر شيئين : أحدهما جعله إياها لاقحة كشافاً ، والآخر إتآمها .

٣١- فَتُنْتِجْ لكُمْ غِلْمانَ أشأمَ ، كلُّهمْ كأحمرِ عادٍ ، ثمَّ تُرْضِعْ فَتَفطِمِ

الشؤم : ضد اليمن ، ورجل مشؤوم ورجال مشائيم كما يقال رجل ميمون ورجال ميامين ، والأشأم أفعل من الشؤم وهو مبالغة المشؤوم ، وكذلك الأيمن مبالغة الميمون ، وجمعه الأشائم . وأراد بأحمر عاد : أحمر ثمود وهو عاقر الناقة ، واسمه قُدار بن سالف .

يقول : فتولد لكم أبناء في أثناء تلك الحروب كل واحد منهم يضاهي في الشؤم عاقر الناقة ، ثم ترضعهم الحروب وتفطمهم ، أي تكون ولادتهم ونشوءهم في الحروب فيصبحون مشائيم على آبائهم .

٣٢- فتُغْلِلْ لكمْ ما لا تُغِلُّ لأهلِها قُرًى بالعراقِ من قَفيزٍ ودِرْهَمِ

أغلّت الأرض تغلّ إذا كانت لها غلة ، أظهر تضعيف المضاعف في محل الجزم والبناء على الوقف ، يتهكم ويهزأ بهم .

يقول : فتغل لكم الحروب حينئذ ضروباً من الغلات لا تكون تلك الغلات لقرى العراق التي تغل الدراهم بالقفزان ؛ وتلخيص المعنى أن المضار المتولدة من هذه الحروب تُربي على المنافع المتولدة من هذه القرى ، كل هذا حثٌّ منه إياهم على الاعتصام بحبل الصلح ، وزجرٌ عن الغدر بإيقاد نار الحرب .

٣٣- لعمْري لَنِعْمَ الحيُّ جَرَّ عليهِمُ بما لا يُواتيهمْ - حُصَيْنُ بن ضَمْضَمِ

(٣١) جاء في خزانة الأدب ٣/١١ (قال الأصمعي : أخطأ زهير في هذا لأن عاقر الناقة ليس من عاد وإنما هو من ثمود. وقال المبرد : لا غلط لأن ثمود يقال لها عاد الآخرة، ويقال لقوم هود عاد الأولى، والدليل على هذا قوله تعالى « وأنه أهلك عاداً الأولى » . وقال صعوداء والأعلم : لا غلط ، لكنه جعل عاداً مكان ثمود اتساعاً ومجازاً إذ قد عرف المعني مع تقارب ما بين عاد وثمود في الزمن والاخلاق) . وجاء في موشح المرزباني ٤٥ أن الاصمعي رد على المحتجين بالآية الكريمة (فقال : معناه : التي كانت قبل ثمود ، لا أن ههنا عادين) . زد على هذا أن ابن رشيق - العمدة ٢/١٩١ - دافع عن زهير بمثل دفاع المبرد عنه فقال (.. وكان يقال لثمود : عاد الصغرى) .

(٣٣) قال البغدادي في خزانته ٣/١٢ (حصين بن ضمضم هو ابن عم النابغة الذبياني). يقال باءه بأخيه بواء أي قتله بسبب قتله أخاه - ويقال : عقل القتيل إذا دفع ديته .

جر عليهم : جنى عليهم ، والجريرة الجناية ، والجمع الجرائر . يواتيهم : يوافقهم ، وهي المواتاة . قتل ورد بن حابس العبسي هرمَ بن ضمضم قبل هذا الصلح ، فلما اصطلحت القبيلتان عبس وذبيان استتر وتوارى حصين بن ضمضم لئلا يطالب بالدخول في الصلح ، وكان ينتهز الفرصة حتى ظفر برجل من عبس بَواءً بأخيه ، فشد عليه فقتله ، فركبت عبس ، فاستقر الأمر بين القبيلتين على عقل القتيل .

يقول : أقسم بحياتي لنعمت القبيلة جنى عليهم حصين بن ضمضم وان لم يوافقوه في إضمار الغدر ونقض العهد .

٣٤ـ وكانَ طوى كَشحاً على مُستكِنَّةٍ فلا هُوَ أبداها ولم يتقدَّمِ

الكشح : منقطَع الأضلاع ، والجمع كشوح ، والكاشح : المضمِر العداوة في كشحه ، وقيل : بل هو من قولهم : كشَح يكشَح كشحاً إذا أدبر وولى ، وإنما سمي العدوّ كاشحاً لإعراضه عن الود والوفاق ، ويقال : طوى كشحه على كذا أي أضمر في صدره . الاستكنان : طلب الكِنّ ، والاستكنان : الاستتار ، وهو في البيت على المعنى الثاني . فلا هو أبداها أي فلم يبدها . ويكون « لا » مع الفعل الماضي بمنزلة « لم » مع الفعل المستقبل في المعنى ، كقوله تعالى : « فلا صدّق ولا صلى » أي فلم يصدّق ولم يصلّ ، وقوله تعالى : « فلا اقتحم العقبة » أي لم يقتحمها ، وقال أمية بن أبي الصَّلْت :

ان تغفرِ اللهم فاغفر جمّا وأيُّ عبدٍ لك لا ألمّا

أي لم يلمّ بالذنب . وقال الراجز : وأي أمرٍ سيّىء لا فعَلَهْ ، أي لم يفعله

يقول : وكان حصين أضمر في صدره حقداً وطوى كشحه على نية مستترة فيه ولم يظهرها لأحد ولم يتقدم عليها قبل امكان الفرصة . يقول : لم يتقدم بما أخفى فيعجّل به ، ولكن أخّره حتى يمكنه .

٣٥ ـ وقالَ : سأَقضي حاجتي ثمَّ أتَّقي عدوِّي بألفٍ من ورائيَ مُلْجَمِ

يقول : وقال حصين في نفسه : سأقضي حاجتي من قتل قاتل أخي أو قتل كفء له ثم أجعل بيني وبين عدوي ألف فارس ملجم فرسه أو الفاً من الخيل ملجماً .

٣٦ ـ فشدَّ فلمْ يُفْزِعْ بيوتاً كثيرةً لدى حيثُ ألقتْ رَحْلَها أُمُّ قَشْعَمِ

الشَّدة : الحملة ، وقد شد عليه يشِد شداً . الإفزاع : الإخافة . أم قشعم : كنية المنيّة .

يقول : فحمل حصين على الرجل الذي رام أن يقتله بأخيه ولم يفزع بيوتاً كثيرة ، أي لم يتعرض لغيره عند ملقى رحل المنية ، وملقى الرحل : المنزل لأن المسافر يلقي به رحله ، أراد عند منزل المنية ، وجعله منزل المنية لحلولها ثَمَّ بمن قتله حصين .

٣٧ ـ لدى أَسَدٍ شاكي السِّلاحِ مُقذَّفٍ له لِبَدٌ أظفارُهُ لم تُقَلَّمِ

شاكي السلاح وشائك السلاح وشاكٌّ السلاح أي تام السلاح ، كله من الشوكة وهي العدة والقوة . مقذف أي يُقذف به كثيراً الى الوقائع ، والتقذيف مبالغة القذف . اللبد : جمع لِبدة الأسد وهي ما تلبد من شعره على منكبيه .

يقول : عند أسد تام السلاح يصلح لأن يُرمى به الى الحروب والوقائع ، يشبه أسداً له لبدتان لم تقلم براثنه ، يريد أنه لا يعتريه ضعف ولا يعيبه عدم شوكة كما أن الأسد لا يقلم براثنه . والبيت كله من صفة حصين .

٣٨ ـ جريءٍ ، متى يُظلَمْ يُعاقِبْ بظُلْمِهِ سَريعاً ، وإلاَّ يُبْدَ بالظُّلمِ يَظلِمِ

الجرأة والجراءة : الشجاعة ، والفعل جرؤ يجرؤ وقد جرّأته عليه . بدأت بالشيء أبدأ به : مهموز فقلبت الهمزة ألفاً ثم حذفت للجازم .

يقول : وهو شجاع متى ظُلم عاقب الظالم بظلمه سريعاً وان لم يظلمه أحد ظلم الناس اظهاراً لغنائه وحسن بلائه ، والبيت من صفة أسد في البيت الذي قبله وعنى به حصيناً . ثم أضرب عن قصته ورجع الى تقبيح صورة الحرب والحث على الاعتصام بالصلح فقال :

٣٩ ـ رَعَوْا ظِمأَهُم حتى إذا تمَّ أَورَدوا غِماراً تَفَرَّى بالسِّلاحِ وبالدَّمِ

(٣٦) جاء في خزانة الأدب ١٣/٣ (« ولم تفزع بيوت كثيرة» أي لم يعلم أكثر قومه بفعله . يقول: لو علموا بفعله لفزعوا أي لأغاثوا الرجل المقتول ولم يدعوا حصيناً يقتله ، وإنما أراد بقوله هذا ألا يفسدوا صلحهم بفعله) .

(٣٧) أخذه من قول أوس بن حجر :

لعمرك إنا والأحاليف هؤلا لفي حقبة أظفارها لم تقلم

(أي نحن في حرب) ـ الشعر والشعراء ١٥٨/١ .

الرعي يقتصر على مفعول واحد : رعت الماشية الكلأ ، وقد يتعدى الى مفعولين نحو : رعيت الماشيةَ الكلأَ ، والرعي : الكلأ نفسه . الظمء : ما بين الوِردين ، والجمع الأظماء . الغمار : جمع غَمر وهو الماء الكثير . التفرّي : التشقق .

يقول : رعوا إبلهم الكلأ حتى اذا تم الظمء أوردوها مياهاً كثيرة ، وهذا كله استعارة ، والمعنى أنهم كفوا عن القتال وأقلعوا عن النزال مدة معلومة كما تُرعى الإبل مدة معلومة ، ثم عاودوا الوقائع كما تورد الإبل بعد الرعي ، فالحروب بمنزلة الغمار ولكنها تنشق عنهم باستعمال السلاح وسفك الدماء .

٤٠ـ فَقَضَّوْا منايا بينهم ثمَّ أصدروا إلى كلإٍ مُسْتَوْبَلٍ مُتَوَخَّمِ

قضَيت الشيء وقضّيته : أحكمته وأتممته . أصدرت : ضد أوردت . استوبلت الشيء : وجدته وبيلا ، واستوخمته وتوخّمته : وجدته وخيماً . والوبيل والوخيم : الذي لا يستمرأ .

يقول : فأحكموا وتمموا منايا بينهم ، أي قتل كل واحد من الحيين صنفاً من الآخر ، فكأنهم تمموا منايا قتلاهم ، ثم أصدروا ابلهم الى كلإ وبيل وخيم ، أي ثم أقلعوا عن القتال والقراع واشتغلوا بالاستعداد له ثانياً كما تصدر الإبل فتُرعى الى أن تورد ثانياً ، وجعل اعتزامهم على الحرب ثانية والاستعداد لها بمنزلة كلإ وبيل وخيم ، جعل استعدادهم للحرب أولاً وخوضَهم غمراتها واقلاعَهم عنها زماناً وخوضَهم إياها ثانية بمنزلة رعي الإبل أولاً وايرادها واصدارها ورعيها ثانياً ، وشبه تلك الحال بهذه الحال . ثم أضرب عن هذا الكلام وعاد الى مدح الذين يعقلون القتلى ويدونها فقال :

٤١ـ لعَمرُكَ ماجرَّتْ عليهمْ رِماحُهُمْ دمَ ابنِ نَهيكٍ أو قتيلِ المُثلَّمِ

يقول : أقسم ببقائك وحياتك ان رماحهم لم تجن عليهم دماء هؤلاء المسمين ، أي لم يسفكوها ولم يشاركوا قاتليهم في سفك دمائهم ، والتأنيث في « شاركت » الرماح ، يبين براءة ذممهم من سفك دمهم ليكون ذلك أبلغ في مدحهم بعقلهم القتلى .

٤٢ـ ولاشاركتْ في الموتِ في دمِ نوْفلٍ ولا وَهَبٍ منهم ولا ابنِ المخزَّمِ

قد مضى شرح هذا البيت في أثناء شرح البيت الذي قبله .

٤٣ـ فكُلاً أراهُمْ أصبحوا يَعقِلونَهُ صحيحاتِ مالٍ طالعاتٍ بمَخرِمِ

عقلت القتيل : وديته ، وعقلت عن الرجل أعقل عنه أديت عنه الدية التي لزمته ، وسميت الدية عقلاً لأنها تعقل الدم عن السفك أي تحقنه وتحبسه ، وقيل بل سميت عقلاً لأن الوادي كان يأتي بالإبل الى أفنية القتيل فيعقلها هناك بعُقُلها ، فعقل على هذا القول بمعنى المعقول ، ثم سميت الدية عقلاً وان كانت دنانير ودراهم ، والأصل ما ذكرنا . طلعت الثنية وأطلعتها : علوتها . المخرم : منقطع أنف الجبل والطريق فيه ، والجمع المخارم .

يقول : فكل واحد من القتلى أرى العاقلين يعقلونه بصحيحات إبل تعلو في طرق الجبال عند سوقها الى أولياء المقتولين .

٤٤ـ لحيٍّ حِلالٍ يَعصِمُ الناسَ أمرُهُمْ إذا طَرَقتْ إحدى اللّيالي بمُعظَمِ

حلال : جمع حالّ مثل صاحب وصحاب وصائم وصيام وقائم وقيام . يعصم أي يمنع . الطروق : الإتيان ليلاً ، والباء في قوله « بمعظم » يجوز كونه بمعنى « مع » وكونه للتعدية . أعظَمَ الأمرُ أي سار الى حال العِظَم ، كقولهم : أجزَّ البُرُّ وأجَدَّ التمرُ وأقطَفَ العنبُ ، أي يعقلون القتلى لأجل حيّ نازلين يعصم أمرهم جيرانهم وحلفاءهم اذا أتت احدى الليالي بأمر فظيع وخطب عظيم ، أي اذا نابتهم نائبة عصموهم ومنعوهم .

٤٥ـ كِرامٍ فلا ذو الضِّغْنِ يُدرِكُ تَبْلَهُ ولا الجارِمُ الجاني عليهم بمُسلَمِ

الضغن والضغينة واحد : وهو ما استكنّ في القلب من العداوة ، والجمع الأضغان والضغائن . التبل : الحقد ، والجمع التبول . الجارم والجاني واحد ، والجارم : ذو الجرم ، كاللابن والتامر بمعنى ذي اللبن وذي التمر ، الإسلام : الخذلان .

يقول : لحي كرام لا يدرك ذو الوِتْر وِتْرَه عندهم ولا يقدر على الانتقام منهم مَن ظلموه ومن جنى عليهم من أفنائهم وحلفائهم وجيرانهم ينصروه ويمنعوه ممن رامه بسوء .

(٤٥) الوتر : الحقد والثأر . والأفناء : أخلاط الناس . هذا ، وإن شرح الزوزني لهذا البيت مضطرب في سائر الطبعات ، الأمر الذي دعاني إلى أن أحذف لفظة ، وأزيد لفظة تصحيحاً للشرح وإيضاحاً له .

٤٦- سَئِمْتُ تكاليفَ الحياةِ ومَنْ يعشْ ثمانينَ حولاً — لا أباكَ — يسأمِ

سئمت الشيء سآمة : مللته . التكاليف : المشاق والشدائد . لا أبالك : كلمة جافية لا يراد بها الجفاء وإنما يراد بها التنبيه والإعلام .

يقول : مللت مشاق الحياة وشدائدها ، ومن عاش ثمانين سنة ملَّ الكِبرَ لا محالة .

٤٧- وأعلَمُ ما في اليومِ والأمسِ قبلَهُ ولكنَّني عن عِلمِ ما في غدٍ عَمِ

يقول : وقد يحيط علمي بما مضى وما حضر ولكني عمي القلب عن الإحاطة بما هو منتظر ومتوقع .

٤٨- رأيتُ المنايا خبطَ عشواءَ مَن تُصِبْ تُمِتْهُ ومَن تخطئْ يُعمَّرْ فيَهرَمِ

الخبط : الضرب باليد ، والفعل خَبَطَ يخبِط . العشواء : تأنيث الأعشى ، وجمعها عُشْوٌ ، والياء في عَشِيَ منقلبة عن الواو كما كانت في رَضِيَ منقلبة عنها ، والعشواء : الناقة التي لا تبصر ليلاً ، ويقال في المثل : هو خابط خبط عشواء ، أي قد ركب رأسه في الضلالة كالناقة التي لا تبصر ليلاً فتخبط بيديها على عمىً فربما تردّت في مَهواة وربما وطئت سبعاً أو حية أو غير ذلك . قوله : ومن تخطىء ، أي ومن تخطئه ، فحذف المفعول ، وحذفه سائغ كثير في الكلام والشعر والتنزيل . التعمير : تطويل العمر .

يقول رأيت المنايا تصيب الناس على غير نسق وترتيب وبصيرة كما أن هذه الناقة تطأ على غير بصيرة ، ثم قال : من أصابته المنايا أهلكته ومن أخطأته أبقته فبلغ الهرم .

٤٩- ومَنْ لم يُصانِعْ في أُمورٍ كثيرةٍ يُضَرَّسْ بأنيابٍ ويُوطَأْ بمَنسِمِ

(٤٦) جاء في « عيار الشعر » ص ٤٨ — ٤٩ (فمن الأشعار الحكمة المتقنة المستوفاة المعاني ، الحسنة الرصف ، السلسة الألفاظ ، التي قد خرجت خروج النثر سهولة وانتظاماً ، فلا استكراه في قوافيها ولا تكلف في معانيها ولا داعي لأصحابها فيها قول زهير : سئمت تكاليف ...) ثم سرد الأبيات العشرة من ٤٦ إلى ٥٧ باستثناء البيتين ٥٣ و ٥٤ . وجاء في الكامل ١٣٦/٢ حول قولهم « لا أبالك » (وهذه كلمة فيها جفاء ، والعرب تستعملها عند الحث على أخذ الحق والاغراء ... يا بؤس للحرب : أراد : يا بؤس الحرب ، فأقحم اللام توكيداً لأنها توجب الإضافة . وعلى هذا جاء : لا أبا لك ولا أبا لزيد ، ولولا الإضافة لم تثبت الألف في الأب ، لأنك تقول : رأيت أبك ، فإذا أفردت قلت : هذا أب صالح ...)

(٤٧) قال ابن طباطبا في عيار الشعر ص ١٠٦ (فقوله « عم » واقعة موقعاً حسناً) وقال العباسي في معاهد التنصيص ١٠٩/١ (والشاهد فيه : الحشو غير المفسد للمعنى وهو لفظة « قبله ») .

(٤٩/٥١) انظر ما قاله الثعالبي عن هذين البيتين في ص ١٧٥ من هذا الكتاب .

يقول : ومن لم يصانع الناس ولم يدارهم في كثير من الأمور قهروه وغلبوه وأذلّوه وربما قتلوه كالذي يُضرّس بالناب ويوطأ بالمنسم . الضّرْس : العض على الشيء بالضِرس ، والتضريس مبالغة . المنسم للبعير : بمنزلة السنبك للفرس ، والجمع المناسم .

٥٠ـ وَمَنْ يَجْعَلِ المعروفَ من دونِ عِرْضِهِ يَفِرْهُ ، وَمَنْ لا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ

يقول : ومن جعل معروفه ذابّاً ذم الرجال عن عرضه وجعل احسانه واقياً عرضَه وَفَرَ مكارمَه ، ومن لا يتق شتم الناس اياه شُتم ، يريد أن من بذل معروفه صان عرضه ، ومن بخل بمعروفه عرّض عرضه للذم والشتم . وفَرت الشيء أفِره وفراً : أكثرته ، ووفَرته فوفَر وفوراً .

٥١ـ وَمَنْ يَكُ ذا فضلٍ فيَبخلْ بفضلِهِ على قومِهِ يُسْتَغْنَ عنه ويُذمَمِ

يقول : من كان ذا فضل ومال فبخل به استُغني عنه وذُم . فأظهر التضعيف على لغة أهل الحجاز ، لأن لغتهم اظهار التضعيف في محل الجزم والبناء على الوقف .

٥٢ـ وَمن يُوفِ لا يُذمَمْ ، وَمن يُهْدَ قلبُهُ إلى مُطمئنِّ البِرِّ لا يَتجمجمِ

وفيت بالعهد أفي به وفاء وأوفيت به إيفاء ، لغتان جيدتان والثانية أجودهما لانها لغة القرآن ، قال الله تعالى : « وأوفوا بعهدي أوفِ بعهدكم » . ويقال : هديته الطريق وهديته الى الطريق وهديته للطريق .

يقول : ومن أوفى بعهده لم يلحقه ذم ، ومن هُدي قلبه الى بر يطمئن القلب الى حسنه ويسكن الى وقوعه موقعه لم يتتعتع في اسدائه وايلائه .

٥٣ ـ وَمَنْ هابَ أسبابَ المنايا يَنلْنَهُ وإنْ يَرْقَ أسبابَ السَّماءِ بسُلَّمِ

رقي في السلم يرقى رقياً : صعد فيه ، ورقى المريض يرقيه رُقْية . ويروى : ولو رام أسباب السماء .

يقول : ومن خاف وهاب أسباب المنايا نالته ولم يُجدِ عليه خوفه وهيبته إياها نفعاً ولو رام الصعود الى السماء فراراً منها .

٥٤ـ ومَن يجعلِ المعروفَ في غيرِ أهلِهِ يكُنْ حمدُهُ ذماً عليه ويندمِ

يقول : من وضع أياديه في غير مَن استحقها ، أي من أحسن الى من لم يكن أهلاً

للإحسان اليه والامتنان عليه وضع الذي أحسن اليه الذمَ موضع الحمد ، أي ذمه ولم يحمده ، وندم المحسن الواضع احسانه في غير موضعه .

٥٥ـ وَمَن يَعصِ أطرافَ الزِّجاجِ فإنَّه يُطيعُ العوالي رُكِّبَتْ كُلَّ لَهْذَمِ

الزجاج ، جمع زُجّ الرمح وهو الحديد المركب في أسفله ، واذا قيل : زُجّا الرمح ، عُني به ذلك الحديد والسنان . اللهذم : السنان الطويل . عالية الرمح ضد سافلته ، والجمع العوالي ، إذا التقت فئتان من العرب سددت كل واحدة منها زِجاج الرماح نحو صاحبتها وسعى الساعون في الصلح ، فإن أبتا الا التمادي في القتال قلبت كل واحدة منها الرماح واقتتلتا بالأسنّة .

يقول : ومن عصى أطراف الزجاج أطاع عوالي الرماح التي ركبت فيها الأسنة الطوال ؛ وتحرير المعنى : من أبى الصلح ذللته الحرب ولينته ؛ وقوله : يطيع العوالي ، كان حقه أن يقول : يطيع العواليَ ، بفتح الياء ، ولكنه سكّن الياء لإقامة الوزن وحَمَلَ النصب على الرفع والجر لأن هذه الياء مسكنة فيها ، ومثله قول الراجز :

كأنّ « أيديهنّ » بالقاع القَرِقْ أيدي جوارٍ يتعاطين الوَرِقْ

٥٦ـ وَمن لم يذُدْ عن حوضِهِ بسلاحِهِ يُهدَّمْ وَمن لا يظلِمِ الناسَ يُظلَمِ

الذود : الكف والردع . يقول : ومن لا يكف أعداءه عن حوضه بسلاحه هُدم حوضه ، ومن كف عن ظلم الناس ظلمه الناس ، يعني من لم يحم حريمه استبيح حريمه ، واستعار الحوض للحريم .

٥٧ـ وَمن يَغترِبْ يحسِبْ عدُوّاً صديقَهُ وَمن لا يُكرِّمْ نفسَهُ لا يكرَّمِ

يقول : من سافر واغترب حسب الأعداءَ أصدقاءَ لأنه لم يجرّبهم فتوقفه التجارب على ضمائر صدورهم ، ومن لم يكرم نفسه بتجنب الدنايا لم يكرمه الناس .

---

(٥٥) قال الخفاجي في سر الفصاحة ٢٢١ (عدل عن قوله : ومن لم يطع باللين أطاع بالعنف ، إلى أن قال : ومن لم يطع زجاج الرماح أطاع الأسنة . وكان في هذا التمثيل بيان المعنى وكشفه) .

في شرح الزوزني : القاع القرق : الأرض المستوية ، والورق : الدراهم ، والبيت في وصف إبل بالسرعة .

٥٨ـ ومهما تكنْ عندَ امرىءٍ من خليقةٍ ـ وإن خالها تخفى على الناسِ ـ تُعلَمِ

يقول : ومهما كان للإنسان من خُلق فظن أنه يخفى على الناس عُلم ولم يَخفَ . والخُلق والخليقة واحد ، والجمع الأخلاق والخلائق . وتحرير المعنى : أن الأخلاق لاتخفى والتخلّق لا يبقى .

٥٩ـ وكائنْ ترى من صامتٍ لكَ مُعجِبٍ زيادتُهُ أو نقصُهُ في التَّكلُّمِ

في «كائن» ثلاث لغات : كأيِّن وكائن وكأي ، مثل كعيِّن وكاعن وكَيْعٍ . الصمت والصُمات والصموت واحد ، والفعل صَمَتَ يصمُتُ .

يقول : وكم صامت يعجبك صمته فتستحسنه وانما تظهر زيادته على غيره ونقصانه عن غيره عند تكلمه .

٦٠ـ لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادُهُ فلم يبقَ إلاّ صورةُ اللّحمِ والدّمِ

هذا كقول العرب : المرء بأصغريه : لسانِه وجَنانِه .

٦١ـ وإنّ سَفاهَ الشّيخِ لا حِلمَ بعدَهُ وإنّ الفتى بعدَ السَّفاهةِ يحلُمِ

يقول : اذا كان الشيخ سفيهاً لم يرجع حلمه لأنه لاحال بعد الشيب الا الموت ، والفتى وان كان نزقاً سفيهاً أكسبه شيبه حلماً ووقاراً ؛ ومثله قول صالح بن عبد القدوس :

والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه

٦٢ـ سألنا فأعطيتم وعُدنا فعُدتُمُ ومن أكثرَ التّسآلَ يوماً سيُحْرَمِ

يقول : سألناكم رفدكم ومعروفكم فجُدتم بهما فعدنا الى السؤال وعدتم الى النوال ، ومن أكثر السؤال حُرم يوماً لا محالة . والتَّسآل : السؤال ، وتَفعال من ابنية المصادر .

---

(٥٨) جاء في معاهد التنصيص ١١٠/١ – وقريب منه ما في الأغاني ٣١٤/١٠ – أن عثمان بن عفان أنشد هذا البيت فقال : (أحسن زهير وصدق ، ولو أن الرجل دخل بيتاً في جوف بيت لتحدث به الناس) . وقد أورد كل من صاحب قانون البلاغة ٤٤٠ وصاحب نقد الشعر ١٤٩ هذا البيت لزهير ليكون مثالاً على مساواة اللفظ للمعنى بحيث (لايزيد عليه ولا ينقص عنه) .

(٦٠) قال أحمد أمين (وزهير لما كان عاقلاً فصيحاً رزيناً جعل أهم صفات الفتى : الفصاحة في اللسان، والحكمة في الجنان ، فقال: لسان الفتى ....). عن الصعلكة والفتوة في الاسلام ص ١٤ .

لبيد بن ربيعة

★ هو لبيد – بفتح اللام – بن ربيعة بن مالك ... من قيس بن عيلان بن مضر، (واشتقاق لبيد من قولهم : لَبِدَ بالمكان أي أقام به)[1] . وقد كان يكنى بأبي عقيل – بفتح العين – ، ويفهم من قوله :

لعبتُ على أكتافهم وحجورهم وليداً ، وسموني مفيداً وعاصما [2]

أنهم كانوا يسمونه أيضاً – أو يلقبونه – بمفيد وعاصم . ولم يكن لصاحبنا ولد ذكر ، بل كانت له بنتان فقط ذكرتهما بعض كتب الأدب . وأبرز من تربطه به صلة القربى هم : أخوه لأمه[3] « عمرو بن قيس المعروف بأربد[4] » ، وأعمامه الثلاثة « ملاعب الأسنة ومعوّد الحكماء والطفيل » ، ثم ابن عمه عامر بن الطفيل صاحب القصة المشهورة مع أربد . وموجز هذه القصة : أن عامراً وأربد وفدا على رسول الله ﷺ مع قومهما وعزما على قتله ، فقال الأول للثاني : (إذا أقبلنا على الرجل فإني شاغل عنك وجهه ، فإذا فعلتُ ذلك فاعلُه أنت بالسيف ، فلما قدموا على رسول الله ﷺ ... جعل يكلمه وينتظر من أربد ما كان أمَرَه ، فجعل أربد لا يحير شيئاً ... فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ قال عامر لأربد : ويلك .. أين ما كنتُ أوصيتك به ؟ .. قال .. والله ما هممت بالذي أمرتني به من مرة إلا دخلتَ بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك ، أفأضربك بالسيف ؟ ... وخرجوا راجعين الى بلادهم ، حتى اذا كانوا ببعض الطريق بعث الله على عامر الطاعون في عنقه فقتله الله)[5] ، أما أربد فقد (أرسل الله عليه وعلى جمله صاعقة فأحرقتهما)[5] . وقد أنزل الله فيه قوله الكريم : « ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء » .

ولولا أن مصرع أربد قد أثّر في نفس لبيد فقال فيه مراثي رائعات لما وقفت عند

★ هذه التوطئة بقلم المعلق وليست للزوزني (١) الاشتقاق ٣٦ (٢) اصلاح المنطق ص ١٨٨
(٣) ذكر بروكلمان في ص ١١٧/١ أن أربد أخو لبيد لأمه ثم ذكر في ص ١٤٥/١ أنه عم لبيد والأول هو الصواب (٤) المؤتلف ٢٥ (٥) الأغاني ١٥/١٧ – ١٦ والقصة أيضاً في الكامل ٢٦٩/٢ – ٢٧٠ والشعر والشعراء ٢٣٥/١ والخزانة ٢١٧/٢ والسيرة ٢١٥/٤ وفي كتب التفسير عند الآية ١٤ من سورة الرعد ٦ .

هذه القصة طويلاً ولا قصيراً . أما وقد فعلتُ ، فلا عليّ إذن أن أورد أبياتاً من رثائه هذا ؛ قال :

وما المال والأهلون إلا ودائع	ولابد يوماً أن تردّ الودائع
فلا تبعدنْ ، إن المنية موعد	علينا ، فدانٍ للطلوع وطالع
أليس ورائي إن تراخت منيتي	لزومُ العصا تحنى عليها الأصابع
أخبّر أخبار القرون التي مضت	أدبّ كأني كلما قمتُ راكع
لعمرك ماتدري الضوارب بالحصى	ولازاجرات الطير ماالله صانع[1]

ويُذكر[2] أن أبا بكر الصديق (ض) سمع بعض رثاء لبيد أخاه فقال (ذلك رسول الله لأربد بن قيس) . هذا ، وقد نفى بروكلمان[3] أن تكون قصة عامر وأربد - السابقة - صحيحة .

كان لبيد - الى كونه شاعراً - فارساً مجلّياً وجواداً سمحاً . أما فروسيته فلا أدل عليها من أنه كان قائد حملة الغساسنة في حربهم مع المناذرة « يوم حليمة »[4] . وأما جوده فقد ذكر أبو الفرج[5] قال : (كان لبيد من جُوَداء العرب ، وكان قد آلى في الجاهلية ألاّ تهب صباً إلا أطعم .... فهبت الصبا يوماً ووليد بن عقبة على الكوفة ، فصعِد الوليد المنبر فخطب الناس ثم قال : ان أخاكم لبيد بن ربيعة قد نذر في الجاهلية ألا تهب صباً الا أطعم ، وهذا يوم من أيامه وقد هبت صبا ، فأعينوه وأنا أول من يفعل ، ثم نزل عن المنبر فأرسل إليه بمئة بَكْرَة و كتب اليه بأبيات قالها ... فلما بلغت أبياته لبيداً قال لابنته : أجيبيه فلعمري لقد عشت برهة وما أعيا بجواب شاعر) .

هاتان الخلّتان - الجود والفروسية - ماأشك أبداً أن لبيداً ورثها عن أبيه ربيعة ؛ وذلك لأن كتب الأدب عندما ذكرت أباه ، نصت على اشتهاره بـ (ربيعة المُقترِين لسخائه)[6] كما نصت على أنه كان من فرسان « يوم ذي علَق » وقُتِل فيه[7] .

---

(١) الاغاني ٣٠١/١٥ و٢١/١٧ - ٢٢ - الشعر والشعراء ٢٣٦/١ - الضوارب بالحصى : النساء المنجمات ، وزاجرات الطير : النساء اللواتي يزجرن الطير ليرين ، أتذهب الطير يمنة دلالة على اليمن أم يسرة دلالة على الشؤم (٢) الأغاني ٢١/١٧ (٣) ١١٧/١ (٤) ابن قتيبة ٢٣١/١ - الخزانة ٢١٤/٢ وانظر ص٣٠ من هذا الكتاب (٥) الأغاني ٢٩٨/١٥ وانظر لباب الآداب ٩٣ والكامل ٥٣/٢ والخزانة ٢١٥/٢ والاصابة ٣٠٩/٣ والاستيعاب ٣٠٧/٣ (٦) الشعر والشعراء ٢٣١/١ والاغاني ٢٩١/١٥ (٧) المصدر السابق والعمدة ١٦٩/٢

أما إسلامه فقد رُوي[١] أنه وفد على الرسول في ثلاثة عشر رجلاً من بني كلاب فأسلم ، وكان من المؤلفة قلوبهم[٢] وممن وزعت عليهم غنائم حنين[٣] ، ثم (حسُن إسلامه وجمع القرآن وترك قول الشعر)[٤] .

بدأ لبيد حياته الأدبية غلاماً يافعاً ، ينشد بين يدي النعمان بن المنذر[٥] فيثيره على نديم له خصم لقوم لبيد ، ويسمع نابغة ذبيان شعره فيثني عليه الثناء كله[٦] ، ثم يكبُر لبيد ويعظُم مجده فيغدو من الخطباء البلغاء والحكام الرؤساء – كما قال فيه الجاحظ[٧] – ويكون لإلمامه بالقراءة[٨] والكتابة أثره في سيادته لقومه ، وليس أدل على هذه المكانة التي بلغها لبيد من حديث المفضل الضبي إذ قال[٩] : (قدم الفرزدق فمر بمسجد .... وعليه رجل ينشد قول لبيد :

وجلا السيول عن الطلول كأنها زبر تجد متونها أقلامها

فسجد الفرزدق . فقيل له : ما هذا يا أبا فراس ؟ فقال : أنتم تعرفون سجدة القرآن وأنا أعرف سجدة الشعر) . وكان ابن سلام[١٠] يقول : (كان لبيد ... فارساً شاعراً شجاعاً وكان عذب المنطق رقيق حواشي الكلام) . أما الأصمعي فقد سأله السجستاني قال (قلت : فلبيد ..؟ قال : ليس بفحل . وقال لي مرة أخرى : كان رجلاً صالحاً . كأنه ينفي عنه جودة الشعر . وقال لي مرة : شعر لبيد كأنه طيلسان طبري ، يعني أنه جيد الصنعة وليست له حلاوة)[١١] . ولن أعلق على هذا الرأي أو الحكم ولكنني أكتفي بأن أحيل القارىء إلى ترجمة زهير وما ورد فيها عن الأصمعي . وأما أبو عمرو بن العلاء فقد قال[١٢] (ما أحد أحب إليّ شعراً من لبيد ... لذكره الله عز وجل ولإسلامه ولذكره الدين والخير) . ويروى عن عائشة «ض» أنها كانت تحفظ كل شعر لبيد . هذا ، (وقد ثبت أن النبي ﷺ قال : أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد) : « ألا كل شيء ما خلا

---

(١) الاصابة ٣٠٨/٣ (٢) الاستيعاب ٣٠٨/٣ والخزانة ٢١٤/٢ (٣) السيرة ١٣٨/٤
(٤) جمهرة أشعار العرب ٦٧ (٥) القصة في أمالي المرتضى ١٣٤/١ – ١٣٨ والاغاني ٢٩٢/١٥ – ٢٩٤ وانظر شرح البيت ٧٠ من المعلقة . (٦) الاغاني ٣٠٤/١٥ (٧) البيان والتبيين ٣٦٥/١
(٨) الاغاني ٢٩١/١٥ و ٢٩٨و١٧/١٧ (٩) الاغاني ٢٩٩/١٥ ومحاضرات الراغب ٣٧/١ و ٢٦٩/٢ والاصابة ٣٠٩/٣ والبيت هو الثامن من معلقته (١٠) الطبقات ١١٣ (١١) فحولة الشعراء ٢٨ والموشح ٧١ . (١٢) الموشح ٧١

الله باطل »[١] . ومن خبر هذا الشعر أن عثمان بن مظعون الصحابي سمع لبيداً – قبل إسلامه – ينشد (ألا كل شيء ماخلا الله باطل ، فقال عثمان : صدقت . قال لبيد : وكل نعيم لامحالة زائل . قال عثمان : كذبت ، نعيم الجنة لايزول . قال لبيد .... يامعشر قريش ، والله ما كان يؤذي جليسكم ، فمتى حدث هذا فيكم ؟)[٢] فقام أحد المشركين من قريش وضرب عثمان على عينه .

بعد هذا الذي مضى ، لابد لنا من وقفة قصيرة ، ندمدم خلالها حديثاً ذا شجون[٣] يتناول ما نسب من الشعر الى لبيد بعد إسلامه . ولهذه المسألة وجهان : اما أن نقبل انقطاعه عن الشعر بعد إسلامه ، اللهم الا بيتاً واحداً كما زعموا . وإما أن نعتقد عكس ذلك فنقبل بعض ما نحلوه ونقر أنه له . وفي كلا الوجهين لابد لنا من قبول اشياء وترك أخرى ، وهذا هو الحرج .

أما الوجه الأول فالذي يؤكده – برواية أكثر من واحد[٤] – أن عمر بن الخطاب كتب (الى المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة أن استنشد من قِبَلك من شعراء ... ما قالوا في الاسلام . فأرسل .... الى لبيد فقال : أنشدني . فقال : ان شئت ما عفي عنه ، يعني الجاهلية . فقال : لا ، أنشدني ما قلت في الاسلام ، فانطلق فكتب سورة البقرة في صحيفة ثم أتى بها وقال : أبدلني الله هذه في الاسلام مكان الشعر) . ويؤكده كذلك أنه لم يرد بنفسه على الوليد حين هبت الصبا بل كلف ابنته بالرد عليه شعراً . والبيت الوحيد الذي قاله في الاسلام كما يزعمون هو :

الحمد لله اذ لم يأتني أجلي حتى اكتسيت من الاسلام سربالا

ولكن بعضهم[٥] يرده بأن البيت لشاعر آخر لا للبيد .

وأما الوجه الثاني – وهو أن لبيداً لم يترك الشعر بعد اسلامه – فالحجة فيه أن بعض كتب الأدب نَسبت للبيد أبياتاً كثيرة مختلفة[٦] ، منها : ما يوصي به ابنتيه بعد موته وقد

---

(١) الاصابة ٣/٣٠٧ – ٣٠٨ – اللؤلؤ والمرجان رقم الحديث ١٤٥٤ (٢) السيرة ٢/٩ – الموشح ٧٢ – الاغاني ١٥/٣٠٢ (٣) أي ذا تشعب لأن الشجن – بسكون الجيم – هو الشعبة (٤) الاغاني ١٥/٢٩٧–٢٩٨– ابن سلام ١١٣ – محاضرات الراغب ١/٣٦ – الخزانة ٢/٢١٥– الاصابة ٣/٣٠٧ . (٥) الاستيعاب والاصابة ٣/٣٠٧ (٦) الاغاني ١٥/٣٠٣ – ٣٠٦

حضرته الوفاة ، ومنها : ما قاله محتضراً يوصي به ابن أخيه كيف يدفنه ، ومنها : مايشكو فيه طول الأجل ، وأنه بلغ من العمر مئة وعشراً .

هذه هي المسألة بوجهيها ولك الآن أن تسمع رأي بعضهم في هذا الموضوع ، شرقياً كان أومستشرقاً ، وقد اخترت لك بروكلمان وطه حسين . قال الأول[1] : (وقد قيل : ان لبيداً لم يقل شعراً في الاسلام ، وليس هذا بصحيح ، فإن كثيراً من شعره مطبوع بطابع الوحي ويبعد أن تكون كل هذه الأبيات منحولة وان ظهر فيها شيء من التزيّد عليه) . وقال الدكتور طه[2] : (ان عمر أراد أن يمتحن الشعراء ويسأل عما أحدثوا من الشعر في الاسلام وكتب في ذلك الى المغيرة بن شعبة) ولكن لبيداً (حين امتحنه المغيرة . . ، ان صحت القصة ، عرف سر هذا الامتحان فعرف كيف يجيب) .

أما رأينا نحن فهو أن القصة صحيحة لسببين : الأول: هو أن لبيداً ما كان ليكذب على المغيرة والي الكوفة ، ويكذب – بالتالي – على الخليفة عمر . والثاني : أن الشعر اذا قيل سار ، واذا سار بطلت الحاجة إلى سؤال لبيد عما أحدث في الاسلام من شعر . وهل يخفى الشعر بعد سيرورته ؟ وشعر لبيد خاصة؟ ولماذا يكلف ابنته أن ترد على الوليد ولم يردّ بنفسه ان كان يقول الشعر ؟

والمغزى في هذا أن الشعر المنسوب اليه بعد اسلامه : بعضه منحول بعيد عن أسلوبه ، وبعضه الآخر قاله في جاهليته فنسبوه الى اسلامه لما فيه من معاني الخير والحق والصلاح .

ومما يمت بصلة الى ما نحن فيه : أن بعض الأدباء[3] عدّ لبيداً من المخضرمين وردّ آخرون[3] ذلك لتركه الشعر في اسلامه . وقد عرّف الأخفش الأوسط[4] معنى المخضرم فقال : (يقال : ماء خَضرم ، اذا تناهى في الكثرة والسعة ، فمنه سمي الرجل الذي شهد الجاهلية والاسلام مخضرماً ، كأنه استوفى الأمرين .... ويقال : أذن مخضرمة ، اذا كانت مقطوعة ، فكأنه انقطع عن الجاهلية الى الاسلام).

وقبل أن نختم بكلمة عن معلقة هذا العامري وديوانه تحسن الاشارة إلى أن أحداً من الجاهليين (لم يذكر عدنانَ ... قط غير لبيد ... في بيت واحد .. قال :

فإن لم تجد من دون عدنان والداً ودون معدّ فلتزعك العوازل)[5]

---

(١) ١٤٥/١ (٢) حديث الاربعاء ٤٦/١ (٣) انظر الاغاني ٥ ٢٩١/١ – تاريخ أدب اللغة لدراز ١٠٢ – تاريخ الأدب للزيات ٦٥ – معجم سركيس ١٥٨٧ (٤) العمدة ٧٢/١ – المزهر ٤٨٩/٢ (٥) ابن سلام ١٠

وهذا مما انفرد به صاحبنا لبيد وسبق إليه ؛ ومن اسبقياته أيضاً أنه (أول من شبه الأباريق بالبط)[١] وأول من وصف الماء المظلل بالأشجار[٢] .

أخيراً : حظي ديوان لبيد باهتمام الادباء فطبع في الشرق والغرب [٣] ، وترجم إلى الالمانية [٣] كما ترجمت المعلقة إلى عدة لغات [٤] .

ولن يفوتنا هنا أن ننصح بقراءة الحديث[٥] المستفيض الذي رد فيه طه حسين على من يدّعون افتقار القصيدة الجاهلية الى (الوحدة المعنوية) واتخذ من معلقة لبيد مثالاً وبسط القول فيها على نحو يتعذر علينا معه أخذ غيض وترك فيض . أما المستشرق نالينو فقد قال[٦] (وممن اتبع ... طريقة زهير ونظم في شعره درر المواعظ والحكم والتأمل ، لبيد .... ومن طالعها – أي المعلقة – وجد فيها الفخر .... بالمكرمات ومكارم الاخلاق . ومن المشهور ما في ديوانه من العبارات الدينية بل الشبيهة بالعقائد الاسلامية ... ولكن ليس كل ما ينسب إليه في ديوانه من هذا الباب صحيحاً ، بل لا اختلاف في بعض الاشعار أنها مصنوعة) . ثم يتفق نالينو [٧] – بعد هذا – مع الجاحظ [٨] أن شاعرنا قد أكثر من الرجز . أما السبب في نظمه المعلقة فلم تذكر الكتب عنه شيئاً .

هذا ، وقد مر فيما قدمناه بين يدي هذا الكتاب كثير مما يتصل بحياة الشاعر أو بفنه ، فليُرجَع إليه [٩] .

* * *

(١) الشعر والشعراء ٢٤٢/١ (٢) انظر تعليقنا على البيتين ٣٤ و ٣٥ من المعلقة (٣) تاريخ الأدب لفاخوري ١٨٩ واعلام الزركلي (٤) انظر ص ٦٠ من هذا الكتاب (٥) حديث الأربعاء ٢٨/١ – ٣٩ (٦) تاريخ الآداب العربية ٦٢ (٧) المصدر السابق ١٦٥ (٨) البيان والتبيين ٨٤/٤ (٩) راجع الصفحات ١٠ ← ١٢ و ١٤ و ١٦ و ٢٢ و ٢٩ ← ٣١ و ٣٣ و ٤٠ و ٤٧ و ٥١ و ٥٤ و ٥٥ و ٥٧

معلّقة لبيد بن ربيعة

وقال لبيد بن ربيعة العامري :

١ ـ عَفَتِ الدّيارُ مَحلُّها فمُقامُها بمِنىً تأبّدَ غَوْلُها فرِجامُها

عفا لازم ومتعد ، يقال: عفت الريحُ المنزلَ وعفا المنزلُ نفسه عفواً وعُفُوّاً وعفاء، وهو في البيت لازم . المحل من الديار : ما حُل فيه لأيام معدودة ، والمقام منها : ما طالت الإقامة به . منى : موضع بحمى « ضريّة » غير منى الحرم ، ومنى ينصرف ولا ينصرف ويذكر ويؤنث . تأبد : توحش ، وكذلك أبِد يأبَد ويأبُد أبوداً . الغول والرجام : جبلان معروفان ؛ ومنه قول أوس بن حجر :

زعمتمُ أن غولاً والرجام لكم ومَنْعِجاً فاذكروا فالامر مشترك

يقول : عفت ديار الاحباب وانمحت منازلهم ما كان منها للحلول دون الإقامة وما كان منها للاقامة ، وهذه الديار كانت بالموضع المسمى بمنى ، وقد توحشت الديار الغولية والديار الرجامية منها لارتحال قطانها واحتمال سكانها ، والكناية في غولها ورجامها راجعة إلى الديار . قوله : تأبد غولها ، أي ديار غولها وديار رجامها ، فحذف المضاف.

٢ ـ فمَدافعُ الرّيّانِ عُرّيَ رسمُها خَلَقاً كما ضَمِنَ الوُحيَّ سِلامُها

المدافع : أماكن يندفع عنها الماء من الربا والاخياف ، الواحد مَدفَع . الريان : جبل معروف ؛ ومنه قول جرير :

يا حبذا جبلُ الريان من جبل وحبذا ساكن الريانَ من كانا

التعرية : مصدر عرّيته فعَرِي وتعرّى . الوَحي : الكتابة ، والفعل وحى يحي ، والوَحي الكتاب ، والجمع الوُحيّ . السلام : الحجارة ، الواحدة سَلِمة ، بكسر اللام ، فمدافع : معطوف على قوله : غولها .

يقول : توحشت الديار الغولية والرجامية ، وتوحشت مدافع جبل الريان لارتحال الاحباب منها واحتمال الجيران عنها ، ثم قال : وقد توحشت وغُيّرت رسوم هذه الديار

---

(٢) أخياف الجبل : ما ارتفع منه عن مسيل الماء . الخلق : بالتحريك ، البالي وهو في الأصل مصدر ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث .

فعُريت خلقاً ، وانما عرّاها السيول، ولم تنمح بطول الزمان فكأنه كتاب ضُمِّنَ حجراً شبه بقاء الآثار لقدم الايام ببقاء الكتاب في الحجر ؛ ونصب « خلقاً » على الحال ، والعامل فيه « عري » ، والمضمر الذي أضيف اليه « سلام » عائد الى الوحي .

٣ ـ دِمَنٌ تَجرَّمَ بعدَ عهدِ أنيسِها حِججٌ خَلَونَ حَلالُها وحَرامُها

التجرم : التكمل والانقطاع ، يقال : تجرّمت السنة وسنة مجرّمة أي مكملة . العهد : اللقاء ، والفعل عهِد يعهَد . الحجج : جمع حِجة وهي السنة . وأراد بالحرام الاشهر الحرم ، وبالحلال أشهر الحل . الخلوّ : المُضيّ ، ومنه الامم الخالية ، ومنه قوله عز وجل : « وقد خلتِ القرونُ من قبلي » .

يقول : هي آثار ديار قد تمت وكملت وانقطعت ، بعد عهد سكانها بها ، سنون مضت أشهر الحرم وأشهر الحل منها ، وتحرير المعنى : قد مضت بعد ارتحالهم عنها سنون بكمالها خلون : المضمر فيه راجع الى الحجج، وحلالها: بدل من الحجج ، وحرامها : معطوف عليها ، والسنة لا تعدو أشهر الحرم وأشهر الحل ، فعبر عن مضي السنة بمضيها .

٤ ـ رُزِقَتْ مَرابيعَ النّجومِ وصابَها وَدْقُ الرّواعدِ جَودُها فرِهامُها

مرابيع النجوم : الأنواء الربيعية وهي المنازل التي تحلها الشمس فصل الربيع ، الواحد مرباع . الصوب : الإصابة ، يقال : صابه أمر كذا وأصابه بمعنى . الودق : المطر ، وقد وَدقت السماء تدِق ودقاً إذا مطرت . الجود : المطر التام العام، وقال ابن الأنباري : هو المطر الذي يرضي أهله ، وقد جاد المطر يجود جَوداً فهو جَود . الرواعد : ذوات الرعد من السحاب ، واحدتها راعدة . الرِهام والرِهَم : جمعا رِهمة وهي المطرة التي فيها لين .

يقول : رزقت الديار والدمن أمطار الأنواء الربيعية فأمرعت وأعشبت وأصابها مطرُ ذواتِ الرعود من السحائب ما كان منه عاماً بالغاً مرضياً أهله وما كان منه ليناً سهلاً ؛ وتحرير المعنى : أن تلك الديار ممرعة معشبة لترادف الأمطار المختلفة عليها وتواترها .

٥ ـ مِنْ كُلِّ ساريةٍ وغادٍ مُدجِنٍ وعَشيّةٍ مُتجاوِبٍ إرزامُها

السارية : السحابة الماطرة ليلاً ، والجمع السواري . المدجن : الملبس آفاق السماء بظلامه

لفرط كثافته ، والدَجْن : إلباس الغيم آفاق السماء ، وقد أدجن الغيم . الإرزام : التصويت ، وقد أرزمت الناقة اذا رغت ، والاسم الرَزَمة .

ثم فسر تلك الأمطار فقال : هي من كل مطرِ سحابةٍ سارية ومطرِ سحابٍ غاد يلبس آفاق السماء بكثافته وتراكمه وسحابةِ عشيةٍ تتجاوب أصواتها ، أي كأن رعودها تتجاوب ، جمع لها أمطار السنة لأن أمطار الشتاء أكثرها يقع ليلاً ، وأمطار الربيع أكثرها يقع غداة ، وأمطار الصيف أكثرها يقع عشياً ؛ كذا زعم مفسرو هذا البيت .

٦ - فعَلا فروعُ الأيهقانِ وأَطفلت بالجَلْهَتَينِ ظباؤها ونَعامُها

الأيهقان ، بفتح الهاء وضمها : ضرب من النبت وهو الجرجير البري . أطفلت أي صارت ذوات أطفال . الجلهتان : جانبا الوادي .

ثم أخبر عن إخصاب الديار وإعشابها فقال : فعلت بها فروع هذا الضرب من النبت وأصبحت الظباء والنعام ذوات أطفال بجانبي وادي هذه الديار ؛ قوله : ظباؤها ونعامها ، يريد : وأطفلت ظباؤها وباضت نعامها ، لأن النعام تبيض ولا تلد الأطفال ، ولكنه عطف النعام على الظباء في الظاهر لزوال اللبس ؛ ومثله قول الشاعر :

إذا ما الغانيات برزن يوماً وزجّجنَ الحواجب والعيونا

أي وكحلن العيون ، وقول الآخر :

تراه كأنّ الله يجدع أنفه وعينيه ، إنْ مولاه صار له وَفْرُ

أي ويفقأ عينيه ، وقول الآخر :

يا ليت زوجكِ قد غدا متقلداً سيفاً ورمحا

أي وحاملاً رمحاً ، ولا تضبط نظائر ما ذكرنا ، وزعم كثير من الأئمة النحويين البصريين والكوفيين أن هذا المذهب سائغ في كل موضع ، ولوّح أبو الحسن الأخفش إلى أن المعوّل فيه على السماع .

٧ - والعِينُ ساكنةٌ على أطلائِها عُوذاً تأَجّلُ بالفضاءِ بِهامُها

---

(٦) البيت : ياليت زوجك ... لعبد الله بن الزبعري .

(٧) العائط والحائل : الناقة التي لم تحمل سنة أو أكثر من غير عقم . البازل : البعير في السنة التاسعة . الفاره : النشيط .

العين : واسعات العيون . الطلا : ولد الوحش حين يولد إلى أن يأتي عليه شهر ، والجمع الأطلاء ، ويستعار لولد الإنسان وغيره . العوذ : الحديثات النتاج ، الواحدة عائذ ، مثل عائط وعوط وحائل وحول وبازل وبزل وفاره وفره ، وجمع الفاعل على فُعْل قليل معوّل فيه على الحفظ . الإجْل : القطيع من بقر الوحش ، والجمع الآجال ، والتأجّل : صيرورتها إجْلا إجْلا . الفضاء : الصحراء . البهام : أولاد الضأن إذا انفردت ، وإذا اختلطت بأولاد الضأن أولاد المَعَز قيل للجميع بهام ، وإذا انفردت أولاد المعز من أولاد الضأن لم تكن بهاماً ، وبقر الوحش بمنزلة الضأن ، وشاء الجبل بمنزلة المعز عند العرب ، وواحد البهام بَهْم ، وواحد البهم بَهْمة ، ويجمع البهام على البهامات .

يقول : والبقر الواسعات العيون قد سكنت وأقامت على أولادها تضعها حال كونها حديثات النتاج وأولادها تصير قطيعاً قطيعاً في تلك الصحراء ؛ فالمعنى من هذا الكلام : أنها صارت مغنى الوحوش بعد كونها مغنى الإنس . ونصب « عوذاً » على الحال من العين .

٨ - وجلا السّيولُ عن الطّلولِ كأنّها   زُبُرٌ تُجِدّ متونَها أقلامُها

جلا : كشف ، يجلو جِلاء ، وجلوت العروس جِلوة من ذلك ، وجلوت السيف جِلاء صقلته ، منه أيضاً . السيول : جمع سيل مثل بيت وبيوت وشيخ وشيوخ . الطلول : جمع الطلل . الزبر : جمع زبور وهو الكتاب ، والزَّبْر : الكتابة ، والزبور فعول بمعنى المفعول بمنزلة الركوب والحلوب بمعني المركوب والمحلوب . الإجداد والتجديد واحد .

يقول : وكشفت السيول عن أطلال الديار فأظهرتها بعد ستر التراب إياها ، فكأن الديار كتب تجدد الأقلام كتابتها ، فشبه كشف السيول عن الأطلال التي غطاها التراب بتجديد الكتّاب سطور الكتاب الدارس ، وظهور الأطلال بعد دروسها بظهور السطور بعد دروسها ، و « أقلام » مضافة الى ضمير زبر ، واسم كأن ضمير الطلول .

٩ - أو رَجْعُ واشمةٍ أُسِفّ نؤورُها   كِفَفاً تَعَرّضَ فوقهنّ وِشامُها

الرجع : الترديد والتجديد ، وهو من قولهم : رجَعته أرجَعه رجْعاً فرجَع يرجع

---

(٨) انظر ما ذكرناه في ص ٢٠٠ عن هذا البيت . وانظر كذلك : العمدة ١٩٧/١ وجاء في الشعر والشعراء ٨٣/١ أن امرأ القيس هو أول من شبه الطلل بوحي الزبور في العسيب – انظر شرح ديوان امرىء القيس ١٨٦ .

رجوعاً . وقد فسرنا الواشمة الإسفاف : الذرّ ، وهو من قولهم : سف زيد السويق وغيره يسَفه سفاً وأسففته السويق وغيره ، ثم يقال : أسففت الدواءَ الجرحَ ، والكحلَ العينَ . النؤور : النقش المتخذ من دخان السراج والنار ، وقيل النيلج . الكفف : جمع كِفة وهي الدارات ، وكل شيء مستدير كفة ، بكسر الكاف ، وجمعها كفف ، وكل مستطيل كُفة ، بضمها ، والجمع كفف ، كذا حكى الأئمة . تعرض وأعرض : ظهر ولاح . الوشام : جمع وشم ؛ شبه ظهور الأطلال بعد دروسها بتجديد الكتابة وتجديد الوشم .

يقول : كأنها زبر أو ترديد واشمة وشماً قد ذرت نؤورها في دارات ظهرت الوشام فوقها فأعادتها كما تعيد السيول الأطلال الى ما كانت عليه . فجعل إظهار السيل الأطلال كاظهار الواشمة الوشم ، وجعل دروسها كدروس الوشم . نؤورها : اسم ما لم يسم فاعله ، وكففاً : هو المفعول الثاني بقي على انتصابه بعد اسناد الفعل الى المفعول . وشامها : فاعل تعرض وقد أضيف الى ضمير الواشمة .

١٠ـ فوقفتُ أسألُها، وكيف سؤالُنا صُمّاً خوالدَ ما يَبينُ كلامُها

الصم : الصلاب ، والواحد أصم والواحدة صماء . خوالد : بواق . يبين : يظهر ، بان يبين بياناً ، وأبان قد يكون بمعنى أظهر ويكون بمعنى ظهر ، وكذلك بيّن وتبيّن قد يكون بمعنى ظهر ، وقد يكون بمعنى عرف ، واستبان كذلك ، فالأول لازم والأربعة الباقية قد تكون لازمة وقد تكون متعدية ، وقولهم : أبان الصبحُ لذي عينين ، أي ظهر فهو هنا لازم. ويروى في البيت : ما يبين كلامها وما يبين ، بفتح الياء وضمها ، وهما بمعنى ظهر .

يقول : فوقفت أسأل الطلول عن قطانها وسكانها ، ثم قال : وكيف سؤالنا حجارة صلاباً بواقي لا يظهر كلامها ، أي كيف يجدي هذا السؤال على صاحبه وكيف ينتفع به السائل ؟ لوح الى أن الداعي إلى هذا السؤال فرط الكلف والشغف وغلبة الوله ، وهذا مستحب في النسيب والمرثية لأن الهوى والمصيبة يدلهان صاحبها .

١١ـ عَرِيَتْ وكانَ بها الجميعُ فأبكروا مِنها وغودرَ نُؤيُها وثُمامُها

(١١) ليس في لسان العرب « أغدرة » جمع غدير

بكرت من المكان وأبكرت وابتكرت وبكّرت بمعنى أي مررت منه بكرة . المغادرة : الترك ، غادرت الشيء تركته وخلّفته ، ومنه الغدير لأنه ماء تركه السيل وخلّفه ، والجمع الغُدُر والغُدران « والأغدرة ؟ » . النؤي : نهير يحفر حول البيت لينصب اليه الماء من البيت ، والجمع نُؤيّ وأنآء وتقلب فيقال آناء مثل أبآر وآبار وأرآء وآراء . الثمام : ضرب من الشجر رخو يسد به خلل البيوت .

يقول : عريت الطلول عن قطانها بعد كون جميعهم بها فساروا منها بكرة وتركوا النؤي والثمام ، أي لم يبق بمنازلهم منهم آثار إلا النؤي والثمام ، وإنما لم يحملوا الثمام لأنه لا يعوزهم في محالّهم .

١٢ـ شاقَتْكَ ظُعنُ الحيّ حين تحمّلوا فتكنّسوا قُطُناً تَصِرّ خيامُها

الظُّعن : تخفيف الظُّعُن . وهي جمع الظَّعون : وهو البعير الذي عليه هودج وفيه امرأة ، وقد يكون الظعن جمع ظعينة وهي المرأة الظاعنة مع زوجها ، ثم يقال لها وهي في بيتها ظعينة ، وقد يجمع بالظعائن أيضاً . التكنس : دخول الكِناس والاستكنان به . القطن : جمع قطين وهو الجماعة ، والقُطُن واحد . الصرير : صوت الباب والرحل وغير ذلك .

يقول : حملتك على الاشتياق والحنين نساء الحي أو مراكبهن يوم ارتحل الحي ودخلوا في الكنس ، جعل الهوادج للنساء بمنزلة الكنس للوحش ، ثم قال : وكانت خيامهم المحمولة تصر لجدتها . وتلخيص المعنى : دعتك إلى الاشتياق والنزاع وحملتك عليها نساء القبيلة حين دخلن هوادجهن جماعات في حال صرير خيامهن المحمولة أو دخلن هوادج غطيت بثياب القطن ، والقطن من الثياب الفاخرة عندهم ، والضمير في تكنسوا للحي ، والمضمر الذي أضيف اليه الخيام للظعن ، وقطناً : منصوب على الحال إن جعلته جمع قطين ، ومفعول به ان جعلته قطناً .

١٣ـ من كُلّ محفوفٍ يُظِلّ عِصيّهُ زوجٌ عليه كِلّةٌ وقِرامُها

---

(١٣) قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء ١/٢٤٠ (قال لي شيخ من أصحاب اللغة : اجتمعت الرواة على خطإ في بيت لبيد وهو قوله : من كل محفوف ... وقال : المحفوف : الهودج ، والزوج : النمط ، فكيف يظل النمط ، وهو أسفل ، العصي ، وهي فوق ؟ وإنما كان ينبغي أن يرووه « من كل ←

حفّ الهودج وغيره بالثياب : اذا غطي بها ، وحَفّ الناس حول الشيء : أحاطوا به . أظل الجدار الشيء : اذا كان في ظل الجدار . العصي هنا : عيدان الهودج . الزوج : النمط من الثياب ، والجمع الأزواج . الكلة : الستر الرقيق ، والجمع الكِلل . القرام : الستر ، والجمع القُرُم .

ثم فصّل الظعن فقال : هي من كل هودج حف بالثياب يظل عيدانه نمط أرسل عليه ، ثم فصّل الزوج فقال : هو كلة ، وعبر بها عن الستر الذي يلقى فوق الهودج لئلا تؤذي الشمس صاحبته ، وعبر بالقرام عن الستر المرسل على جوانب الهودج ؛ وتحرير المعنى : الهوادج محفوفة بالثياب فعيدانها تحت ظلال ثيابها ، والمضمر بعد القرام للعصي أو الكلة .

١٤- زُجَلاً كأنّ نعاجَ تُوضِحَ فوقها وظباءَ وَجْرَةَ عُطَّفاً أرآمُها

الزجل : الجماعات ، الواحدة زُجْلة . النعاج : اناث بقر الوحش ، الواحدة نعجة . وجرة : موضع بعينه . العطّف : جمع العاطف من العطف الذي هو الترحم أو من العطف الذي هو الثني . الأرآم : جمع الرئم وهو الظبي الخالص البياض .

يقول : تحملوا جماعات كأن اناث بقر الوحش فوق الإبل ، شبه النساء في حسن الأعين والمشي ، بها أو بظباء وجرة في حال ترحمها على أولادها أو في حال عطفها أعناقها للنظر الى أولادها ، شبه النساء بالظباء في هذه الحال لأن عيونها أحسن ما تكون في هذه الحال لكثرة مائها ؛ وتحرير المعنى : أنه شبه النساء ببقر توضح وظباء وجرة في كحل أعينها ؛ نصب « زجلا » على الحال والعامل فيها « تحملوا » ، ونصب « عطفاً » على الحال ، ورفع « أرآمها » لأنها فاعل والعامل فيها الحال السادّة مسد الفعل .

١٥- حُفِزَتْ وزايلها السرابُ كأنها أجزاعُ بِيشَةَ أثْلُها ورِضامُها

الحفز : الدفع ، والفعل حفَز يحفِز . الأجزاع : جمع جِزع وهو منعطف الوادي . بيشة : واد بعينه . الأثل : شجر يشبه الطرفاء الا أنه أعظم منها . الرضام : الحجارة

= محفوف يظل عصيه زوجاً » ثم يرجع الى المحفوف فيقول «عليه كلة وقرامها» . قال أبو محمد - أي ابن قتيبة - : ولا أرى هذا إلا غلطاً منه ، ولم تكن الرواة لتجتمع على هذه الرواية إلا بأخذ عن العرب ، وأراهم كانوا يلقون أيضاً النمط فوق الأعواد ، ويلقونه داخله ، وأحسبني قد رأيت هذا بعينه في البادية) . النمط : بساط من الصوف يطرح على الهودج .

العظام ، الواحدة رَضْمة ورَضَمة ، والجنس رَضْم ورَضَم .

يقول : دفعت الظعن ، أي الركاب ، أي ضربت لتجد في السير وفارقها قطع السراب أي لاحت خلال قطع السراب ولمعت ، فكأن الظعن منعطفات وادي بيشة أثلها وحجارتها العظام ، شبهها في العظم والضخم بها ؛ والضمير الذي أضيف اليه أثل ورضام لبيشة .

١٦ـ بل ما تذكّرُ من نوارَ وقد نأتْ وتقطّعتْ أسبابُها ورِمامُها

نوار اسم امرأة يشبب بها . النأي : البعد . الرمام : جمع الرُمة وهي قطعة من الحبل خَلَق ضعيفة .

ثم أضرب عن صفة الديار ووصف حال احتمال الأحباب بعد تمامها وأخذ في كلام آخر من غير ابطال لما سبق . « بل » ، في كلام الله تعالى ، لا تكون الا بهذا المعنى ، لأنه لا يجوز منه ابطال كلامه واكذابه ، قال مخاطباً نفسه : أي شيء تتذكرين من نوار في حال بعدها وتقطع أسباب وصالها ما قوي منها وما ضعف .

١٧ـ مُرّيّةٌ حلّتْ بفَيْدَ وجاورتْ أهلَ الحجازِ فأينَ منكَ مَرامُها

مرية : منسوبة الى مرة . فيد : بلدة معروفة ، ولم يصرفها لاستجماعها التأنيث والتعريف ، وصرفها سائغ أيضاً لأنها مصوغة على أخف أوزان الأسماء فعادلت الخفة أحد السببين فصارت كأنه ليس فيها الا سبب واحد لا يمنع الصرف ، وكذلك حكم كل اسم كان على ثلاثة أحرف ساكن الأوسط مستجمعاً للتأنيث والتعريف نحو هند ودعد ؛ وأنشد النحويون :

لم تتلفع بفضل مئزرها دعدٌ ، ولم تُغْذَ دعدُ في العُلَبِ

ألا ترى الشاعر كيف جمع بين اللغتين في هذا البيت ؟

يقول : نوار امرأة من مرة حلت بهذه البلدة وجاورت أهل الحجاز ، يريد أنها تحل بفيد أحياناً وتجاور أهل الحجاز أحياناً ، وذلك في فصل الربيع وأيام الإنتاج لأن الحالّ

---

(١٧) البيت : لم تتلفع ... لجرير وهو مفسر في اللسان – مادة دعد – كما يلي (التلفع : الاشتمال بالثوب كلبسة نساء الأعراب . والعلب : أقداح من جلود ، الواحد علبة ، يحلب فيه اللبن ويشرب . أي ليست دعد هذه ممن تشتمل بثوبها وتشرب اللبن بالعلبة كنساء الأعراب الشقيات ، ولكنها ممن نشأ في نعمة وكسي أحسن كسوة) القذف ، بالتحريك : البعيد .

بفيد لا يكون مجاوراً أهل الحجاز لأن بينها وبين الحجاز مسافة بعيدة، ثم قال : فأين منك مطلبها ، أي تعذر عليك طلبها لأن بين بلادك وفيد والحجاز مسافة بعيدة وتيهاً قَـذَفاً ؛ وتلخيص المعنى : أنه يقول : هي مرية تتردد بين الموضعين وبينها وبين بلادك بُعد ، وكيف يتيسر لك طلبها والوصول اليها ؟

١٨- بمَشارقِ الجَبلَينِ أو بمُحَجَّرٍ فتَضَمَّنتْها فَردَةٌ فرُخامُهـــا

عنى بالجبلين : جبلي طي : أجا وسلمى . المحجر : جبل آخر . فردة : جبل منفرد عن سائر الجبال مسمي بها لانفرادها عن الجبال . رخام : أرض متصلة بفردة لذلك أضافها اليها .

يقول: حلت نوار بمشارق أجا وسلمى ، أي جوانبها التي تلي المشرق ، أو حلت بمحجّر فتضمنتها فردة فالأرض المتصلة بهـا وهي رخام ، وانما يحصي منازلها عند حلولهـا بفيد ، وهذه الجبال قريبة منها بعيدة من الحجاز . تضمن الموضع فلاناً اذا حصل فيه ، وضمّنته فلاناً اذا حصلته فيه ، مثل قولك : ضمنته القبر فتضمنه القبر .

١٩- فَصُوَائِقُ إن أيمنَتْ فَمظِنَّـــةٌ فيها وِحافُ القَهْرِ أو طِلخامُها

يقال : أيمن الرجل اذا أتى اليمن ، مثل أعرق اذا أتى العراق وأخيف إذا أتى خَيْف مِنى . مظنة الشيء : حيث يظن كونه فيه ، وهو من الظن ، بالظاء ، وأمـا قولهم : علقُ مَضِنّة ، فهو من الضن ، بالضاد ، أي هو شيء نفيس يبخل به . صوائق : موضع معروف . وحاف القهر ، بالراء غير معجمة : موضع معروف ، ومنهم من رواه بالزاي معجمة . طلخام : موضع معروف أيضاً .

يقول : وان انتجعتْ نحو اليمن فالظن أنها تحل بصوائق ، وتحل من بينها بوحاف القهر أو بطلخام ، وهما خاصان بالإضافة الى صوائق ؛ وتلخيص المعنى : ان أتت اليمن حلت بوحاف القهر أو طلخام من صوائق .

٢٠- فاقطعْ لُبانةَ مَنْ تَعرّضَ وَصلُهُ ولَشَرُّ وَاصلِ خُلّةٍ صَرّامُهـــا

اللبانة : الحاجة . الخلة : المودة المتناهية ، والخليل والخِل والخُلة واحد . الصرّام : القطّاع ، فعال من الصرم وهو القطع ، والفعل صرَم يصرِم .

ثم أضرب عن ذكر نوار وأقبل على نفسه مخاطباً إياها فقال : فاقطع أربك وحاجتك ممن كان وصله معرضاً للزوال والانتقاض ، ثم قال : وشر من وصل محبة أو حبيباً من قطعها ، أي شر واصل الأحباب أو المَحبات قَطّاعها ، يذم من كان وصله في معرض الانتكاث والانتقاض ، ويروى : ولخير واصل ، وهذه أوجه الروايتين وأمثلها ، أي خير واصل المَحبات أو الأحباب إذا رجا خيرهم قَطّاعها إذا يئس منه . قوله : لبانة من تعرض ، أي لبانتك منه لأن قطع لبانته منك ليس إليك .

٢١- واحْبُ المُجامِلَ بالجزيلِ وصَرْمُهُ باقٍ إذا ظَلَعَتْ وزاغَ قِوامُها

حبوته بكذا أحبوه حباء : إذا أعطيته إياه . المجامل : المصانع ، ويروى : المحامل ، أي الذي يتحمل أذاك كما تتحمل أذاه . بالجزيل أي بالود الجزيل . الجزالة : الكمال والتمام ، وأصله الضخم والغلظ ، والفعل جزُل يجزُل ، والنعت جزل وجزيل ، ومنه : حطب جزل وجزيل وعطاء جزل وجزيل ، وقد أجزل عطيته وفرها وكثرها . الصرم : القطيعة . الظلع : غمز في الدواب . الزيغ : الميل ، والإزاغة الإمالة . قوام الشيء وقيامه : ما يقوم به .

يقول : واحب من جاملك وصانعك وداراك بود كامل وافر ، ثم قال : وقطيعته باقية ان ظلعت خُلته ومال قوامها ، أي ان ضعفت أسبابها ودعائمها ، أي ان حال المجامل عن كرم العهد فأنت قادر على صرمه وقطيعته ، فالمضمر الذي أضيف إليه « قوامها » للخلة وكذلك المضمر في ظلعت .

٢٢- بطَليحِ أسفارٍ تَرَكْنَ بقيّةً منها فأحْنَقَ صُلبُها وسنامُها

الطِلح والطليح : المعيِي ، وقد طلَحت البعير أطلَحه طلْحاً أعييته ، فطليح : فعيل بمعنى مفعول بمنزلة الجريح والقتيل ، وطِلْح : فعل في معنى مفعول بمنزلة الذِبح والطِحن بمعنى المذبوح والمطحون . أسفار : جمع سَفَر . الإحناق : الضُمر . الباء في قوله « بطليح » من صلة « وصرمه » .

يقول : إذا زال قوام خلته فأنت تقدر على قطيعته بركوب ناقة أعيتها الأسفار وتركت بقية من لحمها وقوتها فضمُر صلبها وسنامها ؛ وتلخيص المعنى : فأنت تقدر على

قطيعته بركوب ناقة قد اعتادت الأسفار ومرَنت عليها .

٢٣ـ وإذا تَغالى لحمُها وتَحَسّرَتْ وتَقطّعتْ بعدَ الكَلالِ خِدامُها

تغالى لحمها : ارتفع الى رؤوس العظام ، من الغلاء وهو الارتفاع ، ومنه قولهم : غلا السعر يغلو غلاء ، إذا ارتفع . تحسرت أي صارت حسيراً ، أي كالّة معيية عارية عن اللحم . الخدام : جمع خَدَم ، والخدم جمع خَدَمة ، وهي سيور تشد بها النعال الى أرساغ الإبل .

يقول : فاذا ارتفع لحمها الى رؤوس عظامها وأعيت وعريت عن اللحم وتقطعت السيور التي تشد بها نعالها الى أرساغها بعد إعيائها . وجواب « اذا » في البيت الذي بعده .

٢٤ـ فلها هِبابٌ في الزِّمامِ كأنّها صَهباءُ خَفَّ مع الجَنوبِ جَهامُها

الهباب : النشاط . الصهباء : الحمراء ، يريد كأنها سحابة صهباء ، فحذف الموصوف . خف يخِف خفوفاً : أسرع . الجهام : السحاب الذي قد أراق ماءه .

يقول : فلها في مثل هذه الحال نشاط في السير في حال قود زمامها فكأنها في سرعة سيرها سحابة حمراء قد ذهبت الجنوب بقطعها التي هراقت ماءها فانفردت عنها ، وتلك أسرع ذهاباً من غيرها .

٢٥ـ أو مُلمِعٌ وَسَقَتْ لأحقبَ لاحَهُ طَرْدُ الفحولِ وضَرْبُها وكِدامُها

ألمعت الأتان فهي ملمع : أشرف طبيها باللبن . وسقت : حملت ، تسِق وسْقاً . الأحقب : العير الذي في وركيه بياض أو في خاصرتيه . لاحه ولوحه غيّره . ويروى : طرد الفحولة ضربها وعذامها ؛ الفحول والفحولة والفِحال والفِحالة : جموع فحل . الكدام : يجوز أن يكون بمنزلة الكَدْم وهو العض ، وأن يكون بمنزلة المكادمة وهي المُعاضّة . العذام : يجوز أن يكون بمنزلة العذم وهو العض ، وأن يكون بمنزلة المعاذمة وهي المعاضة .

يقول : كأنها صهباء أو أتان أشرفت أطباؤها باللبن وقد حملت تولباً لفحل أحقب قد غيّر وهزّل ذلك الفحلَ طرده الفحول وضربه إياها وعضه أو طرد الفحول وضربها

(٢٥) الطبي : حلمة الضرع ـ التولب : الجحش .

وعضها إياه . وتلخيص المعنى : أنها تشبه في شدة سيرها هذه السحابة أو هذه الأتان التي حملت تولباً لمثل هذا الفحل الشديد الغيرة عليها فهو يسوقها سوقاً عنيفاً .

٢٦ـ يعلو بها حَدَبَ الإكام مُسَحَّجٌ   قد رابهُ عصيانُها ووِحامُها

الإكام : جمع أكَم ، وكذلك الآكام ، والأكَم جمع أكَمة ، ويجمع الإكام على الأُكُم . حدبها : ما احدودب منها . السحج : القشر والخدش العنيف ، والتسحيج مبالغة السحج . الوِحام والوَحَم والوَحام : اشتهاء الحبلى الشيء ، والفعل : وحِمت توحَم وتاحَم وتيحَم ، وهذا القياس مطرد في فعِل يفعَل من معتل الفاء .

يقول : يعلو هذا الفحل بالأتان الإكام إتعاباً لها وإبعاداً بها عن الفحول وقد شككه في أمرها عصيانها إياه في حال حملها واشتهاؤها إياه قبله . والمسحج : العير المعضض .

٢٧ـ بأحِزَّةِ الثَّلَبُوتِ يَرْبَأُ فوقها   قَفْرَ المَراقبِ ، خوفُها آرامُها

الأحزة : جمع حزيز وهو مثل القف . ثلبوت : موضع بعينه . ربأت القوم وربأت لهم أربأ رَبْئاً : كنت ربيئة لهم . القفر : الخالي ، الجمع القفار . المراقب : جمع مرقبة وهو الموضع الذي يقوم عليه الرقيب ، ويريد بالمراقب الأماكن المرتفعة . الآرام : أعلام الطريق ، الواحد إرَم .

يقول : يعلو العير بالأتان الإكام في قفاف هذا الموضع ويكون رقيباً لها فوقها في موضع خالي الأماكن المرتفعة وإنما يخاف أعلامها ، أي يخاف استتار الصيادين بأعلامها ؛ وتلخيص المعنى : أنها بهذا الموضع والعير يعلوا كامه لينظر الى أعلامها هل يرى صائداً استتر بعلَم منها يريد أن يرميها .

٢٨ـ حتى إذا سَلَخا جُمادى سِتَّةً   جَزَأَا فطالَ صيامُهُ وصِيامُها

سلخت الشهر وغيره أسلَخه سلخاً : مرّ علي ، وانسلخ الشهر نفسه . جمادى : اسم

(٢٦ - ٢٧) في أمالي ابن الشجري ٩٤/١ - ٩٥ تفسير مسهب لهذين البيتين . قول الزوزني « وهذا القياس مطرد ... » انظر اللسان مادة وجل . القف : ماغلظ من الأرض وارتفع ولم يبلغ أن يكون جبلا . وربيئة القوم : الذي يستطلع لهم من مرتفع .

(٢٨) البيت : في ليلة من جمادى ... لمرة بن محكان .

الشتاء ، سمي بها لجمود الماء فيه ؛ ومنه قول الشاعر :

في ليلة « من جمادى » ذات أندية لا يبصر الكلب من ظلمائها الطُنُبا

أي من الشتاء . جزَأ الوحش يجزَأ جزءاً : اكتفى بالرّطب عن الماء . الصيام : الإمساك في كلام العرب ، ومنه الصوم المعروف لأنه امساك عن المفطرات .

يقول : أقاما بالثلبوت حتى مر عليها الشتاء ستة أشهر وجاء الربيع فا كتفيا بالرطب عن الماء وطال امساك العير وامساك الأتان عنه ، وستة : بدل من جمادى ، لذلك نصبها ، وأراد ستة أشهر فحذف أشهراً لدلالة الكلام عليه .

٢٩- رَجعا بأمرِهما إلى ذي مِرةٍ حَصِدٍ ، ونُجحُ صَريمةٍ إبرامُها

الباء في « بأمرهما » زائدة إن جعلت « رجعا » من الرجع ، أي رجعا أمرهما أي أسنداه ، وان جعلته من الرجوع كانت البـاء للتعدية . المرة : القوة ، والجمع المرر ، وأصلها قوة الفتل ، والإمرار احكام الفتل . الحصد : المحكم ، والفعل حصِد يحصَد ، وقد أحصد الشيء أحكمه . النجح والنجاح : حصول المراد . الصريمة : العزيمة التي صرمها صاحبها عن سائر عزائمه بالجد في امضائها ، والجمع الصرائم . الإبرام : الإحكام .

يقول : أسند العير والأتان أمرهما الى عزم أو رأي محكم ذي قوة وهو عزم العير على الورود أو رأيه فيه ، ثم قال : وانما يحصل المرام بإحكام العزم .

٣٠- ورمى دوابرَها السَّفا وتَهيّجَتْ ريحُ المصايفِ سَومُها وسَهامُها

الدوابر : مآخير الحوافر . السفا : شوك البُهمى وهو ضرب من الشوك . هاج الشيء يهيج هيجاناً واهتاج اهتياجاً وتهيج تهيجاً : تحرك ونشأ ، وهِجته هيجاً وهيجته تهييجاً . المصايف : جمع المصيف وهو الصيف . السوم : المرور ، والفعل سام يسوم . السهام : شدة الحر .

يقول : وأصاب شوك البهمى مآخير حوافرها ، وتحركت ريح الصيف مرورها وشدة حرها ، يشير بهذا الى انقضاء الربيع ومجيء الصيف واحتياجهما الى ورود الماء .

٣١- فتنازَعا سَبِطاً يَطيرُ ظِلالُهُ كدُخانِ مُشعَلةٍ يُشبّ ضِرامُها

التنازع : مثل التجاذب . السبط : الممتد الطويل . كدخان مشعلة أي نار مشعلة ،

فحذف الموصوف . شب النار وإشعالها واحد ، والفعل منه شب يشب . الضرام : دقاق الحطب، واحدها ضَرَم وواحدالضرم ضَرَمة ، وقد ضرمت النارُ واضطرمت وتضرمت التهبت ، وأضرمتها وضرمتها أنا . سبطاً أي غباراً سبطاً ، فحذف الموصوف .

يقول : فتجاذب العير والأتان في عدوهما نحو الماء غباراً ممتداً طويلاً كدخان نار موقدة تشعل النار في دقاق حطبها ؛ وتلخيص المعنى : أنه جعل الغبار الساطع بينهما بعدوهما كثوب يتجاذبانه ، ثم شبهه في كثافته وظلمته بدخان نار موقدة .

٣٢ـ مشمولةٍ غُلِثَتْ بنابتِ عَرْفَجٍ كدُخانِ نارٍ ساطعٍ أسنامُها

مشمولة : هبت عليها ريح الشمال ، وقد شمِل الشيء أصابته ريح الشمال . الغلث والعلث : الخلط ، والفعل غلَث يغلِث ، بالغين والعين جميعاً . النابت : الغض ؛ ومنه قول الشاعر :

ووطئتنـا وطئاً على حنَقٍ وطءَ المقيـدِ نابتَ الهَرْمِ

أي غضه . العرفج : ضرب من الشجر ، ويروى : عُليت بنابت ، أي وضع فوقها . الأسنام : جمع سنام ؛ ويروى : ثابت اسنامها ، وهو الارتفاع والرفع جميعاً .

يقول : هذه النار قد أصابتها الشمال وقد خلطت بالحطب اليابس والرطب الغض كدخان نار قد ارتفع أعاليها ، وسنام الشيء أعلاه ، شبه الغبار الساطع من قوائم العير والأتان بنار أوقدت بحطب يابس تسرع فيه النار وحطب غض ، وجعلها كذلك ليكون دخانها أكثف فيشبه الغبار الكثيف ، ثم جعل هذا الدخان الذي شبه الغبار به كدخان نار قد سطع أعاليها في الاضطرام والالتهاب ليكون دخانه أكثر ، وجر « مشمولة » لأنها صفة لمشعلة ، وقوله : كدخان نار ساطع أسنامها ، صفة أيضاً ، إلا أنه كرر قوله « كدخان » لتفخيم الشأن وتعظيم القصة ، كنظائره من مثل :

أرى الموت لا ينجو من الموت هاربه

وهو أكثر من أن يحصى .

٣٣ـ فمضى وقدّمها وكانتْ عادةً منهُ ـ إذا هيَ عرّدَتْ ـ إقدامُها

---

(٣٢) البيت : ووطئتنا ... لزهير ، والهرم : نبت ضعيف

التعريد : التأخر والجبن . الإقدام هنا بمعنى التقدمة لذلك أنث فعلها فقال : وكانت ، أي وكانت تقدمة الأتان عادة من العير ؛ وهذا مثل قول الشاعر :

غفرنا وكانت من سجيتنا الغَفرُ

أي وكانت المغفرة من سجيتنا ؛ وقال رويشد بن كثير الطائي :

يا أيها الراكب المزجي مطيته سائلْ بني أسد ما هذه الصوتُ

أي ما هذه الاستغاثة ، لأن الصوت مذكر .

يقول : فمضى العير نحو الماء وقدّم الأتان لئلا تتأخر ، وكانت تقدمة الأتان عادة من العير اذا تأخرت هي ، أي خاف العير تأخرها .

٣٤ـ فتوَسّطا عُرضَ السَّرِيِّ وصَدّعا مسجورةً مُتَجاوِراً قُلاّمُها

العرض : الناحية . السري : النهر الصغير ، والجمع الأسرية . التصديع : التشقيق . السجر : الملء أي عيناً مسجورة ، فحذف الموصوف لما دلت عليه الصفة . القلام : ضرب من النبت . يقول : فتوسط العير والأتان جانب النهر الصغير وشقا عيناً مملوءة ماء قد تجاور قلامها ، أي قد كثر هذا الضرب من النبت عليها ؛ وتحرير المعنى : أنهما قد وردا عيناً ممتلئة ماء فدخلا فيها من عرض نهرها وقد تجاور نبتها .

٣٥ـ محفوفَةً وسْطَ اليراعِ يُظِلّها منهُ مُصَرَّعُ غابَةٍ وقيامُها

اليراع : القصب . الغابة : الأجمة ، والجمع الغاب . المصرع : مبالغة المصروع . القيام : جمع قائم .

يقول : قد شقا عيناً قد حفت بضروب النبت والقصب فهي وسط القصب يظلها من القصب ماصرع من غابتها وما قام منها ، يريد أنها في ظل قصب بعضه مصرّع وبعضه قائم .

٣٦ـ أفَتِلْكَ أمْ وحشِيّةٌ مسبوعةٌ خَذَلَتْ وهاديةُ الصِّوارِ قِوامُها

مسبوعة أي قد أصابها السبع بافتراس ولدها . الهادية : المتقدمة والمتقدم أيضاً ، فتكون التاء إذن للمبالغة . الصُوار والصِوار والصِيار : القطيع من بقر الوحش ،

(٣٤ – ٣٥) جاء في ديوان المعاني للعسكري ١٢/٢ (ومن أوائل ماجاء في ذكر الماء المظلل بالأشجار قول لبيد ...) ثم ذكر البيتين

والجمع الصِيران . قوام الشيء : ما يقوم به هو .

يقول : أفتلك الأتان المذكورة تشبه ناقتي في الإسراع في السير أم بقرة وحشية قد افترس السبع ولدها حين خذلته وذهبت ترعى مع صواحبها وقوام أمرها الفحل الذي يتقدم القطيع من بقر الوحش ؛ وتحرير المعنى : أناقتي تشبه تلك الأتان أوهذه البقرة التي خذلت ولدها وذهبت ترعى مع صواحبها وجعلت هادية الصوار قوام أمرها فافترست السباع ولدها فأسرعت في السير طالبة لولدها .

٣٧ـ خنساءُ ضَيَّعتِ الفَرِيرَ فلم يَرِمْ عُرضَ الشقائقِ طَوْفُها و بُغامُها

الخَنَس : تأخر في الأرنبة . الفرير : ولد البقرة الوحشية ، والجمع فُرار على غير قياس . الرَيم : البراح ، والفعل رام يريم ، العرض : الناحية . الشقائق : جمع شقيقة وهي أرض صلبة بين رملتين . البغام : صوت رقيق .

يقول : هذه الوحشية قد تأخرت أرنبتها ، والبقر كلها خنس ، قد ضيعت ولدها ، أي خذلته حتى افترسته السباع فذلك تضييعها إياه ، ثم قال : ولم يبرح طوفها وخوارها نواحي الأرضين الصلبة في طلبه ؛ وتحرير المعنى : ضيعته حتى صادته السباع فطلبته طائفة وصائحة فيما بين الرمال .

٣٨ـ لِمُعفَّرٍ قَهْدٍ تَنازَعَ شِلْوَهُ غُبسٌ كواسبُ لايُمَنُّ طَعامُها

العفر والتعفير : الإلقاء على العَفَر والعَفْر وهما أديم الأرض . القهد : الأبيض . التنازع : التجاذب . الشلو : العضو ، وقيل هو بقية الجسد ، والجمع الأشلاء . الغبس جمع أغبس وغبساء ، والغُبسة : لون كلون الرماد . المن : القطع ، والفعل منّ يمُن ، ومنه قوله تعالى : « لهم أجر غير ممنون » ؛ ومنه سمي الغبار « منيناً » لانقطاع بعض أجزائه عن بعض ، والدهر والمنيّة « منوناً » لقطعها أعمار الناس وغيرهم .

يقول : هي تطوف وتبغم لأجل جؤذر ملقى على الأرض أبيض قد تجاذبت أعضاءه ذئاب أو كلاب غبس لا يقطع طعامها ، أي لا تفتر في الاصطياد فينقطع طعامها ، هذا إذا جعلت غبساً من صفة الذئاب ، وان جعلتها من صفة الكلاب فمعناه : لايقطع أصحابها طعامها ؛ وتحرير المعنى : أنها تجدّ في الطلب لأجل فقدها ولداً قد ألقي على أديم الأرض

وافترسته كلاب أو ذئاب صوائد قد اعتادت الاصطياد ، وبقر الوحش بيض ما خلا أوجهها وأكارعها ، لذلك قال قهد . الكسب : الصيد في البيت .

٣٩ـ صَادَفنَ منها غِرّةً فأَصَبْنَها إنّ المنايا لا تَطيشُ سِهامُها

الغرة : الغفلة . الطيش : الانحراف والعدول .

يقول : صادفت الكلاب أو الذئاب غفلة من البقرة فأصبن تلك الغفلة أو تلك البقرة بافتراس ولدها ، أي وجدتها غافلة عن ولدها فاصطادته ، ثم قال : ان الموت لا تطيش سهامه ، أي لا مخلص من هجومه ، واستعار له سهاماً واستعار للإخطاء لفظ الطيش ، لأن السهم اذا أخطأ الهدف فقد طاش عنه .

٤٠ـ باتتْ وأسبَلَ واكِفٌ من ديمةٍ يُروي الخمائلَ دائماً تَسجامُها

الوكْف والوَكفان واحد ، والفعل منها وكَف يكِف أي قطر . الديمة : مطرة تدوم وأقلها نصف يوم وليلة ، والجمع الدِيَم ، وقد دوّمت السحابة اذا كان مطرها ديمة ، وأصل ديمة : دومة فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها ثم قلبت في « الديم » حملاً على القلب في الواحد . الخمائل : جمع خميلة وهي كل رملة ذات نبت عند الأكثر من الأئمة ، وقال جماعة منهم : هي أرض ذات شجر . التسجام : في معنى السجم أو السجوم ، يقال : سجَم الدمعَ وغيرَه يسجِمه سجماً فسجَم هو يسجُم سجوماً أي صبه فانصب .

يقول : باتت البقرة بعد فقدها ولدها وقد أسبل مطر واكف من مطر دائم يروي الرمال المنبتة والأرضين التي بها أشجار في حال دوام سكبها الماء ، أي باتت في مطر دائم الهطلان ؛ وواكف يجوز أن يكون صفة مطر ويجوز أن يكون صفة سحاب .

٤١ـ يعلو طريقةَ مَتنِها مُتَواتِرٌ في ليلةٍ كَفَرَ النجومَ غَمامُها

طريقة المتن : خط من ذنبها الى عنقها . الكفر : التغطية والستر .

يقول : يعلو صلبها قـَطر متواتر في ليلة ستر غمامها نجومها .

٤٢ـ تَجتافُ أصلاً قالِصاً مُتَنَبِّذاً بعُجوبِ أنقاءٍ يَميلُ هَيامُها

الاجتياف : الدخول في جوف الشيء ، ويروى تجتاب ، بالباء ، أي تلبس . التنبذ :

التنحي من النَبذة والنُبذة وهما الناحية . العَجب : أصل الذَنَب ، والجمع العجوب ، فاستعاره لأصل النقا ، والنقا : الكثيب من الرمل ، والتثنية نقوان ونقيان ، والجمع أنقاء . الهيام : ما لا تماسك به من الرمل ، وأصله من هام يهيم .

يقول : وقد دخلت البقرة الوحشية في جوف أصل شجر متنح عن سائر الشجر ، وقد قلصت أغصانها ، وذلك الشجر في أصول كثبان من الرمل يميل مالا يتماسك منها عليها لهطلان المطر وهبوب الريح ؛ وتحرير المعنى: أنها تستتر من البرد والمطر بأغصان الشجر ، ولا تقيها البرد والمطر لتقلصها ؛ وتنهال كثبان الرمل عليها مع ذلك .

٤٣ ـ وتُضيءُ في وجهِ الظَّلامِ مُنيرةً كجُمانةِ البَحرِيِّ سُلَّ نظامُها

الإضاءة : الإنارة ، يتعدى فعلها ويلزم ، وهما لازمان في البيت ؛ وجه الظلام : أوله ؛ وكذلك وجه النار . الجمان والجمانة: درة مصوغة من الفضة ، ثم يستعاران للدرة ، وأصله فارسي معرب وهو كمانة .

يقول : وتضيء هذه البقرة في أول ظلام الليل كدرة الصدف البحري او الرجل البحري حين سل النظام منها ، شبه البقرة في تلألؤ لونها بالدرة ، وانما خص ما يسل نظامها اشارة الى أنها تعدو ولا تستقر كما تتحرك وتنتقل الدرة التي سل نظامها ، وإنما شبهها بها لأنها بيضاء متلألئة ما خلا أكارعها ووجهها .

٤٤ ـ حتى إذا انحسرَ الظَّلامُ وأسفرتْ بكرتْ تزِلّ عن الثَرى أزلامُها

الانحسار : الانكشاف والانجلاء . الإسفار : الإضاءة إذا لزم فعلُها الفاعلَ ، والأزلام : قوائمها ، جعلها أزلاماً لاستوائها ، ومنه سميت القداح أزلاماً ، والتزليم التسوية ، وواحد الأزلام : زَلَم وزُلَم . الزَلمة والزُلمة : القد ، ومنه قولهم : هو العبد زَلمة وزُلمة ، أي قده قد العبد .

يقول : حتى اذا انكشف وانجلى ظلام الليل وأضاء بكرت البقرة من مأواها فتزل قوائمها عن التراب الندي لكثرة المطر الذي أصابه ليلاً .

٤٥ ـ عَلِهتْ تَرَدّدُ في نِهاءِ صُعائدٍ سَبْعاً تُؤاماً كامِلاً أيّامُها

العله والهلع : الانهاك في الجزع والضجر ؛ ويروى « تبلد » ، أي تتحير وتتعمه .

النهاء جمع نَهي ونِهي وهما الغدير، وكذلك الأنهاء . صعائد : موضع بعينه . التؤام : جمع توءم .

يقول : أمعنت في الجزع وترددت متحيرة في وهاد هذا الموضع ومواضع غدرانه سبع ليال تؤام للأيام وقد كملت أيام تلك الليـالي ، أي ترددت في طلب ولدها سبع ليال بأيامها ، وجعل أيامها كاملة اشارة الى أنها كانت من أيام الصيف وشهور الحر .

٤٦- حتى إذا يَئِسَتْ وَأَسْحَقَ حالِقٌ لَمْ يُبْلِهِ إرْضاعُها وَفِطامُهـــا

الاسحاق : الإخلاق ، والسَحْق : الخَلَق . الحالق : الضرع الممتلىء لبناً .

يقول : حتى اذا يئست البقرة من ولدها وصار ضرعها الممتلىء لبناً خَلَقاً لانقطاع لبنها ، ثم قال : ولم يبل ضرعَها إرضاعها ولا فطامها اياه وانما أبلاه فقدها اياه .

٤٧- فَتَوَجَّسَتْ رِزَّ الأَنيسِ فَراعَها عن ظَهرِ غيبٍ ، والأنيسُ سَقامُها

الرز : الصوت الخفي . الأنيس والإنس والأناس والناس واحد . راعها : أفزعها . السقام والسقم واحد ، والفعل سقِم يسقَم ، والنعت سقيم ، وكذلك النعت مما كان من أفعال فعِل يفعَل من الأدواء والعلل نحو مريض .

يقول : فتسمعت البقرة صوت الناس فأفزعها ذلك وانما سمعته عن ظهر غيب ، أي لم تر الأنيس ، ثم قال : والناس سقام الوحش وداؤها لأنهم يصيدونها وينقصون منها نقص السقم من الجسد ؛ وتحرير المعنى : أنها سمعت صوتاً ولم تر صاحبه فخافت ، ولا غرو أن تخاف عند سماعها صوت الناس لأن النـاس يبيدونها ويهلكونها ، والتقدير : فتسمعت رز الأنيس عن ظهر غيب فراعها والأنيس سقامها .

٤٨- فغدَتْ ، كلا الفرْجَينِ تحْسبُ أنَّهُ مَولى المَخافَةِ ، خَلفُها وَأَمامُها

الفرج : موضع المخـافة ، والفرج : ما بين قوائم الدواب ، فما بين اليدين فرج ، وما بين الرجلين فرج ، والجمع فروج ، وقال ثعلب : ان « المولى » في هذا البيت بمعنى الأولى بالشيء ، كقوله تعالى : « مأواكم النار هي مولاكم » أي أولى بكم .

يقول : فغدت البقرة وهي تحسب أن كلا فرجيها مولى المخافة ، أي موضعهـــا وصاحبها ، أو تحسب أن كل فرج من فرجيها هو الأولى بالمخافة منه ، أي بأن يُخاف منه ؛

وتحرير المعنى : أنها لم تقف على أن صاحب الرز خلفها أم أمامها فغدت فزعة مذعورة لا تعرف منجاها من مهلكها ، وقال الأصمعي : أراد بالمخافة الكلاب وبمولاها صاحبها ، أي غدت وهي لا تعرف أن الكلاب والكلاّب خلفها أو أمامها ، فهي تظن كل جهة من الجهتين موضعاً للكلاب والكلاّب ، والضمير الذي هو اسم أن عائد الى كلا وهو مفرد اللفظ وان كان يتضمن معنى التثنية ، ويجوز حمل الكلام بعده على لفظه مرة وعلى معناه أخرى ، والحمل على اللفظ أكثر ، وتمثيلهما : كلا أخويك سبني وكلا أخويك سبّاني ؛ وقال الشاعر :

كلاهما حين جد الجري بينهما قد أقلعا وكلا أنفيهما رابِ

حمل « أقلعا » على معنى « كلا » وحمل « رابياً » على لفظه ، وقال الله عز وجل : « كلتا الجنتين آتت أُكُلَها » حملا على لفظ كلتا ، ونظير كلا وكلتا في هذين الحكمين « كل » لأنه مفرد اللفظ وان كان معناه جمعاً ويُحمل الكلام بعده على لفظه ومعناه ، وكلاهما كثير ، قال الله تعالى : « وكلٌّ أتوه داخرين » ؛ فهذا محمول على المعنى ، وقال تعالى : « انْ كلُّ مَن في السموات والأرض الا آتي الرحمنِ عبداً » ، وهذا محمول على اللفظ . ومولى المخافة : في محل الرفع لأنه خبر « أن » وخلفها وأمامها : خبر مبتدأ محذوف تقديره هو خلفها وأمامها ، ويكون تفسيرَ « كلا الفرجين » ، ويجوز أن يكون بدلاً من « كلا الفرجين » وتقديره : فغدت كلا الفرجين خلفُها وأمامُها تحسب أنه مولى المخافة .

٤٩ـ حتى إذا يَئِسَ الرُماةُ وأرسَلُوا غُضفاً دَواجِنَ قافِلاً أعصامُها

الغضف من الكلاب : المسترخية الآذان ، والغضَف : استرخاء الأذن ، يقال : كلب أغضف وكلبة غضفاء ، وهو مستعمل في غير الكلاب استعماله فيها . الدواجن : المعلّمات . القفول : اليَبْس . أعصامها : بطونها ، وقيل بل سواجيرها وهي قلائدها من الحديد والجلود وغير ذلك .

يقول : حتى اذا يئس الرماة من البقرة وعلموا أن سهامهم لا تنالها وأرسلوا كلاباً مسترخية الآذان معلمة ضوامر البطون أو يابسة السواجير .

٥٠- فَلَحِقْنَ وَاعْتَكَرَتْ لهَا مَدَرِيَّةٌ كالسَّمْهَرِيَّةِ حَدُّها وتَمامُها

عكر واعتكر أي عطف . المدرية : طرف قرنها . السمهرية من الرماح : منسوبة الى « سمهر » رجل كان بقرية تسمى « خطاً » من قرى البحرين وكان مثقفاً ماهراً فنسب اليه الرماح الجيدة .

يقول : فلحقت الكلاب البقرة وعطفت عليها ولها قرن يشبه الرماح في حدتها وتمام طولها ، أي أقبلت البقرة على الكلاب وطعنتها بهذا القرن الذي هو كالرماح .

٥١- لِتَذُودَهُنَّ وَأَيْقَنَتْ ، إنْ لم تَذُدْ ، أنْ قد أَحَمَّ من الحُتوفِ حِمامُها

الذود : الكف والرد . الإحمام والاجمام : القرب . الحتف : قضاء الموت ، وقد يسمى الهلاك حتفاً . الحمام : تقدير الموت ، يقال حم كذا أي قدر .

يقول : عطفت البقرة وكرت لترد وتطرد الكلاب عن نفسها ، وأيقنت أنها ان لم تذدها قرب موتها من جملة حتوف الحيوان ، أي أيقنت أنها ان لم تطرد الكلاب قتلتها الكلاب .

٥٢- فَتَقَصَّدَتْ منها « كَسابِ » فَضُرِّجَتْ بدمٍ ، وغُودِرَ في المَكَرِّ « سُخامُها »

أقصد وتقصد : قتل . كساب ، مبنية على الكسرة : اسم كلبة ، وكذلك سخام ، وقد روي بالحاء المهملة .

يقول : فقتلت البقرة « كساب » من جملة تلك الكلاب فحمرتها بالدم ، وتركت « سخاماً » في موضع كرّها صريعة ، أي قتلت هاتين الكلبتين . التضريج : التحمير بالدم ، ضرّجه فتضرّج ، ويريد بالمكر موضع كرّها .

٥٣- فَبِتِلْكَ إذْ رَقَصَ اللَّوامِعُ بالضُّحا وَاجْتابَ أَرْدِيَةَ السَّرابِ إكامُها

يقول : فبتلك الناقة اذ رقصت لوامع السراب بالضحا ، أي تحركت ، ولبست الإكام أردية من السراب ؛ وتحرير المعنى : فبتلك الناقة التي أشبهت البقرة والأتان أقضي حوائجي في الهواجر ، ورقص لوامع السراب ولبس الإكام أرديته كناية عن احتدام الهواجر .

٥٤ـ أقضي اللُّبانَةَ لاأُفَرِّطُ رِيبَةً ... أوْ أنْ يَلومَ بحاجَةٍ لوّامُها

اللبانة : الحاجة . التفريط : التضييع وتقدمة العجز . الريبة : التهمة ، واللوّام مبالغة اللائم واللُّوام جمع اللائم .

يقول : بركوب هذه الناقة وإتعابها في حر الهواجر أقضي وطري ولا أفرّط في طلب بغيتي ولا أدع ريبة إلا أن يلومني لائم ؛ وتحرير المعنى : أنه لا يقصر ولكن لا يمكنه الاحتراز عن لوم اللوام إياه ، و « أو » في قوله : أو أن يلوم ، بمعنى إلا ، ومثله قولهم : لألزمنه أو يعطيني حقي ، أي إلا أن يعطيني حقي ، وقال امرؤ القيس :

فقلت له لا تبك عينك إنما ... نحاول ملكاً أو نموتَ فنُعذرا

أي إلا أن نموت .

٥٥ـ أوَلم تَكُنْ تدري نَوارُ بأنّني ... وَصّالُ عَقْدِ حَبائِلٍ جَذّامُها

الحبائل : جمع الحبالة وهي مستعارة للعهد والمودة هنا . الجذم : القطع ، والفعل جذَم يجذِم ، والجذام مبالغة الجاذم .

ثم رجع الى التشبيب بالعشيقة فقال : أولم تكن تعلم نوار أني وصال عقد العهود والمودات وقطاعها ، يريد أنه يصل من استحق الصلة ويقطع من استحق القطيعة .

٥٦ـ تَرّاكُ أمْكِنَةٍ إذا لم أرْضَها ... أوْ يعتلقْ بعضَ النفوسِ حِمامُها

يقول : اني تراك أماكن اذا لم أرضها الا أن يرتبط نفسي حمامُها فلا يمكنها البراح ، وأراد ببعض النفوس هنا نفسه ، هذا أوجه الأقوال وأحسنها ، ومن جعل « بعض النفوس » بمعنى « كل النفوس » فقد أخطأ لأن « بعضاً » لايفيد العموم والاستيعاب ؛

(٥٦) جاء في الشعر والشعراء ١/٤٥ (وقد يضطر الشاعر فيسكن ما كان ينبغي له أن يحركه كقول لبيد .... يريد : أترك المكان الذي لا أرضاه ، إلى أن أموت لا أزال أفعل ذلك . و « أو » ههنا بمنزلة « حتى ») هذا وقد اختار التبريزي في شرحه أن يعطف « يعتلق » على « أرضها » . وجاء في رسالة الغفران ١٠٧ (هل أردت بـ « بعض » معنى « كل » ؟ فيقول لبيد : كلا ، إنما أردت نفسي) قول الزوزني – في الشرح – أجتويها وأقليها أي أبغضها .

وتحرير المعنى : اني لأترك الأماكن التي أجتويها وأقليها الا أن أموت .

٥٧ـ بلْ أنتِ لاتدرينَ كم من لَيْلَةٍ   طَلْقٍ لَذيذٍ لَهْوُها ونِدامُها

ليلة طلق وطلقة : ساكنة لاحر فيها ولا قُر . النِدام : جمع نديم مثل الكرام في جمع كريم ، والنِدام أيضاً المنادمة مثل الجدال والمجادلة ، والنِدام في البيت يحتمل الوجهين.

أضرب عن الإخبار للمخاطبة فقال : بل أنت يا نوار لاتعلمين كم من ليلة ساكنة غير مؤذية بحرّ ولا برد لذيذة اللهو والندماء أو المنادمة ؛ وتحرير المعنى : بل أنت تجهلين كثرة الليالي التي طابت لي واستلذذت لهوي وندماني فيها أو منادمتي الكرام فيها .

٥٨ـ قَدْ بِتّ سامِرَها ، وغَايَةِ تاجرٍ   وافَيْتُ إذْ رُفِعَتْ وعزّ مُدامُها

الغاية : راية ينصبها الخمّار ليُعرف مكانه . وأراد بالتاجر الخمار . وافيت المكان : أتيته . المدام والمدامة : الخمر ، سميت بها لأنها قد أديمت في دنّها .

يقول : قد بت محدث تلك الليلة ، أي كنت سامر ندمائي ومحدثهم فيها ، ورب راية خمار أتيتها حين رفعت ونصبت وغلت خمرها وقل وجودها ، يتمدح بكونه لسان أصحابه وبكونه جواداً لاشترائه الخمر غالية لندمائه .

٥٩ـ أُغْلي السِباءَ بِكُلّ أدكَنَ عاتِقٍ   أوْ جَوْنَةٍ قُدِحتْ وفُضّ خِتامُها

سبأت الخمر أسبؤها سبئاً وسباء : اشتريتها . أغليت الشيء : اشتريته غالياً وصيرته غالياً ووجدته غالياً . الأدكن : الذي فيه دكنة كالخز الأدكن ، أراد بكل زق أدكن . الجونة : السوداء ، أراد أو خابية سوداء قدحت . القدح : الغرف . الفض : الكسر . الخاتَم والخاتِم والختام والخاتام واحد .

يقول : اشتري الخمر غالية السعر باشتراء كل زق أدكن أو خابية سوداء قد فض ختامها وأغترف منها ؛ وتحرير المعنى : أشتري الخمر للندماء عند غلاء السعر وأشتري كل زق مقيّر أو خابية مقيرة ، وانما قيّرا لئلا يرشحا بما فيهما ، « ويسرع صلاحه وانتهاؤه منتهى إدراكه ؟ » . وقوله : قدحت وفض ختامها ، فيه تقديم وتأخير ، وتقديره: فض

(٥٩) عاتق : بمعنى معتق . قول الزوزني « ويسرع صلاحه وانتهاؤه منتهى إدراكه » : لا معنى له هنا ونرى أن يحذف .

ختامها وقدحت ، لأنه ما لم يكسر ختامها لا يمكن اغتراف ما فيها من الخمر .

٦٠- وَصَبوحِ صَافِيَةٍ وَجَذْبِ كَرِينَةٍ   بِمُوَتَّرٍ تَأْتَالُهُ إِبْهامُهـــا

الكرينة : الجارية العوادة ، والجمع الكرن. الائتيال : المعالجة. أراد بالموتر العود .

يقول : وكم من صبوح خمر صافية وجذب عوادة عوداً موتراً تعالجه ابهام العوادة ؛ وتحرير المعنى : كم من صبوح خمر صافية استمتعت باصطباحها ، وضرب عوادة عودها استمتعت بالإصغاء الى أغانيها .

٦١- بادَرْتُ حاجَتَها الدَّجاجَ بِسُحْرَةٍ   لِأُعَلَّ مِنْها حِينَ هَبَّ نِيامُها

يقول : بادرت الديوك لحاجتي الى الخمر ، أي تعاطيت شربها قبل أن يصدح الديك ، لأسقى منها مرة بعد أخرى حين استيقظ نيام السحرة ، والسحرة والسحَر بمعنى ، والدجاج اسم للجنس يعم ذكوره واناثه ، والواحد دجاجة ، وجمع الدجاج دُجج ، والدجاج بكسر الدال ، لغة غير مختارة ؛ تحرير المعنى : بادرت صياح الديك لأسقى من الخمر سقياً متتابعاً .

٦٢- وَغَداةِ رِيحٍ قَدْ وَزَعْتُ وَقِرَّةٍ   قَدْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمالِ زِمامُها

القِرة والقُر : البرد . يقول : كم من غداة تهب فيها الشمال وهي أبرد الرياح ، وبردٍ قد ملكت الشمال زمامه قد كففت عادية البرد عن الناس بنحر الجزر لهم ؛ وتحرير المعنى : وكم من برد كففت غرب عاديته باطعام الناس .

٦٣- وَلَقَدْ حَمَيْتُ الحَيَّ تَحْمِلُ شِكَّتِي   فُرُطٌ ، وِشاحِي إِذْ غَدَوْتُ لِجامُها

الشكة : السلاح . الفرط : الفرس المتقدم السريع الخفيف . الوشاح والإشاح

---

(٦٢) هذا البيت من الأبيات التي قتلها عبدالقاهر شرحاً وتقليباً في كتابيه ، وقد قال في دلائل الإعجاز ٣٢٤ (إنك لا تستطيع أن تزعم أن لفظ « اليد » قد نقل عن شيء إلى شيء ، وذلك أنه ليس المعنى على أنه شبه شيئاً باليد .... وإنما .. أراد أن يثبت للشمال في تصريفها الغداة . . شبه الانسان قد أخذ الشيء بيده يقلبه ويصرفه كما يريد فلما أثبت لها مثل فعل الانسان باليد استعار لها اليد) . وقريب من هذا القول تجده في ص ٣٥٤ من المصدر نفسه . وجاء في العمدة ١٨١/١ (فاستعار للريح الشمال يداً ، وللغداة زماماً ، وجعل زمام الغداة ليد الشمال إذ كانت الغالبة عليها) . «وزعت» - في البيت- كففت . و « الغرب » - في الشرح - الحدة .

بمعنى ، والجمع الوُشُح .

يقول : ولقد حميت قبيلتي في حال حمل فرس متقدم سريع سلاحي ، ووشاحي لجامها اذا غدوت ، يريد أنه يلقي لجام الفرس على عاتقه ويخرج منه يده حتى يصير بمنزلة الوشاح ، يريد أنه يتوشح بلجامها لفرط الحاجة اليه ، حتى لو ارتفع صراخ ألجم الفرس وركبه سريعاً ؛ وتحرير المعنى : ولقد حميت قبيلتي وأنا على فرس أتوشح بلجامها اذا نزلت لأكون متهيئاً لركوبها .

٦٤- فَعَلَوتُ مُرْتَقَباً عَلى ذي هَبْوَةٍ حَرِجٍ إلى أعْلامِهِنَّ قَتامُها

المرتقب : المكان المرتفع الذي يقوم عليه الرقيب . الهبوة : الغَبَرَة . الحرج : الضيق جداً . الأعلام : الجبال والرايات . القتام : الغبار .

يقول : فعلوت عند حماية الحي مكاناً عالياً ، أي كنت ربيئة لهم على ذي هبوة ، أي على جبل ذي هبوة ، وقد قرب قتام الهبوة إلى أعلام فرق الأعداء وقبائلهم ، أي ربأت لهم على جبل قريب من جبال الاعداء ومن راياتهم .

٦٥- حتى إذا ألْقَتْ يداً في كافِرٍ وَأَجَنَّ عَوْرَاتِ الثغورِ ظَلامُها

الكافر : الليل ، سمي به لكفره الاشياء أي لستره ، والكفر : الستر ، والاجنان : الستر أيضاً . الثغر : موضع المخافة ، والجمع الثغور ، وعورته أشد مخافة .

يقول : حتى اذا ألقت الشمس يدها في الليل ، أي ابتدأت في الغروب ، وعبر عن هذا المعنى بالقاء اليد لأن من ابتدأ بالشيء قيل ألقى يده فيه ، وستر الظلام مواضع المخافة ، والضمير الذي بعد ظلامها للعورات ؛ وتحرير المعنى : حتى اذا غربت الشمس وأظلم الليل .

٦٦- أسْهَلتُ وَانْتَصَبتْ كجِذعِ مُنيفةٍ جَرْداءَ يَحْصَرُ دونَها جُرّامُها

أسهل : أتى السهل من الارض . المنيفة : العالية الطويلة . الجرداء : القليلة السعف والليف ، مستعارة من : الجرداء من الخيل . الحَصَر : ضيق الصدر ، والفعل حصِر يحصَر . الجرام : جمع الجارم وهو الذي يجرم النخل أي يقطع حمله .

يقول : لما غربت الشمس وأظلم الليل نزلت من المرقب وأتيت مكاناً سهلاً وانتصبت

الفرس ، أي رفعت عنقها ، كجذع نخلة طويلة عالية تضيق صدور الذين يريدون قطع حملها لعجزهم وضعفهم عن ارتقائها ، شبه عنقها في الطول بمثل هـــذه النخلة ، وقوله : كجذع منيفة ، أي كجذع نخلة منيفة .

٦٧- رَفَّعتُها طَرْدَ النَّعام وَشلَّهُ حتى إذا سَخُنتْ وَخَفَّ عِظامُها

رفّعتها : مبالغة رفعت . الطرْد والطرَد لغتان جيدتان ، والشل والشلل مثلها . يقول : حملت فرسي وكلفتها عدواً مثل عدو النعام أو كلفتها عدواً يصلح لاصطياد النعام حتى إذا جدت في الجري وخف عظامها في السير .

٦٨- قلقَتْ رِحالَتُها وأَسبَلَ نَحْرُها وابتلَّ من زَبَدِ الحميمِ حِزَامُها

القلق : سرعة الحركة . الرحالة : شبه سرج يتخذ من جلود الغنم بأصوافها ليكون أخف في الطلب والهرب ، والجمع الرحائل . أسبل : أمطر . الحميم : العرق .

يقول : اضطربت رحالتها على ظهرها من اسراعها في عدوها ومطرَ نحرُها عرقاً وابتل حزامها من زبد عرقها ، أي من عرقها .

٦٩- تَرْقى وَتطعُنُ في العِنانِ وتَنْتَحي وِرْدَ الحمامَةِ إذْ أَجدَّ حَمامُها

رقي يرقى رقياً : صعد وعلا . الانتحاء : الاعتماد . الحمام : ذوات الأطواق من الطير ، واحدتها حمامة ، وتجمع الحمامة على الحمامات والحمائم أيضاً .

يقول : ترفع عنقها نشاطاً في عدوها ، حتى كأنها تطعن بعنقها في عنانها ، وتعتمد في عدوها الذي يشبه ورد الحمامة ، حين جد الحمام – التي هي في جملتها – في الطيران لما ألح عليها من العطش ؛ شبه سرعة عدوها بسرعة طيران الحمائم إذا كانت عطشى ، وورد الحمامة نُصب على المصدر من غير لفظ الفعل وهو : ترقى أو تطعن أو تنتحي .

٧٠- وكَثيرةٍ غُرباؤها مَجهُولَةٍ تُرْجى نَوافِلُها وَيُخشى ذامُها

الذيم والذام : العيب . يقول : ورب مقامة أو قبة أو دار كثرت غرباؤها وغاشيتها

---

(٦٧) الطرد والشل : المطاردة في الصيد . سخنت : أجريت فعرقت

(٦٩) يقال : يطعن الفرس في العنان إذا مده وتبسط في السير . الانتحاء : اعتماد الابل في سيرها على أحد الجانبين ، وانتحى الفرس : جد في جريه . قوله « ورد الحمامة » أي « كورد ..» – عن اللسان .

وُجهلت ، أي لا يعرف بعض الغرباء بعضاً ، تُرجى عطاياها وتخشى عيبها ؛ يفتخر بالمناظرة التي جرت بينه وبين الربيع بن زياد في مجلس النعمان بن المنذر ملك العرب ، ولها قصة طويلة ؛ وتحرير المعنى : رب دار كثرت غاشيتها ، لأن دور الملوك يغشاهــا الوفود وغرباؤها يجهل بعضها بعضاً ، وترجى عطايا الملوك وتخشى معايب تلحق في مجالسها .

٧١ـ غُلْبٌ تَشَذَّرُ بالذُّحُولِ كأنَّها جِنُّ البَدِيِّ رَوَاسِياً أقدامُها

الغلب : الغلاظ الاعناق . التشذر : التهدد . الذحول : الاحقاد ، الواحد ذَحل . البدي : موضع . الرواسي : الثوابت .

يقول : هم رجال غلاظ الأعناق كالأسود ، أي خلقوا خلقة الأسود ، يهدد بعضهم بعضاً بسبب الأحقاد التي بينهم ، ثم شبههم بجن هذا الموضع في ثباتهم في الخصام والجدال ، يمدح خصومه وكلما كان الخصم أقوى وأشد كان قاهره وغالبه أقوى وأشد .

٧٢ـ أنكرْتُ باطِلَها وبُؤْتُ بحقِّها عندي ولم يَفخرْ عليَّ كِرَامُها

باء بكذا : أقر به ، ومنه قولهم في الدعاء : أبوء لك بالنعمة أي أقر .

يقول : أنكرت باطل دعاوى تلك الرجال الغلب وأقررت بما كان حقاً منها عندي ، أي في اعتقادي ، ولم يفخر علي كرامها ، أي لم يغلبني بالفخر كرامها ، من قولهـــم : فاخرته ففخرته ، أي غلبته بالفخر ، وكان ينبغي أن يقــول : ولم تفخَرني كرامهــا ، ولكنه ألحق « علي » حملاً على معنى : ولم يتعال علي ولم يتكبر علي .

٧٣ـ وجَزُورِ أيسارٍ دَعَوْتُ لحَتْفِها بمَغالِقٍ مُتَشابِهٍ أجسامُها

الأيسار : جمع يَسَر وهو صاحب الميسر . المغالق : سهام الميسر ، سميت بها لأن بها يغلق الخطر ، من قولهم : غلِق الرهنُ يغلَق غلَقاً ، اذا لم يوجد له تخلص وفكاك .

يقول : ورب جزور أصحاب ميسر دعوت ندمائي لنحرها وعقرها بأزلام متشابهة الاجسام ، وسهام الميسر يشبه بعضها بعضاً ؛ وتحرير المعنى : ورب جزور أصحاب ميسر كانت تصلح لتقامر الايسار عليها دعوت ندمائي لهلاكها أي لنحرها بسهام متشابهة ؛ قال

(٧٣) جاء في الميسر والقداح ص ٨٧ (فهي تتشابه في أقــدار الأجسام وإنما تختلف بالعلامات والوسوم) . الخطر : ما يتراهن عليه ، والغلق : استحقاق الرهن . الأزلام : سهام الميسر ، وهي أيضاً قداح الاستقسام ، انظر حاشية ص ٧٣ من هذا الكتاب .

الائمة : يفتخر بنحره اياها من صلب ماله لا من كسب قماره ، والابيات التي بعده تدل عليه ، وانما أراد السهام ليُقرِع بها بين ابله أيها ينحر للندماء .

٧٤ـ أدْعُو بهنّ لِعاقِرٍ أوْ مُطْفِلٍ بُذِلَتْ لجِيرانِ الجميعِ لِحامُها

العاقر : التي لاتلد . المطفل : التي معها ولدها . اللحام : جمع لحم .

يقول : أدعو بالقداح لنحر ناقة عاقر أو ناقة مطفل تبذل لحومها لجميع الجيران ، أي إنما أطلب القداح لأنحر مثل هاتين، وذكر العاقر لأنها أسمن وذكر المطفل لأنها أنفس.

٧٥ـ فَالضّيْفُ وَالجارُ الجنيبُ كأنّما هَبَطا تَبالَةَ مُخْصِباً أهْضامُها

الجنيب : الغريب . تبالة : واد مخصب من أوديـة اليمن . الهَضْم : المطمئن من الارض ، والجمع الاهضام والهضوم .

يقول : فالاضياف والجيران الغرباء عندي كأنهم نازلون هذا الوادي في حال كثرة نبات أماكنه المطمئنة ، شبه ضيفه وجاره في الخصب والسعة بنازل هذا الوادي أيام الربيع

٧٦ـ تأوِي إلى الأطْنابِ كُلُّ رَذِيّةٍ مِثْلِ البَلِيّةِ قالِصٍ أهْدامُهـــا

الاطناب : حبال البيت ، واحدها طُنُب . الرذية : الناقة التي تردى في السفر ، أي تُخلّف لفرط هزالها وكلالها ، والجمع الرذايا ، استعارها للفقيرة . البلية : الناقـة التي تشد على قبر صاحبها حتى تموت ، والجمع البلايا . الاهدام : الاخـلاق من الثياب ، واحدها هِدْم . قُلوصها : قِصرها .

يقول : وتأوي الى أطناب بيتي كل مسكينة ضعيفة قصيرة الاخلاق التي عليها لما بها من الفقر والمسكنة ، ثم شبهها بالبلية في قلة تصرفها وعجزها عن الكسب وامتناع الرزق منها .

٧٧ـ وَيُكَلِّلُونَ، إذا الرّياحُ تَناوَحَتْ، خُلُجاً تُمَدّ شَوارِعاً أيْتامُهـــا

تناوحت : تقابلت ، ومنه قولهم : الجبلان متناوحان، أي متقابلان ومنه النوائح لتقابلهن . الخلج : جمع خليج وهو نهر صغير يخلج من نهر كبير أومن بحر ، والخلج : الجذب . تمد : تزاد . شرع في الماء : خاضه .

(٧٧) تكليل الجفان هو وصف اللحم في القدور كالاكليل . كلب الشتاء : شدته .

يقول : ونكلل للفقراء والمساكين والجيران إذا تقابلت الرياح ، أي في كَلَب الشتاء واختلاف هبوب الرياح ، جفاناً تحكي بكثرة مرقها أنهاراً يشرع أيتام المساكين فيها وقد كلت بكسور اللحم ، وتلخيص المعنى : ونبذل للمساكين والجيران جفاناً عظاماً مملوءة مرقاً مكللة بكسور اللحم في كلب الشتاء وضنك المعيشة .

٧٨ـ إنّا إذا ٱلتَقَتِ المَجامِعُ لم يَزَلْ مِنّا لِزازُ عَظيمَةٍ جَشّامُها

رجل لزاز الخصوم : يصلح لأن يلز بهم ، أي يقرن بهم ليقهرهم ، ومنه لزاز الباب ولزاز الجدار .

يقول : إذا اجتمعت جماعات القبائل فلم يزل يسودهم رجل منا يقمع الخصوم عند الجدال ويتجشم عظائم الخصام ، أي لا تخلو المجامع من رجل منا يتحلى بما ذكر من قمع الخصوم وتكلف الخصام .

٧٩ـ ومُقَسِّمٌ يُعطي العَشيرَةَ حَقَّها ومُغَذْمِرٌ لِحُقوقِها هَضّامُها

التغذمر والغذمرة : التغضب مع همهمة . الهضم : الكسر والظلم .

يقول : يقسم الغنائم فيوفر على العشائر حقوقها ويتغضب عند اضاعة شيء من حقوقها ويهضم حقوق نفسه ، يريد أن السيد منا يوفر حقوق عشائره بالهضم من حقوق نفسه ؛ قوله : ومغذمر لحقوقها ، أي لأجل حقوقها ،هضامها أي هضام الحقوق التي تكون له ، والكناية في «هضامها» يجوز أن تكون عائدة على العشيرة أي هضام للأعداء فيهم منا ،أي هضامهم للأعداء منا ، ويجوز أن تكون عائدة على الحقوق ، أي المغذمر لحقوق العشيرة والهضام لها منا ،والسيد يملك أمور القوم جبراً وهضماً في أوقاتها على اختلافها،فان أساؤوا هضم حقهم وإن أحسنوا تغذمر له .

٨٠ـ فَضْلاً ؛ وذو كَرَمٍ يُعينُ على النَّدى سَمْحٌ كَسوبُ رَغائِبٍ غَنّامُها

الندى : الجود ، والفعل ندي يندى ندى ، ورجل ند . الرغائب : جمع الرغيبة وهي ما رغب فيه من علق نفيس أو خصلة شريفة أو غيرهما . الغنام : مبالغة الغانم .

يقول : يفعل ماسبق ذكره تفضلا ولم يزل منا كريم يعين أصحابه على الكرم ، أي

---

(٧٨) لزاز الباب هو الخشبة المعترضة التي يترس بها الباب .

(٧٩) قول الزوزني « الكناية » أي « الضمير » . وقوله « جبراً وهضماً » أي إنصافاً وانتقاصاً

يعطيهم ما يعطون ، جواد يكسب رغائب المعالي ويغتنمها .

٨١ـ مِنْ مَعْشَرٍ سَنَّتْ لَهُمْ آباؤُهُمْ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وَإِمامُهـــا

يقول : هو من قوم سنت لهم أسلافهم كسب رغائب المعالي واغتنامها ، ثم قال : ولكل قوم سنة وامام سنة يؤتم به فيها .

٨٢ـ لا يَطْبَعونَ وَلا يَبورُ فَعالُهُمْ إِذ لا يَميلُ مَعَ الهَوَى أَحْلامُهـــا

الطَّبَع : تدنس العرض وتلطخه ، والفعل طبِع يطبَع . البَوار : الفســاد والهلاك . الفعال : فعل الواحد جميلا كان أو قبيحاً ، كذا قال ثعلب والمبرد وابن الأنباري وابن الأعرابي .

يقول : لاتتدنس أعراضهم بعار ولا تفسد أفعالهم اذ لا تميل عقولهم مع أهوائهم .

٨٣ـ فَاقْنَعْ بِما قَسَمَ المَليكُ فَإِنَّما قَسَمَ الخَلائِقَ بَيْنَنا عَلاَّمُهـــا

يقول : فاقنع أيها العدو بما قسم الله تعالى فان قسام المعايش والخلائق علامها ،يريد أن الله تعالى قسم لكل ما استحقه من كمال ونقص ورفعـــة وضعة . والقَسْم مصدر قَسَم يقسِم ، والقِسم والقسمة اسمان ، وجمع القِسم أقسام ،وجمع القسمة قِسم . المَلْك والمَلِيك والمليك واحد ، وجمع المَلْك ملوك ، وجمع المِلك أملاك .

٨٤ـ وَإِذا الأَمانَةُ قُسِّمَتْ في مَعْشَرٍ أَوْفَى بِأَوْفَرِ حَظِّنا قَسّامُها

معشر : قوم . قسّم وقسم واحد . أوفى ووفّى : كمّل ووفر ، ووفى يفي وُفِيّاً : كمَل ، والوفور : الكثرة . بأوفر حظنا أي بأ كثره .

يقول : وإذا قسمت الأمانات بين أقوام وفر وكمّل قسمنا من الأمانة أي نصيبنا الأكثر منها ، يريد أنهم أوفى الأقوام أمانة ؛ والباء في قوله « بأوفر » زائدة أي أوفى أوفر حظنا .

٨٥ـ فَبَنَى لَنا بَيْتاً رَفيعاً سَمْكُهُ فَسَما إِلَيْـهِ كَهْلُها وَغُلامُهـــا

(٨٥) جاء في الوساطة ص٤٤٨ (يريد كهلنا وغلامنا) . السمك : بسكون الميم ، السقف .

يقول : بنى الله تعالى لنا بيت شرف ومجدعالي السقف فارتفع الى ذلك الشرف كهل العشيرة وغلامها ، يريد أن كهولهم وشبانهم يسمون الى المعالي والمكارم . واذا روي هذا البيت قبل: فاقنع ، كان المعنى : فبنى لنا سيدنا بيت مجد وشرف، الى آخر المعنى.

٨٦ـ وَهُمُ السُّعاةُ إذا العَشيرةُ أُفظِعَتْ وَهُمْ فَوارِسُها وَهُمْ حُكّامُها

السعاة : جمع الساعي . أفظعت : أصيبت بأمر فظيع .

يقول : اذا أصاب العشيرة أمر عظيم سعوا في دفعه و كشفه ، وهم فرسان العشيرة عند قتالها ، وحكامها عند تخاصمها ، يريد رهطه الأدنين .

٨٧ـ وَهُمُ رَبيعٌ لِلْمُجاوِرِ فيهِمُ وَالمُرْمِلاتِ إذا تَطاوَلَ عامُها

أرمل القوم : إذا نفدت أزوادهم .

يقول : هم لمن جاورهم ربيع لعموم نفعهم واحيائهم اياه بجودهم كما يحيي الربيع الأرض ؛ وتحرير المعنى : هم لمن جاورهم وللنساء اللواتي نفدت أزوادهن بمنزلة الربيع اذا تطاول عامها لسوء حالها ، لأن زمان الشدة يستطال .

٨٨ـ وَهُمُ العَشيرَةُ أنْ يُبَطِّئَ حاسِدٌ أوْ أنْ يَميلَ مَعَ العَدُوِّ لِئامُها

قوله : أن يبطىء حاسد ، معناه على قول البصريين : كراهية أن يبطىء حاسد و كراهية أن يميل ، وعند الكوفيين : أن لا يبطىء حاسد وأن لايميل ، كقوله تعالى « يبين الله لكم أن تضلوا » ، أي كراهية أن تضلوا ، أو يبين الله لكم أن لا تضلوا أي كي لا تضلوا .

يقول : وهم العشيرة ، أي هم متوافقون متعاضدون فكنى عنه بلفظ العشيرة ، كراهية أن يبطىء حاسد بعضهم عن نصر بعض ، أو كيلا يبطىء حاسد بعضهم عن نصر بعض ، و كراهية أن يميل لئام العشيرة وأخساؤها مع العدو ، أي أن يظاهر الأعداءَ على الاقرباء ؛ وتحرير المعنى : أنهم يتوافقون ويتعاضدون كراهية أن يبطىء الحساد بعضهم عن نصر بعض ، وميلِ لئامهم الى الاعداء أو مظاهرتهم اياهم على الاقارب .

عمرو بن كلثوم

★ هو عمرو بن كلثوم [1] بن مالك . . من قبيلة تغلب ؛ وكان يكنى بأبي الاسود وأبي عمير [2] . وقد ذكرت الكتب [3] أن له ثلاثة أبناء هم : الاسود وعبد الله وعباد ، وأن كلثوم بن عمرو العتابي ، الشاعر الناثر العباسي ، من أحفاده . أما ذوو قرابته فأشهرهم : أخوه مرّة قاتل المنذر بن النعمان ، ومهلهل بن ربيعة جده لأمه ، وكليب وائل أخو المهلهل ، وامرؤ القيس الشاعر وهو ابن أخت المهلهل [4] .

ولقد جرت عادة الادباء الا يذكروا عمرو بن كلثوم التغلبي الا ذكروا فتك تغلب وحربها مع قبيلة بكر ، تلك الحرب التي دعيت بحرب البسوس [5] ونشبت بين القبيلتين الشقيقتين من أجل ناقة ، واستعر أوارها ردحاً طويلا ، ثم تواضع القوم وألقوا أسلحتهم ؛ ولكن القلوب التي تنافر ودها ما كان لها أن تعود الى سابق عهدها ، فظلت في النفوس أشياء وأشياء ، تكمن تارة وتفور أخرى . . . وفي احدى هذه الفورات اختصمت بكر مع تغلب ، واحتكم الفريقان الى عمرو بن هند ، فوقف عمرو بن كلثوم بين يديه – باسم قبيلة تغلب – وقال قصيدته هذه ، ثم برز له الحارث بن حلزة – باسم قبيلة بكر – فقال معلقته الهمزية ، فكان أن مال الملك الى الحارث وأدناه منه ، وحكم في تلك الخصومة لبكر على تغلب . فحملها ابن كلثوم في نفسه حتى كان يومٌ قال فيه ابنُ هند لندمائه (هل تعلمون أحداً من العرب تأنف أمه من خدمة أمي ؟ فقالوا : نعم . أم عمرو بن كلثوم . قال : ولم ؟ قالوا : لان أباها مهلهل بن ربيعة ، وعمها كليب وائل أعز العرب وبعلها كلثوم بن مالك أفرس العرب ، وابنها عمرو وهو سيد قومه . فأرسل عمرو بن هند الى عمرو بن كلثوم يستزيره . . . فأقبل عمرو . . وأقبلت ليلى بنت مهلهل . . . فدخل عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند في رواقه ، ودخلت ليلى وهند في قبة من جانب الرواق . . .

★ هذه التوطئة بقلم المعلق وليست للزوزني (1) في معجم الشعراء ٢٢٥ شاعر آخر باسم عمرو ابن كلثوم ولكنه من كنانة لا من تغلب . (2) معجم الشعراء ٢٠٢ – كنى الشعراء ٢٩٣ (3) الشعر والشعراء ١٨٨/١ جمهرة أنساب العرب ٣٠٤ (4) الشعر والشعراء ١٨٦/١ وانظر نسب شعراء المعلقات بين صفحتي ٦٤ – ٦٥ من هذا الكتاب (5) تجد موجزاً لقصتها في مجمع الأمثال ٣٨٨/١ « أشأم من البسوس » وفي سبائك الذهب ١٠٦ وفي رجال المعلقات ٢٣١ .

وقد كان عمرو بن هند أمر أمه أن تنحي الخدم اذا دعا بالطُرَف وتستخدم ليلى ، فدعا عمرو بمائدة ثم دعا بالطرف ، فقالت هند : ناوليني ياليلى ذلك الطبق . فقالت ليلى : لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها . فأعادت عليها وألحت ، فصاحت ليلى : واذلاه ، يا لتغلب . فسمعها عمرو بن كلثوم فثار الدم في وجهه .. فوثب .. الى سيف .. معلق .. فضرب به رأس عمرو بن هند ، ونادى في بني تغلب فانتهبوا مافي الرواق ..)(١) . ومن أجل هذه القصة بالذات قيل في المثل (أفتك من عمرو بن كلثوم) (٢) . ذلك لان عمرو ابن هند كان من أشد ملوك العرب في الجاهلية واكثرهم مهابة . ولقد كان حدثاً عظيماً جداً أن يفتك به ابن كلثوم التغلبي ، أما فتك قبيلته فحسبها أنهم قالوا فيها (لو أبطأ الاسلام قليلاً لأكلت بنو تغلب الناس)(٣) . هذا وقد كان عمرو بن كلثوم (أحد ... الذين شربوا الخمر صرفاً حتى ماتوا ..)(٤) ، ذلك أنه أغار مرة على قوم فأسروه وأنزلوه قصراً في اليمامة وسقوه الخمرة خالصة (فلم يزل يشرب حتى مات) (٤) .

كان ابن كلثوم من الشعراء المقلين(٥) ، نحله الناس من الشعر ما ليس له ، فتقاذفته شكوك الأدباء حتى أوشك الدكتور طه حسين (٦) أن يشك في وجوده – أصلاً – بله شعره ؛ الا أنه عاد فمال الى اثبات وجوده عندما سمع صاحب الأغاني يقول بأنه عاصر بعض أحفاد الشاعر . وليس معنى هذا أن الأديب الكبير – حين أقر بوجود ابن كلثوم – أقر بكل ما للشاعر من شعر ومن أخبار .. بل انه ليشك في الكثير مما يروى عنه ويعجب أشد العجب : كيف يُقتل ابن هند ويسكتَ على ذلك المناذرة والفرس ؟ .

ولو اقتصر مصاب ابن كلثوم على كونه : مقلاً ، محمولاً عليه ، لهان الأمر قليلاً ؛ ذاك لأن الأصمعي زاد بلاءه – حين سئل عنه (: أفحل هو – فقال : ليس بفحل)(٧) . وهذا تحامل سبق أن عرضنا له في ترجمة زهير (٨) ، ولا طائل في اعادة ما سبق .

طبع ديوان ابن كلثوم في مجلة المشرق سنة ١٩٢٢ ، وترجمت معلقته الى عدة لغات(٩) ، وقد قيل انها كانت نحو ألف بيت(١٠) أو تزيد ، وأغلب الظن (١١) أنه نظمها

---

(١) الاغاني ١١/٤٧ – ٤٨ (٢) مجمع الامثال ٢/٣٦ (٣) خزانة الادب ٣/١٦٣
(٤) الشعر والشعراء ١/٣٤٠ (٥) العمدة ١/٦٦ (٦) في الادب الجاهلي ٢٧٧ (٧) الموشح ٨٠ – فحولة الشعراء ١٩ (٨) ص١٧٦ من هذا الكتاب (٩) تاريخ الادب لفاخوري ١٢٥ وانظر ص٦٠ من هذا الكتاب (١٠) هدية العارفين ١/٨٠٢ – رجال المعلقات ١٩٧ تاريخ الآداب لزيدان ١/١٢٢
(١١) رجال المعلقات ١٩٨ – ١٩٩ – تاريخ الآداب لزيدان ١/١٢٣ – تاريخ الأدب لفاخوري ١١٩

في فترتين : الاولى عند احتكام بكر وتغلب الى عمرو بن هند كما تقدم ، والثانية بعد قتله لابن هند . ولقد بلغ من شهرة هذه المعلقة أن صارت كالنشيد القومي لتغلب ، الامر الذي دعا ابن شرف القيرواني[١] أن يقول عنها (وجعلتها تغلب قبلتها التي تصلي اليها ، وملتها التي تعتمد عليها ، فلم يتركوا اعادتها ، ولاخلعوا عبادتها ، الا بعد قول القائل :

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة　　　قصيدة قالها عمرو بن كلثوم)

وقال عيسى بن عمر[٢] (لو وضعت أشعار العرب في كفة وقصيدة عمرو بن كلثوم في كفة لمالت بأكثرها) . أما المستشرق الإيطالي نالينو[٣] فقد قال عنها انها (قصيدة غاية في الفخر ، لاتكاد تفوق فيه عليها غيرها) ثم قال (.. وماتنفرد به معلقتا الحارث وعمرو عن أغلب سائر قصائد الجاهلية أن معظمها يدور على الموضوع الاساسي ، فلاتبقى فيهما للغزل والوصف وسائر لواحق القصائد الا أبيات قليلة جداً) .

هذا وقد مر فيما قدمناه بين يدي هذا الكتاب كثير مما يتصل بحياة الشاعر أو بفنه ، فليُرجع اليه[٤] .

* * *

(١) رسائل الانتقاد – ضمن رسائل البلغاء ص ٣١٦ – وانظر الاغاني ٤٨/١١ وخزانة الأدب ١٦٢/٣　(٢) جمهرة أشعار العرب ٦٩　(٣) تاريخ الآداب ٦١　(٤) راجع الصفحات ١٠ ← ١٢ و ١٤ و ٢٤ و ٢٦ ← ٣١ و ٣٣ و ٣٨ و ٤٠ و ٤١ و ٤٧ ← ٤٩ و ٥١ و ٥٤ و ٥٧ .

معلّقة عمرو بن كُلثوم

وقال عمرو بن كلثوم يذكر أيام بني تغلب ويفتخر بهم :

١ ـ ألا هُبّي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحينا وَلا تُبقي خُمورَ الأَندَرينا

هب من نومه يهُب هباً : اذا استيقظ . الصحن : القدح العظيم ، والجمع الصحون . الصَبْح : سقي الصبوح ، والفعل صبَح يصبَح . أبقيت الشيء وبقّيته بمعنى . الأندرون : قرى بالشام .

يقول : ألا استيقظي من نومك أيتها الساقية واسقيني الصبوح بقدحك العظيم ولا تدخري خمر هذه القرى .

٢ ـ مُشَعْشَعَةً كَأَنَّ الحصَّ فيها إذا ما الماءُ خالَطَها سَخينا

شعشعت الشراب : مزجته بالماء . الحص : الورس نبت له نوّار أحمر يشبه الزعفران ومنهم من جعل « سخيناً » صفة ومعناه الحار ، من سخن يسخُن سخونة ، ومنهم من جعله فعلاً من سخي يسخى سخاء ، وفيه ثلاث لغات : إحداهن ما ذكرنا ، والثانية سخُوَ يسخو ، والثالثة سخا يسخو سخاوة .

يقول : اسقينيها ممزوجة بالماء كأنها ، من شدة حمرتها بعد امتزاجها بالماء ، ألقي فيها نَور هذا النبت الاحمر ، واذا خالطها الماء وشربناها وسكرنا جُدنا بعقائل أموالنا وسمحنا بذخائر أعلاقنا ، هذا اذا جعلنا « سخينا » فعلاً ، واذا جعلناه صفة كان المعنى : كأنها حال امتزاجها بالماء وكون الماء حاراً ، نَور هذا النبت . ويروى « شحينا » بالشين المعجمة ، أي اذا خالطها الماء مملوءة به . والشحن : الملء ، والفعل شحَن يشحَن ، والشحين بمعنى

---

(١) قال نالينو ـ في تاريخ الآداب العربية ص ١٨٥ — بأن كلا من الخليل وصاحب لسان العرب وصاحب القاموس قد أخطأ في تفسير الأندرين بالفتيان المجتمعين للشرب ، ثم قال بأن الأندرين (موضع بالشام عن جنوبي حلب على طرف البادية) . وجاء في خزانة الأدب ١٦٠/٣ (الأندرين : قرية بالشام كثيرة الخمر ، وقيل هو أندر ثم جمعه بما حواليه ، وقيل هو أندرون)

(٢) جاء في الخزانة ١٦٠/٣ (قال ابو عمرو الشيباني : كانوا يسخنون لها الماء في الشتاء ثم يمزجونها به) .

المشحون كالقتيل بمعنى المقتول ، يريد أنها حال امتزاجها بالماء وكون الماء كثيراً تشبه هذا النور .

٣ ـ تَجُورُ بِذي اللُّبانَةِ عَنْ هَواهُ إذا ما ذاقَهـا حَتّى يَلينا

يمدح الخمر ويقول : تُميل صاحب الحاجة عن حاجته وهواه إذا ذاقها حتى يلين ، أي هي تنسي الهموم والحوائج أصحابها ، فإذا شربوها لانوا ونسوا أحزانهم وحوائجهم .

٤ ـ تَرَى اللَّحِزَ الشَّحيحَ إذا أُمِرَّتْ عَلَيْهِ ، لِمالِهِ فيها مُهينـا

اللحز : الضيق الصدر . الشحيح : البخيل الحريص ، والجمع الأشحة والأشحاء ، والشحاح أيضاً مثل الشحيح ، والفعل شح يشح ، والمصدر الشح وهو البخل معه حرص .

يقول : ترى الإنسان الضيق الصدر البخيل الحريص مهيناً لماله فيها ، أي في شربها ، إذا أمرت الخمر عليه ، أي إذا اديرت عليه .

٥ ـ صَبَنْتِ ٱلكَأْسَ عَنّا أُمَّ عَمْرٍو وَكانَ ٱلكَأْسُ مَجْراهـا ٱليَمينا

الصبن : الصرف ، والفعل صبَن يصبِن .

يقول : صرفت الكأس عنا يا أم عمرو وكان مجرى الكأس على اليمين فأجريتها على اليسار .

٦ ـ وَما شَرُّ ٱلثَّلاثَـةِ أُمَّ عَمْرٍو بِصاحِبِكِ الَّذي لا تَصْبَحينـا

يقول : ليس بصاحبك الذي لا تسقينه الصبوح شر هؤلاء الثلاثة الذين تسقينهم أي لست شر أصحابي فكيف أخرتني وتركت سقيي الصبوح ؟

٧ ـ وَكَأْسٍ قَدْ شَرِبْتُ بِبَعْلَبَكٍّ وَأُخْرَى في دِمَشْقَ وَقاصِرينا

يقول : ورب كأس شربتها بهذه البلدة ورب كأس شربتها بتينك البلدتين .

٨ ـ وَإنّا سَوْفَ تُدْرِكُنا المَنايا مُقَدَّرَةً لَنـا وَمُقَدَّرينـا

يقول : سوف تدركنا مقادير موتنا وقد قدّرت تلك المقادير لنا وقدّرنا لها .

(٥ ـ ٦) جاء في رسالة الغفران ص ١٨٢ أن هذين البيتين لعمرو بن عدي اللخمي ، ثم قال (فلعل عمرو بن كلثوم حسن بها كلامه واستزادهما في أبياته) . وانظر كذلك الخزانة ١٦٢/٣ .

المنايا : جمع المنية وهي تقدير الموت .

٩ - قِفي قَبْلَ التَّفَرُّقِ يا ظَعينا نُخَبِّرْكِ الْيَقينَ وَتُخْبِرينا

أراد يا ظعينة فرخّم ، والظعينة : المرأة في الهودج ، سميت بذلك لظعنها مع زوجها ، فهي فعلية بمعنى فاعلة ، ثم كثر استعمال هذا الاسم للمرأة حتى يقال لها ظعينة وهي في بيت زوجها .

يقول : قفي مطيتك أيتها الحبيبة الظاعنة نخبرك بما قاسينا بعدك وتخبرينا بما لاقيت بعدنا .

١٠ - قِفي نَسْأَلْكِ هَلْ أَحْدَثْتِ صَرْماً لِوَشْكِ الْبَيْنِ أَمْ خُنْتِ الأَمينا

الصرم : القطيعة . الوشك : السرعة ، والوشيك السريع . الامين : بمعنى المأمون .

يقول : قفي مطيتك نسألك هل أحدثت قطيعة لسرعة الفراق أم هل خنت حبيبك الذي تُؤمن خيانته ؟ أي هل دعتك سرعة الفراق الى القطيعة أو الى الخيانة في مودة من لا يخونك في مودته اياك ؟

١١ - بِيَوْمِ كَريهَةٍ ضَرْباً وَطَعْناً أَقَرَّ بِهِ مَواليكِ الْعُيُونا

الكريهة : من أسماء الحرب ، والجمع الكرائه ، سميت بها لأن النفوس تكرهها ، وإنما لحقتها التاء لأنها أخرجت مُخرج الاسماء مثل : النطيحة والذبيحة ، ولم تُخرج مُخرج النعوت مثل : امرأة قتيل وكف خضيب ، ونصب « ضرباً وطعناً » على المصدر أي يضرب فيه ضرباً ويطعن فيه طعناً . قولهم : أقر الله عينك ، قال الاصمعي : معناه أبرد الله دمعك ، أي سرك غاية السرور ، وزعم أن دمع السرور بارد ودمع الحزن حار ، وهو عندهم مأخوذ من القَرور وهو الماء البارد ، وردّ عليه أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب هذا القول وقال : الدمع كله حار ، جلبه فرح أو ترح . وقال أبو عمرو الشيباني : معناه أنام الله عينك وأزال سهرها لأن استيلاء الحزن داع الى السهر ، فالإقرار على قوله « افعال » من : قر يقِر قراراً ، لأن العيون تقَر في النوم وتطرف في السهر . وحكى ثعلب عن جماعة من الائمة أن معناه : أعطاك الله مناك ومبتغاك حتى تقر عينك عن الطِماح الى غيره ، وتحرير المعنى : أرضاك الله ، لأن المترقب للشيء يطمح

ببصره اليه فاذا ظفر به قرت عينه عن الطماح إليه .

يقول : نخبرك بيوم حرب كثر فيه الضرب والطعن فأقر بنو أعمامك عيونهم في ذلك اليوم ، أي فازوا ببغيتهم وظفروا بمناهم من قهر الاعداء .

١٢ ـ وإنَّ غداً وَإنَّ ٱلْيَوْمَ رَهْنٌ وَبَعْدَ غَدٍ بِما لا تَعْلَمينـــا

أي بما لاتعلمين من الحوادث .

يقول : فان الايام « رهن » بما لا يحيط علمك به أي « ملازمة » له .

١٣ ـ تُرِيكَ إذا دَخَلْتَ عَلى خَلاءِ وَقَدْ أَمِنَتْ عُيُونَ ٱلْكاشِحينا

الكاشح : المضمر العداوة في كشحه ، وخصت العرب الكشح بالعداوة لأنه موضع الكبد ، والعداوة عندهم تكون في الكبد ، وقيل : بل سمي العدو كاشحاً لأنه يكشح عن عدوه أي يعرض عنه فيوليه كشحه ، يقال : كشَح عنه يكشَح كشحاً .

يقول : تريك هذه المرأة إذا أتيتها خالية وأمنت عيون أعدائها .

١٤ ـ ذِراعَيْ عَيْطَلٍ أدْماءَ بِكْرٍ هِجانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنينـــا

العيطل : الطويلة العنق من النوق . الادماء : البيضاء منها والادْمة البياض في الإبل . البكر : الناقة التي حملت بطناً واحـداً ، ويروى بكر ، بفتح الباء ، وهـو الفتي من الإبل وكسر الباء أعلى الروايتين ؛ ويروى : تربعت الاجـارع والمتونا . تربعت : رعت ربيعـاً . الاجارع : جمع الاجرع وهو المكان الذي فيه جَرَع ، والجرع : جمع جَرعة ، وهي دعص من الرمل غير منبت شيئاً . المتون : جمـع متن وهو الظهر من الارض . الهجان : الابيض الخالص البياض ، يستوي فيه الواحد والتثنية والجمع ، وينعت به الإبل والرجال وغيرهما . لم تقرأ جنيناً أي لم تضم في رحمها ولداً .

يقول : تريك ذراعين ممتلئتين لحماً كذراعي ناقة طويلة العنق لم تلد بعـد أو رعت أيام الربيع في مثل هذا الموضع ، ذكر هذا مبالغة في سمنها ، أي ناقة سمينة لم تحمل ولداً قط بيضاء اللون .

---

(١٤) لم تقرأ : لم تحمل .

١٥ ـ وَثَدْياً مِثْلَ حُقِّ ٱلعاجِ رَخْصاً حَصاناً مِنْ أَكُفِّ اللاَّمِسينا

رخصاً : ليناً . حصاناً : عفيفة . يقول : وتريك ثدياً مثل حق من عاج بياضاً واستدارة محرزة من أكف من يلمسها .

١٦ ـ وَمَتْنَيْ لَدْنَةٍ سَمَقَتْ وَطالَتْ ، رَوادِفُها تَنُوءُ بِما وَلِينـــا

اللدن : الليّن ، والجمع لُدن ، أي ومتني قامة لدنة . السموق . الطول ، والفعل سمَق يسمُق . الرادفتان والرانفتان : فرعا الاليتين ، والجمع الروادف والروانف . النوء : النهوض في تثاقل . الوَلْي . القرب ، والفعل ولي يلي .

يقول : وتريك متني قامة طويلة لينة تثقل أردافها مع ما يقرب منهـا ، وصفها بطول القامة وثقل الارداف .

١٧ ـ وَمَأْكَمَةً يَضيقُ ٱلبابُ عَنْها وَكَشْحاً قَدْ جُنِنْتُ بِهِ جُنُونا

المأكَمة والمأكِمة : رأس الورك ، والجمع المآكم .

يقول : وتريك وركاً يضيق الباب عنها لعظمها وضخمها وامتلائها باللحم ، وكشحاً قد جننت بحسنه جنوناً .

١٨ ـ وَسارِيَتَيْ بَلَنْطٍ أَوْ رُخامٍ يَرِنُّ خِشاشُ حَلْيِهِما رَنِينـــا

البلنط : العاج . السارية : الاسطوانة ، والجمع السواري . الرنين : الصوت .

يقول : وتريك ساقين كأسطوانتين من عاج أو رخام بياضاً وضخماً يصوّت حليهما ، أي خلاخيلهما ، تصويتاً .

١٩ ـ فَما وَجَدَتْ كَوَجْدي أُمُّ سَقْبٍ أَضَلَّتْـــهُ فَرَجَّعَتِ الحَنينا

قال القاضي أبو سعيد السيرافي : البعير بمنزلة الإنسان ، والجمل بمنزلة الرجل ، والناقة

---

(١٨) في اللسان (البلنط : شيء يشبه الرخام إلا أن الرخام أهش منه وأرخى) ثم استشهد بهذا البيت . ومن معاني « الخشاش » : الجانب والأفعى والحشرات وصغار الطير ، فإن فسرنا « الخشاش » في البيت بالجانب كان المعنى حقيقياً ؛ وإن فسرناه بغيره كان المعنى على تشبيه الخلاخيـل بالأفعى ، أو تشبيه صوت الخلاخيل بصوت الحشرات أو صغار الطير في الروض .

بمنزلة المرأة ، والسقب بمنزلة الصبي ، والحائل بمنزلة الصبية ، والحُوار بمنزلة الولد ، والبَكر بمنزلة الفتى ، والقلوص بمنزلة الجارية . الوجد : الحزن ، والفعل وجد يجد . الترجيع : ترديد الصوت . الحنين : صوت المتوجع .

يقول : فما حزنت حزناً مثل حزني ناقة أضلت ولدها فرددت صوتها مع توجعها في طلبها ، يريد أن حزن هذه الناقة دون حزنه لفراق حبيبته .

٢٠ ـ وَلا شَمْطاءُ لَمْ يَتْرُكْ شَقاها لَهَا مِنْ تِسْعَةٍ إلاّ جَنينا

الشَمَط : بياض الشعر . الجنين : المستور في القبر هنا .

يقول : ولا حزنت كحزني عجوز لم يترك شقاء جَدها لها من تسعة بنين الا مدفوناً في قبره ، أي ماتوا كلهم ودفنوا ، يريد أن حزن العجوز التي فقدت تسعة بنين دون حزنه عند فراق عشيقته .

٢١ ـ تَذَكَّرْتُ الصِّبا وَاشْتَقْتُ لَمَّا رَأَيْتُ حُمُولَهَا أُصُلاً حُدِينا

الحمول : جمع حامل ، يريد ابلها .

يقول : تذكرت العشق والهوى واشتقت الى العشيقة لما رأيت حمول ابلها سيقت عشياً .

٢٢ ـ فَأَعْرَضَتِ اليَمامَةُ وَاشْمَخَرَّتْ كَأَسْيافٍ بِأَيْدي مُصْلِتينا

أعرضت : ظهرت ، وعرَضت الشيء أظهرته ، ومنه قوله عز وجل : « وعرَضنا جهنم يومئذ للكافرين عَرْضاً » وهذا من النوادر ، عرضت الشيء فأعرض ، ومثله كببته فأكب ، ولا ثالث لهما فيما سمعنا . اشمخرت . ارتفعت . أصلتّ السيف : سلته .

يقول : فظهرت لنا قرى اليمامة وارتفعت في أعيننا كأسياف بأيدي رجال سالّين سيوفهم ، شبه ظهور قراها بظهور أسياف مسلولة من أغمادها .

٢٣ ـ أَبا هِنْدٍ فَلا تَعْجَلْ عَلَيْنا وَأَنْظِرْنا نُخَبِّرْكَ اليَقينا

---

(١٩) قوله « بمنزلة الجارية » أي بمنزلة الفتية من النساء .

(٢١) الأصل : بضمتين ، جمع الأصيل وهو العشية . حدين : أي ساقها صاحبها وهو يحدو لها .

يقول : يا أبا هند لا تعجل علينا وأنظرنا نخبرك باليقين من أمرنا وشرفنا ، يريد عمرو بن هند فكناه .

٢٤ - بِأَنَّا نُورِدُ الرَّاياتِ بِيضاً وَنُصْدِرُهُنَّ حُمْراً قَدْ رَوِينا

الراية : العلم ، والجمع الرايات والراي .

يقول: نخبرك باليقين من أمرنا بأنا نورد أعلامنا الحروب بيضاً ونرجعها منها حمراً قد روين من دماء الابطال . هذا البيت تفسير « اليقين » من البيت الأول .

٢٥ - وَأَيَّامٍ لَنا غُرٍّ طِوالٍ عَصَيْنا المَلْكَ فيها أَنْ نَدينا

يقول : نخبرك بوقائع لنا مشاهير كالغر من الخيل عصينا الملك فيها كراهية أن نطيعه ونتذلل له الأيام : الوقائع هنا . الغر : بمعني المشاهير كالخيل الغر لاشتهارها فيما بين الخيل . قوله : أن ندين، أي كراهية أن ندين ، فحذف المضاف، هذا على قول البصريين، وقال الكوفيون : تقديره أن لا ندين ، أي لئلا ندين ، فحذف لا .

٢٦ - وَسَيِّدِ مَعْشَرٍ قَدْ تَوَّجُوهُ بِتاجِ المُلْكِ يَحْمي المُحْجَرِينا

يقول : ورب سيد قوم متوج بتاج الملك حامٍ للملجئين قهرناه . أحجرته : ألجأته .

٢٧ - تَرَكْنا الخَيْلَ عاكِفَةً عَلَيهِ مُقَلَّدَةً أَعِنَّتَها صُفُونا

العكوف : الإقامة ، والفعل عكف يعكف . الصفون : جمع صافن ، وقد صفن الفرس يصفِن صفوناً إذا قام على ثلاث قوائم وثنى سنبكه الرابع .

يقول : قتلناه وحبسنا خيلنا عليه وقد قلدناها أعنتها في حال صفونها عنده .

٢٨ - وَأَنْزَلْنا البُيُوتَ بِذِي طُلُوحٍ إلى الشَّاماتِ نَنْفي المُوعِدينا

يقول : وأنزلنا بيوتنا بمكان يعرف بذي طلوح الى الشامات، ننفي من هذه الأماكن أعداءنا الذين كانوا يوعدوننا .

---

(٢٥) الفرس الأغر : هو الذي في جبهته بياض . أن ندين : أن نطيع وأن نذل .

(٢٦) ليس في القاموس — وكذلك اللسان — أحجرته ، بل فيه : احتجر به ، أي استعاذ به .

٢٩ ـ وَقَدْ هَرَّتْ كِلابُ الحَيِّ مِنَّا وَشَذَّبْنا قَتــادَةَ مَنْ يَلينا

القتاد : شجر ذو شوك ، والواحدة منها قتادة . التشذيب : نفي الشوك والأغصان الزائدة والليف عن الشجر . يلينا أي يقرب منا .

يقول : وقد لبسنا الأسلحة حتى أنكرتنا الكلاب وهرت لإنكارها إيانا ، وقد كسرنا شوكة من يقرب منا من أعدائنا ، استعار لفل الغرب و كسر الشوكة تشذيب القتادة .

٣٠ ـ مَتى نَنقُلْ إلى قَوْمٍ رَحانا يَكُونُوا في اللِّقاءِ لَها طَحينا

أراد بالرحى رحى الحرب وهي معظمها .

يقول : متى حاربنا قوماً قتلناهم ، لما استعار للحرب اسم الرحى استعار لقتلاها اسم الطحين .

٣١ ـ يَكُونُ ثِفالُها شَرْقِيَّ نَجْدٍ وَلُهْوَتُها قُضاعَةَ أَجْمَعينا

الثفال : خرقة أو جلدة تبسط تحت الرحى ليقع عليها الدقيق . اللهوة : القبضة من الحب تلقى في فم الرحى ، وقد ألهيت الرحى ألقيت فيها لهوة .

يقول : تكون معركتنا الجانب الشرقي من نجد وتكون قبضتنا قضاعة أجمعين ، فاستعار للمعركة اسم الثفال وللقتلى اسم اللهوة ليشاكل الرحى والطحين .

٣٢ ـ نَزَلْتُمْ مَنْزِلَ الأَضْيافِ مِنَّا فَأَعْجَلْنــا القِرَى أَنْ تَشْتِمُونا

يقول : نزلتم منزلة الأضياف فعجّلنا قِراكم كراهية أن تشتمونا ، ولكي لا تشتمونا ، والمعنى : تعرضتم لمعاداتنا كما يتعرض الضيف للقِرى فقتلناكم عجالاً كما يحمد تعجيل قِرى الضيف ، ثم قال تهكماً بهم واستهزاء : أن تشتمونا ، أي قريناكم على عجلة كراهية شتمكم إيانا ان أخّرنا قِراكم .

٣٣ ـ قَرَيْناكُمْ فَعَجَّلْنا قِراكُمْ قُبَيْلَ الصُّبْحِ مِرْداةً طَحُونا

المرادة : الصخرة التي يكسر بها الصخور ، والمرداة أيضاً الصخرة التي يرمى بها ،

(٢٩) هرت : صوتت دون نباح . الفل : الكسر والتثليم ، وغروب السيف : حده .

والردي : الرمي والفعل ردى يردي ، فاستعار المرداة للحرب . الطحون : فعول من الطحن . مرداة طحوناً أي حرباً أهلكتهم أشد اهلاك .

٣٤ - نَعُمُّ أُناسَنا ونَعِفُّ عَنْهُمْ وَنَحْمِلُ عَنْهُمُ مـا حَمَّلُونا

يقول : نعم عشائرنا بنوالنا وسيبنا ، ونعف عن أموالهم ، ونحمل عنهم ما حملونا من أثقال حقوقهم ومؤنهم ، والله أعلم .

٣٥ - نُطاعِنُ ما تَراخَى النَّاسُ عَنَّا وَنَضْرِبُ بالسُّيُوفِ إذا غُشِينا

التراخي : البعد . الغشيان : الإتيان . يقول : نطاعن الأبطال ما تباعدوا عنا ، أي وقت تباعدهم عنا ، ونضربهم بالسيوف إذا أتينا ، أي أتونا فقربوا منا ، يريد ان شأننا طعن من لا تناله سيوفنا .

٣٦ - بِسُمْرٍ مِنْ قَنا الخَطِّيِّ لُدْنٍ ذَوابِلَ أَوْ ببيضٍ يَخْتَلينا

اللَّدْن : الليّن ، والجمع لدن . يقول : نطاعنهم برماح سمر لينة من رماح الرجل الخطي ، يريد « سمهراً » ، أو نضاربهم بسيوف بيض يقطعن ما ضرب بها ، توصف الرماح بالسمرة لأن سمرتها دالة على نضجها في منابتها .

٣٧ - كَأَنَّ جَماجِمَ الأَبْطالِ فيها وُسُوقٌ بالأَماعِزِ يَرْتَمينا

الأبطال : جمع بطل وهو الشجاع الذي تبطل دماء أقرانه . الوسوق : جمع وَسْق وهو حِمل بعيرٍ . الأماعز : جمع الأمعز وهو المكان الذي تكثر حجارته .

يقول : كأن جماجم الشجعان منهم أحمال ابل تسقط في الأماكن الكثيرة الحجارة ، شبه رؤوسهم في عظمها بأحمال الإبل . والارتماء لازم ومتعد ، وهو في البيت لازم .

---

(٣٦) الذابل من القنا : الرقيق الملتصق القشر. يختلين : يقطعن . قول الزوزني « يريد سمهراً » هو رجل من أهل «خط هجر» اشتهر مع زوجته « ردينة » بتثقيف الرماح ، ولهذا قالوا : رمح خطي وسمهري ورديني وانظر شرح البيت ٥ من معلقة لبيد .

(٣٧) قوله « تبطل دماء أقرانه » أي تضيع وتذهب خسراً لأنهم لا يقدرون على الثأر منه . قوله « الارتماء لازم ومتعد » : إنما يتعدى بالباء لا بنفسه ؛ مثل : ارتمت البلاد به أي ترامت به .

٣٨ ـ نَشُقُّ بِها رُؤوسَ ٱلقَوْمِ شَقًّا وَنَخْتَلِبُ الرِّقابَ فَتَخْتَلِينا

الاختلاب : قطع الشيء بالمخلب وهو المنجل الذي لا أسنان له . الاختلاء : قطع الخلى وهو رطب الحشيش .

يقول : نشق بها رؤوس الأعداء شقاً ونقطع بها رقابهم فيقطعن .

٣٩ ـ وَإنَّ الضِّغْنَ بَعْدَ الضِّغْنِ يَبْدُو عَلَيْكَ وَيُخْرِجُ الدَّاءَ الدَّفِينا

يقول : وان الضغن بعد الضغن تفشو آثاره ويخرج الداء المدفون من الأفئدة ، أي يبعث على الانتقام .

٤٠ ـ وَرِثْنا المَجْدَ، قَدْ عَلِمَتْ مَعَدٌّ، نُطاعِنُ دُونَهُ حَتَّى يَبِينا

يقول : ورثنا شرف آبائنا ، قد علمت ذلك معد ، نطاعن الأعداء دون شرفنا حتى يظهر الشرف لنا .

٤١ ـ وَنَحْنُ ، إذا عِمادُ الحَيِّ خَرَّتْ عَنِ الأَحْفاضِ ، نَمْنَعُ مَنْ يَلِينا

الحَفَض : متاع البيت ، والجمع أحفاض ، والحفض البعير الذي يحمل خُرْثِيَّ البيت ، والجمع أحفاض . من روى في البيت : على الأحفاض ، أراد بها الأمتعة ، ومن روى : عن الأحفاض ، أراد بها الإبل .

يقول : ونحن إذا قُوِّضت الخيام فخرت على أمتعتها نمنع ونحمي من يقرب منا من جيراننا ، أو : ونحن إذا سقطت الخيام عن الإبل للإسراع في الهرب نمنع ونحمي جيراننا إذا هرب غيرنا حمينا غيرنا .

٤٢ ـ نَجُذُّ رُؤوسَهُمْ في غَيْرِ بِرٍّ فَما يَدْرُونَ ماذا يَتَّقُونا

الجذ : القطع . يقول نقطع رؤوسهم في غير بر ، أي في عقوق ، ولا يدرون ماذا

---

(٣٨) لم أجد في اللسان والقاموس « الاختلاب » بمعنى « قطع الشيء بالمخلب » بل معناه فيهما : السلب أو الخداع . الاختلاء : متعد ، وعلى ذلك فضمير الفاعل في « فتختلينا » يعود الى السيوف لا الرقـاب .

(٤١) خرثي البيت : بضم فسكون وبياء مشددة ، أثاثه .

يحذرون منا من القتل وسبي الحرم واستباحة الأموال .

٤٣ ـ كَأَنَّ سُيُوفَنا مِنَّا وَمِنْهُمْ مَخَارِيقٌ بِأَيْدِي لاعِبينـا

المخراق : معروف ، والمخراق أيضاً سيف من خشب .

يقول : كنا لا نحفل بالضرب بالسيوف كما لا يحفل اللاعبون بالضرب بالمخاريق ، أو كنا نضرب بها في سرعة كما يُضرب بالمخاريق في سرعة .

٤٤ ـ كَأَنَّ ثِيابَنا مِنَّا وَمِنْهُمْ خُضِبْنَ بِأُرْجُوانٍ أَوْ طُلِينـا

يقول : كأن ثيابنا وثياب أقراننا خضبت بأرجوان أو طليت .

٤٥ ـ إذا ما عَيَّ بالإسْنافِ حَيٌّ مِنَ الْهَوْلِ الْمُشَبَّهِ أَنْ يَكونا

الإسناف : الإقدام . يقول : إذا عجز عن التقدم قوم مخافة هول منتظر متوقع يشبه أن يكون ويمكن .

٤٦ ـ نَصَبْنا مِثْلَ « رَهْوَةَ » ذاتَ حَدٍّ مُحافَظَةً وَكُنّا السّابِقينا

يقول : نصبنا خيلاً مثل هذا « الجبل » أو كتيبة ذات شوكة محافظة على أحسابنا وسبقنا خصومنا ، أي غلبناهم ؛ وتحرير المعنى : اذا فزع غيرنا من التقدم أقدمنا مع كتيبة ذات شوكة وغلبنا ، وإنما نفعل هذا محافظة على أحسابنا .

٤٧ ـ بِشُبّانٍ يَرَوْنَ الْقَتْلَ مَجْداً وَشِيبٍ في الْحُرُوبِ مُجَرَّبِينـا

يقول : نسبق ونغلب بشبان يعدون القتال في الحروب مجداً وشيب قد مرنوا على الحروب .

٤٨ ـ حُدَيّا النّاسِ كُلِّهِمُ جَميعاً مُقارَعَـةً بَنِيهِمْ عَنْ بَنينا

حديا : اسم جاء على صيغة التصغير مثل ثريا وحميا وهي بمعنى التحدي .

يقول : نتحدى الناس كلهم بمثل مجدنا وشرفنا ونقارع أبناءهم ذابين عن أبنائنا ، أي

---

(٤٣) المخراق : منديل يلف ليضرب به . قال العسكري في ديوان المعاني ٢/٥٠ (ومن أجود ما قيل في إعمال السيف قول عمرو بن كلثوم ...) ثم ذكر هذا البيت .

نضاربهم بالسيوف حماية للحريم وذباً عن الحوزة .

٤٩ ـ فَأَمّا يَوْمَ خَشْيَتِنا عَلَيْهِمْ فَتُصْبِحُ خَيْلُنا عُصَباً ثُبينا

العصب : جمع عصبة وهي ما بين العشرة والأربعين . الثُبة : الجماعة، والجمع الثُبات، والثُبون في الرفع ، والثُبين في النصب والجر .

يقول : فأما يوم نخشى على أبنائنا وحرمنا من الأعداء تصبح خيلنا جماعات ، أي تتفرق في كل وجه لذب الأعداء عن الحرم .

٥٠ ـ وَأَمّا يَوْمَ لا نَخْشى عَلَيْهِمْ فَنُمْعِنُ غارَةً مُتَلَبِّبينا

الإمعان : الإسراع والمبالغة في الشيء. التلبب : لبس السلاح

يقول : وأما يوم لا نخشى على حرمنا من أعدائنا فنمعن في الإغارة على الأعداء لابسين أسلحتنا .

٥١ ـ بِرَأْسٍ مِنْ بَني جُشَمَ بنِ بَكْرٍ نَدُقُّ بِهِ السُّهولَةَ والحُزُونا

الرأس : الرئيس والسيد. يقول : نغير عليهم مع سيد من هؤلاء القوم ندق به السهل والحَزْن، أي نهزم الضعاف والأشداء .

٥٢ ـ ألا لا يَعْلَمِ الأَقْوامُ أَنّا تَضَعْضَعْنا وأَنّا قَدْ وَنينا

التضعضع : التكسر والتذال ، ضعضعته فتضعضع أي كسرته فانكسر . الونى : الفتور .

يقول : لا يعلم الأقوام أننا تذللنا وانكسرنا وفترنا في الحرب، أي لسنا بهذه الصفة فتعلمنا الأقوام بها .

٥٣ ـ ألا لا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجاهِلينا

(٥١) جشم بن بكر هو الجد الخامس للشاعر . السهولة مصدر ، ولم أجد في اللسان أنها جمع سهل .

(٥٣) قال المرتضى في أماليه ٤٢/١ (وإنما أراد المجازاة على الجهل لأن العاقل لا يفخر بالجهل ولا يمتدح به) وقال طه حسين في الأدب الجاهلي ٢٧٩ (فقد كثرت هذه الجيات والهاءات واللامات واشتد هذا الجهل حتى مل) .

أي لا يسفهن أحد علينا فنسفه عليهم فوق سفههم ، أي نجازيهم بسفههم جزاء يربي عليه ، فسمى جزاء الجهل جهلاً لازدواج الكلام وحسن تجانس اللفظ ، كما قال الله تعالى : « الله يستهزيء بهم » وقال الله تعالى : « وجزاء سيئة سيئة مثلها » وقال جل ذكره : « ومكروا ومكر الله » . وقال جل وعلا : « يخادعون الله وهو خادعهم » . سمى جزاء الاستهزاء والسيئة والمكر والخداع استهزاء وسيئة ومكراً وخداعاً لما ذكرنا .

٥٤ ـ بِأَيِّ مَشيئَةٍ عَمْرَو بْنَ هِنْدٍ نَكُونُ لِقَيْلِكُمْ فيها قَطينا

القطين : الخدم . القيل : الملك دون الملك الأعظم .

يقول : كيف تشاء يا عمرو بن هند أن نكون خدماً لمن وليتموهم أمرنا من الملوك الذين وليتموهم ؟ أي أي شيء دعاك الى هذه المشيئة المحالة ؟ يريد أنه لم يظهر منهم ضعف يطمع الملك في إذلالهم باستخدام قيله إياهم .

٥٥ ـ بِأَيِّ مَشيئَةٍ عَمْرَو بْنَ هِنْدٍ تُطيعُ بِنا الوُشاةَ وَتَزْدَرِينا

ازدراه وازدرى به : قصر به واحتقره .

يقول : كيف تشاء أن تطيع الوشاة بنا اليك وتحتقرنا وتقصر بنا ؟ أي أيّ شيء دعاك الى هذه المشيئة ؟ أي لم يظهر منا ضعف يطمع الملك فينا حتى يصغي الى من يشي بنا اليه ويغريه بنا فيحتقرنا .

٥٦ ـ تَهَدَّدْنا وأَوْعِدْنا ، رُوَيْداً مَتَى كُنَّا لِأُمِّكَ مَقْتَوِينا

المَقْتو : خدمة الملوك ، والفعل قتا يقتو ، والمقى مصدر كالقتو ، تنسب اليه فتقول مَقتويّ ، ثم يجمع مع طرح ياء النسبة فيقال مَقتوون في الرفع ، ومقتوين في الجر والنصب ، كما يجمع الأعجمي بطرح ياء النسبة فيقال أعجمون في الرفع ، وأعجمين في النصب والجر .

يقول : ترفق في تهددنا وإيعادنا ولا تمعن فيهما ، فمتى كنا خدماً لأمك ؟ أي لم نكن خدماً لها حتى نعبأ بتهديدك ووعيدك إيانا . ومن روى : تُهدِّدُنا وتوعدنا ، كان إخباراً ، ثم قال : رويداً أي دع الوعيد والتهديد وأمهله .

(٥٦) في هذا البيت إشارة إلى قصة الطبق التي ذكرناها في ترجمته . انظر ص ٢٣٥ - ٢٣٦

٥٧ - فإنَّ قناتنا يا عَمْرو أعيَتْ   عَلى الأعداء قَبْلَكَ أنْ تلينا

العرب تستعير للعز اسم القناة .

يقول : فإن قناتنا أبت أن تلين لأعدائنا قبلك ، يريد أن عزهم أبى أن يزول بمحاربة أعدائهم ومخاصمتهم ومكايدتهم يريد أن عزهم منيع لا يرام .

٥٨ - إذا عَضَّ الثِّقافُ بِها اشْمَأَزَّتْ   وَوَلَّتْهُ عَشَوْزَنَةً زَبُونا

الثقاف : الحديدة التي يقوّم بها الرمح ، وقد ثقفته : قوّمته . العشوزنة : الصلبة الشديدة . الزبون : الدَفوع ، وأصله من قولهم : زبنت الناقة حالبها ، اذا ضربته بثفنات رجلها أي بركبتها ، ومنه الزبانية لزبنهم أهل النار ، أي لدفعهم .

يقول : اذا أخذها الثقاف لتقويمها نفرت من التقويم وولت الثقاف قناة صلبة شديدة دفوعاً ، جعل القناة التي لا يتهيأ تقويمها مثلاً لعزتهم التي لا تضعضع ، وجعل قهرها مَن تعرّض لهدمها كنفار القناة من التقويم والاعتدال .

٥٩ - عَشَوْزَنَةً إذا انْقَلَبَتْ أرَنَّتْ   تَشُجُّ قَفا المُثَقِّفِ وَالجَبينا

أرنت : صوتت ، والإرنان هنا لازم وقد يكون متعدياً .

ثم بالغ في وصف القناة بأنها تصوت إذا أريد تثقيفها ولا تطاوع الغامز بل تشج قفاه وجبينه ، كذلك عزتهم لا تضعضع لمن رامها بل تهلكه وتقهره .

٦٠ - فَهَلْ حُدِّثْتَ في جُشَمَ بنِ بَكْرٍ   بِنَقْصٍ في خُطُوبِ الأَوَّلينا

يقول : هل أخبرت بنقص كان من هؤلاء في أمور القرون الماضية أو بنقض عهد سلف .

٦١ - وَرِثْنا مَجْدَ عَلْقَمَةَ بنِ سَيْفٍ   أَباحَ لَنا حُصُونَ المَجْدِ دِينا

الدين : القهر ، ومنه قوله عز وجل : « فلولا ان كنتم غير مدينين » أي غير مقهورين .

يقول : ورثنا مجد هذا الرجل الشريف من أسلافنا وقد جعل لنا حصون المجد مباحة قهراً وعنوة ، أي غلب أقرانه على المجد ثم أورثنا مجده ذلك .

---

(٥٩) قول الزوزني « وقد يكون متعدياً » ، إنما يتعدى بنفسه نحو : أرنه كذا إذا ألهاه ، أو بالجار نحو : أرن إلى كذا إذا أصغى إليه .

٦٢ ـ وَرِثْتُ مُهَلْهِلاً وَالخَيْرَ مِنْهُ زُهَيْراً نِعْمَ ذُخْرُ الذَّاخِرِينـــا

يقول : ورثت مجد مهلهل ومجد الرجل الذي هو خير منه وهو زهير فنعـــم ذخر الذاخرين هو ، أي مجده وشرفه للافتخار به .

٦٣ ـ وَعَتَّاباً وَكُلْثُوماً جَميعاً بِهِمْ نِلْنا تُراثَ الأَكْرَمينا

يقول : وورثنا مجد عتاب وكلثوم وبهم بلغنـا ميراث الأكارم ، أي حزنا مآثرهم ومفاخرهم فشرفنا بها وكرمنا .

٦٤ ـ وَذَا ٱلبُرَةِ ٱلَّذي حُدِّثْتَ عَنْهُ بِـهِ نُحْمَى وَنَحْمي ٱلمُحْجَرِينا

ذو البرة : من بني تغلب ، سمي به لشَعر على أنفه يستدير كالحلقة .

يقول : وورثت مجد ذي البرة الذي اشتُهر وعُرف وحدثت عنه أيها المخاطب ، وبمجده يحمينا سيدنا وبه نحمي الفقراء الملجئين الى الاستجارة بغيرهم .

٦٥ ـ وَمِنَّا قَبْلَهُ السَّاعي كُلَيْبٌ فَأَيُّ ٱلمَجْدِ إلاَّ قَدْ وَلِينا

يقول : ومنا قبل ذي البرة الساعي للمعالي كليب ، يعني كليب وائل ، ثم قال : وأي المجد إلا قد ولينا ، أي قربنا منه فحويناه .

٦٦ ـ مَتَى نَعْقِدْ قَرِينَتَنا بِحَبْلٍ تَجُذَّ الحَبْلَ أَوْ تَقِصِ القَرِينا

يقول : متى قرنا ناقتنا بأخرى قطعت الحبل أو كسرت عنق القرين ، والمعنى : متى قُرنا بقوم في قتال أو جدال غلبنـاهم وقهرناهم . الجذ : القطع ، والفعل جذ يجُذ . الوَقْص : دق العنق ، والفعل وقَص يقِص .

٦٧ ـ وَنُوجَدُ نَحْنُ أَمْنَعَهُمْ ذِماراً وَأَوْفاهُمْ إذا عَقَدُوا يَمينا

(٦٢) مهلهل هو جد الشاعر لأمه ، وزهير هو جده الرابع ويدعى نصراً .

(٦٣) عتاب هو الجد الثاني للشاعر ، وكلثوم أبوه .

(٦٤) قوله « المحجرينا » انظر شرح البيت ٢٦ وتعليقنا عليه .

(٦٥) كليب : هو أخو مهلهل المذكور في البيت ٦٢ — ومن أجل هـــذه الأسماء ، انظر نسب شعراء المعلقات بين الصفحتين ٦٤ — ٦٥ من هذا الكتاب .

يقول : تجدنا أيها المخاطب أمنعهم ذمة وجواراً وحلفاً وأوفهم باليمين عند عقدها .
الذمار : العهد والحلف والذمة ، سمي به لأنه يتذمر له أي يتغضب لمراعاته .

٦٨ - وَنَحْنُ غَداةَ أُوقِدَ في خَزازَى رَفَدْنا فَوْقَ رِفْدِ الرَّافِدِينا

الرَّفد : الإعانة، والرِفد الاسم . يقول : ونحن غداة أوقدت نار الحرب في خزازى أعنّا نزاراً فوق إعانة المعينين ، يفتخر بإعانة قومه بني نزار في محاربتهم اليمن .

٦٩ - وَنَحْنُ الحابِسُونَ بِذي أُراطَى تَسَفُّ الجِلَّةُ الخُورُ الدَّرِينا

تسف أي تأكل يابساً ، والمصدر السفوف (؟). الجلة : الكبار من الإبل. الخور : الكثيرة الألبان، وقيل : الخور الغزار من الإبل، والناقة خوراء (؟) الدرين : ما اسود من النبت وقدم .

يقول : ونحن حبسنا أموالنا بهذا الموضع حتى سفت النوق الغزار قديم النبت وأسوده لإعانة قومنا ومساعدتهم على قتال أعدائهم .

٧٠ - وَكُنّا الأَيْمَنِينَ إذا ٱلْتَقَيْنا وَكانَ الأَيْسَرِينَ بَنُو أَبِينا

يقول : كنا حماة الميمنة إذا لقينا الأعداء وكان إخواننا حماة الميسرة ، يصف غَناءهم في حرب نزار واليمن عند مقتل كليب وائل لبيدَ بن عنق الغساني عامل ملك غسان على تغلب حين لطم أخت كليب وكانت تحته .

٧١ - فَصالُوا صَوْلَةً فِيمَنْ يَلِيهِمْ وَصُلْنا صَوْلَةً فِيمَنْ يَلِينا

يقول : فحمل بنو بكر على من يليهم من الأعداء وحملنا على من يلينا .

---

(٦٩) قول الزوزني « والمصدر السفوف » وهم لأن المصدر – كما في اللسان – السف ، والسفوف – بفتح السين – هو ما يسف . قوله « والناقة خوراء » وهم آخر وصوابه « خوارة » والجمع « خور » على غير قياس . ويوم خزازى من أيام العرب التي لم تعرف لولا ابن كلثوم ، وجاء في العقد الفريد ٥/٢٤٦ أن أبا عمرو بن العلاء قال (ما رأيت أحداً عرف هذا اليوم ولا ذكره في شعره قبله ولا بعده) . هذا وقد تركنا بعد هذا البيت بيتين اثنين تركهما الزوزني ولم يشرحهما، رغم إعجاب العسكري بهما في ديوان معانيه ١/٩٠

٧٢ـ فَآبُوا بالنِّهابِ وبالسَّبايا وَأُبْنا بالمُلوكِ مُصَفَّدِينا

النهاب : الغنائم ، الواحد نهب . الأوب : الرجوع . التصفيد : التقييد ، يقال : صفدته وصفّدته أي قيدته وأوثقته .

يقول : فرجع بنو بكر مع الغنائم والسبايا ورجعنا مع الملوك مقيدين ، أي اغتنموا الأموال وأسرنا الملوك .

٧٣ـ إلَيْكُمْ يا بَني بَكْرٍ إلَيْكُمْ أَلَمّا تَعْرِفُوا مِنّا اليَقِينا

يقول : تنحوا وتباعدوا عن مُساماتنا ومباراتنا يا بني بكر ، ألم تعلموا من نجدتنا وبأسنا اليقين ؟ أي قد علمتم ذلك لنا فلا تتعرضوا لنا ، يقال : إليك إليك ، أي تنح .

٧٤ـ أَلَمّا تَعْلَمُوا مِنّا وَمِنْكُمْ كَتائِبَ يَطَّعِنَّ وَيَرْتَمِينا

يقول : ألم تعلموا كتائب منا ومنكم يطعن بعضهن بعضاً ويرمي بعضهن بعضاً ؟ « وما » في قوله « ألما » صلة زائدة . الاطّعان والارتماء : مثل التطاعن والترامي .

٧٥ـ عَلَيْنا البَيْضُ وَاليَلَبُ اليَماني وَأَسْيافٌ يَقُمْنَ وَيَنْحَنِينا

اليلب : نسيجة من سيور تلبس تحت البيض .

يقول : وكان علينا البيض واليلب اليماني وأسياف يقمن وينحنين لطول الضراب بها .

٧٦ـ عَلَيْنا كُلُّ سابِغَةٍ دِلاصٍ تَرَى فَوْقَ النِّطاقِ لَها غُضُونا

السابغة : الدرع الواسعة التامة . الدلاص : البراقة . الغضون : جمع غضن وهو التشنج في الشيء .

يقول : وكانت علينا كل درع واسعة براقة ترى أيها المخاطب فوق المنطقة لها غضوناً لسعتها وسبوغها .

---

(٧٢) قوله « مصفدينا » إشارة إلى استعانة المنذر بن ماء السماء ببني تغلب ليبطش ببني آكل المرار القحطانيين في غمرة مكافحة المزدكية ، والقصة في الأغاني ٧٩/٩

(٧٥) البيضة : الخوذة . والسيور : جمع مفرده سير وهو ما يشبه الحبل ولكن من الجلد .

٧٧ ـ إذا وُضِعَتْ عَنِ الأَبْطالِ يَوْماً رَأَيْتَ لَهَا جُلُودَ ٱلْقَوْمِ جُونا

الجَوْن : الأسود ، والجَوْن الأبيض ، والجمع الجُون .

يقول : اذا خلعها الابطـــال يوماً رأيت جلودهم سوداً للبسهم اياها . قوله : لها ، أي للبسها .

٧٨ ـ كَأَنَّ غُضُونَهُنَّ مُتُونُ غُدْرٍ تُصَفِّقُها الرِّياحُ إذا جَرَيْنا

الغدر : مخفف غُدُر وهو جمع غدير . تصفقه : تضربه .

شبه غضونَ الدرع بمتون الغدران اذا ضربتها الرياح في جريها ، والطرائقَ التي تُرى في الدروع بالتي تراها في الماء إذا ضربته الريح .

٧٩ ـ وَتَحْمِلُنا غَداةَ الرَّوْعِ جُرْدٌ عُرِفْنَ لَنـــا نَقائِذَ وَافْتُلِينا

الروع : الفزع ويريد به الحرب هنا . الجرد : التي رق شعر جسدها وقصر ، والواحد أجرد والواحدة جرداء . النقائذ : المخلصات من أيدي الأعداء ، واحدتها نقيذة ، وهي فعيلة بمعنى مُفعلة ، يقال : أنقذتها ، أي خلصتها ، فهي منقذة ونقيذة . الفَلو والافتلاء : الفطـــام .

يقول : وتحملنا في الحرب خيل رقاق الشعور قصارها عرفن لنـــا وفطمت عندنا وخلصناها من أيدي أعدائنا بعد استيلائهم عليها .

٨٠ ـ وَرَدْنَ دَوارِعاً وَخَرَجْنَ شُعْثاً كَأَمْثالِ الرَّصائِعِ قَدْ بَلِينا

رجل دارع : عليه درع ، ودروع الخيل تجافيفها . الرصائع : جمع الرصيعـة وهي عقدة العِنان على قذال الفرس .

---

(٧٨) بنى الشاعر قصيدته هذه على ضم ما قبل الواو مثل « جونا » و « غضونا » وكسر ما قبل الياء مثل « افتلينا » و « بلينا » ، ولكن ما قبل الياء – في هذا البيت – جاء مفتوحاً ، وهذا هو « السناد » وهو من عيوب القافية ؛ إلا أن صاحب رسالة الغفران ٢٤٥ قال على لسان ابن كلثوم مدافعاً : (وأما ذكرك « سنادي » فإن الإخوة ليكونون ثلاثة أو أربعة ويكون فيهم الأعرج أو الأبخق ـ أي الأعور ـ فلا يعابون بذلك ، فكيف إذا بلغوا المئة ؟) والمعروف أن هذه المعلقة قد جاوزت المئة بيت .

(٨٠) قول الزوزني « دروع الخيل : تجافيفها » ، مفردها : تجفاف ، بكسر التاء .

يقول : وردت خيلنا وعليها تجافيفها وخرجن منها شعثاً قد بلين بِلى عُقَد الأعنة لما نالها من الكلال والمشاق فيها .

٨١ - وَرِثْناهُنَّ عَنْ آباءِ صِدْقٍ وَنُورِثُها إذا مِتْنا بَنِينـــا

يقول : ورثنا خيلنا من آباء كرام شأنهم الصدق في الفعال والمقال ونورثها أبناءنا اذا متنا ، يريد أنها تناتجت وتناسلت عندهم قديماً .

٨٢ - عَلى آثارِنا بِيضٌ حِسانٌ نُحـاذِرُ أَنْ تُقَسَّمَ أَوْ تَهُونا

يقول : على آثارنا في الحروب نساء بيض حسان نحاذر عليها أن تسبيها الأعداء فتقسمها وتهينها ، وكانت العرب تُشهد نساءها الحروب وتقيمها خلف الرجال ليقاتل الرجال ذبّاً عن حرمها فلا تفشل مخافة العار بسبي الحرم .

٨٣ - أَخَذْنَ على بُعولَتِهِنَّ عَهْداً إذا لاقَوْا كَتائِبَ مُعْلِمِينا

يقول : قد عاهدن أزواجهن ، إذا قاتلوا كتائب من الأعداء قـــد أعلموا أنفسهم بعلامات يُعرفون بها في الحروب ، أن يثبتوا في حومة القتال ولا يفروا ، والبعولة جمع بعل ، يقـال للرجل : هو بعل المرأة ، والمرأة هي بعله وبعلته ، كما يقال : هو زوجهـا وهي زوجه وزوجته .

٨٤ - لَيَسْتَلِبُنَّ أَفْراساً وَبِيضاً وَأَسْرَى في الحَدِيدِ مُقَرَّنِينا

أي ليستلب خيلُنا أفراسَ الأعداء وبيضهم وأسرى منهم قد قرنوا في الحديد .

٨٥ - تَرانا بارِزِينَ وَكُلُّ حَيٍّ قَدِ اتَّخَذُوا ، مَخافَتَنا ، قَرِينا

يقول : ترانا خارجين إلى الأرض البَراز ، وهي الصحراء التي لا جبل بهـا ، لثقتنا بنجدتنا وشوكتنا ، وكل قبيلة تستجير وتعتصم بغيرها مخافة سطوتنا بها .

٨٦ - إذا ما رُحْنَ يَمْشِينَ الهُوَيْنَى كَما اضْطَرَبَتْ مُتُونُ الشّارِبِينا

الهوينى : تصغير الهونى وهي تأنيث الأهون مثل الأكبر والكبرى .

يقول : اذا مشين يمشين مشياً رفيقاً لثقل أردافهن وكثرة لحومهن ، ثم شبههن في

تبخترهن بالسكارى في مشيهم .

٨٧ ـ يَقُتْنَ جِيادَنا ويَقُلْنَ لَسْتُمْ بُعُولَتَنـــا إذا لم تَمْنَعُونا

القوت : الإطعام بقدر الحاجة . والفعل قات يقوت ، والاسم القوت والقِيت ، والجمع الأقوات .

يقول : يعلفن خيلنا الجياد ويقلن لستم أزواجنا اذا لم تمنعونا من سبي الأعداء إيانا .

٨٨ ـ ظَعائِنُ مِنْ بَني جُشَمَ بْنِ بَكْرٍ خَلَطْنَ بِمِيسَمٍ حَسَباً وَدِينا

الميسم : الحسن وهومن الوَسام والوَسامة وهما الحسن والجمال ، والفعل وسُم يَوْسُم ، والنعت وسيم . الحسب : ما يحسب من مكارم الإنسان ومكارم أسلافه ، فهو « فَعَل » في معنى « مفعول » مثل : النفض والخبط والقبض واللقط ، في معنى : المنفوض والمخبوط والمقبوض والملقوط ؛ فالحسب اذن في معنى المحسوب من مكارم آبائه .

يقول : هن نساء من هذه القبيلة جمعن إلى الجمال الكرم والدين .

٨٩ ـ وما مَنَعَ الظَّعائِنَ مِثْلُ ضَرْبٍ تَرَى مِنْهُ السَّواعِدَ كالقُلِينا

يقول : ما منع النساء من سبي الأعداء إياهن شيء مثل ضرب تندر وتطير منه سواعد المضروبين كما تطير القُلَة اذا ضُربت بالمقلاء .

٩٠ ـ كَأَنَّا وَالسُّيُوفُ مُسَلَّلاتٌ وَلَدْنا النَّاسَ طُرّاً أَجْمَعِينا

يقول : كأنا حال استلال السيوف من أغمادها ، أي حال الحرب ، ولدنا جميع الناس ، أي نحميهم حماية الوالد ولده .

---

(٨٨) النفض والخبط : ما تساقط من ورق الشجر عنـــد نفضه أو خبطه . القبض : ما جمع من الغنائم بعد قبضه من أصحابه . اللقط : قطع الذهب الملتقطة .

(٨٩) القلون والقلين : جمع مفرده قلة وهي عود صغير ينصب ويضرب بعود أكبر يدعى مقلى أو مقلاء فيطير الصغير في علو . وهي لعبة ما زال الصبيان يلعبونها إلى يومنا هذا . قوله « تندر » أي تسقط .

(٩٠) سل السيف وأسله بمعنى ، وليس في اللسان : سلل بمعنى سل ؛ وعلى ذلك فالصواب أن يقول « مسللات » بسكون السين وفتح اللام ، ولكن وزن الشعر اضطره إلى فتح السين وتشديد اللام .

٩١ - يُدَهْدُونَ الرُّؤُوسَ كَمَا تُدَهْدي حَزاوِرَةٌ بِأَبْطَحِهَا الكُرِينَا

الحَزَوَّر : الغلام الغليظ الشديد ، والجمع الحزاورة .

يقول : يدحرجون رؤوس أقرانهم كما يدحرج الغلمان الغلاظ الشداد الكرات في مكان مطمئن من الأرض .

٩٢ - وَقَدْ عَلِمَ ٱلقَبائِلُ مِنْ مَعَدٍّ إذا قُبَبٌ بِأَبْطَحِها بُنِينا

يقول : وقد علمت قبائل معد إذا بنيت قبابها بمكان أبطح . القبب والقباب جمعا قبة .

٩٣ - بأَنَّا ٱلمُطْعِمُونَ إذا قَدَرْنا وَأَنَّا ٱلمُهْلِكُونَ إذا ٱبْتُلينا

يقول : قد علمت هذه القبائل أنا نطعم الضيفان إذا قدرنا عليه ونهلك أعداءنا إذا اختبروا قتالنا .

٩٤ - وَأَنَّا المانِعُونَ لِما أَرَدْنا وَأَنَّا ٱلنَّازِلُونَ بِحَيْثُ شِينَا

يقول : وانا نمنع الناس ما أردنا منعه إياهم وننزل حيث شئنا من بلاد العرب .

٩٥ - وَأَنَّا التَّارِكُونَ إذا سَخِطْنا وَأَنَّا الآخِذُونَ إذا رَضِينا

يقول : وانا نترك ما نسخط عليه ونأخذ إذا رضينا ، أي لا نقبل عطايا من سخطنا عليه ونقبل هدايا من رضينا عليه .

٩٦ - وَأَنَّا ٱلعاصِمُونَ إذا أُطِعْنا وَأَنَّا ٱلعارِمُونَ إذا عُصِينا

يقول : وانا نعصم ونمنع جيراننا إذا أطاعونا ونعرم عليهم بالعدوان إذا عصونا .

٩٧ - وَنَشْرَبُ إنْ وَرَدْنا الماءَ صَفْواً وَيَشْرَبُ غَيْرُنا كَدِراً وَطِينا

يقول : ونأخذ من كل شيء أفضله وندع لغيرنا أرذله ، يريد أنهم السادة والقادة وغيرهم أتباع لهم .

٩٨ - أَلا أَبْلِغْ بَني الطَّمَّاحِ عَنَّا وَدُعْمِيّاً فَكَيْفَ وَجَدْتُمُونا

---

(٩٦) العارمون : من العرامة ، وهي الشدة والشراسة والأذى .

يقول : سل هؤلاء كيف وجدونا ، شجعاناً أم جبناء ؟

٩٩ - إذا ما الَملْكُ سامَ النَّاسَ خَسْفاً   أَبَيْنـــا أَنْ نُقِرَّ الذُّلَّ فينا

الخَسف والخُسف : الذل . السوم : أن تجشم انساناً مشقة وشراً ، يقال : سامه خسفاً ، أي حمّله وكلّفه ما فيه ذله .

يقول : إذا أكره الملك الناس على ما فيه ذلهم أبينا الانقياد له .

١٠٠- مَلأْنَا ٱلْبَرَّ حَتَّى ضاقَ عَنَّا   وَمَــاءُ ٱلْبَحْرِ نَمْلَؤُهُ سَفينا

يقول : عممنا الدنيا براً وبحراً فضاق البر عن بيوتنا والبحر عن سفننا .

١٠١- إذا بَلَغَ ٱلفِطامَ لَنا صَبِيٌّ   تَخِرُّ لَهُ الجَبابِرُ ساجِدينـــا

يقول : اذا بلغ صبياننا وقت الفطام سجدت لهم الجبابرة من غيرنا .

★ ★ ★

عنترة بن شداد

* هو عنترة بن شداد العبسي[١] من قيس عيلان بن مضر ، و (قال ابن الكلبي : شداد جده ، غلب على اسم أبيه ، وانما هو عنترة بن عمرو بن شداد . وقال غيره : شداد عمه تكفله بعد موت أبيه فنسب إليه) [٢] . هذا وقد أشرنا في القسم الأول من الكتاب[٣] الى الخلاف الكبير الواقع في نسب عنترة ، ولا طائل في العودة الى ذلك . (واشتقاق « عنترة » ... من ضرب من الذباب يقال له العنتر ... وان كانت النون فيه زائدة فهو من العتر ، والعتر : الذبح) ، هذا ما قاله ابن دريد [٤] ، أما القاموس ففيه أن العنتر : الذباب ، والعنترة : صوته . والعنترة أيضاً : السلوك في الشدائد والشجاعة في الحرب . وجاء في اللسان أن العنتر : الشجاع ، وأن النون فيه – على رأي ابن جني – ليست زائدة .

وإن كان الأقدمون قد اختلفوا بأيهما كان يدعى : **بعنتر أم بعنترة** [٥] ، فقد اختلفوا أيضاً في كون ذلك اسماً له أو لقباً ؟

كان عنترة يلقب بالفلحاء [٦] ، لفلَحٍ – أي شق – كان في شفته السفلى ، وكان يكنى بأبي المعايش وأبي أوفى ، وبأبي المغلّس لجرأته في الغلَس أو لسواده الذي هو كالغلس ، وقد ورث ذاك السواد من أمه « زبيبة » اذ كانت أمة حبشية . وبسبب هذا السواد عده القدماء من أغربة العرب [٧] .

كانت الفروسية والشعر والخلق السمح هي أبرز الخصال التي تسمو بصاحبها في الجاهلية ، سواء بين ظهراني قومه ، أو في الأحياء الأخرى ، ولقد شاءت المقادير أن تجتمع هذه الخلال كلها لعنترة ، فإذا بالعبد الخِلاميّ [٨] سيد حر ، واذا بالهجين [٨] ماجد كريم .

---

* هذه التوطئة بقلم المعلق وليست للزوزني (١) من شعراء عبس أيضاً : الحطيئة وعروة بن الورد وقيس بن زهير والربيع بن زياد ، وكانت أم لبيد عبسية (٢) خزانة الأدب ١٢٥/١ وانظر الأغاني ٢٣٧/٨ (٣) ص١١ (٤) الاشتقاق ٢٨٠ (٥) الأثبت عندي أنه عنترة لثلاثة أسباب : الأول : أن كتب الأقدمين دعته بهذا ، والثاني : أن في المؤتلف ثلاثة باسم عنترة . والثالث : أن قوله في البيت ٦٦ من معلقته : يدعون عنتر ... لا يجوز فيه إلا النداء المرخم ، لأن حمله على المفعولية يوجب تنوينه بالنصب لأنه مصروف وفي ذلك خروج عن الوزن . وعلى هذا يكون ما في حاشية اللسان سهواً .
(٦) ألقاب الشعراء ٣١٠ – الأغاني ٢٣٥/٨ (٧) في اللسان والقاموس مادة « غرب » ذكر لثلاثة عشر منهم (٨) الخلامي : الولد بين أبوين أبيض وأسود ، والهجين هو ابن الأمة .

ومما يروى في (سبب ادعاء أبي عنترة إياه أن بعض أحيـاء العرب أغاروا على قوم من بني عبس فأصابوا منهم ، فتبعهم العبسيون فلحقوهم فقاتلوهم عما معهم ، وعنترة فيهم ، فقال له أبوه: كر ياعنترة. فقال عنترة: العبد لايحسن الكر انما يحسن الحلاب والصر[1]. فقال : كر وأنت حر ، فكر ... وقاتل يومئذ فأبلى واستنقذ ما كان بأيدي عدوهم من الغنيمة ، فادعاه أبوه بعد ذلك وألحق به نسبه)[2] . ولقد بلغ الأمر بهذا الفارس الذي نال حريته بشجاعته أنه دوخ أعداء « عبس » في حرب داحس والغبراء ، وصور طرفاً من هذه المعارك[3] في بعض قصائده حتى أوشك أن يكون كالمراسل الحربي في حرب داحس ، الأمر الذي دعا الأصمعي الى القول بأن عنترة قد أخذ الحرب كلها في شعره[4] ، وبأنـه من أشعر الفرسان[5] .. إلا أننا في الوقت الذي نرى الأخبار تسهب وتطنب في وصف شجاعته نرى أخبـاراً أخرى تقول بأنه قد غُلب على أمره مرات قليلة ، وفر من النزال مرات أقل . من ذلك مثلاً : (أن عمرو بن معديكرب ... قال : لو طفت بظعينة أحياء العرب ما خفت عليها ما لم ألق عبديها وحريها – يعني بالعبدين عنترة بن شـــداد والسُليك بن السُلكة ، والحرين دريد بن الصمّة وربيعة بن مكدم – قال : وكلاً قد لقيت وأعطاني الله النصر عليه)[6] ، ويروى كذلك أن عويمر بن أبي عدي (دعا عنترة ... الى المبارزة وقال له : ابرز الي أيها العبد ، فإن قتلتك فلأخيفن أصحابك بعدك ، وان قتلتني رجعتَ بإبل قومي . فلم يقدم عنترة على مبارزته)[7] . أما النهاية التي لقيها فارسنا الشاعر فالقول فيها مختلف : فئة تقول بأن إعصاراً عصف به – وهو شيخ هِمّ[8] – فمات به ، وفئة تقول بأنـه أغار يوماً على قوم فجُرح فمات – بُعيدها – متأثراً بجراحه ، ولعل القول الثـــاني هو الأقرب الى الصحة لأن كلاً من ابن دريد[9] ومحمد بن حبيب[10]

---

(١) الصر : شد ضرع الناقة بخيط كيلا يرضعها ولدهـــا . (٢) الشعر والشعراء ١/٢٠٤ - ٢٠٥ والاغاني ٨/٢٣٧ . (٣) من جيد الشعر الثابت له ما تجـــده في ص ١١٨ و ١٥٦ من ديوانـــه (٤) تاريخ أدب اللغة لدراز ١١٨ – بروكلمان ١/١١٣ (٥) فحولة الشعراء ٢٧و٣٥ – الموشح ٨١ ، هذا وقد مر بك في حاشية ص١٧٦ أن « الشعراء الفرسان » عند الأصمعي طبقة مستقلة عن طبقـــة « الفحولة » فارجع الى تلك الحاشيـــة (٦) لباب الآداب ١٨١ وانظر الاغاني ٨/٢٤٣ (٧) جمهرة أنساب العرب ٢٩٠/٢٩١ – معجم الشعراء ٢٤٦ (٨) الهم : الشيخ الفاني (٩) الاشتقاق ٢٨٠ و ٣٩٦ وفيه أن (وزر بن جابر هو الذي قتل عنترة) وأن أبا عبيـــدة كان (ينكر ذلك ويقول : مات برداً وكان قد أسن) . (١٠) أسماء من قتل من الشعراء ٢١٠ ، وفيه أن وزر بن جابر رآه يطرد طريدة لبني نبهان فرماه (فتحامل بالرمية حتى أتى أهله فمات) .

والمعري (١) قد أخذ به .

بدأ عنترة حياته الأدبية شاعراً مقلاً (٢) (لا يقول من الشعر الا البيتين والثلاثة ، حتى سابّه رجل من بني عبس ، فذكر سواده وسواد أمه واخوته ، وعيّره بذلك وبأنه لايقول الشعر)(٣) فرد عنترة المذمة عن نفسه وابتدر ينشد المعلقة ، ثم صار — بعدها — من الشعراء .. وقد وقع له ذلك بعد أن نال حريته ، إبّان حرب داحس . ومما لاشك فيه أن حبه لعبلة قد أذكى شاعريته وصقل نفسه الى حد بعيد ، ثم جاء نفور عبلة منه لسواد لونه وفَلَح شفته وهجين أصله ، فحزّ ذلك في نفسه المرهفة وجعلها تعيش في « حرمان » يزيدها حسرة وحرقة بقدر ما يزيدها صقلاً وارهافاً . وطبيعي ألاّ يجتمع الشعر والحب والبطولة لدى انسان الا ّ أحاطه الناس بهالة من الفتون به ، أما هالة عنترة فقد كانت تتسع تارة حتى تكاد العيون تعشى عن تبينها من وهج الأساطير ، وتضيق أخرى حتى تتفيأ في ظل الحقيقة .. ولقد كان من جراء هذه الهالة أنْ نُحل صاحبنا من الشعر ما ليس له (٤) ، ونُسجت من حوله قصة تبرأ الى عنترة من جل ما فيها . أقول « جل ما فيها » ولا أقول « كل .. » لأني أعتقد أن حياة فارسنا الشاعر لو لم تكن تنطوي على أشياء وخصال تفرّد بها صاحبها لما قال الرسول ﷺ : (ما وصف لي أعرابي قط فأحببت أن أراه إلا عنترة) (٥) . ولست أحب أن أدخل هنا في حديث مستفيض عن « قصة عنترة » ولكن حسبي أن أقول انها قصة « **حب وحروب** » مستعرين : **حب** عنترة لعبلة ، و **حروب** داحس والغبراء . وعنترة في هذه القصة : شاعر فارس استطاع بما لديه من شجاعة رائعة وخلق نبيل أن يتحرر من « عبوديته » وأن يعشق حسناء من بنات « السادة » ، وهو من أجلها — هي — أو من أجل قومه ووفاءً بمروءته يخوض المعارك ويتحدى الابطال ويقهر الجن والغيلان ، ولكن الحب وحده يقهره ...والقصة — رغم ضعف أسلوبها ولغتها ورغم طولها والخرافات التي فيها — لاتخلو من متعة وطرافة . أما ماقيل حول نسبتها الى الأصمعي تارة والى يوسف بن اسماعيل وابن الصائغ ومحمد الجزري

---

(١) رسائل أبي العلاء ١٨٥ ، وذلك في رسالة تعزية بعث بها إلى خاله بدمشق وذكر له فيها هلاك الكثيرين وقال (.. عنترة عبس لقي من الأسد الرهيص ساعة أبس) . الأسد الرهيص : لقب وزر بن جابر . الأبس : القهر . وانظر الاغاني ٨/٢٤٢ ففيه روايات مختلفة حول موته . (٢) العمدة ١/٦٦ — تاريخ الآداب للرافعي ٣ / ٣٠ (٣) الشعر والشعراء ١/٢٠٥ . (٤) انظر حديث الاربعاء ١/١٤٥ (٥) لباب الآداب ٢١٧ — الاغاني ٨/٢٤٠ .

الطبيب تارات أخرى ، فلعل الوجه الأمثل في ذلك هو ماقاله الاستاذ الفاخوري[١] من أن الأصمعي ربما كان قد جمع بعض أخبار عنترة ، ثم جاء يوسف بن إسماعيل في القرن الرابع الهجري فاعتمد على تلك الأخبار ووضع القصة بأمر العزيز الفاطمي ليشغل الناس عن فضيحة وقعت في قصره ، ثم تبعه ابن الصائغ بعد قرنين من الزمن فوضعها في شكلها النهائي. وان لنا من اختلاف رواياتها لخير دليل على أن أقلام الكتاب تعاورتها منذ القديم، أما في الزمن الحديث فقد أتيح لهذه القصة أن تترجم الى أكثر من لغة وأن تطبع مرات ومرات ، منقحة أو غير منقحة . وكذلك معلقته ، فقد نقلت الى لغات عدة ونشرت مرات كثيرة[٢] .

هذا وقد مر فيما قدمناه بين يدي هذا الكتاب كثير مما يتصل بحياة الشاعر أو بفنه، فليُرجع اليه[٣] .



(١) الموجز في الأدب العرب وتاريخه ٣/٦٥ وانظر زيدان ١/١٣٠ ومقدمة الديوان ورجال المعلقات ٢١٤ ومعجم سركيس ١٣٨٧ (٢) تاريخ الأدب للفاخوري ١٦٩ وانظر كذلك ص ٦٠ من هذا الكتاب (٣) راجع الصفحات ١٠ ← ١٢ و ١٤ و ١٨ و ٢٦ ← ٢٨ و ٣١ و ٣٥ و ٤٠ ← ٤٢ و ٤٤ و ٤٦ و ٤٧ و ٥١ و ٥٤ و ٥٥ .

معلّقة عنترة بن شدّاد

وقال عنترة بن شداد العبسي :

١ ـ هَلْ غادَرَ الشُّعَراءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ　　　أمْ هَلْ عَرَفْتَ الدّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ

المتردم : الموضع الذي يُسترقع ويُستصلح لما اعتراه من الوهن والوهي ، والتردم أيضاً مثل الترنم وهو ترجيع الصوت مع تحزّن .

يقول : هل تركت الشعراء موضعاً مسترقعاً الا وقد رقعوه وأصلحوه؟وهذاالستفهام يتضمن معنى الإنكار ، أي لم يترك الشعراء شيئاً يصاغ فيه شعر الا وقد صاغوه فيه ؛ وتحرير المعنى : لم يترك الأول للآخر شيئاً ، أي سبقني من الشعراء قوم لم يتركوا لي مسترقعاً أرقعه ومستصلحاً أصلحه . وان حملته على الوجه الثاني كان المعنى : انهم لم يتركوا شيئاً الا رجّعوا نغماتهم بانشاء الشعر وانشاده في وصفه ورصفه . ثم أضرب عن هذا الكلام وأخذ في فن آخر فقال مخاطباً نفسه : هل عرفت دار عشيقتك بعد شكك

---

(١) يروى أن مطلع المعلقة هو قوله : أعياك رسم الدار لم يتكلم　　حتى تكلم كالأصم الأعجم
انظر العمدة ١١٥/١ . ويروى كذلك أن البيت الثاني منها هو مطلعها ، انظر العقد الفريد ٢٧٠/٥ وزيدان ١٢٨/١ ، وأعتقد أن تصريع أكثر من بيت في القصيدة هو الذي جر إلى هذا الاختلاف . جاء في العمدة ٥٧/١ أن (قول عنترة « هل غادر الشعراء من متردم » يدل على أنه يعد نفسه محدثاً ، قد أدرك الشعر بعد أن فرغ الناس منه ولم يغادروا له شيئاً ، وقد أتى في هذه القصيدةبما لم يسبقه اليه متقدم ولا نازعه إياه متأخر ؛ وعلى هذا القياس يحمل قول أبي تمام ...

يقول من تقرع أسماعه　　　كم ترك الأول للآخر

فنقض قولهم « ماترك الأول للآخر شيئاً » . وقال في مكان آخر فزاده بياناً وكشفاً للمراد :

فلو كان يفنى الشعر أفناه ما قرت　　　حياضك منه في العصور الذواهب

ولكنه صوب العقول ، إذا انجلت　　　سحائب منه أعقبت بسحائب)

هذا وقد أورد صاحب رسالة الغفران ص ٢٣٧ بيتي أبي تمام السابقين ليدحض بها مقالة عنترة . أما حسن الزيات ص٢٦ و٢٩ فقد اتخذ من بيت عنترة دليلا على قدم الشعر العربي ؛ ومثله في ذلك قول زهير :

ما أرانا نقول إلا معاراً　　　أو معاداً من قولنا مكرورا

وقد رد ابو تمام على زهير فقال مفتخراً بقصائده :

منزهة عن السرق المؤدى　　　مكرمة عن المعنى المعاد

فيها . و« أم » ههنا معناه : بل أعرفت ، وقد تكون «أم» بمعنى «بل» مع همزة الاستفهام، كما قال الأخطل :

كَذَبَتْكَ عينُكَ أم رأيتَ بواسط   غلسَ الظلامِ من الرَّبابِ خيالا

أي بل أرأيت ، ويجوز أن تكون « هل » ههنا بمعنى « قد » كقوله عز وجل : «هل أتى على الإنسان » أي قد أتى .

٢ ـ يا دارَ عَبْلَةَ بالجِواءِ تَكلَّمي   وَعِمي صَباحاً ، دارَ عَبْلَةَ ، وَاسْلَمي

الجو : الوادي ، والجمع الجواء ، والجواء في البيت موضع بعينه . عبلة : اسم عشيقته، وقد سبق القول في قوله عمي صباحاً .

يقول : يادار حبيبتي بهذا الموضع تكلمي وأخبريني عن أهلك مافعلوا، ثم أضرب عن استخبارها الى تحيتها فقال : طاب عيشك في صباحك وسلمت يادار حبيبتي .

٣ ـ فوَقَفْتُ فيها ناقَتي ، وكَأنَّها   فَدَنٌ ، لأقْضيَ حاجَةَ ٱلمُتَلَوِّمِ

الفدن : القصر ، والجمع الأفدان . المتلوم : المتمكث .

يقول : حبست ناقتي في دار حبيبتي . ثم شبه الناقة بقصر في عظمها وضخم جرمها ، ثم قال : وإنما حبستها ووقفتها فيها لأقضي حاجة المتمكث بجزعي من فراقها وبكائي على أيام وصالها .

٤ ـ وَتَحُلُّ عَبْلَةُ بالجِواءِ وَأَهْلُنا   بالحَزْنِ فالصَّمّانِ فالمُتَثَلَّمِ

يقول : وهي نازلة بهذا الموضع وأهلنا نازلون بهذه المواضع .

٥ ـ حُيِّيتَ مِنْ طَلَلٍ تَقادَمَ عَهْدُهُ   أقْوَى وَأقْفَرَ بَعْدَ أُمِّ الهَيْثَمِ

الإقواء والاقفار : الخلاء ، جمع بينهما اضرب من التأكيد كما قال طرفة : « متى أدن منه ينأ عني ويبعد » جمع بين النأي والبعد لضرب من التأكيد . أم الهيثم : كنية عبلة .

يقول : حييت من جملة الأطلال ، أي خصصت بالتحية من بينها ، ثم أخبر أنه قدم عهده بأهله وقد خلا من السكان بعد ارتحال حبيبته عنه .

(٢) قول الزوزني : سبق القول في عمي صباحاً ،انظر شرح البيت السادس من معلقة زهير .

٦ ـ حلَّتْ بأرضِ الزَّائرينَ فأصبحَتْ عَسِراً عليَّ طِلابُكِ ابْنَةَ مَخْرَمِ

الزائرون : الأعداء ، جعلهم يزأرون زئير الأسد ، شبه توعدهم وتهددهم بزئير الأسد.

يقول : نزلت الحبيبة بأرض أعدائي فعسر عليّ طلبها ، وأضرب عن الخبر في الظاهر إلى الخطاب ، وهو شائع في الكلام ، قال الله تعالى : « حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح » .

٧ ـ عُلِّقْتُها عَرَضاً وَأقْتُلُ قَوْمَها زَعْماً ، لَعَمْرُ أبيكَ ، لَيسَ بِمَزْعَمِ

قوله : عرضاً أي فجأة من غير قصد له . التعليق هنا : التفعيل من العَلَق والعَلاقة وهما العشق والهوى ، يقال : علِق فلان بفلانة ، إذا كَلِف بها ، علقاً وعلاقة . العَمر والعُمر : الحياة والبقاء ، ولا يستعمل في القسم إلا بفتح العين . الزعم : الطمع . والمزعم : المطمع .

يقول : عشقتها وشغفت بها مفاجأة من غير قصد مني ، أي نظرت اليها نظرة أكسبتني شغفاً بها وكلفاً مع قتلي قومها ، أي مع مابيننا من القتال ، ثم قال : أطمع في حبك طمعاً لاموضع له لأنه لايمكنني الظفر بوصالك مع مابين الحيين من القتال والمعاداة ، والتقدير : أزعم زعماً ليس بمزعم ، أقسم بحياة أبيك انه كذلك .

٨ ـ وَلَقَدْ نَزَلْتِ ، فَلا تَظُنِّي غَيْرَهُ ، مِنِّي بِمَنْزِلَةِ المُحَبِّ المُكْرَمِ

يقول : وقد نزلت من قلبي منزلة من يحب ويكرم فتيقني هذا واعلميه قطعاً ولا تظني غيره .

٩ ـ كَيْفَ المَزارُ وَقَدْ تَرَبَّعَ أهْلُها بِعُنَيْزَتَينِ وَأهْلُنا بالغَيْلَمِ

يقول : كيف يمكنني أن أزورها وقد أقام أهلها زمن الربيع بهذين الموضعين واهلنا بهذا الموضع وبينهما مسافة بعيدة ومشقة مديدة ؟ أي كيف يتأتى لي زيارتها وبين حلتي وحلتها مسافة ؟ المزار في البيت : مصدر كالزيارة . التربع : الإقامة زمن الربيع .

١٠ ـ إنْ كُنْتِ أزْمَعْتِ الفِراقَ فإنَّما زُمَّتْ رِكابُكُمْ بلَيْلٍ مُظْلِمِ

(١٠) زم البعير : علق عليه الزمام .

الإزماع : توطين النفس على الشيء . الركاب : الإبل ، لا واحد لها من لفظها ، وقال الفراء : واحدها الركوب مثل قَلوص وقِلاص .

يقول : ان وطنت نفسك على الفراق وعزمت عليه فاني قد شعرت به بزمكم ابلكم ، قد زمت بليل مظلم ، فان على القول الأول حرف شرط ، وعلى القول الثاني حرف تأكيد .

١١ - ما راعَني إلاّ حَمُولَةُ أَهْلِها وَسْطَ الدِّيارِ تَسَفُّ حبَّ الخِمْخِمِ

راعه روعاً : أفزعه . الحمولة : الإبل التي تطيق أن يحمل عليها . وسط ، بتسكين السين ، لا يكون الا ظرفاً ؛ والوسط ، بفتح السين ، اسم لما بين طرفي الشيء . الخمخم : نبت تعلفه الإبل . السفّ والاستفاف معروفان .

يقول : ما أفزعني إلا استفاف إبلها حب الخمخم وسط الديار ، أي ما أنذرني بارتحالها الا انقضاء مدة الانتجاع والكلإ ، فاذا انقضت مـــدة الانتجاع علمت أنها ترتحل إلى دار حيها .

١٢ - فيها اثْنَتانِ وَأَرْبعُونَ حَلُوبَةً سُوداً كخافِيَةِ الغُرابِ الأَسْحَمِ

الحلوبة : جمع الحلوب عند البصريين ، وكذلك قتوبة وقتوب وركوبة وركوب ، وقال غيرهم : هي بمعنى محلوبة ، وفعول اذا كان بمعنى المفعول جاز أن تلحقه تاء التأنيث عندهم . الأسحم : الأسود . الخوافي من الجناح : أربع من ريشه ، والجناح عند أكثر الأئمة : ست عشرة ريشة ، أربع قوادم وأربع خواف وأربع مناكب وأربع أباهر ، وقال بعضهم : بل هو عشرون ريشة وأربع منها كُلى .

يقول : في حمولتهـا اثنتان وأربعون ناقةً تُحلب سوداً كخوافي الغراب الأسود ، ذكر سوادها دون سائر الألوان لأنها أنفس الإبل وأعزها عندهم ، وصف رهط عشيقته بالغنى والتموّل .

١٣ - إذْ تَسْتَبيكَ بِذي غُرُوبٍ واضِحٍ عَـــذْبٍ مُقَبَّلُهُ لَذيذِ المَطْعَمِ

(١٢) الحلوبة: تستعمل للواحدة والجمع ، وهي في البيت للواحدة ليس غير ، لانها معدود الـ ٤٢ . القتوب : الناقة التي وضع عليها قتبها وهو رحلها .

(١٣) قول الزوزني : الاشر : اي التحزيز الذي يكون في الاسنان خلقة أو افتعالاً .

الاستباء والسبي واحد . غرب كل شيء: حده ، والجمع غروب . الوضوح: البياض . المقبل : موضع التقبيل . المطعم : الطعم .

يقول : إنما كان فزعك من ارتحالها حين تستبيك بثغر ذي حدة واضح ، عذبٍ موضع التقبيل منه ولذ مطعمه ؛ أراد بالغروب الأَشْر التي تكون في أسنان الشوابّ ؛ وتحرير المعنى : تستبيك بذي أشر يستعذب تقبيله ويستلذ طعم ريقه .

١٤ ـ وَكَأَنَّ فارَةَ تاجِرٍ بِقَسيمَةٍ سَبَقَتْ عَوارِضَها إِلَيْكَ مِنَ ٱلْفَمِ

أراد بالتاجر : العطار . سميت فارة المسك فارة لأن الروائح الطيبة تفور منها ، والأصل فائرة فخففت فقيل فارة ، كما يقال : رجل خائلُ مالٍ وخالُ مالٍ ، إذا كان حسن القيام عليه . القَسامة : الحسن والصَباحة ، والفعل قَسُم يقسُم ، والنعت قسيم ، والتقسيم التحسين ، ومنه قول العجاج : « ورَبِّ هذا الأثرِ المقسَّم » أي المحسَّن ، يعني مقام إبراهيم ، عليه السلام . العوارض من الأسنان معروفة .

يقول : وكأن فارة مسك عطار بنكهة امرأة حسناء سبقت عوارضها إليك من فيها ، شبه طيب نكهتها بطيب ريح المسك ، أي تسبق نكهتها الطيبة عوارضها إذا رمت تقبيلها .

١٥ ـ أَوْ رَوْضَةً أُنُفاً تَضَمَّنَ نَبْتَها غَيْثٌ قَليلُ الدِّمْنِ لَيسَ بِمَعْلَمِ

روضة أنف : لم تُرعَ بعد ، وكأس أنف : استؤنف الشرب بها ، وأمر أنف : مستأنف ، وأصل ذلك كله من الاستئناف والائتناف وهما بمعنى . الدِمَن والدِمْن جمع دمنة وهي السرجين .

يقول : وكأن فارة تاجر أو روضة لم ترع بعد وقد زكا نبتها وسقاه مطر ولم يكن معه سرجين ، وليست الروضة بمعلم تطؤه الدواب والناس . يقول : طيب نكهتها كطيب ريح فارة المسك ، أو كطيب ريح روضة ناضرة لم ترع ولم يصبها سرجين ينقص طيب ريحها ، ولا وطئتها الدواب فينقص نضرتها وطيب ريحها .

١٦ ـ جادَتْ عَلَيْهِ كُلُّ بِكْرٍ حُرَّةٍ فَتَرَكْنَ كُلَّ قَرارَةٍ كَالدِّرْهَمِ

(١٤) عوارض الاسنان : ما بين الثنايا الى الاضراس .

(١٥) المعلم : الاثر الذي يستدل به على الطريق . السرجين : الزبل .

(١٦) جاء في البديع لابن المعتز ٢٨ (البكر أول السحاب ، أراد أنها لم تمطر قبل ذلك) . قول الزوزني « ارض حرة » بفتح الحاء : أي ذات الحجارة السود النخرة .

البكر من السحاب : السابق مطره ، والجمع الأبكار . الحرة : الخالصة من البرد والريح . والحر من كل شيء : خالصه وجيده ، ومنه طين حر لم يخالطه رمل ، ومنه أحرار البقول وهي التي تؤكل منها ، وحرُّ المملوكِ : خاص من الرق ، وأرض حرة لا خراج عليها ، وثوب حر لا عيب فيه . ويروى : جادت عليه كل عين ثرة . العين : مطر أيام لا يقلع . والثرة والثرثارة : الكثيرة الماء . القرارة : الحفرة .

يقول : مطرت على هذه الروضة كل سحابة سابقة المطر لا برد معها ، أو كل مطر يدوم أياماً ويكثر ماؤه ، حتى تركت كل حفرة كالدرهم لاستدارتها بالماء وبياض مائها وصفائه .

١٧ - سَحًّا وَتَسْكاباً فَكُلَّ عَشِيَّةٍ يَجْرِي عَلَيْها المـاءُ لَمْ يَتَصَرَّمِ

السح : الصب والانصباب جميعاً ، والفعل سحّ يسُح. التسكاب : السكب ، يقال : سكَبتَ الماء أسكُبه سَكْباً فسكَب هو يسكُب سكوباً . التصرم : الانقطاع .

يقول : أصابها المطر الجود صباً وسكباً فكل عشية يجري عليها ماء السحاب ولم ينقطع عنها .

١٨ - وَخَلا الذُّبابُ بِها فَلَيْسَ بِبارِحٍ غَرِداً كَفِعْلِ الشَّارِبِ المُتَرَنِّمِ

(١٨ و ١٩) جاء في الصناعتين ٢٢٣ (وما يعرف للمتقدم معنى شريف إلا نازعه فيه المتأخر وطلب الشركة فيه معه إلا بيتي عنترة : وترى الذباب بها ... فانه ما نوزع في هذا المعنى على جودته وقدرامه بعض المجيدين فافتضح) وجاء في العمدة ٢٠٦/١ بيت لابي محجن الثقفي في وصف قينة يقول فيه : ترفع الصوت أحيانا وتخفضه كما يطن ذباب الروضة الغرد

وقدعلق ابن رشيق على هذا البيت فقال (فأي قينة تحب أن تشبهبالذباب؟ وقد سرق بيت عنترةوقلبه فافسده).و عن صاحبالعمدة أيضاً، قال ٢٠٢/١ (ومنالتشبيهات عقم لم يسبق أصحابها اليها ولا تعدى أحد بعدهم عليها .. نحو قول عنترة .. وخلا الذباب بها ...) . وجاء فيما ألحقه محقق « فحولة الشعراء » بآخر كتاب الفحولة ص ٦٣: (..ثم قال الرشيد : أتعرف يا أصمعي تشبيها أفخر أو أعظم ، في أحقر مشبه وأصغره، فيأحسن معرض من قول عنترة الذي لم يسبقه اليهسابق ولا نازعه منازع،ولاطمعفيمجاراته طامع ... في قوله : وخلا الذباب بها .. ثم قال : يا أصمعي ، هذا من التشبيهات العقم التي لاتنتج ،فقلت : كذلك هو يا أمير المؤمنين). وجاء فيخزانة الادب ١٢٤/١ (يقول : خلا الذباب بهذه الروضة، فلا زال يرجع صوته بالغناء كشارب الخمر ... شبهالذباب إذا سن إحدى ذراعيه بالأخرى بأجذم يقدح ناراً بذراعيه ، وهذا من عجيب التشبيه . يقال إنه لم يقل أحد في معناه مثله ، وقد عده أرباب الادب من

البراح : الزوال ، والفعل برح يبرح . التغريد : التصويت ، والفعل غرّد ، والنعت غرِدٌ . الترنم : ترديد الصوت بضرب من التلحين .

يقول : وخلت الذباب بهذه الروضة فلا يزايلنها ، ويصوتن تصويت شارب الخمر حين رجّع صوته بالغناء ، شبه أصواتها بالغناء .

١٩ ـ هَزِجاً يَحُكُّ ذِراعَهُ بِذِراعِهِ ◦ قَدْحَ ٱلْمُكِبِّ على الزِّنادِ الأَجْذَمِ

هزجاً : مصوّتاً . المكب : المقبل على الشيء . الأجذم : الناقص اليد .

يقول : يصوت الذباب حال حكّه احدى ذراعيه بالأخرى مثل قدح رجل ناقص اليد النار من الزندين . لما شبه طيب نكهة هذه المرأة بطيب نسيم الروضة ، بالغ في وصف الروضة وأمعن في نعتها ليكون ريحها أطيب ، ثم عاد الى النسيب فقال :

٢٠ ـ تُمسي وتُصْبِحُ فَوْقَ ظَهْرِ حَشِيَّةٍ ◦ وَأَبيت فَوْقَ سَراةِ أَدْهَمَ مُلْجَمِ

السراة : أعلى الظهر . يقول : تصبح وتمسي فوق فراش وطيء وأبيت أنا فوق ظهر فرس أدهم ملجم ، يقول : هي تتنعم وأنا أقاسي شدائد الأسفار والحروب .

٢١ ـ وَحَشِيَّتي سَرْجٌ على عَبْلِ الشَّوَى ◦ نَهْـدٍ مَراكِلُهُ نَبيلِ ٱلْمَحْزِمِ

الحشية من الثياب : ما حشي بقطن أو صوف أو غيرهما ، والجمع الحشايا . العبل : الغليظ ، والفعل عبُل عَبالة . الشوى : الأطراف والقوائم . النهد : الضخم المشرف . المراكل : جمع المركل وهو موضع الركل ، والركل : الضرب بالرجل ، والفعل ركَل يركُل . النبيل : السمين ، ويستعار للخير والشر لأنهما يزيدان على غيرهما زيادة السمين على الأعجف . المحزم : موضع الحزام من جسم الدابة .

يقول : وحشيتي سرج على فرس غليظ القوائم والأطراف ، ضخم الجنبين منتفخهما ، سمين موضع الحزام ، يريد أنه يستوطىء سرج الفرس كما يستوطىء غيره الحشية ، ويلازم

التشبيهات العقم وهي التي لم يسبق اليها ولايقدر أحد عليها) ، وجاء في ديوان المعاني ١٤٨/٢ (وقد ذكروا أن كل معنى للأوائل أخذه المتأخرون وتصرفوا فيه إلا قول عنترة في الذباب فانه لم يتعرض له ولورامه من رامه لافتضح) . وجاء في الشعر والشعراء ٢٠٧/١ أن هذا المعنى (من أحسن التشبيه) وأنه (مما سبق اليه ولم ينازع فيه) عنترة . ومن الذين عدوه كذلك من أحسن التشبيه وأوقعه وأبلغه : المرتضى في أماليه ٧/١ وابن منقذ في لباب الآداب ص ٣٦٩ .

ركوب الخيل لزوم غيره الجلوس على الحشية والاضطجاع عليها ، ثم وصف الفرس بأوصاف يحمدونها وهي : غلظ القوائم وانتفاخ الجنبين وسمنها .

٢٢ - هَلْ تُبْلِغَنِّي دارَهـا شَدَنِيَّةٌ لُعِنَتْ بِمَحْرُومِ الشَّرابِ مُصَرَّمِ

شدن : أرض أو قبيلة تنسب الإبل اليها . أراد بالشراب اللبن . التصريم : القطع .

يقول : هل تبلغني دار الحبيبة ناقة شدنية لعنت ودعي عليها بأن تحرم اللبن ويقطع لبنها ، أي لبعد عهدها باللقاح كأنها قد دعي عليها بأن تحرم اللبن فاستجيب ذلك الدعاء ، وإنما شرط هذا لتكون أقوى وأسمن وأصبر على معاناة شدائد الأسفار لأن كثرة الحمل والولادة تكسبها ضعفاً وهزالاً .

٢٣ - خَطّارَةٌ غِبَّ السُّرَى زَيّافَةٌ تَطِسُ الإكامَ بِوَخْدِ خُفٍّ مِيثَمِ

خطر البعير بذنبه يخطر خطْراً وخطَراناً إذا شال به . الزَّيف : التبختر ، والفعل زاف يزيف . الوطس والوثم : الكسر .

يقول : هي رافعة ذنبها في سيرها مرحاً ونشاطاً بعدما سارت الليل كله ، متبخترة تكسر الإكام بخفها الكثير الكسر الأشياء . ويروى : بذات خف ، أي برجل ذات خف ، ويروى : بوخد خف . الوخد والوخدان : السير السريع . الميثم : المبالغة كأنه آلة الوثم ، كما يقال : رجل مِسعر حرب وفرس مِسح ، كأن الرجل آلة لسعر الحروب والفرس آلة لسح الجري .

٢٤ - وَكَأَنَّما تَطِسُ الإكامَ عَشِيَّةً بِقَرِيبِ بَيْنَ المَنْسِمَيْنِ مُصَلَّمِ

المصلم : من أوصاف الظليم لأنه لا أذن له ، والصلم الاستئصال ، كأن أذنه استؤصلت .

يقول : كأنما تكسر الإكام لشدة وطئها عشية بعد سرى الليل وسير النهار ، كظليم قرب ما بين منسميه ولا أذن له ، شبهها في سرعة سيرها بعد سرى ليلة ووصل سير يوم به بسرعة سير الظليم ، ولما شبهها في سرعة السير بالظليم أخذ في وصفه فقال :

٢٥ - تَأْوِي لَهُ قُلُصُ النَّعامِ كَما أَوَتْ حِزَقٌ يَمانِيَةٌ لِأَعْجَمَ طِمْطِمِ

(٢٥) قول الزوزني « بمنزلة الجارية » أي الشابة . وقوله « لأن الظليم لانطق له » خطأ لأني وجدت في القاموس : عر الظليم – بتشديد الراء – عراراً – بكسر العين – : صاح .

القَلوص من الإبل والنعام : بمنزلة الجارية من الناس ، والجمع قُلُص وقلائص . يقال : أوى يأوي أوِيّاً ، أي انضم ، ويوصل بإلى يقال : أويت إليه ، وإنما وصلها باللام لأنه أراد : تأوي إليه قلص له . الحزق : الجماعات ، والواحدة حِزْقة وكذلك الحزيقة ، والجمع حزيق وحزائق . الطمطم : الذي لا يفصح ، أي العَيِيّ الذي لا يفصح. وأراد بالأعجم الحبشي .

يقول : تأوي إلى هذا الظليم صغائر النعام كما تأوي الإبل اليمانية إلى راع أعجم عييّ لا يفصح ، شبه الظليم في سواده بهذا الراعي الحبشي ، وقلص النعام بإبل يمانية لان السواد في إبل اليمانيين أكثر ، وشبه أويها إليه بأوِيّ الإبل إلى راعيها ، ووصفه بالعِيّ والعجمة لان الظليم لا نطق له (٢٦) .

٢٦ - يَتْبَعْنَ قُلَّةَ رَأْسِهِ وَكَأَنَّهُ حِدْجٌ عَلى نَعْشٍ لَهُنَّ مُخَيَّمِ

قلة الرأس : أعلاه . الحدج : مركب من مراكب النساء . النعش : الشيء المرفوع ، والنعش بمعنى المنعوش . المخيم : المجعول خيمة .

يقول : تتبع هؤلاء النعام أعلى رأس هذا الظليم ، أي جعلته نصب أعينها لا تنحرف عنه ، ثم شبه خَلقه بمركب من مراكب النساء جُعل كالخيمة فوق مكان مرتفع .

٢٧ - صَعْلٍ يَعُودُ بِذي الْعُشَيْرَةِ بَيْضَهُ كَالعَبْدِ ذي الْفَرْوِ الطَّويلِ الأَصْلَمِ

الصعل والاصعل : الصغير الرأس . يعود : يتعهد . الاصلم : الذي لا أذن له .

شبه الظليم بعبد لبس فرواً طويلا ولا أذن له لانه لا أذن للنعام ، وشرط الفرو الطويل ليشبه جناحيه ، وشرط العبد لسواد الظليم ، وعبيد العرب : السودان . ذو العشيرة : موضع . ثم رجع إلى وصف ناقته فقال :

٢٨ - شَرِبَتْ بِماءِ الدُّحْرُضَيْنِ فَأَصْبَحَتْ زَوْراءَ تَنْفِرُ عَنْ حِياضِ الدَّيْلَمِ

---

(٢٧) فسر ابن رشيق هذا البيت في العمدة ٢/٧٩ تفسيراً بعيداً كله تمحل ، فآثرت الاشارة اليه دون نقله .

(٢٨) جاء في الموازنة ٢٠١ أن الدحرضين ماءان ، هما : دحرض ووسيع ، ولكن الشاعر عمد إلى التغليب .قول الزوزني بأن الباء في الآية الاولى زائدة ،مردود؛ لأنها -في الحق- ليست زائدة ،ولكن على تضمين « علم » معنى « شعر » ، انظر المصباح المنير مادة علم .

الزَوَر : الميل ، والفعل زوِر يزوَر ، والنعت أزور ، والانثى زوراء ، والجمع زُور . مياه الديلم : مياه معروفة ، وقيل : العرب تسمي الاعداء ديلماً لان الديلم صنف من أعدائها .

يقول : شربت هذه الناقة من مياه هـذا الموضع فأصبحت مائلة نافرة عن مياه الاعداء . والباء في قوله بماء الدحرضين زائدة عند البصريين كزيادتها (؟) في قوله تعالى : « ألم يعلم بأن الله يرى » . وقول الشاعر :

هن الحرائرُ لا رباتُ أخمرةٍ سودُ المحاجرِ لا يقرأنَ بالسُوَرِ

أي لا يقرأن السور ، والكوفيون يجعلونها بمعنى من ، و كذلك الباء في قوله تعالى : « عيناً يشرب بها عباد الله » قد اختلف فيه على هذا الوجه .

٢٩ ـ وَكَأَنَّمَا تَنْأَى بِجَانِبِ دَفِّهَا الْـ وَحْشِيِّ من هَزِجِ الْعَشِيِّ مُؤَوَّمِ

الدف : الجنب . الجانب الوحشي : اليمين ، وسمي وحشياً لانه لا يُركب من ذلك الجانب ولا يُنزل . الهَزِج : الصوت ، والفعل هزِج يهزَج ، والنعت هزِج . المؤوم : القبيح الرأس العظيمه ، قوله : من هزج العشي ، أي من خوف هزج العشي ، فحذف المضاف ، والباء في قوله بجانب دفها للتعدية .

يقول : كأن هذه الناقة تبعد وتنحي الجانب الأيمن منها من خوف هر عظيم الرأس قبيحه ، وجعله هزج العشي لأنهم اذا تعشوا فانه يصيح على هذا الطعام ليطعم ، يصف هـذه الناقة بالنشاط في السير وانها لا تستقيم في سيرها نشاطاً ومرحاً فكأنها تنحي جانبها الايمن خوف خدش سِنّور اياه ، وقيل : بل أراد أنهـا تنحيه وتبعده مخافة الضرب بالسوط فكأنها تخاف خدش سنور جانبها الايمن .

٣٠ ـ هِرٍّ جَنيبٍ كلَّما عَطَفَتْ لَهُ غَضْبَى اتَّقاها باليَـدَيْنِ وبالفَمِ

هر : بدل من هزج العشي . جنيب أي مجنوب اليها أي مقود . اتقاها أي استقبلها .

يقول : تتنحى وتتباعد من خوف سنور كلما انصرفت الناقة غضبى لتعقره استقبلها الهر بالخدش بيده والعض بفمه ، يقول : كلما أمالت رأسها اليه زادها خدشاً وعضاً .

٣١ - بَرَكَتْ على جَنْبِ الرِّداعِ كأنَّما بَرَكَتْ على قَصَبٍ أَجَشَّ مُهضَّمِ

رداع : موضع . أجشّ : له صوت . مهضّم أي مكسّر .

يقول : كأنما بركت هذه الناقة وقت بروكها على جنب الرداع على قصب مكسر له صوت ، شبه أنينها من كلالها بصوت القصب المكسر عند بروكها عليه ، وقيل : بل شبه صوت تكسر الطين اليابس الذي نضب عنه الماء بصوت تكسر القصب .

٣٢ - وكأنَّ رُبّاً أو كُحَيْلاً مُعْقَداً حَشَّ الوَقودُ بِهِ جَوانبَ قُمْقُمِ

الرب : الطلاء . الكحيل : القطران . عقدت الدواء : أغليته حتى خثر . حش النار يحشها حشاً : أوقدها . الوَقود : الحطب ، والوُقود الإيقاد .

شبه العرق السائل من رأسها وعنقها برب أو قطران جعل في قمقم أوقدت عليه النار فهو يترشح به عند الغليان ، وعرق الإبل أسود لذلك شبه بهما وشبه رأسها بالقمقم في الصلابة ؛ وتقدير البيت : وكأن رباً أو كحيلا حش الوقود باغلائه في جوانب قمقم عرقها الذي يترشح منها .

٣٣ - يَنْباعُ من ذِفْرَى غَضُوبٍ جَسْرَةٍ زَيَّافَـــةٍ مِثْلِ الفَنيقِ المُكْدَمِ

أراد « ينبع » فأشبع الفتحة لإقامة الوزن فتولدت من إشباعها ألف ، ومثله قول ابراهيم بن هرمة : « من حوثمـــا سلكوا أدنو فأنظور »

---

(٣٢) جاء في خزانة الادب ١/١٢١ (الوقود – بفتح الواو – الحطب ، والوقود – بالضم – المصدر ، وهو فاعل « حش » ، و « جوانب » مفعوله ، ويجوز أن يكون « حش » بمعنى احتش أي اتقد .. فيكون « جوانب » منصوباً على الظرف ، كذا في شرح أبي جعفر النحوي) .

(٣٣) جاء في خزانة الأدب ١/١٢٠ أن الألف في « ينباع » (تولدت من اشباع الفتحة والأصل ينبع ، كذا قال جماعة . وقال ابن الاعرابي : ينباع : ينفعل من باع يبوع إذا مر مراً ليناً فيه تلو ، وانكر أن يكون الأصل فيه ينبع . . . وفي العباب : وانباع العرق : سال ، وانشد هذا البيت .. وانكار ابن الاعرابي رواية ينبع ، مردود برواية الثقات .. ، وفاعل « ينباع » ضمير عائد على الرب أو الكحيل في البيت السابق ، وجملة ينباع خبر كأن) . قول الزوزني « كدمته الفحول » أي عضته ، على حين أن صاحب الخزانة ١/١٢٢ فسر المكدم بالذي (لايؤذى ولا يركب لكرامته على أهله) قول الزوزني « وهذه اللفظة عربية بالاجماع » فيه نظر لأن اختلافهم في كونها اسماً من اسماء الله ، أو اسم فعل بمعنى استجب يشككنا في كون أصلها عربياً . وقال العلايلي في المرجع ١/١١ انها (كلمة شائعة في اللغات ، والاكثرون على أنها عبرانية) . وانظر شفاء الغليل ١٣

أراد « فأنظر » فأشبع الضمة فتولدت من إشباعها واو ، ومثله قولنا آمين والاصل أمين ، فأشبعت الفتحة فتولدت من إشباعها ألف ، يدلك عليه أنه ليس في كلام العرب اسم جاء على فاعيل ، وهذه اللفظة عربية بالإجماع (؟) ومنهم من جعله ينفعل من البوع وهو طي المسافة . الذفرى : ماخلف الأذن . الجسرة : الناقة الموثقة الخَلق . الزَيف : التبختر ، والفعل زاف يزيف . الفنيق : الفحل من الإبل .

يقول : ينبع هذا العرق من خلف أذن ناقة غضوب موثقة الخلق شديدة التبختر في سيرها مثل فحل من الإبل قد كدمته الفحول ، شبهها بالفحل في تبخترها ووثاقة خلقها وضخمها .

٣٤ - إِنْ تُغْدِفِي دُونِي ٱلْقِنَاعَ فَإِنَّنِي طَبٌّ بِأَخْذِ ٱلْفَارِسِ ٱلْمُسْتَلْئِمِ

الإغداف . الإرخاء . طب : حاذق عالم . استلأم : لبس اللأمة .

يقول مخاطباً عشيقته : ان ترخي وترسلي دوني القناع ، أي تستتري عني ، فاني حاذق بأخذ الفرسان الدارعين ، أي لاينبغي لك أن تزهدي فيّ مع نجدتي وبأسي وشدة مرامي ، وقيل : بل معناه اذا لم أعجز عن صيد الفرسان الدارعين فكيف أعجز عن صيد أمثالك ؟

٣٥ - أَثْنِي عَلَيَّ بِمَا عَلِمْتِ فَإِنَّنِي سَمْحٌ مُخَالَقَتِي إِذَا لَمْ أُظْلَمِ

المخالقة : مفاعلة من الخُلق . يقول : أثني علي أيتها الحبيبة بما علمت من محامدي ومناقبي فاني سهل المخالطة والمخالقة اذا لم يهضم حقي ولم يُبخس حظي

٣٦ - وَإِذَا ظُلِمْتُ فَإِنَّ ظُلْمِيَ بَاسِلٌ مُرٌّ مَذَاقَتُهُ كَطَعْمِ ٱلْعَلْقَمِ

باسل : كريه ، ورجل باسل : شجاع ، والبسالة : الشجاعة .

يقول : وإذا ظُلمت وَجدت ظلمي كريهاً مراً كطعم العلقم ، أي من ظلمني عاقبته عقاباً بالغاً يكرهه كما يكره طعم العلقم من ذاقه .

٣٧ - وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ ٱلْمُدَامَةِ ، بعدما رَكَدَ ٱلْهَوَاجِرُ ، بِٱلْمَشُوفِ ٱلْمُعْلَمِ

---

(٣٤) قول الزوزني « اللأمة » أي الدرع .

(٣٧) قول الشاعر « المعلم » أي الذي فيه علامات .

ركد : سكن . الهواجر : جمع الهاجرة وهي أشد الاوقات حراً . المشوف : المجلوّ . المدام والمدامة : الخمر ، سميت بها لأنها أديمت في دَنّها .

يقول : ولقد شربت من الخمر ، بعد اشتداد حر الهواجر وسكونه ، بالدينار المجلوّ المنقوش ، يريد أنه اشترى الخمر فشربها ، والعرب تفتخر بشرب الخمر والقمار ، لأنهما من دلائل الجود عندها . قوله : بالمشوف ، أي بالدينار المشوف ، فحذف الموصوف ، ومنهم من جعله من صفة القَدَح وقال : أراد : بالقدح المشوف .

٣٨ - بِزُجاجَةٍ صَفْراءَ ذاتِ أَسِرَّةٍ قُرِنَتْ بِأَزْهَرَ في الشِّمالِ مُفَدَّمِ

الاسرة : جمع السِرّ والسُّرر ، وهما الخط من خطوط اليد والجبهة وغيرهما ، وتجمع أيضاً على الأسرار ثم تجمع الأسرار على أسارير . بأزهر بأي بإبريق أزهر . مفدم : مسدود الرأس بالفِدام .

يقول : شربتها بزجاجة صفراء عليها خطوط قرنتها بإبريق أبيض مسدود الرأس بالفِدام لأصب الخمر من الإبريق في الزجاجة .

٣٩ - فَإِذا شَرِبْتُ فَإِنَّني مُسْتَهْلِكٌ مالي ، وَعِرْضي وافِرٌ لَمْ يُكْلَمِ

يقول : فاذا شربت الخمر فإنني أهلك مالي بجودي ولا أشين عرضي ، فأكون تام العرض مهلك المال لا يكلم عرضي عيب عائب ، يفتخر بأن سكره يحمله على محامد الأخلاق ويكفه عن المثالب .

٤٠ - وَإِذا صَحَوْتُ فَما أُقَصِّرُ عَنْ نَدًى وَكَما عَلِمْتِ شَمائِلي وَتَكَرُّمي

يقول : واذا صحوت من سكري لم أقصر عن جودي ، أي يفارقني السكر ولا يفارقني الجود ثم قال : وأخلاقي وتكرمي كما علمت أيتها الحبيبة ، افتخر بالجود ووفور

(٣٩ و ٤٠) استجاد هذين البيتين لعنترة كل من صاحب الشعر والشعراء ٢٠٨/١ وصاحب الموشح ص ٥٧ وجاء في معاهد التنصيص ١٢٤/١ (وما ألطف قول ابن حمديس في معنى قول عنترة :

يعيد عطايا سكره عند صحوه ليعلم أن الجود منه على علم
ويسلم في الانعام من قول قائل : تكرم لما خامرته ابنة الكرم)

وقال العسكري في ديوان المعاني ١١٠/١ (قالوا : أربعة من الشجعان تتبين دلائل الجبن في شعر ثلاثة منهم ، فمن الثلاثة عنترة في قوله : ... – الأبيات ٣٩ و ٤٠ و ٤١ و ٤٣ و ٤٦ و ٤٧ و ٤٩ و ٦١ – ثم قال : إذ يتقون .. – البيت ٦٤ – قالوا : فدل على أنه وقف ولم يقدم ، واعتذر بتضايق المقدم) .

العقل إذ لم ينقص السكر عقله . وهذان البيتان قد حكم الرواة بتقدمهما في بابهما .

٤١ ـ وَحَليلِ غانِيَةٍ تَرَكْتُ مُجَدَّلاً تمكو فَريصَتُـهُ كشِدْقِ الأَعْلَمِ

الحليل ، بالمهملة : الزوج ، والحليلة الزوجة ، وقيل في اشتقاقهما إنهما من الحلول فسميا بهما لأنهما يحلان منزلاً واحداً وفراشاً واحداً ، فهو على هذا القول فعيل بمعنى مفاعل ، مثل شريب وأكيل ونديم بمعنى مشارب ومؤاكل ومنادم ، وقيل : بل هما مشتقان من الحِل لأن كلاً منهما يحل لصاحبه ، فهو على هذا القول فعيل بمعنى مفعَل مثل الحكيم بمعنى المحكم ، وقيل : بل هما مشتقان من الحَل ، وهو على هذا القول فعيل بمعنى فاعل ، وسميا بهما لأن كلاً منهما يحل إزار صاحبه . الغانية : ذات الزوج من النساء لأنها غنيت بزوجها عن الرجال ؛ وقال الشاعر :

أَحِبُّ الأيامى إذ بثينـةُ أيّمٌ وأحببتُ لمّا أن غنيتِ الغوانيا

وقيل : بل الغانية : البارعة الجمال المستغنية بكمال جمالها عن التزين ، وقيل : الغانية : المقيمة في بيت أبويها لم تزوج بعد ، من غني بالمكان إذا أقام به ، وقال عمارة بن عقيل : الغانية : الشابة الحسناء التي تعجب الرجال ويعجبها الرجال ، والاحسن القول الثاني والرابع جدّلته : ألقيته على الجدالة ، وهي الارض ، فتجدّل أي سقط عليها . المُكاء : الصفير . العَلَم . الشق في الشفة العليا .

يقول : ورب زوج امرأة بارعة الجمال مستغنية بجمالها عن التزين قتلته وألقيته على الارض وكانت فريصته تمكو بانصباب الدم منها كشدق الأعلم ، قال أكثرهم : شبه سعة الطعن بسعة شدق الأعلم ، وقال بعضهم : بل شبه صوت انصباب الدم بصوت خروج النفس من شدق الأعلم .

٤٢ ـ سَبقَتْ يَدايَ لَهُ بِعاجِلِ طَعْنَةٍ وَرَشاشِ نافِذَةٍ كَلَوْنِ ٱلعَنْدَمِ

العندم : دم الاخوين ، وقيل : بل هو البقّم ، وقيل : شقائق النعمان .

يقول : طعنته طعنة في عجلة ترش دماً من طعنة نافذة تحكي لون العندم .

---

(٤١) هذا البيت من الأبيات التي ذكرها العسكري في حاشيتنا السابقة .
الفريصة : عرق في العنق . والبيت الوارد في الشرح لجميل .

(٤٢) الرشاش : ما ترشاش من الدم . العندم والبقم ودم الأخوين واحد ، وهو شجر أحمر يصنع منه صبغ .

٤٣ - هَلاَّ سَأَلْتِ الخَيْلَ يا ابْنَةَ مالكٍ إنْ كُنْتِ جاهِلَةً بِمـا لَمْ تَعْلَمي

يقول : هلا سألت الفرسان عن حالي في قتالي إن كنت جاهلة بها ؟

٤٤ - إذْ لا أزالُ على رِحالَةِ سابِحٍ نَهْـدٍ تَعاوَرُه ٱلكُماةُ مُكَلَّمِ

التعاور : التداول ، يقال : تعاوروه ضرباً اذا جعلوا يضربونه على جهة التناوب ، وكذلك الاعتوار . الكَلم : الجرح ، والتكليم : التجريح .

يقول : هلا سألت الفرسان عن حالي إذ لم أزل على سرج فرس سابح تناوب الابطال في جرحه ، أي جرحه كل منهم ، و « نهد » من صفة السابح وهو الضخم .

٤٥ - طَوْراً يُجَرَّدُ للطِّعانِ ، وتارَةً يَأْوي إلى حَصِدِ ٱلقِسِيِّ عَرَمْرَمِ

الطور : التارة والمرة ، والجمع الاطوار .

يقول : مرة أجرده من صف الاولياء لطعن الاعداء وضربهم ، وأنضم مرة الى قوم محكمي القسيّ ، كثير ، يقول : مرة أحمل عليه على الاعداء فأحسن بلائي وأنكي فيهم أبلغ نكاية ، ومرة أنضم الى قوم أحكمت قسيهم و كثر عددهم ، أراد أنهم رماة مع كثرة عددهم . العرمرم : الكثير. حصِد الشيء حَصَداً إذا استحكم، والإحصاد : الإحكام .

٤٦ - يُخْبِرْكِ مَنْ شَهِدَ الوَقيعةَ أنني أَغْشى الوَغى وَأَعِفُّ عِنْدَ المَغْنَمِ

يخبرك : مجزوم لأنه جواب هلا سألت . الوقعة والوقيعة : اسمان من أسماء الحروب ، والجمع الوقعات والوقائع ، الوغى : أصوات أهل الحرب ثم استعير للحرب. المغنم والغُنم والغنيمة واحد .

يقول : إن سألت الفرسان عن حالي في الحرب يخبرك من حضر الحرب بأني كريم عالي الهمة آتي الحروب وأعف عن اغتنام الأموال .

٤٧ - وَمُدَجَّجٍ كَرِهَ ٱلكُماةُ نِزالَهُ لا مُمْعِنٍ هَرَبـاً وَلا مُسْتَسْلِمِ

(٤٣) هذا البيت من الابيات التي ذكرها العسكري في تعليقنا على البيت رقم ٣٩ .
(٤٤) قول الشاعر « رحالة » أي سرج .
(٤٥) الحصد : المحكم ، والقسي جمع قوس .
(٤٦و٤٧) هذان البيتان من الأبيات التي ذكرها العسكري في تعليقنا على البيت رقم ٣٩ .

المدجّج والمدَّجج : التام السلاح . الإمعان : الإسراع في الشيء والغلو فيه .
الاستسلام : الانقياد والاستكانة .

يقول : ورب رجل تام السلاح كانت الابطال تكره نزاله وقتاله لفرط بأسه وصدق مراسه لايسرع في الحرب اذا اشتد بأس عدوه ولا يستكين له اذا صدق مراسه .

٤٨ ـ جادَتْ لَهُ كَفِّي بِعاجِلِ طَعْنَةٍ بِمُثَقَّفٍ صَدْقِ ٱلْكُعُوبِ مُقَوَّمِ

يقول : جادت يدي له بطعنة عاجلة برمح مقوم صلب الكعوب ، والبيت جواب « رب » المضمر بعد الواو في : ومدجج . قوله : بعاجل طعنة ، قدم الصفة على الموصوف ثم أضافها اليه ، تقديره : بطعنة عاجلة . الصدق : الصلب .

٤٩ ـ فَشَكَكْتُ بالرُّمْحِ الأَصَمِّ ثِيابَهُ لَيسَ ٱلْكَرِيمُ عَلى ٱلْقَنا بِمُحَرَّمِ

الشك : الانتظام ، والفعل شكَّ يشُكُّ . الأصم : الصلب .

يقول : فانتظمت برمحي الصلب ثيابه ، أي طعنته طعنة أنفذت الرمح في جسمه وثيابه كلها ، ثم قال : ليس الكريم محرماً على الرماح ، يريد أن الرماح مولعة بالكرام لحرصهم على الإقدام ، وقيل : بل معناه أن كرمه لايخلصه من القتل المقدر له .

٥٠ ـ فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ ٱلسِّباعِ يَنُشْنَهُ يَقْضَمْنَ حُسْنَ بَنانِهِ وَالمِعْصَمِ

الجزر : جمع جَزَرة وهي الشاة التي أعدت للذبح . النوش : التناول ، والفعل ناش ينوش نَوشاً . القضم : الأكل بمقدم الأسنان ، والفعل قضِم يقضَم .

يقول : فصيرته طعمة للسباع كما تكون الجزر طعمة للناس ، ثم قال : تتنـاوله السباع وتأكل بمقدم أسنانها بنانه الحسن ومعصمه الحسن ، يريد أنه قتله فجعله عرضة للسباع حتى تناولته وأكلته .

٥١ ـ وَمَشَكِّ سابِغَةٍ هَتَكْتُ فُرُوجَها بالسَّيْفِ عن حامي الحَقيقَةِ مُعلِمِ

---

(٤٨) قول الزوزني « والبيت جواب رب » أي في محل رفع خبر لمدجج : المجرور لفظاً بواو رب المرفوع محلا على أنه مبتدأ .

(٤٩) جاء في الموازنة ٦٧ أن أبا تمام أخذ هذا المعنى ولكنه لم يحسن . وهذا البيت أيضاً من الأبيات التي ذكرها العسكري في تعليقنا على البيت رقم ٣٩ .

(٥١) السابغة : الدرع الواسعة .

المشك : الدرع التي قد شك بعضها الى بعض ، وقيل مساميرها ، يشير الى أنه الزرد ، وقيل : الرجل التام السلاح . الحقيقة : مايحق عليك حفظه أي يجب . المعلم ، بكسر اللام : الذي أعلم نفسه أي شهرها بعلامة يعرف بها في الحرب حتى ينتدب الأبطال لبرازه ، والمعلم ، بفتح اللام : الذي يشار اليه ويدل عليه بأنه فارس الكتيبة وواحد السرية .

يقول : ورب مشك درع ، أي رب موضع انتظام درع واسعة ، شققت أوساطها بالسيف عن رجل حام لما يجب عليه حفظه شاهر نفسه في حومة الحرب أو مشار اليه فيها ، يريد أنه هتك مثل هذه الدرع عن مثل هذا الشجاع فكيف الظن بغيره ؟

٥٢ - رَبِذٍ يَداهُ بالقِداحِ إذا شَتا هَتّاكِ غاياتِ التِّجارِ مُلَوَّمِ

الربذ : السريع . شتا : دخل في الشتاء ، يشتو شَتْواً . الغاية : راية ينصبها الخمّار ليُعرف مكانه بها . أراد بالتجار الخمارين . الملوم : الذي ليم مرة بعد أخرى . والبيت كله من صفة حامي الحقيقة .

يقول : هتكت الدرع عن رجل سريع اليد خفيفها في اجالة القداح في الميسر في برد الشتاء ، وخص الشتاء لأنهم يكثرون الميسر فيه لتفرغهم له ، وعن رجل يهتك رايات الخمارين ، أي كان يشتري جميع ماعندهم من الخمر حتى يقلعوا راياتهم لنفاذ خمرهم ، ملوم على امعانه في الجود واسرافه في البذل ، وهذا كله من صفة حامي الحقيقة .

٥٣ - لَمّا رَآني قَدْ نَزَلْتُ أُرِيدُهُ أَبْدَى نَواجِذَهُ لِغَيْرِ تَبَسُّمِ

يقول : لما رآني هذا الرجل نزلت عن فرسي أريد قتله كشر عن أسنانه غير متبسم ، أي لفرط كلوحه من كراهية الموت قلصت شفتاه عن أسنانه ، وليس ذلك لتكلم ولا لتبسم ولكن من الخوف . ويروى : لغير تكلم .

٥٤ - عَهْدي بِهِ ، مَدَّ النَّهارِ ، كَأَنَّما خُضِبَ البَنانُ وَرَأْسُهُ بالعِظْلِمِ

مد النهار : طوله . العظلم : نبت يختضب به . العهد : اللقاء ، يقال : عهدته أعهده عهداً اذا لقيته .

يقول : رأيته طول النهار وامتداده بعد قتلي اياه وجفاف الدم عليه كأن بنانه ورأسه مخضوبان بهذا النبت .

٥٥ - فَطَعَنْتُهُ بالرُّمحِ ثُمَّ عَلَوْتُهُ بِمُهَنَّدٍ صافي الحَديدَةِ مِخْذَمِ

المخذم : السريع القطع . يقول : طعنته برمحي حين ألقيته عن ظهر فرسه ثم علوته مع سيف مهند صافي الحديد سريع القطع .

٥٦ - بَطَلٍ كأنَّ ثِيابَهُ في سَرْحَةٍ يُحذَى نعالَ السِّبْتِ ليسَ بِتَوْءَمِ

السرحة : الشجرة العظيمة . يحذى أي تجعل حذاء له ، والحذاء : النعل ، والجمع الأحذية .

يقول : وهو بطل مديد القد كأن ثيابه ألبست شجرة عظيمة من طول قامته واستواء خلقه ، تجعل جلود البقر المدبوغة بالقرظ نعالاً له ، أي تستوعب رجلاه السبت ، ولم تحمل أمه معه غيره ، بالغ في وصفه بالشدة والقوة بامتداد قامته وعظم أعضائه وتمام غذائه عند ارضاعه اذ كان فذاً غير توءم .

٥٧ - يا شاةَ ما قَنَصٍ لِمَنْ حلَّتْ لَهُ حَرُمَتْ عَلَيَّ وَلَيْتَها لَمْ تَحْرُمِ

ما : صلة زائدة . الشاة : كناية عن المرأة .

يقول : ياهؤلاء اشهدوا شاة قنص لمن حلت له فتعجبوا من حسنها وجمالها فانها قد حازت أتم الجمال ، والمعنى : هي حسناء جميلة ممتنع ان كلف بها وشغف بحبها ولكنها حرمت علي وليتها لم تحرم علي ، أي ليت أبي لم يتزوجها حتى كان يحل لي تزوجها ، وقيل : أراد بذلك أنها حرمت عليه باشتباك الحرب بين قبيلتيهما ثم تمنى بقاء الصلح .

٥٨ - فَبَعَثْتُ جارِيَتي فقُلْتُ لها : اذهَبي فَتَجَسَّسي أخبارَها لِيَ وَاعْلَمي

يقول : فبعثت جاريتي لتتعرف أحوالها لي .

٥٩ - قالَتْ : رَأَيْتُ من الأعادي غِرَّةً وَالشَّاةُ مُمْكِنَةٌ لِمَنْ هوَ مُرْتَمِ

---

(٥٦) جاء في زهر الآداب ٢/٣٧٨ أن (العرب تمدح الطول وتثني عليه) ثم استشهد بهذا البيت.
السبت : جلود البقر . والقرظ : ورق السلم يدبغ به .

(٥٧) قال نالينو ١٠٢ (فان ذهب أحدهم أحيانا إلى التغزل .. لم يدرجه في وسطها - اي القصيدة - إلا بأندر النادر كما فعله عنترة بن شداد في معلقته حين قال نحو أواخرها .. - الأبيات من ٥٧ حتى ٦٠ - وبعد هذه الابيات الاربعة يرجع موضوع المعلقة إلى غير الغزل) القنص الصيد .

(٥٨ و ٥٩ و ٦٠) انظر تعليقنا السابق .

الغرة : الغفلة ، رجل غِرّ : غافل لم يجرب الأمور .

يقول : فقالت جاريتي ، لما انصرفت ، لي : صادفت الأعادي غافلين عنها ورمي الشاة ممكن لمن أراد أن يرميها ، يريد أن زيارتها ممكنة لطالبها لغفلة الرقباء والقرناء عنها.

٦٠ ـ وَكَأَنَّمَا ٱلْتَفَتَتْ بِجِيدِ جَدَايَةٍ رَشَإٍ مِنَ ٱلْغِزْلَانِ حُرٍّ أَرْثَمِ

الجَداية والجِداية : ولد الظبية ، والجمع الجدايا . الرشأ : الذي قوي من أولاد الظباء . والغزلان جمع الغزال . الحر من كل شيء : خالصه وجيده . الارثم : الذي في شفته العليا وأنفه بياض .

يقول : كأن التفاتها الينا في نظرها التفات ولد ظبية هذه صفته في نظره .

٦١ ـ نُبِّئْتُ عَمْراً غَيْرَ شَاكِرِ نِعْمَتِي وَٱلْكُفْرُ مَخْبَثَــةٌ لِنَفْسِ ٱلْمُنْعِمِ

التنبئة والتنبيء : مثل الإنباء ، وهذه من سبعة أفعال تتعدى الى ثلاثة مفاعيل ، وهي : أعلمت وأريت وأنبأت ونبّأت وأخبرت وخبّرت وحدّثت ، وانما تعدت الخمسة التي هي غير « أعلمت وأريت » الى ثلاثة مفاعيل لتضمنها معنى أعلمت .

يقول : أعلمت أن عمراً لا يشكر نعمتي ، وكفران النعمة ينفّر نفس المنعم عـن الإنعام ، فالتاء في « نبئت » هو المفعول الاول قد أقيم مقام الفاعل واسند الفعل اليه ، و « عمراً » هو المفعول الثاني ، و « غير » هو المفعول الثالث .

٦٢ ـ وَلَقَدْ حَفِظْتُ وَصَاةَ عَمِّي بِالضُّحَا إِذْ تَقْلِصُ ٱلشَّفَتَانِ عَنْ وَضَحِ ٱلْفَمِ

الوصاة والوصية شيء واحد . وضح الفم : الاسنان . القلوص : التشنج والقِصَر .

يقول : ولقد حفظت وصية عمي اياي باقتحامي القتال ومناجزتي الابطال في أشد أحوال الحرب ، وهي حال تقلص الشفاه عن الاسنان من شدة كلوح الابطال والكماة فرَقاً من القتل .

---

(٦١) جاء في الخزانة ١/٣٠٥ (يقول : من انعمت عليه نعمة فلم ينشرها ولم يشكرها فان ذلك سبب لتغير نفس المنعم من الانعام على كل أحد ، وليس المعنى : تتغير نفس المنعم على ذلك الجاحد كما قال شراح المعلقة ، فانه تقصير) ، وهذا البيت من الابيات التي ذكرها العسكري في تعليقنا على البيت رقم ٣٩ .

٦٣ - فِي حَوْمَةِ الحَرْبِ الَّتِي لا تَشْتَكِي غَمَراتِها الأَبْطالُ غيرَ تَغَمْغُمِ

حومة الحرب : معظمها وهي حيث تحوم الحرب أي تدور ؛ وغمرات الحرب : شدائدها التي تغمر أصحابها ، أي تغلب قلوبهم وعقولهم . التغمغم : صياح ولجب لا يفهم منه شيء .

يقول : ولقد حفظت وصية عمي في حومة الحرب التي لاتشكوها الابطال إلا بجلبة وصياح .

٦٤ - إِذْ يَتَّقُونَ بِيَ الأَسِنَّةَ لَمْ أَخِمْ عَنْها وَلٰكِنِّي تَضايَقَ مُقْدَمِي

الاتقاء : الحجز بين الشيئين ، تقول : اتقيت العدو بترسي ، أي جعلت الترس حاجزاً بيني وبين العدو . الخَيْم : الجبن . المقدم : موضع الاقدام ، وقد يكون الاقدام في غير هذا الموضع .

يقول : حين جعلني أصحابي حاجزاً بينهم وبين أسنة أعدائهم ، أي قدموني وجعلوني في نحور أعدائهم ، لم أجبن عن أسنتهم ولم أتأخر ولكن قد تضايق موضع إقدامي فتعذر التقدم فتأخرت لذلك .

٦٥ - لَمّا رَأَيْتُ القَوْمَ أَقْبَلَ جَمْعُهُمْ يَتَذامَرُونَ كَرَرْتُ غَيْرَ مُذَمَّمِ

التذامر : تفاعُل من الذمر وهو الحض على القتال .

يقول : لما رأيت جمع الاعداء قد أقبلوا نحونا يحض بعضهم بعضاً على قتالنا عطفت عليهم لقتالهم غير مذمم ، أي محمود القتال غير مذمومه .

٦٦ - يَدْعُونَ: عَنْتَرَ، وَالرِّماحُ كَأَنَّها أَشْطانُ بِئْرٍ في لَبانِ الأَدْهَمِ

الشَّطَن : الحبل الذي يستقى به ، والجمع الاشطان . اللبان : الصدر .

يقول : كانوا يدعونني في حال إصابة رماح الاعداء صدر فرسي ودخولها فيه ، ثم شبهها في طولها بالحبال التي يستقى بها من الآبار .

---

(٦٤) انظر تعليقنا على البيت رقم ٣٩ فان لهذا البيت نصيباً منه .

(٦٦ و ٦٧) استجاد ابن منقذ هذين البيتين في لباب الآداب ص ٣٦٩ وعدهما (من بليغ التشبيه) . قول الزوزني في الشرح « الوقبة » اي النقرة .

٦٧ - ما زِلْتُ أَرْمِيهِمْ بِثُغْرَةِ نَحْرِهِ وَلَبانِهِ حَتَّى تَسَرْبَلَ بِالدَّمِ

الثغرة : الوَقْبة في أعلى النحر ، والجمع الثُغَر .

يقول : لم أزل أرمي الاعداء بنحر فرسي حتى جُرح وتلطخ بالدم وصار الدم له بمنزلة السربال ، أي عم جسده عموم السربال جسد لابسه .

٦٨ - فَازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ ٱلْقَنَا بِلَبانِهِ وَشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحَمْحُمِ

الازورار : الميل . التحمحم : من صهيل الفرس ما كان فيه شبه الحنين ليرق صاحبه له .

يقول : فمال فرسي مما أصابت رماح الاعداء صدره ووقوعها به وشكا الي بعبرته وحمحمته ، أي نظر الي وحمحم لأرق له .

٦٩ - لَوْ كانَ يَدْرِي ما ٱلْمُحاوَرَةُ ٱشْتَكَى وَلَكانَ لَوْ عَلِمَ ٱلْكَلامَ مُكَلِّمِي

يقول : لو كان يعلم الخطاب لاشتكى الي مما يقاسيه ويعانيه ولكلمني لو كان يعلم الكلام ، يريد أنه لو قدر على الكلام لشكا الي مما أصابه من الجراح .

٧٠ - وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَأَذْهَبَ سُقْمَها قِيلُ ٱلْفَوارِسِ : وَيْكَ عَنْتَرَ أَقْدِمِ

يقول : ولقد شفى نفسي وأذهب سقمها قول الفوارس لي : ويلك يا عنترة أقدم نحو العدو واحمل عليه ، يريد أن تعويل أصحابه عليه والتجاءهم اليه شفى نفسه ونفى غمه .

٧١ - وَالخَيْلُ تَقْتَحِمُ الخَبارَ عَوابِساً من بينِ شَيْظَمَةٍ وَأَجْرَدَ شَيْظَمِ

الخبار : الارض اللينة . الشيظم : الطويل من الخيل .

يقول : والخيل تسير وتجري في الارض اللينة ، التي تسوخ فيها قوائمها ، بشدة وصعوبة وقد عبست وجوهها لما نالها من الإعياء ، وهي لا تخلو من فرس طويل أو طويلة ، أي كلها طويلة .

٧٢ - ذُلُلٌ رِكابِي حَيْثُ شِئْتُ ، مُشايِعِي لُبِّي ، وَأَحْفِزُهُ بِأَمْرٍ مُبْرَمِ

(٧١) قول الزوزني « تسوخ » أي تغوص .

(٧٢) قول الزوزني « قلوص » : هي الشابة من النوق .

ذلل : جمع ذَلول من الذل وهو ضد الصعوبة . الركاب : الإبل ، لاواحد لها من لفظها عند جمهور الائمة ، وقال الفراء : انها جمع رَكوب مثل قَلوص وقِلاص ولَقوح ولقاح . المشايعة : المعاونة ، أخذت من الشِياع وهو دُقاق الحطب لمعاونته النار على الايقاد في الحطب الجزْل . الحفز . الدفع . الإبرام : الإحكام .

يقول : تذل ابلي لي حيث وجهتها من البلاد ، ويعاونني على أفعالي عقلي ، وأمضي مايقتضيه عقلي بأمر محكم .

٧٣ ـ وَلَقَدْ خشيتُ بأَنْ أموتَ ولَمْ تدُرْ   لِلحرْبِ دائرةٌ على ابْنَيْ ضَمْضَمِ

الدائرة : اسم للحادثة ، سميت بها لانها تدور من خير إلى شر ومن شر إلى خير ، ثم استعملت في المكروهة دون المحبوبة .

يقول : ولقد أخاف أن أموت ولم تدر الحرب على ابني ضمضم بما يكرهانه ، وهما حصين وهرم ابنا ضمضم .

٧٤ ـ الشاتِمَيْ عِرْضي ولَمْ أَشْتِمْهُما   وَالنَّاذِرَيْنِ ، إذا لَمَ الْقَهُما ، دَمي

يقول : اللذان يشتمان عرضي ولم أشتمهما أنا ، والموجبان على أنفسهما سفك دمي اذا لم أرهما ، يريد أنهما يتوعدانه حال غيبته فأما في حال الحضور فلا يتجاسران عليه .

٧٥ ـ إنْ يَفْعَلا فَلَقَدْ تَرَكْتُ أباهُما   جَزَرَ السِّباعِ وَكُلِّ نَسْرٍ قَشْعَمِ

يقول : ان يشتماني لم أستغرب منهما ذلك فاني قتلت أباهما وصيّرته جزر السباع وكل نسر مسنّ .



(٧٣) جاء في الشعر والشعراء ٢٠٧/١ أن عنترة قتل ضمضماً في حرب داحس. اما ابناه حصين وهرم فقد قتلها ورد بن حابس العبسي .

قول الشاعر « خشيت بأن أموت » الباء فيه بمعنى من .

(٧٥) القشعم : الذي كبروأسن . قوله «جزر السباع » سبق تفسيره في شرح البيت ٥٠ .

الحارث بن حلزة

★ هو الحارث بن حلزة [1] بن مكروه .. من بني يشكر بن بكر ، ويكنى بأبي عبيدة [2] وأبي الظليم [3] . قال ابن دريد [4] (واشتقاق « الحارث من أحد شيئين : إما من قولهم : حرث الأرض .. إذا أصلحها للزرع ، أو يكون من قولهم : حرث لدنياه إذا كسب لها) ، أما عن « حلزة » فقد قال [5] بأن (اشتقاقه من الضيق ، رجل حاز : إذا كان بخيلاً) . هذا وقد جاء في القاموس أن من معاني الحارث : الأسد ، ومن معاني حلزة – بكسر الحاء وتشديد اللام المكسورة – : المرأة السيئة الخُلق أو البخيلة أو القصيرة واسم لدويبة .

كان للحارث أخ شاعر يدعى عمرو ، ذكره المرزباني في معجمه [6] وأورد له أبياتاً في رثاء أخيه الحارث . أما عقبه فلم يشتهر منهم غير واحد هو حفيده شهاب بن مذعور ابن الحارث [7] عالم الأنساب .

كان ابن حلزة شاعراً فحلاً – بشهادة الأصمعي [8] – اختار له الضبي في مفضلياته ثلاث مقطوعات ، وعدّه ابن رشيق [9] من المقلين .. طُبع ديوانه في مجلة المشرق سنة ١٩٢٢ ، وترجمت معلقته – وهي أشهر ما في ديوانه – إلى عدة لغات [10] ، وكان من خبر هذه المعلقة – كما أسلفنا في ترجمة ابن كلثوم – أنِ اختصمت بكر وتغلب يوماً – بعد صلح حرب البسوس بينهما – فاحتكما الى عمرو بن هند ملك الحيرة ، فوقف عمرو بن كلثوم بين يديه – باسم قبيلة تغلب – وقال معلقته ، ثم برز له الحارث بن حلزة – باسم قبيلة بكر – فقال قصيدته هذه من وراء ستر ضرب بينه وبين ابن هند ، لأن الحارث كان أبرص [11]

★ هذه التوطئة بقلم المعلق وليست للزوزني (١) هناك ثلاثة شعراء يعرف كل منهم بابن حلزة هم الحارث وعمرو وعباد – المؤتلف والمختلف ص ٩٠ (٢) رجال المعلقات ٢٣١ (٣) تاريخ الأدب للزيات ٦٣ (٤) الاشتقاق ٤٤ (٥) الاشتقاق ٣٤٠ (٦) ص ٢٠٥ (٧) جمهرة أنساب العرب ٣٠٩ – الشعر والشعراء ١٥٠/١ (٨) فحولة الشعراء ١٩ (٩) العمدة ٦٦/١ (١٠) انظر ص ٦٠ من هذا الكتاب و ص ١٢٠ من تاريخ الأدب لفاخوري (١١) داء البرص: بياض يظهر في الجسم

ولأن ابن هند كان يتطيّر ممن بهم سوء ، فأعجب ابن هند بشدة عارضته ودهائه ، وأمر برفع الستر المضروب دونه ، وأدناه منه ، وأقعده معه ، وحكم في تلك الخصومة لبكر على تغلب [١] .. أما ما قيل من أن صاحب هذه المعلقة قد ارتجلها ارتجالاً فقد اختلفت في ذلك الروايات وناقض بعضها بعضاً ، ولكن حسبنا لرد هذا الزعم ههنا أن ابن السكيت قال (كان أبو عمرو الشيباني يعجب لارتجال الحارث هذه القصيدة في موقف واحد ويقول : لو قالها في حول لم يلم . قال : وقد جمع فيها ذكر عدة من أيام العرب ، عيّر ببعضها بني تغلب تصريحاً ، وعرّض ببعضها لعمرو بن هند ..) [٢] ، ولقد فخر الحارث في هذه المعلقة ما شاء له أن يفخر حتى قيل في أمثالهم « أفخر من الحارث بن حلزة » [٣] ، وقال نالينو [٤] : (ومما تنفرد به معلقتا الحارث وعمرو عن أغلب سائر قصائد الجاهلية أن معظمها يدور على الموضوع الأساسي ، فلا تبقى فيها للغزل والوصف وسائر لواحق القصائد إلا أبيات قليلة جداً) . ومن عجب أن يقول الدكتور طه حسين [٥] بأن هذه المعلقة كلها منحولة رغم اعترافه بمتانتها وشدة أسرها . ونذكّر هنا بأن الدكتور طه قال أيضاً بنحل معلقة ابن كلثوم لما وجد فيها من سهولة ولين ، فتأمل .

هذا وقد مر فيما قدمناه بين يدي هذا الكتاب كثير مما يتصل بحياة الشاعر أو بفنه ، فليُرجع اليه [٦] .



(١) انظر القصة في الأغاني ١١/٣٨ ورجال المعلقات ٢٣٤ والمعلقات العشر ٤١ وزيدان ١/١٢٤

(٢) الأغاني ١١/٤٠ وانظر تاريخ الآداب لنالينو ص ٦٠ (٣) مجمع الأمثال ٢/٣٦

(٤) ص ٦١ (٥) في الأدب الجاهلي ٢٨٤ (٦) راجع الصفحات ١٠ و ١٢ و ١٤ و ٢٤ و ٢٥ و ٣١ و ٤٠ و ٤٦ ← ٤٩ و ٥١ و ٥٤ و ٥٧

معلّقة الحارث بن حلّزة

وقال الحارث بن حلّزة اليشكري :

١ ـ آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُ رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ

الإيذان : الإعلام . البين : الفراق . الثواء والثويّ : الإقامة ، والفعل ثوى يثوي .

يقول : أعلمتنا أسماء بمفارقتها إيانا ، أي بعزمها على فراقنا ، ثم قال : رب مقيم تمل اقامته ولم تكن أسماء منهم ، يريد أنها وان طالت اقامتها لم أملها ، والتقدير : رب ثاو يمل من ثوائه .

٢ ـ بَعْدَ عَهْدٍ لَنَا بِبُرْقَةِ شَمَّاءَ فَأَدْنَى دِيَارِهَا الخَلْصَاءُ

العهد : اللقاء ، والفعل عهد يعهد .

يقول: عزمتْ على فراقنا بعد أن لقيتها ببرقة شماء وخلصاء التي هي أقرب ديارها الينا .

٣ ـ فَالمُحَيَّاةُ فَالصِّفَاحُ فَأَعْنَاقُ فِتَاقٍ فَعَاذِبٌ فَالوَفَاءُ

٤ ـ فَرِيَاضُ القَطَا فَأَوْدِيَةُ الشُّرْبُبِ فَالشُّعْبَتَانِ فَالأَبْلَاءُ

هذه كلها مواضع عهده بها .

يقول : قد عزمت على مفارقتنا بعد طول العهد .

٥ ـ لا أَرَى مَنْ عَهِدْتُ فِيهَا فَأَبْكِي الـيَوْمَ دَلْهاً وَمَا يُحِيرُ البُكَاءُ

الإحارة : الرد ، من قولهم : حار الشيء يحور حوراً ، أي رجع ، وأحرته أنا أي رجّعته فرددته .

يقول : لا أرى في هذه المواضع من عهدت فيها، يريد أسماء ، فأنا أبكي اليوم ذاهب

---

(١) قال البغدادي في الخزانة ٣/٣٨٠ بأن (المصراع الثاني من قبيل إرسال المثل)

(٣) فتاق : جبل ؛ وعنق كل شيء أوله ، وعنق الجبل : ما أشرف منه ، وأعناق الرمال : هي التي تبدو للناظر من بعيد كالجبال وذلك بسبب السراب

العقل وأي شيء رد البكاء على صاحبه ؟ وهذا استفهام يتضمن الجحود ، أي لا يرد البكاء على صاحبه فائتاً ولا يجدي عليه شيئاً ؛ وتحرير المعنى : لما خلت هذه المواضع منها بكيت جزعاً لفراقها مع علمي بأنه لا طائل في البكاء . الدلْه والدلَه : ذهاب العقل ، والتدليه إزالتـه .

٦ ـ وبعَيْنَيْكَ أَوْقَدَتْ هِنْدُ النَّا رَ أَخيراً تُلْوِي بها العَلْيَاءُ

ألوى بالشيء : أشار به . العلياء : البقعة العالية .

يخاطب نفسه ويقول : وإنما أوقدت هند النار بمرآك ومنظر منك ، وكأن البقعة العالية التي أوقدتها عليها كانت تشير إليك بهـا ، يريد أنها ظهرت لك أتم ظهور فرأيتها أتم رؤية .

٧ ـ فتَنَوَّرْتُ نارَهَا مِنْ بَعيدٍ بخَزَازَى ، هَيْهَاتَ مِنْكَ الصِّلاءُ

التنوّر : النظر إلى النار . خزازى : بقعة بعينها . هيهات : بَعُدَ الأمر جداً . الصلاء : مصدر صلي النار ، وصلي بالنار يصلى صلىً وصِلاء إذا احترق بها أو ناله حرها .

يقول : ولقد نظرت إلى نار هند بهذه البقعة على بعد بيني وبينها لأصلاها ، ثم قال : بعد منك الاصطلاء بها جداً ، أي أردت أن آتيها فعاقتني العوائق من الحروب وغيرها .

٨ ـ أَوْقَدَتْهَا بينَ العَقيقِ فَشَخْصَيْـ ـنِ بعُودٍ كما يَلُوحُ الضِّيَاءُ

يقول : أوقدت هند تلك النار بين هذين الموضعين بعود فلاحت كما يلوح الضياء .

٩ ـ غَيْرَ أَنِّي قَدْ أَسْتَعينُ على الهَـ ـمِّ إذا خَفَّ بالثَّوِيِّ النَّجَاءُ

غير أني : يريد ولكني . انتقل من النسيب إلى ذكر حاله في طلب المجـد . الثوي والثاوي : المقيم . النجاء : الإسراع في السير ، والباء للتعدية .

---

(٦) عن الخزانة ٣٨١/٣ (يقول : قد رأيت نارها بتلك المنازل ثم رأيتها قدنزلت بالعلياء فرأيت نارها من بعيد).

(٧) عن الخزانة ٣٨٢/٣ (يقول : رأيت نارها فطمعت أن تكون قريبة وتأملتها فإذا هي بعيدة بخزاز ، فلما يئست منها قلت : هيهات . أخبر أنه رآها بالعلياء ثم أخبر أنه رآها بين العقيق وشخصين ثم بخزاز وهو جبل)

(٩) عن الخزانة ٣٨٢/٣ (وبهذا البيت خرج من صفة النساء وصار إلى صفة ناقته)

يقول : ولكني أستعين على امضاء همي وانفاذها وقضاء أمري إذا أسرع المقيم في السير لعظم الخطب وفظاعة الخوف .

١٠ ـ بزفوفٍ كأنها هِقلةٌ أُ ... مُ رئالٍ دوِّيَّةٌ سَقْفاءُ

الزفيف : اسراع النعامة في سيرها ثم يستعار لسير غيرهـا ، والفعل زفّ يزِفّ ، والنعت زافّ ، والزفوف مبالغة . الهقلة : النعامة ، والظليم هقل . الرأل : ولد النعامة ، والجمع رئال . الدوية : منسوبة الى الدوّ وهو المفازة . السَّقَف : طول مع انحنـاء ، والنعت أسقف .

يقول : أستعين على امضاء همي وقضاء أمري عند صعوبة الخطب وشدته بناقة مسرعة في سيرها ، كأنها في اسراعها في السير نعامة لها أولاد طويلة منحنية لا تفارق المفاوز .

١١ ـ آنستْ نبأةً وأفزعها القُنّـ ... ـاصُ عصراً وقدْ دنا الإمساءُ

النبأة : الصوت الخفي يسمعه الإنسان أو يتخيله . القناص : جمع قانص وهو الصائد . الإفزاع : الإخافة . العصر : العشيّ .

يقول : أحست هذه النعامة بصوت الصيادين فأخافها ذلك عشياً وقد دنا دخولـها في المساء ، لما شبه ناقته بالنعامة وسيرها بسيرها بالغ في وصف النعامة بالاسراع في السير بأنها تؤوب الى أولادها مع احساسها بالصيادين وقرب المساء ، فإن هذه الأسباب تزيدها اسراعاً في سيرها .

١٢ ـ فترى خلفها من الرَّجع والوقْـ ... ـعِ منيناً كأنهُ أهباءُ

المنين : الغبار الرقيق . الأهباء : جمع هباء ، والإهباء اثارته .

يقول : فترى أنت أيها المخاطب خلف هذه الناقة من رجعها قوائمها وضربها الأرض بها غباراً رقيقاً كأنه هباء منبثّ ، وجعله رقيقاً اشارة الى غاية اسراعها .

١٣ ـ وطِراقاً من خلفهنّ طِراقٌ ... ساقطاتٌ ألوتْ بها الصحراءُ

(١٠) قول الزوزني « المفازة » أي الفلاة لا ماء فيها

(١٢) الرجع : خطو الدابة . ومن معاني الوقع : سرعة الانطلاق

الطراق : يريد بها أطباق نعلها. ألوى بالشيء: أفناه وأبطله، وألوى بالشيء أشار به
يقول: وترى خلفها أطباق نعلها في أماكن مختلفة قد قطعها وأبطلها قطع الصحراء ووطؤها.

١٤ - أَتَلَهَّى بها الهَواجِرَ إذْ كُـــلُّ ابنِ هَمٍّ بَلِيَّةٌ عَمْيـاءُ

يقول : أتلعّب بها في أشد ما يكون من الحر إذا تحيَّر صاحب كل هم تحيُّر الناقة البلية العمياء . يقول : أركبها وأقتحم بها لفح الهواجر إذا تحير غيري في أمره ، يريد أنه لا يعوقه الحر عن مرامه .

١٥ - وَأَتانا مِنَ الحَوادِثِ والأَنْـــباءِ خَطْبٌ نُعْنَى بِهِ وَنُساءُ

يقول : ولقد أتانا من الحوادث والأخبار أمر عظيم نحن معنيون محزونون لأجله . عُني الرجل بالشيء يُعْنى فهو معنيٌّ به ، وَعَنِي يَعنى إذا كان ذا عناء به . وسؤت الرجل سَوءاً ومَساءة وسَوائية : أحزنته .

١٦ - أنَّ إخْوانَنا الأَراقِمَ يَغْلُو نَ عَلَيْنا ، في قِيلِهِمْ إحْفاءُ

الأراقم : بطون من تغلب ، سموا بها لأن امرأة شبهت عيون آبائهم بعيون الأراقم . الغلوّ : مجاوزة الحد . الإحفاء : الإلحاح .

ثم فسر ذلك الخطب فقال : هو تعدي إخواننا من الأراقم علينا وغلوهم في عدوانهم علينا في مقالتهم .

١٧ - يَخْلِطُونَ البَرِيءَ مِنَّا بِذِي الذَّنْـــبِ وَلا يَنْفَعُ الخَلِيَّ الخَلاءُ

يريد بالخلي : البريء الخالي من الذنب .

يقول : هم يخلطون برآءنا بمذنبينا فلا تنفع البريء براءة ساحته من الذنب .

١٨ - زَعَمُوا أنَّ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ العَيْـــرَ مَوالٍ لَنا وَأنَّا الوَلاءُ

(١٤) البلية : الناقة التي يموت صاحبها فتشد عند قبره حتى تموت اعتقاداً أن صاحبها يحشر عليها
(١٨) قال أبو جعفر النحاس في شرح المعلقات : حكي عن الأصمعي أنه قال : سألت أبا عمرو بن العلاء عن قوله : زعموا ... فقال : مات الذين يعرفون هذا - عن المزهر ٢/٣٢٣ - وقد رجح المعري في رسالة الغفران ٢٤٨ أن يكون المراد بالعير هو الحمار .

العير في هذا البيت يفسر : بالسيد، والحمار، والوتد، والقذى، وجبل بعينه. قوله : وأنا الولاء أي أصحاب ولائهم ، فحذف المضاف .

ثم إن فسر العير بالسيد كان تحرير المعنى : زعم الأراقم أن كل من يرضى بقتل كليب وائل بنو أعمامنا وأنا أصحاب ولائهم تلحقنا جرائرهم ، وإن فسر بالحمار كان المعنى : أنهم زعموا أن كل من صاد حمر الوحش موالينا ، أي ألزموا العامة جناية الخاصة ، وان فسر بالوتد كان المعنى : زعموا أن كل من ضرب الخيام وطنبها بأوتادها موالينا ، أي ألزموا العرب جناية بعضنا ، وان فسر بالقذى كان المعنى : زعموا أن كل من ضرب القـــذى ليتنحى فيصفو الماء موالينا ، وان فسر بالجبل المعين كان المعنى : زعموا أن كل من صار الى هذا الجبل موال لنا . وتفسير آخر البيت في جميع الأقوال على نمط واحد .

١٩ ـ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشاءً فَلَمّا أَصْبَحوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضاءُ

الضوضاء : الجلبة والصياح . اجماع الأمر : عقد القلب وتوطين النفس عليه .

يقول : أطبقوا على أمرهم من قتالنا وجدالنا عشاء فلما أصبحوا جلبوا وصاحوا .

٢٠ ـ مِنْ مُنادٍ وَمِنْ مُجيبٍ وَمِنْ تَصْـــهالِ خَيْلٍ ، خِلالَ ذاكَ رُغاءُ

التصهال كالصهيل ، وتَفعال لا يكون الا مصدراً ، وتِفعال لا يكون إلا اسماً .

يقول : اختلطت أصوات الداعين والمجيبين والخيل والإبل ، يريد بذلك تجمعهم وتأهبهم .

٢١ ـ أَيُّها النّاطِقُ المُرَقِّشُ عَنّا عِنْدَ عَمْرٍو وَهَلْ لِذاكَ بَقاءُ ؟

يقول : أيها الناطق عند الملك ، الذي يبلغ عنا الملك مايريبه ويشككه في محبتنا اياه ودخولنا تحت طاعته وانقيادنا لحبل سياسته هل لذلك التبليغ بقاء ؟ وهذا استفهام معناه النفي ، أي لا بقاء لذلك لأن الملك يبحث عنه فيعـــلم أن ذلك من الأكاذيب المخترعة والأباطيل المبتدعة ؛ وتحرير المعنى أنه يقول : أيها المضرّب بيننا وبين الملك بتبليغك اياه عنا ما يكرهه لا بقاء لما أنت عليه لأن بحث الملك عنه يعرّفه أنه كذب بحت محض .

(٢١) المرقش : مبلغ النميمة . قول الزوزني « المضرب بيننا » أي المفسد .

٢٢ ـ لا تَخَلْنا على غَرَاتِكَ إنَّا ـ قَبْلُ ما ـ قَدْ وَشى بنا الأعداءُ

الغراة اسم بمعنى الإغراء . يخاطب من يسعى بهم من بني تغلب الى عمرو بن هند ملك العرب .

يقول : لاتظننا متذللين متخاشعين لإغرائك الملك بنا فقد وشى بنا أعداؤنا الى الملوك قبلك؛ وتحرير المعنى : ان اغراءك الملك بنا لايقدح في أمرنا كما لم يقدح اغراء غيرك فيه ، قوله : على غراتك ، أي على امتداد غراتك ، والمفعول الثاني لتخلنا محذوف تقديره : لا تخلنا متخاشعين ، وما أشبه ذلك .

٢٣ ـ فَبَقِينا على الشَّناءَةِ تَنْمِيـــــنا حُصُونٌ وَعِزَّةٌ قَعْساءُ

الشناءة : البغض . تنمينا : ترفعنا . يقول : فبقيناعلى بغض الناس ايانا واغرائهم الملوك بنا ترفع شأننا وتعلي قدرنا حصون منيعة وعزة ثابتة لا تزول .

٢٤ ـ قَبْلَ ماليَوْمِ بَيَّضَتْ بِعُيونِ النَّـــاسِ فيها تَغَيُّظٌ وإباءُ

الباء في « بعيون » زائدة ، أي بيضت عيون النـاس ، وتبييض العين : كناية عن الاعماء . و « ما » في قوله : قبل ما ، صلة زائدة .

يقول : قد أعمت عزتنا قبل يومنا الذي نحن فيه عيون أعدائنا من الناس ، يريد أن الناس يحسدوننا على اباء عزتنا على من كادها ، وتغيّظها على من أرادها بسوء حتى كأنهم عموا عند نظرهم الينا لفرط كراهيتهم ذلك وشدة بغضهم ايانا ، وجعل التغيظ والإباء للعزة مجازا وهما عند التحقيق لهم .

٢٥ ـ فكأنَّ المَنُونَ تَرْدي بنا أرْ عَنَ جَوْناً يَنْجابُ عَنْهُ العَماءُ

الردي : الرمي ، والفعل منه ردى يَردي . قوله : بنا أي تَردينا . الأرعن : الجبل الذي له رَعْن . الجَون : الأسود والأبيض جميعاً ، والجمع الجُون ، والمراد به الأسود

(٢٢) قول الشاعر « قبل ما » قبل : ظرف مقطوع عن الإضافة ، و « ما » زائدة .
(٢٣) عن الخزانة ٢٩٤/١ (أي فبقينا على بغض الأعداء لنا ولم يضرنا بغضهم) . القعساء : الثابتة .
(٢٤) تغيظ الهاجرة : اشتدادها .
(٢٥) الرعن : نتوء يتقدم الجبل كالأنف .

في البيت . الانجياب : الانكشاف والانشقاق . العماء : السحاب .

يقول : وكأن الدهر برميه إيانا بمصائبه ونوائبه يرمي جبلاً أرعن أسود ينشق عنه السحاب ، أي يحيط به ولا يبلغ أعلاه ، يريد أن نوائب الزمان وطوارق الحِدْثان لا تؤثر فيهم ولا تقدح في عزهم كما لا تؤثر في مثل هـذا الجبل الذي لا يبلغ السحاب أعلاه لسموه وعلوه .

٢٦ - مُكْفَهِراً على الحَوادِثِ لاتَرْ تُوهُ للدَّهْرِ مُؤيِدٌ صَمَّاءُ

الاكفهرار : شدة العبوس والقطوب . الرتو : الشد والإرخاء جميعـاً ، وهو من الأضداد ، ولكنه في البيت بمعنى الإرخاء . المؤيد : الداهية العظيمـة ، مشتقة من الأيْد والآد وهما القوة . الصماء : الشديدة ، من الصمم الذي هو الشدة والصلابة ، والبيت من صفة الأرعن .

يقول : يشتد ثباته على انتياب الحوادث لا ترخيه ولا تضعفه داهية قوية شديدة من دواهي الدهر ، يقول : ونحن مثل هذا الجبل في المَنَعة والقوة .

٢٧ - إرَميٌّ بِمِثْلِهِ جالَتِ الخَيْـــلُ وتَأْبى لِخَصْمِها الإِجْلاءُ

إرم : جد عاد ، وهو عاد بن عوْص بن ارم بن سام .

يقول : هو ارمي من الحسب قديم الشرف بمثله ينبغي أن تجول الخيل وأن تأبى لخصمها أن يجلى صاحبها عن أوطانه ، يريد أن مثله يحمي الحوزة ويذب عن الحريم .

٢٨ - مَلِكٌ مُقْسِطٌ وأَفْضَلُ مَنْ يَمْـــشي ، وَمِنْ دُونِ مَالَدَيهِ الثَّناءُ

الإقساط : العدل . يقول : هو ملك عادل وهو أفضل ماش على الأرض ، أي أفضل الناس ، والثناء قاصر عما عنده .

٢٩ - أيَّما خُطَّةٍ أرَدْتُم فَأَدُّو هَا إلَينا تُشفى بِها الأَمْلاءُ

الخطة : الأمر العظيم الذي يحتاج الى المخلص منه . أدوها أي فوضوهـا . الأملاء : الجماعات من الأشراف ، الواحد مَلأ ، لأنهم يملؤون القلوب والعيون جلالة وجمالاً .

يقول : فوّضوا إلى آرائنا كل خصومة أردتم تشفي بها جماعات الأشراف والرؤساء

بالتخلص منها اذ لا يجدون منها مخلصاً، يريد أنهم أولو رأي وحزم يُشفى به، ويسهل عليهم ما يتعذر على غيرهم من الأشراف في فصل الخصومات والقضاء في المشكلات .

٣٠ - إنْ نَبَشْتُمْ ما بينَ مِلْحَةَ فالصّا قِبِ فيهِ الأمواتُ والأحياءُ

يقول : ان بحثتم عن الحروب التي كانت بيننا ، بين هذين الموضعين وجدتم قتلى لم يثأر بها وقتلى قد ثئر بها ، فسمى الذين لم يثأر بهم أمواتاً ، والذين ثئر بهم أحياءً لأنهم لما قُتل بهم من أعدائهم كأنهم عادوا أحياء اذ لم تذهب دماؤهم هدراً ، يريد أنهم ثأروا بقتلاهم وتغلب لم تثأر بقتلاها .

٣١ - أوْ نَقَشْتُمْ فالنَّقشُ يُجْشِمُهُ النّا سُ وَفيهِ الإسْقامُ وَالإبْرَاءُ

الإسقام : مصدر ، والأسقام جمع سُقْم وسَقَم . الإبراء : مصدر ، والأبراء : جمع برء (؟) النقش : الاستقصاء ، ومنه قيل لاستخراج الشوك من البدن نقش ، والفعل منه نقَش ينقُش .

يقول : فان استقصيتم في ذكر ما جرى بيننا من جدال وقتال فهو شيء قد يتكلفه الناس ويتبين فيه المذنب من البريء ، كنى بالسقم عن الذنب وبالبرء عن براءة الساحة ، يريد أن الاستقصاء فيما ذكر يبين براءتنا من الذنب والذنب ذنبكم .

٣٢ - أوْ سَكَتُّمْ عنّا فكنّا كَمَنْ أغْـ ـمَضَ عَيْناً في جَفْنِها الأقْذاءُ

الأقذاء : جمع القذى ، والقذى جمع قذاة .

يقول : وان أعرضتم عن ذلك أعرضنا عنكم مع اضمارنا الحقد عليكم كمن أغضى الجفون على القذى .

٣٣ - أوْ مَنَعْتُمْ ما تُسْأَلُونَ فَمَنْ حُدِّ ثْتُمُوهُ لَهُ عَلَيْنَا العَلاءُ ؟

يقول : وإن منعتم ما سألناكم من المهادنة والموادعة فمن الذي حدثتم عنه أنه عزنا

(٣٠) في حاشية العدوي على الجرجاوي ص١٠٢ ورد تفسير « الأحياء » بالأسرى ، خلافاً لرأي الزوزني .

(٣١) يجشمه : يتكلفه . قول الزوزني « الأبراء : جمع برء » خطأ ، وهي – في اللسان – جمع بريء .

وعَلانا ، أي فأي قوم أخبرتم عنهم أنهم فضَلونا ، أي لا قوم أشرف منا ، فلا نعجز عن مقابلتكم بمثل صنيعكم .

٣٤ ـ هَلْ عَلِمْتُمْ أيَّامَ يُنْتَهَبُ النَّا سُ غِوَاراً لِكُلِّ حَيٍّ عُوَاءُ

الغوار : المغاورة . العواء : صوت الذئب ونحوه ، وهو هنا مستعار للضجيج والصياح .

يقول : قد علمتم غَناءنا في الحروب وحمايتنا أيام إغارةِ النـــاس بعضهم على بعض وضجيجهم وصياحهم مما ألمّ بهم من الغـارات . و « هل » في البيت بمعنى « قد » لأنه يحتج عليهم بما علموه . الانتهاب : الإغارة .

٣٥ ـ إذْ رفَعْنا الجِمالَ مِنْ سَعَفِ البَحْـــرَيْنِ سَيْراً حَتَى نَهَاهَا الحِسَاءُ

السعف : أغصان النخلة ، والواحدة سعَفة . قوله : سيراً ، أي فسـارت سيراً ، فحذف الفعل لدلالة المصدر عليه . الحِسْي : رملة تحتها ماء اذا كشفت ظهر المـــاء ، والحسي أيضاً البئر القريبة الماء ، والجمع الأحساء . الحِساء : موضع بعينه .

يقول : حين رفعنا جمالنا على أشد السير حتى سارت من البحرين سيراً شديداً الى أن بلغت هذا الموضع الذي يعرف بالحساء ، أي طوينا ما بين هذين الموضعين سيراً وإغارة على القبائل فلم يكفنا شيء عن مرامنا حتى انتهينا الى الحساء .

٣٦ ـ ثُمَّ مِلْنَا عَلى تَمِيمٍ فَأَحْرَمْـــنَا وَفِينَا بَنَاتُ قَوْمٍ إمَاءُ

أحرمنا أي دخلنا في الشهر الحرام .

يقول : ثم ملنا من الحســاء فأغرنا على بني تميم ثم دخل الشهر الحرام وعنـدنا سبايا القبائل قد استخدمناهن ، فبنات الذين أغرنا عليهم كن إماء لنا .

٣٧ ـ لا يُقِيمُ العَزِيزُ بالبَلَدِ السَّهْـــلِ وَلا يَنْفَعُ الذَّلِيلَ النَّجَاءُ

النجاء ، ممدوداً ومقصوراً : الإسراع في السير .

---

(٣٥) قول الزوزني في الشرح « والجمع الأحساء » أرى أن يزاد بعده « والحساء » لأنها جمع آخر للحسي ، ولأنها هي الكلمة التي ينتهي بها البيت ، ولعل الزوزني لم يذكر معاني الحسي وجموعها إلا لإحدى غايتين : الأولى هي تعليل تسمية هذا الموضع بعينه بالحساء ، والثانية هي جواز تفسير الحساء في البيت بالرملات أو الآبار عوضاً عن اعتبارها اسماً علماً . رفعت الجمل أي حثثته على السير .

يقول: وحين كان الأحياء الأعزة يتحصنون بالجبال ولا يقيمون بالبلاد السهلة، والأذلاء كان لا ينفعهم إسراعهم في الفرار، يريد أن الشر كان شاملاً عاماً لم يسلم منه العزيز ولا الذليل.

٣٨ - لَيْسَ يُنْجِي الّذِي يُوائِلُ مِنّا رَأْسُ طَوْدٍ وَحَرَّةٌ رَجْلاءُ

وأل وواءل أي هرب وفزع. الرجلاء الغليظة الشديدة.

يقول: لم ينج الهارب منا تحصنه بالجبل ولا بالحرة الغليظة الشديدة.

٣٩ - مَلِكٌ أَضْرَعَ البَرِيّةَ لا يُو جَدُ فيها لِمَا لَدَيْهِ كِفَاءُ

أضرع: ذلل وقهر، ومنه قولهم في المثل: الحمى أضرعتني لك. الكفاء والمكافأة: المساواة.

يقول: هو ملك ذلل وقهر الخلق فما يوجد فيهم من يساويه في معاليه. والكفاء بمعنى المكافيء، فالمصدر موضوع موضع اسم الفاعل.

٤٠ - كَتَكاليفِ قَوْمِنَا إذ غَزَا المُنْـ ـذِرُ، هَلْ نَحْنُ لابْنِ هِنْدٍ رِعاءُ؟

التكاليف: المشاق والشدائد. يقول: هل قاسيتم من المشاق والشدائد ما قاسى قومنا حين غزا منذر أعداءه فحاربهم؟ وهل كنا رعاء لعمرو بن هند كما كنتم رعاءه؟ ذكر أنهم نصروا الملك حين لم ينصره بنو تغلب، وعيّرهم بأنهم رعاء الملك وقومه يأنفون من ذلك.

٤١ - مَا أَصَابُوا مِنْ تَغْلَبِيٍّ فَمَطْلُو لٌ، عَلَيْهِ إذا أُصِيبَ العَفَاءُ

(٣٨) الحرة: الأرض ذات الحجارة السود النخرة. والأرض الرجلاء: هي الخشنة التي يترجل فيها الراكب.

(٤٠) الرعاء: جمع الراعي.

(٤١) عن الأغاني ١١/٤١ (كان عمرو بن هند دعا بني تغلب بعد قتل المنذر إلى الطلب بثأره من غسان، فامتنعوا وقالوا: لا نطيع أحداً من بني المنذر أبداً، أيظن ابن هند أنا له رعاء؟ فغضب عمرو ابن هند وجمع جموعاً ... فغزاهم فقتل منهم قوماً، ثم استعطفه من معه لهم... فأمسك عن بقيتهم وطلت دماء القتلى).

النسبة إلى «تغلب» المكسور اللام: تغلبي، بفتح اللام. قول الزوزني «أهدرت نفوسهم»: حقه أن يقول «أهدرت دماؤهم».

طُلَّ دمه وأُطِل : أهدِر . العفاء : الدروس، وهو أيضاً التراب الذي يغطي الأثر .

يقول : ماقتلوا من بني تغلب أهدرت نفوسهم (؟) حتى كأنها غطيت بالتراب ودرست ، يريد أن دماء بني تغلب تهدر ودماؤهم لا تهدر بل يدركون ثأرهم .

٤٢ ـ إذْ أَحلَّ العلْياء قُبّةَ مَيْسُو نَ فأدْنى دِيارِهَا العَوْصَاءُ

ميسون امرأة . يقول : وانما كان هذا حين أنزل الملك قبة هذه المرأة علياء وعوصاء التي هي أقرب ديارها الى الملك .

٤٣ ـ فتَأَوَّتْ لَهُ قَرَاضِبَةٌ مِنْ كُلِّ حَيٍّ كأنَّهُمْ أَلْقَاءُ

القُرضوب والقرضاب : اللص الخبيث، والجمع القراضبة . التأوي : التجمع . الألقاء : جمع لَقوة وهي العُقاب .

يقول : تجمعت له لصوص خبثاء كأنهم عِقبان لقوتهم وشجاعتهم .

٤٤ ـ فَهَدَاهُمْ بالأَسْوَدَيْنِ ، وَأَمْرُ اللـهِ بَلْغٌ تَشْقى بـهِ الأَشْقِياءُ

الأسودان : الماء والتمر . هداهم أي تقدمهم .

يقول : وكان يتقدمهم ومعه زادهم من الماء والتمر ، وقد يكون « هدى » بمعنى « قاد » ، والمعنى : فقاد هذا العسكر وزادهم التمر والماء ، ثم قال : وأمر الله بالغ مبالغه يشقى به الأشقياء في حكمه وقضائه .

٤٥ ـ إذْ تَمَنَّوْنَهُمْ غُرُوراً فَساقَتْـهُمْ إِلَيْكُمْ أُمْنِيَّـةٌ أَشْراءُ

الأشَر : البَطَر ، والأشراء : البطِرة . يقول : حين تمنيتم قتالهم اياكم ومصيرهم اليكم اغتراراً بشوكتكم وعدتكم فساقتهم اليكم أمنيتكم التي كانت مع البطر .

٤٦ ـ لَمْ يَغُرُّوكُمْ غُرُوراً وَلكِنْ رَفَعَ الآلُ شَخْصَهُمْ وَالضَّحاءُ

الآل : ما يرى كالسراب في طرفي النهار . الضحاء : بُعيد الضحا .

---

(٤٢) قد تكون ميسون هذه هي التي سيرد ذكرها في تعليقنا على البيت رقم ٥٨ .

(٤٤) رأي المعري أن « الأسودين » علمان لم يعرفا ـ رسالة الغفران ٩ .

يقول : لم يفاجئوكم مفاجأة ولكن أتوكم وأنتم ترونهم خلال السراب حتى كأن السراب يرفع أشخاصهم لكم .

٤٧ ـ أيُّها النَّاطِقُ المُبَلِّغُ عَنَّا   عِنْدَ عَمْرٍو وهَلْ لِذاكَ انْتِهاءُ ؟

يقول : أيها الناطق المبلغ عنا عند عمرو بن هند الملك ألا تنتهي عن تبليغ الأخبار الكاذبة عنا ؟

٤٨ ـ مَنْ لَنا عِنْدَهُ مِنَ الخَيْرِ آيا   تٌ ثَلاثٌ في كُلِّهِنَّ القَضاءُ

يقول : هو الذي لنا عنده ثلاث آيات ، أي ثلاث دلائل من دلائل غنائنا وحسن بلائنا في الحروب والخطوب ، يُقضى لنا على خصومنا في كلها ، أي يقضي الناس لنا بالفضل على غيرنا فيها .

٤٩ ـ آيَةٌ شارِقُ الشَّقيقَةِ إذْ جا   ءَتْ مَعَدٌّ ، لِكُلِّ حَيٍّ لِواءُ

الشقيقة : أرض صلبة بين رملتين ، والجمع شقائق . الشروق : الطلوع والإضاءة .

يقول : إحداها شارق الشقيقة حين جاءت معد بألويتها وراياتها . وأراد بشارق الشقيقة : الحرب التي قامت بها .

٥٠ ـ حَوْلَ قَيْسٍ مُسْتَلْئِمِينَ بِكَبْشٍ   قَرَظِيٍّ كَأَنَّهُ عَبْلاءُ

أراد قيس بن معديكرب من ملوك حِمْيَر . الاستلآم : لبس اللأمة وهي الدرع .

---

(٤٨) قال صاحب الأغاني ١١/٤١ – ٤٣ أن ابن حلزة – اعتباراً من هذا البيت حتى البيت ٦٢ – قد (اعتد على عمرو بحسن بلاء بكر عنده) وانه (يعني بهذه الأيام أياماً كانت كلها لبكر مع المنذر) . أما الآيات الثلاث الواردة في البيت فهي : المذكورة في البيت ٤٩ وما يليه ، ثم البيت ٥٦ وما يليه ، ثم البيت ٦١ وما يليه .

(٤٩) ذكر صاحب الأغاني ١١/٤٣ خبر يوم الشقيقة بإيجاز فقال (هم قوم من شيبان ، جاؤوا مع قيس بن معديكرب ومعه جمع عظيم من أهل اليمن يغيرون على إبل لعمرو بن هند ، فردتهم بنو يشكر وقتلوا فيهم) . قوله « شارق » معناه : جاء من قبل المشرق .

(٥٠) انظر تعليقنا على البيت السابق . قول الزوزني « القرم » هو الفحل الذي لا يحمل عليه ولا يذلل ويستعار للسيد .

القرظ : شجر يدبغ به الأديم . الكبش : السيد ، مستعار له بمنزلة القَرْم . العبلاء : هضبة بيضاء .

يقول : جاءت مع راياتها حول قيس متحصنين بسيد من بلاد القرظ ، وبلاد القرظ : اليمن ، كأنه في منعته وشوكته هضبة من الهضاب ، يريد أنهم كفّوا عادية قيس وجيشه عن عمرو بن هند .

٥١ ـ وَصَتيتٍ مِنَ العَواتِكِ لا تَنْـــــهاهُ إلاَّ مُبْيَضَّةٌ رَعْلاءُ

الصتيت : الجماعة . العواتك : الشوابّ الحرائر الخيـــار من النساء . الرعلاء : الطويلة الممتدة .

يقول : والثانية (؟) جماعة من أولاد الحرائر الكرائم الشواب لا يمنعها عن مرامها ولا يكفها عن مطالبها الا كتيبةٌ مبيضةٌ ببياض دروعها وبيضها عظيمةٌ ممتدة ، وقيل : بل معناه إلا سيوف مبيضةٌ طوال ، وقوله : من العواتك : أي من أولاد العواتك .

٥٢ ـ فَرَدَدْناهُمُ بطَعْنٍ كَما يَخْــــرُجُ مِنْ خُرْبَةِ المَزادِ المـاءُ

خربة المزاد : ثقبها . والمزاد : جمع مزادة وهي زق الماء خاصة .

يقول : رددنا هؤلاء القوم بطعن خرج الدم من جراحه خروج المــاء من أفواه القِرب وثقوبها .

٥٣ ـ وَحَمَلْناهُمُ على حَزْمِ ثَهْلا نَ شِلالاً وَدُمِّيَ الأَنْساءُ

الحزم : أغلظ من الحَزْن . ثهلان : جبل بعينه . الشلال : الطراد . الأنساء : جمع النَّسا وهو عرق معروف في الفخذ . التدمية والإدماء : اللطخ بالدم .

يقول : ألجأناهم الى التحصن بغلظ هذا الجبل والالتجاء اليه في مطاردتنا اياهم وأدمينا أفخاذهم بالطعن والضرب .

---

(٥١) قول الزوزني « والثانية... » خطأ ، إذ ليست هذه هي الآية الثانية ، لأن «صتيت» معطوف على قيس ، ولأن بني العواتك حاربوا مع قيس ، وقد أفاد التبريزي في شرحه أن الآية الثانية هي البيت ٥٦ وما بعده فانظر تعليقنا عليه .

(٥٣) شلالاً أي مطرودين متفرقين . والحزن – في الشرح – : ما غلظ من الأرض .

٥٤ ـ وَجَبَهْناهُمُ بطَعْنٍ كَما تُنْـــهَزُ في جُمَّةِ الطَّوِيِّ الدِّلاءُ

الجَبْهُ : أعنف الردع ، والفعل جبَه يجبَه . النهز : التحريك . الجُمة : الماء الكثير المجتمع . الطوي : البئر التي طويت بالحجارة أو اللِبن .

يقول : منعناهم أشد منع وأعنف ردع فتحركت رماحنا في أجسامهم كما تحرك الدلاء في ماء البئر المطوية بالحجارة .

٥٥ ـ وفَعَلْنا بِهِمْ كَما عَلِمَ اللـــهُ وَما إنْ لِلْحائِنِينَ دِماءُ

حان : تعرض للهلاك ، وحان : هلك ، يحين حيناً .

يقول : وفعلنا بهم فعلاً بليغاً لا يحيط به علماً إلا الله ولا دماء للمتعرضين للهلاك أو الهالكين ، أي لم يُطلب بثأرهم ودمائهم .

٥٦ ـ ثُمَّ حجْراً أعْني ابنَ أُمِّ قَطامٍ وَلَهُ فارِسِيَّةٌ خَضْراءُ

يقول : ثم قاتلنا بعد ذلك حجر بن أم قطام وكانت له كتيبة فارسية خضراء لما ركب دروعها وبيضها من الصدأ ، وقيل : بل أراد وله دروع فارسية خضراء لصدئها .

٥٧ ـ أَسَدٌ في اللِّقاءِ وَرْدٌ هَمُوسٌ وَرَبِيعٌ إنْ شَمَّرَتْ غَبْراءُ

الورد : الذي يضرب لونه الى الحمرة . الهمس : صوت القدم ، وجعل الأسد هموساً لأنه يُسمع من رجليه في مشيه صوت . شمرت : استعدت . الغبراء : السنة الشديدة لاغبرار الهواء فيها .

يقول : كان أسداً في الحرب بهذه الصفة ، وكان للناس بمنزلة الربيع اذا تهيأت واستعدت

---

(٥٤) طي البئر : تعريشها بالحجارة والآجر .

(٥٦) أفاد التبريزي في شرحه أن هذه هي الآية الثانية من الآيات الثلاث التي ذكرها الشاعر في البيت رقم ٤٨ ، وقال أيضاً بأن « حجراً » معطوف على الضمير في « فرددناهم » من البيت ٥٢ ؛ هـذا وقد اعتمد التبريزي في رأيه السابق على صاحب الأغاني حين قال ٤٣/١١ (غزا حجر الكندي ، وهو حجر ابن أم قطام ، امرأ القيس وهو ماء السماء بن المنذر ... وكانت بكر مع امرىء القيس ، فخرجت إلى حجر فردته وقتلت جنوده) .

(٥٧) قول الزوزني « كان أسداً » أي : كان حجر أسداً .

السنة الشديدة للشر ، يريد أنه كان ليث الحرب غيث الجدب .

٥٨ـ وفككنا غُلَّ امرئ القيس عنه بعدَ ما طالَ حَبْسُهُ والعَناءُ

يقول : وخلصنا امرأ القيس من حبسه وعنائه بعدما طال عليه .

٥٩ـ ومعَ الجونِ جونِ آلِ بني الأوْ سِ عَنودٌ كأنَّها دفواءُ

يقول : وكانت مع الجون كتيبة شديدة العناد كأنها في شوكتها وعدتها هضبة دفئة (؟) . والجون الثاني بدل من الأول ، والأول في التقدير محذوف كقوله تعالى : « لعلي أبلغ الأسبابَ أسبابَ السموات » .

٦٠ ـ ما جزِعنا تحتَ العَجاجةِ إذ وَلَّـــوْا شِلالاً وإذْ تَلظّى الصِّلاءُ

العجاجة : الغبار . تلظى : تلهب . الصلاء والصلى : مصدر صَليتُ بالنار تصلى اذا نالك حرها .

يقول : ما جزعنا تحت غبار الحرب حين تولوا في حـــال الطراد ولا حين تلهب نار الحرب .

٦١ ـ وأقدْناهُ ربَّ غسّانَ بالمنْـــذرِ كَرْهاً إذ لا تُكالُ الدِّماءُ

---

(٥٨) ذكر صاحب الأغاني ٤٣/١١ خبر امرىء القيس هذا – وهو المعروف بماء السماء – فقال : (كانت غسان أسرته يوم قتل المنذر أبيه ، فأغارت بكر بن وائل على بعض بوادي الشام فقتلوا ملكاً من ملوك غســان ، واستنقذوا امرأ القيس بن المنذر ، وأخذ عمرو بن هند بنتاً لذلك الملك يقال لها ميسون) .

(٥٩) ذكر صاحب الأغاني ٤٣/١١ خبر الجون فقال : هو (ملك من ملوك كندة ، وهو ابن عم قيس بن معديكرب ... جاء ليمنع بني آكل المرار ... فحاربته بكر فهزموه وأخذوا بني الجون ... إلى المنذر فقتلهم) .

قول الزوزني « هضبة دفئة » خطأ ، وصوابه « دفأى » أو « دفواء » وذلك لأن دفئة : من الدفء وهو ضد البرد ، ودفأى ودفواء : من الدفأ والدفا وهما الانحناء . ومن معاني « الدفواء » في لسان العرب : العقاب ، لعوج منقارها . وعلى هذا فالأمثل تشبيه الكتيبة – في البيت – بالعقاب المنقضة لا بالهضبة .

(٦٠) شلالاً أي مطرودين متفرقين .

(٦١) انظر تعليقنا على البيت رقم ٥٨ ففيه ما يوضح هذا البيت. القود – بفتح القاف والواو – : قتل القاتل بالقتيل .

أقدته : أعطيته القَوَد . يقول: وأعطيناه ملك غسان قوداً بالمنذر حين عجز الناس عن القصاص وادراك الآثار، وجعل كيل الدماء مستعاراً للقصاص، وهذه هي الآية الثالثة .

٦٢ـ وَأَتَيْنَاهُمُ بِتِسْعَةِ أَمْلا كٍ كِرامٍ أَسْلابُهُمْ أَغلاءُ

يقول : وأتيناهم بتسعة من الملوك وقد أسرناهم وكانت أسلابهم غالية الأثمان ، الى عظم أخطارهم وجلالة أقدارهم . الأسلاب : جمع السَّلَب وهو الثياب والسلاح والفرس .

٦٣ـ وَوَلَدْنا عَمْرَو بْنَ أُمِّ أُناسٍ مِنْ قَرِيبٍ لَمَّا أَتانا الحِباءُ

يقول : وولدنا هذا الملك بعد زمان قريب لما أتانا الحباء ، أي زوجنا أمه من أبيه لما أتانا مهرها ، يريد أنّا أخوال هذا الملك .

٦٤ـ مِثْلُها تُخْرِجُ النَّصِيحَةَ لِلْقَوْ مِ ، فَلاةٌ مِنْ دُونِها أَفْلاءُ

يقول : مثل هذه القرابة تستخرج النصيحة للقوم الأقارب قرب أرحام يتصل بعضها ببعض كفلوات يتصل بعضها ببعض. الفلاة تجمع على الفلا ثم تجمع الفلا على الأفلاء ؛ وتحرير المعنى: ان مثل هذه القرابة التي بيننا وبين الملك توجب النصيحة له اذ هي أرحام مشتبكة .

٦٥ـ فاتْرُكُوا الطَّيْخَ وَالتَّعاشِي وَإِمّا تَتَعاشَوْا فَفِي التَّعاشِي الدّاءُ

الطيخ : التكبر . التعاشي : التعامي ، وهما تكلف .

يقول : فاتركوا التكبر واظهار التجبر والجهل وان لزمتم ذلك ففيـه الداء ، يعني أفضى بكم ذلك الى شر عظيم .

٦٦ـ وَاذْكُرُوا حِلْفَ ذِي المَجازِ وَما قُدِّ مَ فِيهِ : العُهُودُ وَالكُفَلاءُ

ذو المجاز : موضع جمع بـه عمرو بن هند بكراً وتغلب وأصلح بينهما وأخذ منهما الوثائق والرهون .

يقول : واذكروا العهد الذي كان منا بهذا الموضع وتقديم الكفلاء فيه .

---

(٦٢) ذكر صاحب الأغاني ١١/٤٣ خبر هذا البيت فقال (كان المنذر وجه خيلا من بكر في طلب بني حجر ، فظفرت بهم بكر بن وائل فأتوا المنذر بهم وهم تسعة ، فأمر بذبحهم في ظاهر الحيرة ، فذبحوا بمكان يقال له جفر الأملاك) .

قوله « أغلاء » لعلها جمع الغلي – بتشديد الياء – ومعناه : الغالي .

٦٧ ـ حَذَرَ الجَوْرِ وَالتَّعَدِّي وَهَلْ يَنْـ ـــقُضُ ما في المَهارِقِ الأَهْواءُ ؟

المهارق : جمع المُهْرَق ، وهو فارسي معرب ، يأخذون الخرقة ويطلونها بشيء ثم يصقلونها ثم يكتبون عليها شيئاً ، والمهرق : معرب مُهر كَرْد .

يقول : وإنما تعاقدنا هناك حذر الجور والتعدي من إحدى القبيلتين فلا ينقض ما كتب في المهارق الأهواءُ الباطلة ، يريد أن ما كتب في العهود لا تبطله أهواؤكم الضالة .

٦٨ ـ وَاعْلَمُوا أَنَّنا وَإِيَّاكُمُ فِيـ ـــما اشْتَرَطْنا يَوْمَ اخْتَلَفْنا سَواءُ

يقول : واعلموا أننا وإياكم في تلك الشرائط التي أوثقناها يوم تعاقدنا مستوون .

٦٩ ـ عَنَناً باطِلاً وَظُلْماً كَما تُعْـ ـــتَرُ عَنْ حَجْرَةِ الرَّبِيضِ الظِّباءُ

العنن : الاعتراض ، والفعل عنّ يعِنّ . العَتْر : ذبح العتيرة ، وهي ذبيحة كانت تذبح للأصنام في رجب . الحجرة : الناحية ، والجمع الحَجَرات . وقد كان الرجل ينذر ان بلغ الله غنمه مئة ذبح منها واحدة للأصنام ، ثم ربما ضنت نفسه بها فأخذ ظبياً وذبحه مكان الشاة الواجبة عليه .

يقول : ألزمتمونا ذنب غيرنا عنناً باطلاً كما يذبح الظبي لحقّ وجب في الغنم .

٧٠ ـ أَعَلَيْنا جُناحُ كِنْدَةَ أَنْ يَغْـ ـــنَمَ غازِيهِمُ وَمِنّا الجَزاءُ ؟

الجناح : الإثم . يقول : أعلينا ذنب كندة أن يغنم غازيهم منكم ومنا يكون جزاء ذلك ؟ يوبخهم ويعيّرهم أن كندة غزتهم فغنمت منهم وأنّا يلزمنا جزاء ذلك .

٧١ ـ أَمْ عَلَيْنا جَرّى إِيادٍ كَما نِيـ ـــطَ بِجَوْزِ المُحَمَّلِ الأَعْباءُ ؟

الجراء والجرى ، بالمد والقصر : الجناية . النوط : التعليق . الجوز : الوسط ، والجمع الأجواز . العبء : الثقل .

---

(٦٩) الربيض : الغنم في مرابضها .

(٧٠) ذكر صاحب الأغاني ٤٠/١١ خبر هـذا البيت فقال (كانت كندة قد كسرت الخراج على الملك ، فبعث إليهم رجالاً من بني تغلب يطالبونهم بذلك ، فقتلوا ولم يدركوا بثأرهم ، فعيرهم بذلك ، هكذا ذكر الأصمعي ، وذكر غيره أن كندة غزتهم فقتلت وسبت واستاقت فلم يكن في ذلك منهم شيء ولا أدركوا ثأراً) .

يقول : أم علينا جناية إياد ؟ ثم قال : ألزمتمونا ذلك كما تعلق الأنقال على وسط البعير المحمل .

٧٢ ـ لَيْسَ مِنَّا المُضَرَّبُونَ وَلا قَيْـ ـسٌ وَلا جَنْدَلٌ وَلا الحَذَّاءُ

يقول : هؤلاء المضربون ليسوا منا ، عيّرهم بأنهم منهم .

٧٣ ـ أَمْ جَنايا بَني عَتيقٍ فَإِنّا مِنكُمُ ـ إِنْ غَدَرْتُمْ ـ لَبَراءُ

يقول : أم علينا جنايا بني عتيق ؟ ثم قال : ان نقضتم العهد فإنا براء منكم .

٧٤ ـ وَثَمانُونَ مِنْ تَميمٍ بِأَيْديـ ـهِمْ رِماحٌ صُدُورُهُنَّ القَضاءُ

القضاء : القتل . يقول وغزاكم ثمانون من بني تميم بأيديهم رماح أسنتها القتل ، أي القاتلة . وصدر كل شيء : أوله .

٧٥ ـ تَرَكُوهُمْ مُلَحَّبينَ وَآبُوا بِنِهابٍ يُصِمُّ مِنها الحُداءُ

التحليب : التقطيع . الأوب والأياب : الرجوع .

يقول : تركت بنو تميم هؤلاء القوم مقطعين بالسيوف وقد رجعوا الى بلادهم مع غنائم يصم حداء حداتها آذان السامعين ، أشار بذلك الى كثرتها .

٧٦ ـ أَمْ عَلَيْنا جَرّى حَنيفَةَ أَو ما جَمَّعَتْ مِنْ مُحارِبٍ غَبْراءُ ؟

يقول : أم علينا جناية بني حنيفة أم جناية ماجمعت الأرض أو السنة الغبراء من محارب؟

٧٧ ـ أَمْ عَلَيْنا جَرّى قُضاعَةَ أَمْ لَيْـ ـسَ عَلَيْنا فيما جَنَوْا أَنْداءُ ؟

(٧٤) ذكر صاحب الأغاني ١١/٤١ خبر هذا البيت فقال (يعني عمراً أحد بني سعد بن زيد مناة ، خرج في ثمانين رجلا من تميم فأغار على قوم... من تغلب يقال لهم بنو رزاح كانوا يسكنون أرضاً تعرف بنطاع ... فقتل فيهم وأخذ أموالاً كثيرة ، فلم يدرك منه بثأر) .

(٧٦) يذكر الشاعر ـ في هذا البيت ـ الملك عمرو بن هند بمقتل المنذر بن ماء السماء في حربه مع الحارث بن جبلة الغساني . وكان الذي قتل المنذر في تلك الحرب أحد بني حنيفة حلفاء تغلب على بكر . ويقصد الشاعر بذلك أن يحرض ابن هند على حلفاء تغلب . « عن الأغاني ١١/٤٠ بتصرف » .

(٧٧) قال صاحب الأغاني ١١/٤٠ (عيره بأن قضاعة كانت غزت بني تغلب ... ولم يكن منهم في ذلك شيء ولا أدركوا منهم ثأرا) .

يقول : أم علينا جناية قضاعة ؟ بل ليس علينا في جنايتهم ندى ، أي لا تلحقنا ولا تلزمنا تلك الجناية .

٧٨ - ثُمَّ جاؤوا يَسْتَرْجِعُونَ فَلَمْ تَرْ جِعْ لَهُمْ شامَةٌ وَلا زَهْراءُ

يقول : ثم جاؤوا يسترجعون الغنائم فلم تردّ عليهم شاة زهراء ، أي بيضاء ، ولاذات شامة ، هذه الأبيات كلها تعيير لهم وابانة عن تعديهم وطلبهم المحال لأن مؤاخذة الإنسان بذنب غيره ظلم صراح .

٧٩ - لَمْ يُحِلّوا بَني رِزاحٍ بِبَرْقا ءِ نِطاعٍ ، لَهُمْ عَلَيْهِمْ دُعاءُ

أحلته : جعلته حلالاً . يقول : ما أحل قومنا محارم هؤلاء القوم وما كان منهم دعاء على قومنا ، يعيّرهم بأنهم أحلوا محارم هؤلاء القوم بهذا الموضع فدعوا عليهم .

٨٠ - ثُمَّ فاؤوا مِنْهُمْ بِقاصِمَةِ الظَّهْـــرِ وَلا يَبْرُدُ الغَليلَ الماءُ

الفيء . الرجوع ، والفعل فاء يفيء .

يقول : ثم انصرفوا منهم بداهية قصمت ظهورهم ، وغليل أجواف لايسكنه شرب الماء لأنه حرارة الحقد لا حرارة العطش ، يريد أنهم فُلّوا وقتلوا ولم يثأروا بقتلاهم .

٨١ - ثُمَّ خَيْلٌ مِنْ بَعْدِ ذاكَ مَعَ الغَلاَّ قِ لا رَأْفَةٌ وَلا إِبْقاءُ

يقول : ثم جاءتكم خيل من الغلاق فأغارت عليكم ولم ترحمكم ولم تبق عليكم .

٨٢ - وَهُوَ الرَّبُّ وَالشَّهيدُ عَلى يَوْ مِ الحِيارَيْنِ ، وَالبَلاءُ بَلاءُ

يقول : وهو الملك والشاهد على حسن بلائنا يوم قتالنا بهذا الموضع والعناء عناء ، أي قد بلغ الغاية ، يريد عمرو بن هند فإنه شهد عناءهم هذا ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(٧٩) انظر تعليقنا على البيت رقم ٧٤ .

(٨١) جاء في الأغاني ٤١/١١ أن (الغلاق صاحب هجائن النعمان بن المنذر ، وكان ... تميمياً).

(٨٢) جاء في خزانة الأدب ٢٧٣/٤ (الرب عنى به المنذر بن ماء السماء ... يخبر أن المنذر كان شهد يوم الحيارين) . الرب – بالألف واللام – هو الله ، وإذا أطلق على غيره – تعالى – وجب تجريده من الـ وإضافته ، إلا أنهم أطلقوه في الجاهلية على الملك دون أن يجرد من الـ .

وبعد :

فهذا هو شرح الزوزني للمعلقات السبع ، وهو أشهر الشروح جميعاً ؛ يدلك على هذا : أن البغدادي كثيراً ما كان ينقل عنه في خزانته ، فينسب ما ينقل أو لا ينسبه[1] . وأن الزوزني أفاد من الشراح المتقدمين عليه ، فجاء شرحه مشتملاً على أفضل ما قال سابقوه ، وكان يشير الى ذلك تصريحاً أو تلويحاً[2] . زد على ذلك أن اثنين من الشراح المتأخرين عنه – كما قال بروكلمان[3] – قد اعتمدا على شرحه . ومن يدري ؟ لعلنا نجد لهذين الشارحين قرناء لو أتيح لنا أن نطلع على سائر الشروح . ولقد لقي هذا الشرح حظوة بالغة عند الاقدمين والمحدثين على حد سواء ، ولولا هذا وذاك لما أقبل القدامى على استنساخه بشغف حتى قال عنه بروكلمان ١\٧٠ [.. وتوجد مخطوطاتها في كل مكان] ، ولما بلغت طبعاته على يد المحدثين هذا القدر الذي ذكرنا طرفاً منه في ص ٦٠ و ٦١ وما كنا مستقصين . هذا كله بالإضافة الى حرص الزوزني على الإيجاز غير المخل ، والعناية بإيضاح المعنى ، وما أكثر ما كنا نراه يبدأ شرح البيت بكلمة « يقول : .. » ثم يعود الى شرحه ثانية فيقول « وتحرير المعنى : ... » أو « وتلخيص المعنى : ... » .

أخيراً : أنا أعلم أني سلكت في القسم الاول من هذا الكتاب ، وفي ترجمتي للشعراء ، مسالك وعرة كنت لا أحجم فيها عن إبداء رأي يعرض لي ، وعلى هذا فليس لي أمل أكبر من أن يقيل القارىء الكريم عثرة رأيي – وعثرة الرأي تردي – فيكتب اليّ بما يوجب عليّ شكره ، وقل ﴿ سبحانك لا علم لنا الا ما علّمتنا ﴾ .

علي حمدالله

دمشق ص ب ٦٥٩

---

(١) كفعله مثلاً في شرح البيت ٩١ لطرفة والبيت ٢٨ لزهير والبيت ٣ لابن كلثوم والبيتين ٣٢ و ٣٣ لعنترة ، ومثل هذا كثير عنده .

(٢) انظر – على سبيل المثال لا الحصر – شرح الابيات ٢ و ١٩ و ٢٥ و ٣٠ و ٤٠ لامرىء القيس والبيت ٥ للبيد تجد الزوزني يصرح بذكر ابن الانباري حيناً ، ويكني عن الشراح حيناً آخر بقوله « الناس » أو « قيل » أو « الأئمة » أو « بعضهم » أو « مفسرو البيت » .

(٣) انظر المتسلسلين ٢٥ و ٢٦ في ص ٥٩ من هذا الكتاب .

مراجعنا

١ – الاتقان للسيوطي مطبعة حجازي بالقاهرة ١٣٦٨ هـ
٢ – أدب الكاتب لابن قتيبة (على هامش المثل السائر) المطبعة البهية بمصر ١٣١٢ هـ
٣ – أساس البلاغة للزمخشري مطبعة اورفاند بالقاهرة ١٩٥٣ م
٤ – الاستيعاب لابن عبد البر القرطبي (على هامش الاصابة) مطبعة مصطفى محمد بمصر ١٩٣٩ م
٥ – أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني تحقيق هيلموت ريتر مطبعة المعارف باستانبول ١٩٥٤ م
٦ – أسماء من قتل من الشعراء لابن حبيب تحقيق هارون (المجموعة ٦ من نوادر المخطوطات) مطبعة لجنة التأليف بمصر ١٩٥٤ م
٧ – أسواق العرب لسعيد الأفغاني دار الفكر بدمشق ١٩٦٠ م
٨ – الاشتقاق لابن دريد تحقيق هارون مطبعة السنة بمصر ١٩٥٨ م
٩ – الإصابة لابن حجر العسقلاني مطبعة مصطفى محمد بمصر ١٩٣٩ م
١٠ – إصلاح المنطق لابن السكيت تحقيق شاكر وهارون دار المعارف بمصر ١٩٥٦ م
١١ – الأصمعيات تحقيق شاكر وهارون دارالمعارف بمصر بلا تاريخ
١٢ – إعجاز القرآن للباقلاني (على هامش الاتقان) مطبعة حجازي بالقاهرة ١٣٦٨ هـ
١٣ – الأعلام للزركلي المطبعة العربية بمصر ١٩٢٧ م
١٤ – الأغاني للأصبهاني دار الثقافة ببيروت ١٩٥٥ ← ١٩٦١ م
١٥ – ألقاب الشعراء لابن حبيب تحقيق هارون (المجموعة ٧ من نوادر المخطوطات) مطبعة لجنة التأليف بمصر ١٩٥٥ م
١٦ – أمالي ابن الشجري مطبعة الأمانة بالقاهرة ١٩٣٠ م
١٧ – أمالي القالي مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٣ م
١٨ – أمالي المرتضى مطبعة السعادة بمصر ١٩٠٧ م
١٩ – إنباه الرواة للقفطي تحقيق أبي الفضل إبراهيم (لم يتم) دار الكتب المصرية ج ١ = ١٩٥٠ ، ج ٢ = ١٩٥٢ ، ج ٣ = ١٩٥٥ م
٢٠ – الأنساب للسمعاني ليدن ١٩١٢ م
٢١ – إيضاح المكنون للباباني البغدادي ، استانبول ١٩٤٧ م
٢٢ – البديع لابن المعتز شرح الخفاجي ، مطبعة البابي الحلبي بمصر ١٩٤٥ م
٢٣ – البصائر والذخائر للتوحيدي تحقيق أمين وصقر مطبعة لجنة التأليف بمصر ١٩٥٣ م
٢٤ – بغية الوعاة للسيوطي مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٦ هـ
٢٥ – البيان والتبيين للجاحظ تحقيق هارون مطبعة لجنة التأليف بمصر ١٩٤٨ م
٢٦ – تاريخ آداب العرب للرافعي مطبعة الاستقامة بمصر ١٩٥٤ م
٢٧ – تاريخ الآداب العربية لنالينو دار المعارف بمصر ١٩٥٤ م
٢٨ – تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان تحقيق ضيف دار الهلال بالقاهرة ١٩٥٧ م
٢٩ – تاريخ الأدب العربي للزيات مطبعة الرسالة بمصر طبعة عاشرة بلا تاريخ
٣٠ – تاريخ الأدب العربي للفاخوري المطبعة البولسية بلبنان ١٩٥٣ م

٣١ - تاريخ الأدب العربي لبلاشير تعريب الكيلاني (لم يتم) مطبعة الجامعة السورية ١٩٥٦ م
٣٢ - تاريخ الأدب العربي لبروكلمان تعريب النجار (لم يتم) دار المعارف بمصر بلا تاريخ
٣٣ - تاريخ أدب اللغة لدراز (جزء أول) مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٨ ه
٣٤ - تاريخ الاسلام السياسي لحسن ابراهيم (لم يتم) مطبعة دار النيل بالقاهرة ١٩٤٨ م
٣٥ - تاريخ العرب لحتي ورفاقه دار الكشاف بيروت ١٩٦١ م
٣٦ - تاريخ الكعبة لحسين عبد الله باسلامة المطبعة الشرقية بجدة ١٣٥٤ ه
٣٧ - التنبيه على أوهام القالي للبكري مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٤ م
٣٨ - جمهرة أشعار العرب للقرشي المطبعة الخيرية بمصر ١٣٣٠ م
٣٩ - جمهرة أنساب العرب لابن حزم تحقيق هارون دار المعارف بمصر ١٩٦٢ م
٤٠ - حاشية العدوي على شرح الجرجاوي لشواهد ابن عقيل مطبعة البابي بمصر بلا تاريخ
٤١ - حديث الأربعاء لطه حسين دار المعارف بمصر ١٩٥٣ م
٤٢ - خزانة الأدب للبغدادي (غير كاملة) المطبعة السلفية بمصر ج ١ = ١٣٤٧ ، ج ٢ = ١٣٤٨ ، ج ٣ = ١٣٤٩ ، ج ٤ = ١٣٥١ ه
٤٣ - دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني مطبعة المنار بالقاهرة ١٣٣١ ه
٤٤ - ديوان المعاني للعسكري مكتبة القدسي بالقاهرة ١٣٥٢ ه
٤٥ - رجال المعلقات للغلاييني المطبعة العصرية بلبنان بلا تاريخ
٤٦ - رسائل الانتقاد لابن شرف تحقيق كرد علي (ضمن رسائل البلغاء) مطبعة لجنة التأليف بمصر ١٩٤٦ م
٤٧ - رسائل أبي العلاء المطبعة الأدبية بيروت ١٨٩٤ م
٤٨ - رسالة الغفران للمعري تحقيق بنت الشاطىء دار المعارف بمصر ١٩٥٠ م
٤٩ - زهر الآداب للحصري مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٣ م
٥٠ - سبائك الذهب للسويدي المكتبة التجارية بالقاهرة بلا تاريخ
٥١ - سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي تحقيق فوده المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٢ م
٥٢ - سنن ابن ماجه تحقيق عبد الباقي مطبعة البابي الحلبي بمصر ١٩٥٣ م
٥٣ - السيرة النبوية لابن هشام تحقيق سقا وابياري وشلبي مطبعة البابي الحلبي بمصر ١٩٣٦ م
٥٤ - شرح ديوان امرىء القيس للسندوبي مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٩٥٣ م
٥٥ - شرح ديوان جرير للصاوي مطبعة الصاوي بمصر بلا تاريخ
٥٦ - شرح ديوان عنترة للشلبي شركة فن الطباعة بمصر بلا تاريخ
٥٧ - شرح القصائد العشر للتبريزي الطباعة المنيرية بمصر ١٣٦٩ ه
٥٨ - شرح مقصورة ابن دريد مطبعة الصاوي بمصر ١٩٥١ م
٥٩ - الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق أحمد شاكر مطبعة البابي الحلبي بمصر الأول ١٣٦٤ ه والثاني ١٣٦٦ ه
٦٠ - شفاء الغليل للخفاجي مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٥ ه
٦١ - صحاح الجوهري تحقيق العطار مطبعة دار الكتاب بمصر ١٣٧٦/١٣٧٧
٦٢ - صحيح الترمذي المطبعة العامرة بمصر ١٢٩٢ ه

٦٣ – صحيح مسلم تحقيق عبد الباقي مطبعة البابي الحلبي بمصر ١٩٥٥ م
٦٤ – الصعلكة والفتوة في الاسلام لأحمد أمين (سلسلة اقرأ رقم ١١١) دار المعارف بمصر ١٩٥٢ م
٦٥ – الصلة لابن بشكوال طبع مجريط ١٨٨٣ م
٦٦ – الصناعتين للعسكري شرح الخانجي مطبعة صبيح بمصر بلا تاريخ
٦٧ – الصناعتين للعسكري تحقيق البجاوي وأبي الفضل مطبعة البابي الحلبي بمصر ١٩٥٢ م
٦٨ – طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي تحقيق محمود شاكر دار المعارف بمصر ١٩٥٢ م
٦٩ – طيف الخيال للمرتضى تحقيق الكيلاني مطبعة البابي الحلبي بمصر ١٩٥٥ م
٧٠ – العقد الفريد لابن عبد ربه تحقيق أمين وزين والابياري مطبعة لجنة التأليف بمصر ١٩٤٠–١٩٥٠ م
٧١ – العمدة لابن رشيق مطبعة هندية بمصر ١٩٢٥ م
٧٢ – عيار الشعر لابن طباطبا تحقيق الحاجري وسلام شركة فن الطباعة بمصر ١٩٥٦ م
٧٣ – فحولة الشعراء للأصمعي تحقيق الخفاجي الطباعة المنيرية بمصر ١٩٥٣ م
٧٤ – فهرس الكتب العربية الواردة لدار الكتب المصرية من سنة ٩٢٩ – ١٩٣٥ الجزء السابع ،طبعة دار الكتب ١٩٣٨ م
٧٥ – الفهرست لابن النديم المطبعة الرحمانية بمصر ١٣٤٨ هـ
٧٦ – في الأدب الجاهلي لطه حسين دار المعارف بمصر ١٩٥٢ م
٧٧ – القاموس المحيط للفيروز ابادي شركة فن الطباعة بمصر ١٩٥٤ م
٧٨ – قانون البلاغة للبغدادي تحقيق كرد علي (ضمن رسائل البلغاء) مطبعة لجنة التأليف بمصر ١٩٤٦ م
٧٩ – الكامل للمبرد مطبعة الاستقامة بمصر ١٩٥١ م
٨٠ – الكشاف للزمخشري مطبعة الاستقامة بمصر ١٩٥٣ م
٨١ – كشف الظنون لحليفة مطبعة المعارف باستانبول ١٩٤١ م
٨٢ – كنى الشعراء لابن حبيب تحقيق هارون (المجموعة ٧ من نوادر المخطوطات) مطبعة لجنة التأليف بمصر ١٩٥٥ م
٨٣ – اللؤلؤ والمرجان لعبد الباقي مطبعة البابي الحلبي بمصر ١٩٤٩ م
٨٤ – لباب الآداب لابن منقذ تحقيق أحمد شاكر المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٥ م
٨٥ – لسان العرب لابن منظور دار صادر ودار بيروت ١٩٥٥ – ١٩٥٦ م
٨٦ – المؤتلف والمختلف للآمدي (مع معجم الشعراء في مجلد واحد) مكتبة القدسي بالقاهرة ١٣٥٤ هـ
٨٧ – المثل السائر لابن الأثير المطبعة البهية بمصر ١٣١٢ هـ
٨٨ – المجتنى لابن دريد مطبعة المعارف بحيدر آباد الدكن ١٣٤٢ هـ
٨٩ – مجمع الأمثال للميداني مصر ١٣٥٢ هـ
٩٠ – محاضرات الأدباء للراغب الاصبهاني المطبعة الشرفية بمصر ١٣٢٦ هـ
٩١ – المختار من شعر بشار للخالديين تحقيق العلوي مطبعة الاعتماد بمصر بلا تاريخ
٩٢ – مرآة الجنان لليافعي مطبعة المعارف بحيدر آباد الدكن ١٣٣٧ ← ١٣٣٩ هـ
٩٣ – المرجع للعلايلي مطبعة النجاح ببيروت ١٩٦٣ م
٩٤ – المزهر للسيوطي تحقيق جاد المولى وأبي الفضل والبجاوي مطبعة البابي الحلبي بمصر بلا تاريخ
٩٥ – المستطرف للأبشيهي مطبعة الاستقامة بمصر ١٣٧٩ هـ

٩٦ – مسند أحمد ج ٦ المطبعة الميمنية بمصر ١٣١٣ هـ
٩٧ – مسند الطيالسي تحقيق البنا الساعاتي المطبعة المنيرية بمصر ١٣٧٢ هـ
٩٨ – مصادر الشعر الجاهلي للأسد دار المعارف بمصر ١٩٥٦ م
٩٩ – المصباح المنير للفيومي المطبعة الخيرية بمصر ١٣١٠ هـ
١٠٠ – معاهد التنصيص للعباسي المطبعة البهية بمصر ١٣١٦ هـ
١٠١ – معجم الأدباء لياقوت مطبعة البابي الحلبي بمصر ١٩٣٦ م
١٠٢ – معجم البلدان لياقوت دار صادر ببيروت ١٩٥٥ م
١٠٣ – معجم الشعراء للمرزباني (مع المؤتلف والمختلف في مجلد واحد) مكتبة القدسي بالقاهرة ١٣٥٤ هـ
١٠٤ – معجم المطبوعات لسركيس مطبعة سركيس بمصر ١٩٢٨ م
١٠٥ – المعلقات العشر للشنقيطي مطبعة الاستقامة بمصر ١٣٥٣ هـ
١٠٦ – مفتاح كنوز السنة لفنسنك تعريب عبد الباقي مطبعة مصر ١٩٣٤ م
١٠٧ – المفضليات تحقيق شاكر وهارون دار المعارف بمصر ١٩٥٢ م
١٠٨ – مقامات الزمخشري المطبعة العباسية بمصر ١٣١٢ هـ
١٠٩ مقدمة ابن خلدون مطبعة مصطفى محمد بمصر بلا تاريخ
١١٠ – منتخب كنز العمال للمتقي الهندي (على هامش مسند أحمد) ج ٥ المطبعة الميمنية بمصر ١٣١٣ هـ
١١١ – من نسب إلى أمه من الشعراء لابن حبيب تحقيق هارون (المجموعة ١ من نوادر المخطوطات) مطبعة لجنة التأليف بمصر ١٩٥١ م
١١٢ – مهد العرب لعزام (سلسلة اقرأ رقم ٤٠) دار المعارف بمصر ١٩٤٦ م
١١٣ – الموازنة للآمدي مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٤ م
١١٤ – الموجز في الأدب العربي وتاريخه لفاخوري دار المعارف بمصر بلا تاريخ
١١٥ – الموشح للمرزباني المطبعة السلفية بمصر ١٣٤٣ هـ
١١٦ – موطأ مالك تحقيق عبد الباقي مطبعة الحلبي بمصر ١٩٥١ م
١١٧ – الميسر والقداح لابن قتيبة تحقيق الخطيب المطبعة السلفية بمصر ١٣٤٣ هـ
١١٨ – نزهة الألباء في طبقات الأدباء للأنباري تحقيق السامرائي مطبعة المعارف ببغداد ١٩٥٩ م
١١٩ – نقد الشعر لقدامة بن جعفر تحقيق كمال مصطفى مطبعة أنصار السنة بمصر ١٩٤٩ م
١٢٠ – نهاية الأرب من شرح معلقات العرب للنعساني مطبعة السعادة بمصر ١٩٠٦ م
١٢١ – هدية الأحباب للقمي طبع النجف ١٣٤٩ هـ
١٢٢ – هدية العارفين لإسماعيل البغدادي استانبول ١٩٥١ م
١٢٣ – الوساطة للقاضي الجرجاني تحقيق أبي الفضل والبجاوي مطبعة البابي الحلبي بمصر ١٩٥١ م
١٢٤ – وفيات الأعيان لابن خلكان مطبعة السعادة بمصر ١٩٤٨ م

فهرس

منشوراتنا

		ق س
فكر ومباحث	الاستاذ علي الطنطاوي	٣٠٠
مع الناس	» » »	٣٠٠
في سبيل الله والحق	» محمد سعيد رمضان البوطي	٢٥٠
تجربة التربية الاسلامية	» » » » »	٢٠٠
المذهب الاقتصادي بين الشيوعية والاسلام	» » » » »	٢٠٠
دفاع عن الاسلام والتاريخ	» » » » »	٣٠
معلم الصحافة والانشاء	» محمد خير الدرع	٣٠٠
المعلومات الزراعية ١ ـ ٢	» عبد المنعم عصفور	٥٠٠
اصول اللغة الالمانية	» قاسم احمد	٢٠٠
الدروس الخصوصية في اللغة الافرنسية	» علي حسين الاسعد	٢٠٠
التربية وعلم النفس	» اديب اليوسف	٥٠٠
التربية وسيكلوجيا الطفل	ترجمة الاستاذ اديب اليوسف	٥٠٠
السلم المعياري التربوي	الدكتور محمد خير عرقسوسي	١٥٠
قصص المطالعة للأطفال (٥) اعداد	فئة من اساتذة التربية	٢٥٠
اطلس بلاد العرب	الاستاذ غسان مراد	٢٠٠
الطرق الهندسية لرسم خرائط :		
أ ـ البلاد العربية	» » »	٥٠
ب ـ البلاد العربية والدول العظمى	» » »	٧٥

شرح المعلقات السبع للزوزني . دراسة وتعليق الاستاذ محمد علي حمد الله ٥٠٠

كليلة ودمنة لابن المقفع . مشكول ومصور بالالوان . شرح وتقديم
الاستاذ محمد خير الدرع ٥٠٠

المطبعة التعاونية

١٣٨٣ - ١٩٦٣

